شهداء
الحرب العالمية الكبرى

تأليف

أدهم آل جندي

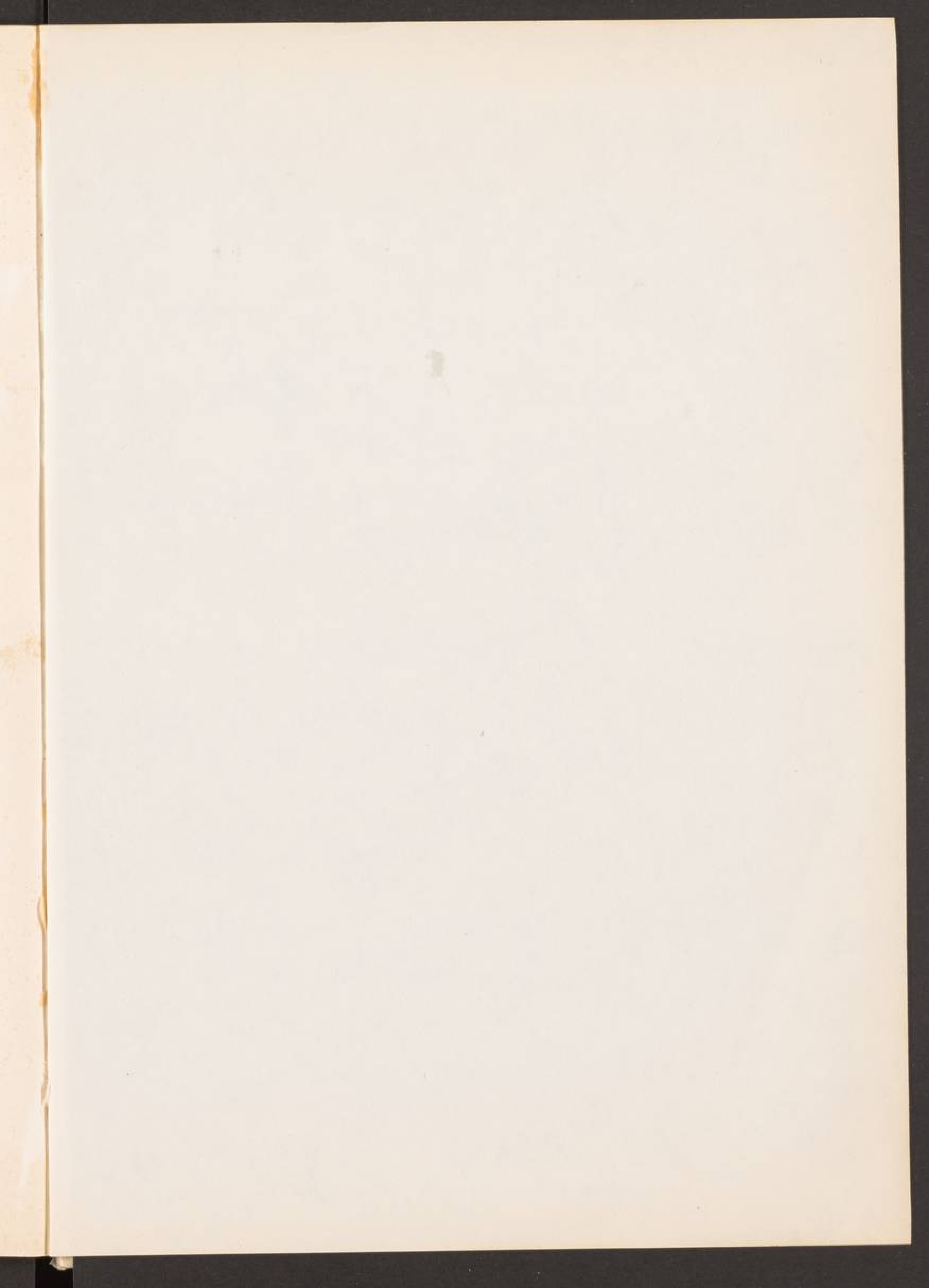
سنة ١٩٦٠

ثمن النسخة (٢٥) ليرة سورية
للدوائر الرسمية (٥٠) ليرة سورية

مطبعة العروبة : دمشق
٨ ١٧٩٣٦







شهداء الحرب العالمية الكبرى

تأليف

أدهم آل جندي

سنة ١٩٦٠

مطبعة العروبة : دمشق

ه ١٧٩٣٦

ثمن النسخة (٢٥) ليرة سورية

للدوائر الرسمية (٥٠) ليرة سورية

بيان الى القراء الكرام

هذا هو تاريخ شهداء الحرب العالمية الاولى قد صدر ، مع تاريخ الثورات السورية في آن واحد ، ويتبعهما أجزاء عدة ، من تاريخية وأدبية وفنية ، وهو كالجزئين الادبيين اللذين أصدرتهما في عامي ١٩٥٤ و١٩٥٨م لا يعرض للبيع في المكاتب العامة ، ولا يعرضه مؤلفه على الناس كمستجدي العطاء ، وقد اضطررت لطبع نسخ محدودة منه ، تكفي لتسديد نفقات طباعته وأكلافه فقط ، دون النظر الى مغنم أرتجيه من ورائه ، فأنا بحمد الله مكفيٌّ رضيٌّ ، وما أتوخاه من رسالتي التاريخية ، هو سد الثلمات الموجودة في تاريخ شهداء الحرب العالمية الاولى ، خدمة للمكتبة العربية .

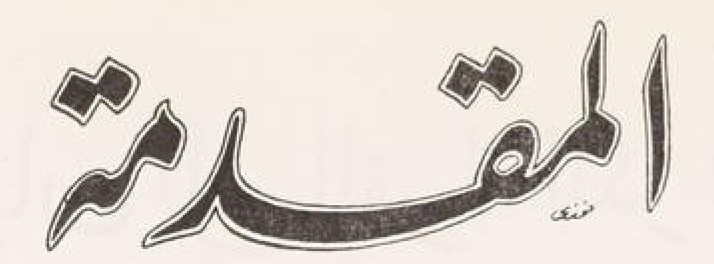
فلا يعجبن القارىء اذا خلت صحائفه من مقدمات التقريظ التي اعتاد اكثر المؤلفين استجداءها من العلماء والادباء ، واصحاب المناصب العليا ، وكفى ان تقرظه مواضيعه .

لقد بذلت في اخراجه الى حيز الوجود جهداً مضنياً ، يقدره كل من عانى هذه الابحاث التاريخية الشاقة ، وعنيت بنفسي تصحيح اغلاطه المطبعية ، فخلا من جدول الاخطاء ، فاذا شردت العين عن هفوة مطبعية ، فالعذر من شيم الكرام ، والعصمة لله وحده .

المؤلف

ادهم آل جندي

عنوان المؤلف : دمشق هاتف (١٩٤٤٢) ص.ب (٤٠٨)



المقدمة

ان نعي الشهداء يقع موقع الألم الممض في النفوس ، ولطالما أحدث موت الابطال والعظمآء ثلماً في بنآء الأمم ، ونحن امة تقدر الرجال حق قدرهم ، ولكن الحكومات التي تعاقبت في عهود الاستعمار الفرنسي لم تفكر بذكرى تخليدهم ، ارضاء لمن كان نصب هؤلاء الحكام وعزلهم بمقدورهم في طرفة عين .

أجل : لقد كان من المحرم على الشعب السوري ان يحتفل بذكرى شهدائه الابرار في عهد المستعمرين ، حتى اتاح الله لنا هذا العهد الميمون الذي يقـدر رجاله البطولات لمن فادوا بأرواحهم ومهجهم في سبيل عروبتهم واستقلال بلادهم ، لانهم ابطال ، واكثرهم جاهدوا وخاضوا حرب فلسطين ومعاركها الرهيبة .

لقد سبقنا الغربيون في تخليد عظمائهم ، فهم يقيمون التماثيل للابطال والنوابغ ، ويسمون بأسمائهم الشوارع والمعاهد العلمية ، ويجعلون لميلادهم ولموتهم أياماً في كل سنة ، وهي بمنزلة الاعياد ، وفي كل يوم نسمع باحياء ذكرى واحد من تلك العناصر السامية ، ونحن في الشرق لانعترف بالفضل والتقدير لذويـه الا بمقدار ، حتى اذا رحلوا الى دار الخلود ، وانقطعت صلتهم المادية بالاحياء تناسيناهم والشواهد على ذلك كثيرة ، وهكذا يكون حظ الشهداء ونصيبهم من الوفاء في الشرق العربي ، وانها لقولة حق صادرة عن قلب كليم مفعم بالاسى ، اردت الافصاح عنها بمناسبة مرور مايقرب من نصف قرن على اعدام شهداء العرب واحرارهم .

الجامعة العربية

كان على جامعة الدول العربية ، وهي المنظمة الوحيدة الصالحة للقيـام بوضع مؤلف عن حياة شهداء العرب ، وان تعني باخراجه ، ولكن الجامعة لم تفكر بهذا المشروع الجليل ، العميق في سمو اهدافه ، العزيز على قلوب المجتمع ، فهي مشغولة ، كأنه لا يعنيها امر ذكرى الشهداء ، ورسالتهم وتخليدهم .

لقد فكرت باخراجه ، وفآء للشهداء وتخليدهم على اوسع نطاق ، بعد ان كانت الاحتفالات السنوية تجري بشكل محدود ، تلقى فيه بعض الكلمات ، دون ان يعلم النشيء الكريم نبذة عن سير اعلام الجهاد العربي وابطاله ، الذين كانوا ضحايا البطش التركي في سبيل حرية بلادهم .

ولـما ازمعت على تنفيذ هذه الفكرة انتابتني الحيرة وامتلكني اليأس ، وغمني ذلك الجو القاتم ، وقد أسدل عليه ستور الملابسات والمتناقضات ، وهو الافتقار الى المصادر الموثوقة ، فان الرعيل الاول من اقطاب الحركة الذين واكبوا حركة الانطلاق العربية ، وكانوا على صلة بمجرى اطوارها وحوادثها كان مصيرهم الاغتيال والصلب على اعواد المشانق ، فضاع ما كان في حوزتهم من وثائق ومذكرات يومية ، كان بعضهم قد اهتم بتدوينها ، فالشهيد السوري الاول المرحوم الدكتور عزة الجندي ، عندما أخذ لمقابلة جمال باشا السفاح واغتاله بشكل لم يعرف حتى الآن ، فقدت مذكراته وامواله التي كانت معه ، وكذلك الشهيد الاجل المرحوم عبـد الحميد الزهراوي ، فقد جيء به من استانبول الى ديوان عالية واختفت مذكراته ، وكان شأن الشهداء الشهابي والعريسي والبساط والبخاري كذلك ، فقد قبض عليهم في مدائن صالح ، وصادرت السلطات ما وجدته معهم من مذكرات يومية ، ثم قامت اسرة المحمصاني بحرق الوثائق وغـيرها التي كانت طمرت في بطن الارض ، تفادياً من وقوعها بأيدي الاتراك ، وفيها البلاء الاعظم على فريق كبير من شباب العرب الذين كانت صلاتهم وثيقة بالجمعيات العربية ، وهناك أسر الشهداء ، وقد اتلفت حرقاً ما كان لديها من وثائق قبل نفيها الى الاناضول ، تفادياً من عواقب وقوعها في قبضة الاتراك ، ورأيت من الحزم ان لاسبيل

الى التراجع ، فخطوت شوطاً بعيداً في مضمار التحقيق والتمحيص والاستقصاء ، واصطدمت بعقبات كأداء كادت تهوي بي في لجة اليأس ، لولا رحمة ربك ، وغاية واحدة تخطت تلك العقبات ، وهي ان للاسرة الجندية ماض معروف في ملاحم الوطن ، وقد مُنيت بفقد شهيدين شقيقين ، وحاق بها المصائب والمحن ، فنفي اخوة الشهيدين ، واكثر افراد الاسرة الى اقاصي الاناضول ، واعتقلت السلطات الانكليزية شقيقي الشهيدين طوال مدة الحرب العالمية في مصر ، والتحق بعض ضباط الاسرة في الثورة العربية الكبرى ، فتعرض من بقي من افرادها لغضب السفاح جمال باشا وتنكيله وانتقامه ، فسيق افرادها الى خطوط القتال ، كل ذلك دفعني للعمل بروح المؤلف الصابر ، فلم انثن ولم اتردد ، وذللت كل ما اعترضني من عقبات ، وكان هدفي الوحيد سد ثلمة في المكتبة العربية ، وهو اقل وفاء يترتب عليّ حيال المجتمع وأسرتي والتاريخ .

ولا اودُّ في مقدمتي هذه ان اشير الى مواضيع هذا الكتاب ، وما عانيت في سبيل اخراجه من عنف مرير ، وجهد كبير ، وهو عمل لايعرف قدره الا من عانى هذه المباحث ، بل ادع للقراء والتاريخ تقدير ما تعرضت اليه البلاد العربية من محن واهوال انقلها الى اهل الدنيا الاحياء في الاجيال الصاعدة .

العرب والاتراك — ابى غرور الاتحاديين الاتراك ومن والاهم ، الا انتهاز الفرص للتنكيل بالعرب ، وقد مهد لها شذاذ من الوصوليين النفعيين ، وكانت الحرب العالمية الاولى ، وشاءت الاقدار ان تعبث وتقسو ، فأبتليت البلاد العربية بالقائد السفاح جمال باشا ، فنصب المشانق في ساحات دمشق وبيروت ، ونفى عشرات الالوف الى اقاصي الاناضول ، واكتظت السجون بكثير من الابرياء . ومن اجل ما اختلجت في الصدور من الانات والآهات ، امتشق العرب الحسام في وجه الاتراك ، للدفاع عن كيانهم والتخلص من نير استعبادهم .

تنكر الحلفاء للعرب

وفي الوقت الذي قطع فيه الانكليز باسم الحلفاء العهد باستقلال البلاد العربية ، كانوا يتفقون سراً مع الفرنسيين على اقتسام هذه البلاد ، وظهرت دسائسهم الغربية ، وخدعهم السياسية بالمعاهدة المعروفة بمعاهـدة (سايكس بيكو) ومرت البلاد في مرحلة خطيرة .

الرد على مذكرات جمال باشا

أصدر السفاح جمال باشا مذكراته ، ولها صلة وثيقة بشهداء العـرب واحرارها ، فملأها بالعرب طعناً وقدحاً ، وأعطى لنفسه الحق باتخاذ سياسة البطش حيال العرب من قتل وتشريد ، وزعم أن مصلحة الدولة تقضي بهذه التدابير الجائرة ، فكانت لسياسته الهوجاء أبلغ الأثر في تمزيق أوصال الدولة ، وقد يكون في ميدان التأليف من هو اقدر مني على إخراج هذا المؤلف ، ولكن الامر يحتاج الى جهود مضنية ، ورحلات شاقة ، مقرونة بالصبر والجلد على الدرس والتحقيق والاستقصاء ، وهـذا ما دعا اكثر المؤلفين ، للاحجام عن الخوض في هذا الميدان الشائك العويص .

ومن المؤسف أن الذين اشتركوا في خطوب النضال السياسي ، وحملوا أثقاله قد اشغلتهم كوارث الكفاح على تدوين الملاحم في ادوار ذلك النضال ، وهكذا اصطدم النشء الصاعد بعقبات تاريخية كأداء ، وصعب عليه ان يلم بالحقائق الناصعة من تاريخ هـذه الحقبة الخطيرة ، لما يغشاها من ملابسات ومتناقضات تجعلها بين الشك واليقين ، وكانت النتائج المؤلمة ان افتقرت المكتبات العربية ، الى يوميات تاريخية خطتها اقلام من عاصروا نشأة البعث العربي الحديث وألموا بمراحل ادواره واطواره .

وقد اتصلت مباشرة بأسر الشهداء ، ومن لهم علاقة بمجرى الحوادث التاريخية ، ولقيت عنتاً كبيراً من وراء ذلك ، وتوالت بيني وبينهم المراسلات ، وأبدى اكثرهم عدم الاهتمام والاكتراث ، ومع هذا فلم تنضب امام جهودي المواضيع .

المؤلفات السابقة

لقد ظهرت تآليف عدة عن سير الشهداء ، وقد خبط فيها مؤلفوها خبط عشواء ، فتعثروا بالحقائق ، وسلكوا طريق الارتجال في وضع الاحاديث ، ومن هذه المؤلفات ما احتوى على اخطاء فادحة لايمكن الركون الى مواضيعها ، وعلى سبيل المثال اذكر « ان صورة الشهيد الامير عارف الشهابي ؟قد وضعت للشهيد محمد المحمصاني » ، وكانت تراجم بعض الشهداء مقتضبة لاتنور مراحل حياتهم ، ومن المؤلفين من زعم ان كريمة رشدي بك الشمعة قد التقت مع والدها في محطة رياق وهي بطريقها الى المنفى ، ولما نادت والدها صفعها الحراس فتأثرت وماتت في الطريق .

والحقيقة ان كريمة الشهيد هي السيدة ندية ، وقد اقترنت بالدكتور (جبان) وتوفيت سنة ١٩٥١ م بدمشق .

ومن المؤلفين من حشر في مؤلفه بعض من اعدموا شنقاً او بالرصاص بسبب الفرار من الجندية ، ومما تجدر الاشارة اليه ، ان موجة اعدام الفارين بلغت نسبة كبيرة ، فقد كان يعدم بالعشرة واحد بطريق القرعة ، فان اعدم هؤلاء جزاء فرارهم من الخدمة العسكرية ، فهم لا يعتبرون في مصاف شهداء القوميه العربية والسياسة .

ومن المؤلفين من كان تاريخه ذا صبغة طائفية ، وقد ملأت صحائفه بتمجيد الفرنسيين ، ولم اكن أبغي هذا الاستطراد لولا ان جوادب المناسبات قضت بالالماع الى ذلك .

تجرد المؤلف . ومن حق التاريخ ان يتجرد المؤلف عن العاطفة والاديان والاحزاب والطائفية والقرابة ، فلا يسجل الوقائع بتأثير العاطفة ، بل بوحي الوجدان وشرف الضمير ، وحقيقة الواقع .

لقد قمت بدراسات علمية واسعة وتعمقت بالتحقيق والاستقصاء وعكفت على وضع الردود المتعلقة بمذكرات جمال باشا بروح لا تعرف الملل والكلل ، وكنت بعيداً عن الارتجال عند سرد الوقائع التاريخية .

ومن فضل الله عليّ ، أنه لا فضل لمخلوق عليّ باخراج هـذا المؤلف ، ولم أتلق اي تشجيع او مؤازرة مادية من المصالح الحكومية ذات الاختصاص بهذه المواضيع ، ولم أك لأجهل مواقف اكثر اصحاب الشأن ممن لهم علاقة في مواضيع مؤلفي السابقين الذين كانوا يحاولون الحصول على النسخ بأية طريقة كانت ، ما عدا دفع الثمن ، ولو اردت تعداد مناقبهم لاحتاج الامر الى مجلد برأسه ، ولا اغالي بالقول ان المكارم اصبحت كهلال الشك لا تكاد ترى ...

لقد كوّنت هذه المواضيع ورأيت ان اتحف بها المكتبة العربية ، وزهدت في امر تقريظ هذا الكتاب رغم تطوع المقرظين لان الافراط فيه من شيمة العاجزين الذين يستجدونه لتزدان بها مؤلفاتهم . وعلى الله قصد السبيل .

المؤلف

أدهم آل جندي

الاهداء

الى شقيقيّ بالدم الشهيدين صادق وعزة آل جندي ، الذي أكتب عنهما والدمع يسابق القلم في التعبير عما لازم نفسي اربعين عاماً من لوعة مستعصية على العزاء .

والى ارواح الشهداء والمجاهدين الذين اوجدوا فكرة الثورة العربية الكبرى وعملوا لها ، وجادوا بنفوسهم لتسلم امة العرب من المحق والتتريك .

الى اولئك الشهداء والمجاهدين ، الذين حرصوا على بعث تراث العرب الفكري والروحي ، ونشر الثقافة واللغة العربية ، وتنبيه امة العرب الى المجيد من ماضيها والكامن من قوتها وحيويتها ، فاستفاقت بعد هجوع طويل ، ونسيان مرير لشخصيتها وكيانها ، واستمدت من هدى اولئك القادة الابطال عزيمة ومضاء وايماناً ونوراً ، فمشت في سنى ذلك الايمان والنور نحو العلاء والسمو ، وهبت تناضل اعداءها وتثور في وجه الطواغيت ، لتحطيم الاغلال واثبات جدارتها بالحياة المشرفة ، وبناء حضارة لا تلبث ان تورق وتشرق ويعمّ الكون وهجها وسناها في عهد رائد القومية العربية وبطلها الأوحد زعيمنا جمال عبد الناصر .

وفي ظل هذه الحياة الثائرة المناضله ، التي كان انطلاقها على أيدي الشهداء والمجاهدين ، عاشت امة العرب من جديد ، فاتصل هذا الخلف الجديد البالغ بذلك السلف المجيد الساطع ، الذي كان قد أوشك ان ينقطع بعد طول توهج وتألق .

فالى ارواح هؤلاء الشهداء الابرار ، والمجاهدين الاخيار

اهدي كتابي هذا

المؤلف

أدهم آل جندي

الشهيد الميرالاي

صادق بن محمد آل جندي العباسي



اليك انتهى الاقدام والحزم والامر ... وفيك تجلى البأس والمجد والنصر
برزت بساحات الجهاد منافحاً ... عن العرب لا يعروك خوف ولا ذعر
ولم يثنك الموت المخيم في الوغى ... مضيّاً: ولا البيض الرقاق ولا السمر
لك الله من ليث هصور اذا انبرى ... لمعركة فالعزم يزجيه والصبر

* * *

مقامك محفوف بكل فضيلة ... دعائمه احمد وآلاؤه شكر
ومجدك يومي نحوه كل أصيد ... ويقصر عن ادراكه البطل الغمر
وفيك معين للحياة اذا اعترى ... بنا حدث أو مسّ امتك الضر
خطبت نعيم الخلد في بهجة الدنا ... «ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر»

* * *

«أصادق» والتاريخ يشهد انه ... له همة قعسا يغار لها النسر
وحسب بني «الجندي» فيك مجاهداً ... شجاعاً له في كل ملحمة ستر
مدحتك لما ان علمتك «صادقاً» ... تذب عن الايمان ما صنع الكفر
فخذها من الاعماق عصماً يزفها ... اليك الوفاء المحض والحب والبشر

راغب العثماني

الشهيد العربى الاول

الدكتور عزة بن محمد آل جندي العباسي



لقد تفضل الشاعر العبقري الملهم، الاستاذ الشيخ راغب العثماني الذي تربطه بالشقيق الشهيد وشائج الود والاخاء والولاء ، فرثاه بما جادت به قريحته من روائع شعره الخالد فقال :

في موكب المجد حامت حولك المقل ... وفي البلاد قلوب فيك تحتفل

صوارم في يديك البيض لو لمت ... مادت بها الارض وامتلقى بها الجبل

ولو ضربت ببطن القاع لانصدعت ... أركان شامخه واندكت الدول

والحزم ما لاح من عينيك بارقه ... والجود ما صار من يمناك ينهمل

والبيد لو سئلت عن خير من عرفت ... من الكماة اذا ما حتَّم الاجل

قالت مهند (حمص) صنو (خالدها) ... من بايع الله صدقاً (عزة) البطل

جهدت للعرب تبني صرح مجدهم ... والمجد أعظم ما سادت به الاول

ناموا وعينك ما زالت مسهدة ... ترعى مصالح شعب هزه الجزل

فكنت للعرب طوداً شامخاً ابداً ... وللبلاد فتى أوقاته عمل

وللمريض أبا رفق ومرحمة ... وللضعيف ملاذاً بالندى يصل

الفصل الاول

السلطان عبد الحميد

ارتقى السلطان عبد الحميد الثاني العرش سنة ١٨٧٦م في فترة عصيبة ، فخرج من الحرب الروسية مهيض الجناح ، فحلّ مجلس المبعوثين ، وجعل نفسه السلطان المطلق ، فخنق الحريات ، واستبد في تصرفاته ، وفي عهده تفتحت افئدة الاقوام التابعة لسلطنته ، وبدأت روح النقمة تظهر في كل صقع .

لقد غلب الاستبداد على طبعه ، فكان سيء الظن بمن حوله ، مولعاً بأن تكون عظائم الامور وحقائرها معلقة بارادته المطلقة ، وقد التف حوله الوشاة والجواسيس والمداهنون الذي عرفوا بسريرته وضعفه ومرض نفسه في هذه النواحي ، فابتعدوا به عن جادة النصح والارشاد ، وامعنوا في تضليله ، وجعلوا يحسنون له اهواءه ، ويجارونه في رغباته ، فكانوا من العناصر الضارة لمصلحة الدولة .

الانقلاب العثماني

وبعد ان استمر عهد السلطان عبد الحميد (٣٣) سنة ، وقع الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨م، ويعتبر مبدأ التحول في السياسة التركية حيال الاقوام والعناصر التابعة للخلافة العثمانية ، وضعفت فكرة الجامعة الاسلامية .

تمّ الانقلاب على ايدي رجال تركية الفتاة ، وانتقلت الدولة من الحكم الديكتاتوري المطلق الى الدستوري الصحيح ، فانطلق كل قوم وعنصر يعمل جاداً لاعلاء شأن قومه ، فكان السباقون لذلك في حينها رجال العرب وشبابهم العامل، وممثلوهم في مجلس النواب العثماني، فقاموا يطالبون بحقوقهم ،وكان للمنتدى الادبي العربي في الآستانة واعضائه والمنتسبين اليه من الشباب العربي المتحمس اعظم الاثر في اذكاء نار الحماس في صدور الشعب العربي ورجاله ، مما دعا رجال تركية الفتاة للانتباه والحذر من هذه اليقظة ، واخذ الحيطة من نتائج هاتيك الروح الوثابة الخطرة ،وقامت في بعض المدن العربية السورية اذ ذاك نهضة علمية تستوحي اتجاهاتها من مبادىء تلك النهضة العربية ، ولم تكن تألوا جهداً في العمل لصالح الامة والوطن ، فلعبت دوراً هاماً في مقدرات هذة الامة بتاريخها المعاصر .

الصراع بين الاتراك والعرب

لم يصب الشرق الادنى بضربة هدّت كيانه مثل الخلاف الذي نشب بين الاتراك والعرب في اواخر الدولة العثمانية ، وقد اجمع المؤرخون ، على ان الاتحاديين هم المسؤولون عن هــذا الخلاف للفكرة التي استحوذت على اعضائه بحق القومية العربية ، وتسلط على ابنائها .

نشب الصراع واتسع نطاقه بين القومية التركية ، والحركة التورانية التي كانت تتمثل باعمال رجال تركية الفتاة ، وبين العالم العربي،والقومية العربية ، وتنادي عندئذ رجال العرب من كل حدب وصوب للعمل في ميدان الجهاد العربي والتضحية ، فاشتد الخلاف بين العنصرين واهتمت دول اوربا بهذا النزاع وتدخلت تحقيقاً لاطماعها وامانيها الاستعمارية .

انصرف الاتحاديون الى الدعوة للجامعــة التركية ، وتأييد العنصرية التركية بحماس ونشاط ، وهم اقلية في وسط يعج بالعنصريات المختلفة وقد تمزقت الامبراطورية العثمانية ، وفشل الاتحاديون في سياستهم الخرقاء ، فأثارت الفكرة القومية في العناصر العثمانية ، وليس هنا مجال البحث في ايضاح اخطاء السياسة الاتحادية ، لتعذر حصرها ، ولكن من الجدير بالذكر النظر فيما يدعيه

بعض زعماء هذا الحزب الهدام ، الذين تسلموا مقدرات اموره وتصرفوا بالاحكام ، وكانوا من العاملين على انهيار الامبراطورية العثمانية ، وقد دافع طلعت باشا في مذكراته التي نشر مقدمتها في المانيا عام ١٩٢٠ م فقال :

« ليست القضية الشرقية ، قضية انسانية نصرانية ، كما حاولت بعض الدول اظهارها للرأي العام العالمي ، وانما هي قضية عرض ومنفعة لاستعمار الشرق باسم الدفاع عن الانسانية والنصرانية ، ومن الغرابة ان تتدخل الدول في شؤون تركية اذا حكمت بالعدل على مسيحي ، ثم في الوقت نفسه تتغاضى عن الفظائع التي يرتكبها الروس بالمسلمين ، والروس من رعاياهم على السواء ، والسبب في ذلك ، هو ضعف تركية » .

لقد كانت الدول الغربية تعمل المستحيل لمعاكسة مطالب الاصلاح حتى وقعت ثورات عديدة منذ عام ١٩١٠م في البانيا ، وفي الجبل الاسود ، وجبل الدروز في سورية واليمن ، وغير ذلك ، مما لامجال للتبسط فيه ، وكل هذه الثورات دلت على ان الاتحاديين لم يكن لهم هدف معين ، ولا سياسة مقررة لمجابهة كل هذه الاضطرابات التي كانت تقع في فترات متقاربة ، ولذا بدأ اهتمام الدول في التفكير جدياً باقتسام إرث الامبراطورية العثمانية المريضة .

وظهرت البوادر ، باحتلال ايطاليا لطرابلس الغرب في سنة ١٩١١م والى وقوع الحرب البلقانية ، والواقع ان تركية بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ م كانت في موقف تستطيع معه المحافظة على كيانها الداخلي والدولي ، لو كان الافراد الذين تسلموا مقدرات الحكم من ذوي المقدرة وحسن الادارة والنزاهة ، ولكن الايام التي تلت الحروب والثورات الواقعة اظهرت ان اولي الامر في تركية ليسوا كذلك ، وكان لهذه العوامل الاثر البليغ في تدخل الدول بشؤون تركية ، والتفكير في تقسيمها والقضاء عليها .

الاهداف الشخصية

لقد اظهر رجال حزب الاتحاد والترقي في السنوات التي تولوا فيها الحكم ، ان مصالحهم الشخصية كانت فوق كل اعتبار ، وكانت سياستهم في البلاد العربية عبارة عن سلسلة اخطاء متتابعة ، قضت على كل أمل بالاتفاق بين العنصرين التركي والعربي . وكانت شكاوي العرب في سنة ١٩١٠م تنحصر في اقصاء عدد كبير من العرب عن الوظائف التي كانوا فيها في الآستانة بحكم قانون التنسيق ، وقد تناول هذا التنسيق كل الموظفين العرب عمداً ، وعدم دعوة أبناء العرب الى اي اجتماع غايته التأليف بين العناصر العثمانية ، واستبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من ابناء العرب بموظفين من الاتراك ، ونقل الضباط العرب من بلادهم الى الآستانة ، والحيلولة دون التحاقهم ببعثة الضباط العلمية في المانيا ، ومعارضة كل مشروع علمي او اداري في البلاد العربية ، ومناهضتهم للغة العربية ، وتعمدهم حل جمعية (النهضة السورية الادبية) التي تألفت في دمشق ، والغاء الشركة التي تألفت لانشاء مدرسة منتظمة فيها ، وعدم ثقتهم بادخال العرب المنتسبين لجمعية الاتحاد والترقي في اللجنة المركزية ، وغير ذلك من العوامل التي ادت الى زيادة حدة التوتر وقلة الثقة بين العرب والترك .

الجمعيات العربية من سنة ١٩٠٨ الى ١٩١٢

على أثر وقوع الحرب البلقانية والحرب الطرابلسية ، اشرفت الدولة العثمانية على الانهيار ، وكثرت الاطماع في بلادها ، وعرضت المسألة الشرقية على بساط البحث الدولي ، فرأى زعماء العرب ان الخطر على الدولة أقوى واوسع مما كانوا يخشون ، فكان هذا داعياً الى وجوب جعل ادارة الدولة على اساس اللامركزية ، لان ذلك ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه ، فألفوا الاحزاب المعروفة والجمعيات التي انحصرت في فئة خاصة من شباب العرب .

وكان موقف الصحافة التركية شديد الوطأة ، وهو يدعو الى تعزيز القومية الطورانية ، وحض الحكومة على مقاومة القوميات الاخرى والقضاء عليها ، وقد بلغ الخلاف أشده عن طريق الصحافة ، فقد أخذت الصحف تدافع عن القومية العربية ،

وتنادي بها وتطالب بالحقوق المهضومة وتنذر بسياسة التحامل والظلم والاستبداد .

وهـذه اسماء الجمعيات العربية المؤلفة ، مدرجة حسب تواريخ تأسيسها وقد شكلت بشكل قانوني وبترخيص الحكومة ، وكان بعضها علمياً واجتماعياً وادبياً ، وبعضها سياسياً ، وكان لها برامج واهداف واضحة.

وذكر جمال باشا في كتابه « الاتجاهات السياسية » انه كان لهذه الجمعيات تشكيلات تسعى وراء آمال خسيسة لاشخاص معدودين ، وان الشباب انخدعوا وقاموا بتسجيل اسمائهم في تلك الجمعيات وظاهروها بالاموال ، وان بضعة اشخاص حريصين على المنافع استفادوا من بلاهة الشباب ، وان كل جمعية يصادف في تأسيسها وتوسعها اشخاص معدودون ، قد اظهروا هذه المقاصد بصورة دعاوي مشروعة مستندة على اساس سعادة العرب ، فسموها احياناً باللامركزية واحياناً بالاصلاحات في البلاد العربية ، وان الديوان العرفي الحربي لم يبحث عن جميع هذه الجمعيات من جهة شكلها القانوني ، بل دققت اشكالها القانونية الخفية ، فعاقب المؤسسين لتشكيلاتها السرية والمتشبثين بذلك ، وان الاشخاص الذين دخلوا هذه الجمعيات بحسن نية ، ولم يفهموا حقيقة مقاصدها ، فلم يبحث عنهم ، ولم يعاقبوا من جهة كونهم اعضاء في تلك الجمعيات .

« وذكر جمال باشا ، ان الوقائع التي تدقق في الديوان الحربي العرفي في عاليه ، لم تكن مسألة عنصرية . بل مسألة خيانة ، فلا ينبغي ان تتلقى باسم مسألة عربية ، او احتلال في البلاد العربية ، ويسوغ لنا ان نسميها خيانة للحكومة عامة ، ولجميع الاقوام العربية خاصة ، والحق يقال ان هؤلاء الاشخاص الذين عوقبوا بسبب الخيانة التي ارتكبوها امام الوطن قد ألحقوا باسم القوم النجيب العربي (نقطة سوداء) تجـاه الاجانب ، فظن رؤساء سياسة الاعداء الذين نحاربهم اليوم ، ان الامة العربية لم تنفخ فيها الروح ، وانها لاتتأخر عن قبول استيلاء الاجنبي . وان اللامركزية كانت غايتها ، تأسيس الخلافة في مصر تحت حماية الانكليز ، مع قلب الخديوية الى الخلافـة ، وجعل سورية من حيفا الى مصر تحت حماية الانكليز ، ومن حيفا الى اسكندرون تحت حماية الفرنسيين ، وايجاد امير مسلم مستقل في سورية ، وان لبعضهم مقاصد أخرى ، وهي الحاق بيروت بجبل لبنان ، وتوسيع حدود الجبل الى البقاع ، او تكون سورية تحت احتلال فرانسة » .

هذا ما ذكره جمال باشا في كتابه ، وكلما ورد فيه ، عبارة عن وهم وخيال ، كما يتضح ذلك من برنامج جمعية العهد المؤلفة من كبار ضباط الجيش واهدافها واضحة وهي السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب ، على ان تظل متحدة مع حكومة الآستانة .

واستند جمال باشا في الصحيفة السابقة من كتابه ، استناداً الى اقوال الشهيد عبد الغني العريسي « ان الافكار العربية ليست بنت يومها ، وانما الذي اذاعها هي الجمعيات العربية السرية ، على ان هذا الجريان لم ينتقل من عالم الاشخاص الى عالم الجمعيات ، الا من زمن ليس ببعيد ، فان جميع هذه الجمعيات تأسست عقب المشروطية ماعدا جمعية « النهضة اللبنانية » فانها منذ اثني عشر عاماً توالي اعمالها باقدام تحت حماية قنصل فرانسة ومراقبته ، واكثر اعضائها من المسيحيين »

جمعية الحرية والائتلاف

بعد ان استتب الامر للاتحاديين ، اماطوا اللثام عن حقيقة نواياهم واهدافهم ، فجعلوا خطتهم تركية بحتة ، فانفصل عنها حينئذ كل احرار العرب ، وبعض الاتراك الغيورين على مصلحة وطنهم ، فأنشأ احرار الترك جمعية (الحرية والائتلاف) التي كانت غاياتها منح الولايات العثمانية استقلالا اداريا ، وادارة شؤون المملكة على اساس اللامركزية ، وقامت هذه الجمعية بتظاهرة ثورية في الآستانة ، اسفرت عن سقوط وزارة الاتحاديين وحل مجلس المبعوثين ، وتعيين وزارة ائتلافية برئاسة مختار باشـا ، ثم برئاسة كامل باشا .

جمعية الاخاء العربي

هي اول جمعية عربية تأسست في الآستانة سنة ١٩٠٨م بعد اعلان الدستور ، وأنشأت نادياً لها ، ورغم اهدافها المثلى بجمع كلمة الملل العثمانية المختلفة بدون تمييز في الجنسيات والمذاهب ، وتمكين الرابطة الجامعة بينهم لخدمة الدولة ، فان هذه الجمعية لم تعش طويلا لانعدام التجانس بين اعضائها ، فحل محلها المنتدى الادبي .

وجاء في كتاب اتهام الشهداء ان الشهيد شفيق المؤيد مبعوث دمشق سابقاً ، وندره المطران مندوب بعلبك في مؤتمر باريس قد اتفقا عقب اعلان المشروطية مع اشخاص آخرين على تأسيس جمعية بعنوان « الاخاء العربي » في احد بيوت الجزيرة الكبيرة ، فشرعوا بطبع اوراق الدعوة وتوزيعها على السوريين الموجودين في الآستانة ، بواسطة الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل وغيره من الشبان ، واعلنوا اثر ذلك في الجرائد ان الاجتماع سيكون في مسرح (واينه) في قسم بك اوغلي ، وفي هذا الاجتماع القى كل من شفيق المؤيد ، وندره المطران خطاباً بحثا فيها عن الحاجة لتأسيس جمعية باسم الاخاء العربي للمحافظة على حقوق العرب والانهاض بهم بنسبة معارفهم ؛ ثم اصدرت الجمعية جريدة باسم « الاخاء العثماني » كانت بادارة شفيق المؤيد ، وتوالت الاجتماعات والمذاكرات في الاندية التي اتخذوها أولا في بك اوغلي وبعده في جقال اوغلي ، ولما حضر المبعوثون المنتخبون من الولايات العربية جرى استقبالهم على الرصيف والمحطة بعظيم الاحتفال ، وفي اول الامر سير بهم رأساً الى تلك الاندية .

المنتدى الادبي

أسس المنتدى الادبي سنة ١٩٠٩ م ليكون مركزاً لشباب العرب في العاصمة التركية ، لاقامة المحاضرات العلمية فيه ، وتمثيل الروايات العربية ورصد ريعها له .

وقد ورد في كتاب الايضاحات السياسية الصحيفة (١١) ان الذين قاموا بتأسيس المنتدى الادبي هم الشهداء : عبد الحميد الزهراوي وشفيق بك المؤيد ورضا الصلح والشيخ رشيد رضا ورفيق العظم والطبيب حسين حيدر وطالب النقيب مبعوث البصرة والبكباشي عزيز علي المصري والدكتور عزة الجندي وندره المطران ونخله باشا المطران ورشدي الشمعة ، وان هؤلاء قد سبقت لهم المظاهرة المعنوية والنفوذ في تأسيسه وإدعامه .

ثم انضم الشهداء عبد الكريم قاسم الخليل ويوسف مخيبر وسليمان حيدر ورفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ، وكان مقره في محلة (بارمق قبو) وقد رأى المنتدى مساعدة كبيرة ، فمنحه عزة هولو باشا العابد (١٥٠) ليرة ذهبية ، وكان كل آت للآستانة من الشبان يسجل عضواً في المنتدى .

وقد وقع اختلاف بين اعضاء النادي من الشبان ، فأزاله الشهيد عبد الحميد الزهراوي بحكمته ولباقته ، ونصح القائمين عليه ان لا يتنازعوا فيكونوا سبباً لتعطيل النادي .

وبقي الشهيد عبد الكريم الخليل رئيساً له مدة حياته ، وكان النادي ميداناً لالقاء المحاضرات العلمية والتاريخية ، وكان الشيخ رشيد رضا وعبد الحميد الزهراوي وندره المطران وعزيز علي المصري وسليم الجزائري يلقون المحاضرات التاريخية بشكل يبعث على فكرة الاستقلال العربي واحياء مجد العروبة ، وكان للمنتدى تعليمات سرية لا يعلمها سوى اعضائه المؤسسين ، وكان الشهيد رفيق رزق سلوم ينظم الاناشيد الحماسية بالمواضيع التي كان يضعها له رئيس النادي عبد الكريم الخليل .

اصدر النادي مجلة تنطق بغاياته واهـدافه الوطنية ، وكان شعبة الجمعية اللامركزية التي تشكلت في مصر ، وكانت آراء المنتدى وجمعيات الاصلاح متحدة مع آراء اللامركزيين الموجودين في مصر . وكان الشهيد الدكتور عزة الجنـدي يسافر الى مصر ويفاوض حـزب اللامركزية ، وكذلك الشهيد سيـف الدين الخطيب يأتي الى بيروت ومصر ويخابر الجمعيـة الاصلاحية واللامركزية .

وقد أتهم الاتراك رجال هذا النادي ، بأنهم كانوا يسممون افكار الشبان الابرياء الذين اعدم بعضهم .
لقد امتدت حياة المنتدى الادبي اكثر من تلك الجمعيـــات ، فقد تأسس سنة ١٩٠٩ م وتوقفت اعماله في شهر مارث سنة ١٩١٥ م حيث أغلقته الحكومة التركية .

الجمعية العربية الفتاة

أسس هذه الجمعيـــة احمد رستم حيدر وتوفيق الناطور وكانا يطلبان العلم في باريس سنة ١٩٠٩ م وانضم اليها الشهيد محمد المحمصاني سنة ١٩١١ م ، وكانت جمعية سرية لا يعرف الداخل فيها غير الذي أدخله ، وكانت تتألف من ثلاث هيآت للادارة ، والعمل ، وقسم الداخلين حديثاً ، ولا يعرف بعضهم بعضاً ، وكان لها كلمات واصطلاحات رمزية في المراسلات والاتصالات .

ثم انتقل مركز هذه الجمعية الى سورية بعد عودة مؤسسيها الى بلادهم سنة ١٩١٢ م واتخذت بيروت مقراً رئيسياً لهـا ، وانتقل بعدها الى دمشق وبدأ نشاطها ، ثم انضم الملك فيصل الى هذه الجمعية واخذ يؤيدها ، وكان سنة ١٩١٥ م في طريقه الى الحجاز من الآستانة ، فاجتمع برجال الجمعية في دمشق ، وأطلعوه على تشكيلاتهم ، واعلموه أنه اذا ثار الحجاز وزحف على سورية وجد أهلها على استعداد لتأييده ، فأيد فيصل الفكرة وتبرع للجمعية بالف ليرة ذهبية مساعدة لها في عملها . وقد انضم الى عضويتها السادة عبد الغني العريسي والامــير عارف الشهابي وفايز الشهابي وعوني عبد الهادي وياسين باشا الهاشمي ورضا باشـا الركابي وصالح قنباز وسامي السراج وعلي السراج واللواء مصطفى نعمت وشكري القوتلي وعادل ونبيه العظمه ، ورضا الرفاعي وعبد الوهاب ميسّر ، واحمد مريود ومظهر رسلان ورشيد طليع وتوفيق الشيشكلي وخليل مردم بك ، وعارف النكدي ؛ ويوسف وسعيد حيدر ومصطفى وصفي ، وعزة دروزه ، وفؤاد سليم وعوني القضماني وعلي جودة الايوبي وجميل المـدفعي وانداذهم وكان عـدد اعضائها يقارب الـ (١٨٤) عضواً .

وقد امتازت هذه الجمعية عن غيرها من الجمعيات ، ولعبت دوراً خطيراً في ميدان الجهاد الوطــني والثورات السورية ، وكانت شوكة دامية في افئدة الفرنسيين في عهد الانتداب والفت الوفود في جنيف للدفاع عن القضايا العربية ، وقد حدث انشقاق في صفوف الهيئة التنفيذية لهذه الجمعية ، كان من أهم عوامله التطاحن على المراكز ، ثم موقف الجمعية من الاستفتاء عندما وفدت بعثة المستر كراين . وقد تعرض اكثر اعضاء الجمعية لاحكام الاعــدام من قبل الفرنسيين مما لا مجال لاطالة الحديث فيه لوعي المعاصرين لوقائعــه .

الجمعية القحطانية

تأسست الجمعية القحطانية في الآستانة سنة ١٩٠٩ م وقد اسسها عبد الحميد الزهراوي وعزيز علي المصري وسليم الجزائري ، ثم انضم اليهم حقي العظم وحسن حماده والدكتور عزة الجندي ، وغايتها نشر الفكرة العربية واصلاح احوال العرب والنهوض بهم . وقد انتشرت انتشاراً غريباً في زمن قريب ، وكان الاعضاء يتعارفون بشعارات سرية ، ويتداولون آراءهم بشكل مكتوم ، وكانت تنشر مقاصدها شفاهاً زيادة في التحفظ . وكانت ترمي بمقاصدها الى غايات واهداف واسعة ، وقد انتمى اليها بعض الضباط العرب ، وكان من رجال هذه الجمعية الشهيد شكري العسلي يوم جاء الآستانة مبعوثاً .

وانبثق من هذه الجمعية ثلاث جمعيات مهمة في أزمنة مختلفة ، فأسس عزيز علي المصري جمعية (العهد) وانتمى اليها فريق من ضباط العرب ، وبعد ذهابه الى مصر اسس جمعيــة (الثوروية العربية) وأسس بعض اعضاء الجمعية من الملكيين وهم عبد الحميد الزهراوي والشيخ رشيد رضا ورفيق العظم وحقي العظم والدكتور عزة الجندي جمعية اللامركزية في مصر .

جمعية العهد

انبثقت جمعية العهد من الجمعية القحطانية وتشكلت في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٣ م ومن مؤسسيها عزيز علي المصري بعد عودته من طرابلس الغرب للآستانة ، وكانت عسكرية لا يدخلها الا ضباط الجيش .

وتضم نخبة مختارة من ضباط العرب ، منهم : نوري السعيد ومولود مخلص وجميل المدفعي وياسين وطه الهاشمي وعلي النشاشيبي وعارف التوام ومحمد اسماعيل الطباخ ومصطفى وصفي وسليم الجزائري وامين لطفي الحافظ وصادق الجندي ويحيى كاظم ابو الشرف واسعد الدرويش ، وغيرهم من كبار قواد العرب .

كانت هذه الجمعية سرية ، وقد أقسم اعضاؤها ان لايبوحوا بشيء من اسرارها ويتلخص برنامجها :

١ — جمعية العهد سرية انشئت في الآستانة ، وغايتها السعي للاستقلال الداخلي ، لبلاد العرب ، على ان تظل متحدة مع حكومة الآستانة .

٢ — ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان .

٣ — لما كانت الجمعية تعتقد ان الآستانة رأس الشرق ، وان الشرق لا يعيش اذا اقتطعتها دولة اجنبية ، فهي تعنى عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها .

٤ — لما كان الترك يؤلفون من (٦٠٠) سنة المخافر الامامية للشرق امام الغرب ، فعلى العرب ان يعملوا للحصول على ما يؤهلهم لأن يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر .

موقف الاتحاديين من هذه الجمعية

لقد أحدث تأسيس هذه الجمعية أهمية عظيمة ، وبدأ الاتراك ينظرون اليها بخطورة بالغة لما عرف به منشئوها من الصلابة والعقيدة الوطنية والقوة والنفوذ ، ولأنها اسست في فترة كانت العلاقات بين الاتحاديين والشباب العربي قد توترت توتراً حاداً ، وقد لقيت هذه الجمعية تأييد الشبان والضباط العرب الاحرار ، وانشىء لها فروع في بغداد والموصل ، وهذا ما دعا الحكومة الاتحادية ان تخشى توسعها وسطوتها وتأثيرها فقامت جادّة في تفريق رجالها قبل استفحال اخطارها .

وكان الشهداء عبد الحميد الزهراوي وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وعبد الكريم الخليل وطالب النقيب والدكتور عبد الرحمن الشهبندر على اتصال دائم بامراء العرب العسكريين ، وكان شكري العسلي مبعوث دمشق في مجلس النواب العثماني ينحي باللائمة على الاتحاديين الذين شتتوا شمل ضباط العرب في انحاء الدولة دون استخدامهم في بلادهم ، وقد وقفت وزارة الداخلية التركية على نشيد عربي من نظم الشهيد سليم الجزائري ، فبعثت بـه الى ديوان الحرب ليكون حجة على الشهداء في اهدافهم القومية العربية وننشر بعض مقاطعه :

« لتدم هـذه البنيّه	تنمو وتغـدو صبيّه
أزفهـا شجاعـاً	فـلا ترى مسبّيـه
تلدن كل همام	من فـارس مقـدام
يزّق الطغـام	بهمـة عربيـة
تلدن كل عزيز	يجود بالنفس
يدق هـام خسيس	بشجاعـة وحميـه

يشعل نار الحرب لدقّ عنق الكلب
ونيل عز العرب من امة تركيه ،

وقد استاء الاتراك من سليم الجزائري ، الذي هاجر من الجزائر وتربى في مدارسهم ومنحوه الرتب وجعلوه من امراء الجيش التركي ان يجابههم بهذه الكراهية وكفران النعمة فلقي حتفه شهيداً وكانت هذه الجمعية تعتبر نفسها اقوى الجمعيات العربية ، لان القوة الاجرائية العسكريــة بيدها ، ثم قضت مصالح القومية العربية ان تتقرب الى اللامركزية ، فاتفقت معها على الاهداف العربية .

الجمعية الثورية

وضع اسم هذه الجمعية عزيز علي المصري وحقي العظم والشيخ فؤاد الخطيب والضباط الفاروني الى مصر ، وقد نشط عزيز علي المصري لاحداثها بعد القبض عليه وصدور العفو عنه في الآستانة وعودته الى مصر ، وكانت هــذه الجمعية تسير وتسعى وراء المقاصد العربية ضمن برنامج الجمعية اللامركزية .

جمعية النهضة اللبنانية

أسست هذه الجمعية في لبنان ، وهي أقدم الجمعيات العربية المؤسسة ، واشترك في تأليفها فريق من اسرة الخازن وخليل زينيه وغيرهم ، ولها فروع في مصر وباريس ، وكان رئيس شعبة مصر هو اسكندر عمون وانتسب اليها قسم كبير من اللبنانيين المقيمين في مصر ، وكان شكري غانم رئيس الشعبة في باريس ورئيس شعبة امريكا نعوم مكرزل صاحب جريدة الهدى في نيويورك ، وقد أتهم الاتراك افراد هذه الجمعية بأن نزعتهم لبنانيه فرنسية .

الجمعية الاصلاحية

وكان ابرز اعضائها ميشيل التويني ، يوسف الهاني بترو طراد ايوب ثابت ورزق الله ارقش وخليل زينيه وهم الموقعون على اللائحة الاصلاحية المعروفة التي وجدت لدى قنصل فرنسا العام ، فسببت بطش الاتراك في نفر كريم من اللبنانيين .

الجمعية اللامركزية

تأسست هذه الجمعية في مصر سنة ١٩١٢م ، وكانت تضم حزباً سياسياً له برنامجه القومي العربي ، واسس اللامركزية السادة رفيق العظم والشيخ رشيد رضــا وعبد الحميد الزهراوي وحقي العظم وداود بركات واسكندر عمون ومحب الدين الخطيب والدكتور شبلي شميل وسامي الجريديني والدكتور عزة الجندي ، وكان رئيس اللجنة التنفيذية فيها ، وقد اخذ على عاتقه نشر الدعايات العربية في شتى انحاء الاقطار العربية لقيامه برحلات كثيرة واتصاله بملوك العرب وامرائها لهذه الغاية .

لقد كانت الغايــة من تأليف هذا الحزب اظهار حسنات الادارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر مختلفة ، والمطالبة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية والادارة في جميع ولايات الدولة العثمانية .

وابرز ناحية في حياة اللامركزية المؤتمر العربي الذي عقد في باريس .

المؤتمر العربي في باريس

ان فكرة عقد المؤتمر العربي في باريس ، قد اظهرها الى حيز الوجود نخبة من رجالات العرب كانوا آنئذ في باريس ، منهم الشهيدان عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وندره المطران وعوني عبد الهادي وجميل المعلوف وغيرهم ، وقد قامت هذه اللجنة بمراسلة رجالات العرب والاتفاق معهم على عقد المؤتمر وتحديد زمنه ، وارسلت بتاريخ ٤ نيسان سنة ١٩١٣ م كتاباً الى اللجنة اللامركزية في مصر ، اقترحت عليها فيه ان تقوم هي بأعباء هذا المؤتمر ، وان تعمل على انجاحه ، وننشر صورة كتابها الى اللجنة اللامركزية ليطلع الملأ على ما ورد فيه .

« نحن الجالية العربية في باريس ، نقدم اليكم عواطف الشكر لتأليفكم حزب اللامركزية الادارية ، فقد جمعتم في برنامجكم الأماني التي يرتؤونها ابناء العرب لسعادتهم وترفيههم وترقيتهم في كل حين ، ولذلك اوقفنا انفسنا لخدمة غايتكم النبيلة ، واعتبرناكم مصدراً لما نتوقع ان نقوم به في هذه الديار ازاء مناظرات الجرائد ومغامز الخطباء في الاندية السياسية ، ومجرى المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية ، وهذا ماحمل الجالية العربية على الاجتماع والبحث في التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطوارىء ، واصلاح امور بلادنا على اساس اللامركزية ، وبعد المناقشات ارتأت ان تعقد مؤتمراً للعرب تظهر فيه للاجانب ان العرب يدرؤون عادية الاحتلال من اية دولة كانت ، ويحتفظون بحياتهم الوطنية ، وتصارح الدولة العثمانية بوجوب تطبيق الاصلاحات اللامركزية في بلاد العرب .

وبعد المناقشات ارتأت الجالية ان تعقد مؤتمراً للعرب يقوم به السوريون في هذه المدينة ، فانتخبت لجنة ادارية مؤلفة من السادة محمد المحمصاني وندره المطران وشكري غانم وعوني عبد الهادي وعبد الغني العريسي وجميل المعلوف وشارل دباس وجميل مردم بك ، وتقرر ان تدور مباحثات هذا المؤتمر حول ما يأتي :

الحياة الوطنية ـ حقوق العرب والمملكة العثمانية ـ ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية ـ المهاجرة من سورية والى سورية .

رد الجمعية اللامركزية

وفي ١١ نيسان سنة ١٩١٣ م بعثت اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر برسالة الى لجنة باريس ، وأبلغتها انها قررت ايفاد مندوبين من قبلها لحضور المؤتمر ، على ان يكون لهم المشاركة والنظر في موضوعاته حتى تكون موافقة لمبادىء الحزب وبرنامجه .

وعلى اثر ذلك ، اذاعت لجنة باريس بياناً عاماً بسطت فيه غايتها وفكرتها وطلبت « من كل من يخفق قلبه لامة العرب صغيراً او كبيراً ان يلبي داعي الوطن ، لا سيما ارباب الزعامات في مقاعد الجمعيات ، فعليهم نعتمد واليهم نتجه ، فاما ان يتضامنوا الى وفود المؤتمر ، واما ان يبعثوا الينا بالرسائل البرقية او الكتابية يظهرون فيها ارتياحهم لنيل الغاية واشتراكهم في شريف المقصد ، حتى يدلي المؤتمر لدى الامم بحجته ، وتتوقد قوته بقوة امته ، وهنالك ينبثق الغبن ، فيطل على هذه الامة فجر الحياة من اتساق الغسق وركام الظلمات ، وسلام على كل من تلقى هذا النور فغشاه وعرف واجبه فأداه » .

الاختلاف على رئاسة المؤتمر العربي

وقد ظهر من مجرى التحقيق الجاري في الديوان العرفي الحربي في عاليه ، ان اختلافاً وقع في مصر بشأن رئاسة المؤتمر العربي في باريس ، فقد رشح حزب اللامركزية في مصر الشهيد عبد الحميد الزهراوي ، واصر رفيق وحقي العظم على اسناد رئاسة المؤتمر الى شفيق المؤيد ، وعارض الشيخ رشيد رضا وعبد الغني العريسي وغيرهما ، هذه الفكرة وعقد المؤتمر برئاسة الزهراوي .

وعلى هذه الصورة فان شفيق المؤيد لم يحضر المؤتمـــر العربي في باريس ، وقد اختلف بعض زعماء العرب بشأن عقده في باريس ، وكانوا يرون ان يعقد في بلدة عثمانية تفادياً من النقد والتجريح في حالة عقده في بلد غربية تابعة لدولة أجنبية ، وأبدى الزهراوي رأيه وتحفظه ، بأن المؤتمر اذا عقد في بلد عثمانية ، فانه يخشى من فتك الاتراك باعضائه .

وقد ثبت من الوقائع ، ان احمد مختار بيهم لم يعارض فكرة عقد المؤتمر في باريس ، وانه بعث برسالة حملها السيد نجيب شقير الى شفيق المؤيد بهذا المعنى كما يزعم البعض ، والدليل على ذلك ، ان احمد مختار بيهم قد حضر مؤتمر باريس ، كما وان رئاسة المؤتمر لو اسندت الى شفيق المؤيد لحضر المؤتمر في باريس ، وثبت ان تخلفه عن الحضور كان بسبب الرئاسة .

انعقاد المؤتمر

انعقد المؤتمر العربي الاول في باريس يوم الاربعاء الواقع في ١٨ حزيران سنة ١٩١٣ م في قاعة الجمعية الجغرافية ، وافتتح المؤتمر جلسته الاولى برئاسة الشهيد عبد الحميد الزهراوي ، وقد حضره المندوبون الموفدون وهم السادة :

عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون عن حزب اللامركزية في مصر .

سليم علي سلام واحمد مختار بيهم والشهيد احمد حسن طباره والدكتور ايوب ثابت عن الجمعية الاصلاحية في بيروت .

توفيق السويدي وسليمان عنبر عن العراق .

محمد حيدر وابراهيم حيدر عن بعلبك .

الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل عن الجالية العربية في الآستانة .

نجيب دياب ونعوم مكرزل والياس مقصود عن المهاجرين السوريين في الولايات المتحـــدة ، وعباس بجاني عن المغتربين في المكسيك .

شكري غانم وعبد الغني العريسي وندره المطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وخير الله خير الله وجميل مردم بك ومحمد المحمصاني عن جالية باريس .

خطباء المؤتمر

وقد افتتح الشهيد الزهراوي المؤتمر بخطبة بليغـــة ، تحدث فيها عما وصلت اليه حالة المملكة العثمانية من تدهور في سياستها ومكانتها ، وان ما حدث في ولايات الدولة العثمانيـــة في اوروبا من الحوادث الخطيرة الشأن دعا العرب الى التفكير في الحالة الجديدة التي دخلت فيها واتخاذ الوسائل لاتقاء نتائجها وان تسمع اوروبا مطالب العرب وتفهم رأيهم .

وخطب السيد اسكندر عمون وندره المطران وغيرهما بالمعنى ذاته .

القرارات المتخذة في المؤتمر

وتظهر غاية المؤتمر واهداف مندوبيه من القرارات المتخذة وهي :

١ ــ ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب ان تنفذ بوجه السرعة.

٢ ــ من المهم ان يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية ، وذلك بأن يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .

٣ ــ يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لا مركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها .

٤ – كانت ولاية بيروت قدمت مطاليبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣م باجماع الآراء، وهي قائمة على مبدأين اساسيين، وهما توسع سلطة المجالس العمومية، وتعيين مستشارين اجانب، فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين.

٥ – يجب ان تكون اللغة العربية لغة رسمية في البلاد العربية.

٦ – تكون الخدمة العربية محلية في الولايات العربية، الا في الظروف والاحيان التي تدعو الى الاستثناء الاقصى.

٧ – يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها.

٨ – يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اساس اللامركزية.

٩ – سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية.

١٠ – وتبلغ هذه القرارات ايضاً للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية، ويشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها.

وصدر ملحق لقرارات المؤتمر هذا نصه:

اولاً – اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر، فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية، الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها.

ثانياً – ستكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتنفيذ هذا البرنامج وطلب تنفيذه.

وقد استمر المؤتمر منعقداً من تاريخ ١٨ الى ٢٣ حزيران سنة ١٩١٣ م ثم انحل وبقيت الوفود تسعى فيما جاءت اليه ضمن الاهداف العربية المثلى، ودلت قراراته المتخذة على وطنية صادقة واخلاص عظيم للوطن العثماني، الذي كانت غاية المؤتمر تأييده واعلاء شأنه والدفاع عنه، ومما قاله اسكندر عمون في خطبته ما نصه «توهم بعض انصار النظام المركزي من اخواننا الاتراك ان الغرض من النهضة العربية الانفصال عن الدولة، وهو امر بعيد عن الصحة، فان الامة العربية لا تريد الا تغيير شكل الحكم الفاسد – الذي كان يودي بالدولة – بالحكم الذي كان يرجى منه وحده الصلاح والنجاح لنا ولهم، وهو الحكم على قاعدة اللامركزية، ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا».

وهكذا يتجلى للتاريخ غايات المؤتمر العربي الذي اتخذه الاتحاديون دليلا على خيانة العرب للدولة، وحجة للفتك بزعمائهم وقادة آرائهم.

موقف الاتحاديين من المؤتمر العربي

لما أزمع زعماء العرب على عقد المؤتمر العربي في باريس للمطالبة باصلاح الولايات العربية، قاموا يتوسلون لمنعه بشتى الوسائل، فقامت الجرائد التركية والعربية الموالية للاتحاديين بنشر مقالات ضد هذا المؤتمر ورجاله، وحاولوا اقناع الحكومة الفرنسية بمنع عقد المؤتمر في عاصمتها. وحرضوا الشيخ عبد العزيز جاويش وبعض اعوانه على القيام بدعوة الجامعة الاسلامية لاحباط مساعي المطالبين بالاصلاح والقاء بذور الشقاق والفتنة بين العرب والطوائف، وأوعزوا الى انصارهم في البلاد العربية بمقاومة نهضة العرب، وأرسلوا اليهم صور برقيات بهذا المعنى حملوا فريقاً من الموظفين على توقيعها بالطرق المعهودة في تركية، وكلها على النسق والمعنى التالي:

«ان القائمين بفكرة الاصلاح فئة من المتشردين الفارين من وجه الحكومة السنية، فجميع أهل سورية مسلمين ومسيحيين يكذبون افتراءاتهم ويظهرون للحكومة امتنانهم وسرورهم من طرز الادارة الحاضرة التي أعلت شأن الدولة ورفعت منار الدين».

وأمعنت الصحف التركية بمهاجمتها فقالت: «يجب علينا ان نفتح البلاد العربية من جديد».

وبدأت الحكومة التركية تفكر في امور شتى تمهيداً لضرب العرب ضربة قاضية منها :

١ — تعيين الشريف حيدر شريفاً على مكة المكرمة ، فلم تتمكن من تنفيذ ذلك بسبب قيام الشريف حسين بثورته العربيــة الكبرى .

٢ — ارسال حملة على العراق بقيادة جاويد باشا وحسني باشا ووهيب بك ، فاحتج العراقيون على هذا التعيين بشدة ، فاضطرت الحكومة الى العدول عن ارسالها .

٣ — السعي لارسال حملة الى البلاد العربية للقضاء على الفكرة القومية في سورية والعــراق ، ثم تستأنف الزحف الى شبه الجزيرة لمحاربة السيد الادريسي وغيره من امراء العرب ، ولكن الاتحاديين اختلفوا فيما بينهم بعد وصول جاويد قائد هذه الحملة الى سورية ، ورأى فريق منهم بوجوب الزحف أولاً على السيد الادريسي ، وفريق آخر بتأديب السوريين ، وارتأى آخرون ارسال الحملة الى العراق لاغراء القبائل والامراء بالمال وايقاع الفتنة بين العرب وضربهم ببعضهم .

٤ — عزم الحكومة على اقفال المنتدى الادبي في الآستانة ، والكلية العثمانية في بيروت ، ومنع الصحف العــربية والمصرية وغيرها من الدخول الى البلاد العثمانية ، وذلك تنفيذاً لرغبات صنائع الاتحاديين ، الذين وفدوا الآستانة وطلبوا من الحكومة مناهضة طلبات الاصلاح .

٥ — قرار الاتحاديين باغتيال زعماء العــرب وقادة الرأي فيهم ، وقضية محاولة الحكومة التركية اغتيال طالب النقيب الزعيم العراقي الكبير معروفة ، فقد عينت لهذه الغاية ضابطين اتحاديين في البصرة ، وهما فريد بك ، وقد تولى قيادة موقع البصرة ، وعاكف بك وتولى قيادة الدرك فيها ، وعززتها بعدد كبير من الفدائيين ، فما استلما زمام وظائفهما حتى قاما يبعدان ضباط العــرب الى الاناضول ، ليتسنى لهما تنفيذ الخطة المرسومة باغتيال طالب النقيب ، غير انهما وقعا في الشرك الذي نصباه لزعماء الاصلاحيين في العراق ، فكتب الله النجاة لطالب النقيب وجماعته من شرهما ، وقتل فريد بك وتشتت شمل اعوانه وانصاره ، وفشلت خطة الاتحاديين في البلاد العربية .

الاتحاديون يرضخون

رضخت الحكومة الاتحادية للأمر الواقع بعد عجزها وفشلها عن منع انعقاد المؤتمــر العربي الاول في باريس ، ولم تر بداً من تغيير سياستها ، والتظاهر بالميل للعرب وزعماء الاصلاح منهم .

وقد اوفد الاتحاديون مدحت شكري بك أمين سر جمعية الاتحاد والترقي الى باريس ، فاتفق مع رجال المؤتمر العربي في اوروبا وامريكا ، ومفاوضته فيما يطلب من الاصلاحات للبلاد العربية ، غير ان الحكومة لم تنفذ الا قسماً من هذه المطالب .

وكان محور الاتفاق بين زعماء الاصلاح في المؤتمر وبين مندوب الاتحاديين ينحصر في الامور الآتية :

١ — يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية في جميع البلاد العربية باللغة العربية ، ويكون بالتركية في القسم العالي .

٢ — يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين ما عدا الولاة عارفين اللغة العربية ، ويكون تعيين القضاة ورؤساء القضاء الذين ينصبون بارادة سنية من العاصمة ، اما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاة .

٣ — تترك ادارة الاوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة .

٤ — تترك الامور النافعة للادارة المحلية .

٥ — يخدم المجندون في المناطق العسكرية القريبة من بلادهم ، ويختار الجند الذين تدعو الحاجة الى ارسالهم الى اليمن والسير بنسبة عادلة من جميع ابناء السلطنة العثمانية .

٦ – مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانوني .

٧ – يكون مبدئياً في الوزارة ثلاثة من أبناء العرب ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين في الوزارات ، ويكون منهم اثنان او ثلاثة في كل مجلس من مجالس شورى الدولة ، ومحكمة التمييز والمشيخة الاسلامية وبقية المصالح الاخرى ، ويكون منهم اربعة او خمسة على الاقل في الدوائر المختلفة في كل وزارة .

٨ – يعين خمسة ولاة على الاقل من العرب وعشرة متصرفين ، وينصف الذين لم يُوَظّفوا منهم ، ويعاملون معاملة زملائهم من موظفي الملكية والحقانية والشرعية الترك .

٩ – يعين عدد من العرب في مجلس الشيوخ (الاعيان) بنسبة اثنين عن كل ولاية .

١٠ – يستخدم مفتشون اخصائيون من الاجانب في كل ولاية بنسبة الحاجة ، وتحدد وظائفهم واختصاصهم بنظام خاص .

١١ – تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللغة العربية ، على ان ينفذ ذلك تدريجياً .

هذا ما تمّ الاتفاق عليه في باريس بين مندوب جمعية الاتحاد ورجال المؤتمر ، وقد حمله المندوب وعاد به الى الآستانة يرافقه الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل احد اعضاء المؤتمر العربي للاشراف على تنفيذه .

صدور المرسوم السلطاني بالتنفيذ

أعلنت الحكومة الاتحادية عزمها على تنفيذ الاصلاحات العربيـــة ، فاستصدرت يوم ٣ آب سنه ١٩١٣ م مرسوماً سلطانياً بالتنفيذ .

الا ان هذه المقررات والوعود لم تصبح أمراً واقعياً ، وما صار تنفيذه لا يكاد يذكر .

وفي يوم ٥ آب سنة ١٩١٣م قصد وفد من أبناء العرب الباب العالي ليشكر للحكومة وعودها ومطالبتها بالتعجيل في انفاذها .

وفي مساء يوم ٥ آب سنة ١٩١٣ أولمت الشبيبة العربية وليمة في فندق (توكطليان) لخمسة وأربعين مدعواً من عظماء الترك والعـــرب ، كان بينهم انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا ، وخطب الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل وطلب من اركان الوزارة وجمعية الاتحاد والترقي التعجيل في تنفيذ قرار الاصلاح .

وفد الاصلاح في الآستانة

وعلى أثر ذلك أبرق الشهيد عبد الكريم الخليل الى باريس يدعو اعضاء المؤتمـر العربي الى الحضور لمراقبة تنفيذ الاصلاح ، فأوفد المؤتمر العـربي ثلاثة من اعضائه وهم الشهيد احمد طباره ومختار بك بيهم وسليم سلام فوصلوا الآستانة يوم الجمعة في ١٥ آب سنة ١٩١٣ وجرى لهم استقبال لم تشهد الآستانة أعظم منه ، وقام وفد المؤتمر يفاوض رجال الحكومة ، وقابل السلطان وأعربوا له عن تعلق العرب بالعرش العثماني ورجوا منه اصدار أمره الى الحكومة بتنفيذ الاصلاح .

وفي ٢٧ آب سنة ١٩١٣ زار الوفد ولي العهد وتحدثوا اليه بالشؤون الاصلاحية ، وفي هذا المساء أولمت جمعيـــة الاتحاد والترقي حفلة باسم الشبيبة العربية حضر جميع اركان الوزارة وبعض عظماء الترك والعرب ، وتبودلت الخطب .

نوايا الاتحاديين وتنكرهم لمطالب العرب

لقد تظاهرت الحكومة الاتحاديه بالاخلاص للعـــرب . وكانت في الباطن تضمر لهم الشر وتحيك لهم الدسائس والمكائد السرية .

إن تفهم السياسة التركية لا يكون تاماً الا اذا شرحنا الموقف التركي من البلاد العربية .

كان فريق من زعماء الاتحاديين يميلون الى تطبيق فكرة الاصلاح ويرون أن الاحتفاظ بوحدة السلطنـــة تقضي بتنفيذه ، وفريق يرى بضرورة استرضاء العرب ومعاملتهم باللين والمسالمة ، وفريق ثالث مؤلفاً من الطورانيين الحمقاء الذين أخذوا بفكرة البطش والتنكيل بالعرب ، ومقاومة الحركة العربيـــة والقضاء عليها ، وعلى هذه الصورة كان الاتحاديون يختلفون في الرأي نحو القضية العربيـــة .

وكان الشهيد العظيم عبد الحميد الزهراوي أول من فطن الى هذا الموقف المتناقض والاختلاف الواقع بين الاتحاديين ، وقد تغلب فريق المتطرفين من الاتراك وسيطروا على السياسة التركية وعلى الموقف وحملوا رفاقهم على اقرار رغباتهم .

شذوذ بعض رجالات العرب

ومما يجدر ذكره ، ان بعض رجال العرب وذوي النفوذ منهم كانوا يقاومون الدعوة الاصلاحية إثر انعقاد مؤتمر الاصلاحيين العرب في باريس ، وكان بين الذين تنكروا للاصلاحيين محمد فوزي باشا العظم وعبد الرحمن باشا اليوسف ، والامـــير شكيب ارسلان والشيخ اسعد الشقيري والدكتور حسن الاسير ، وقد ذهب هؤلاء الى الآستانة لتأييد الاتحاديين ، وانضموا الى الشريف علي حيدر باشا والشريف جعفر باشا والشيخ عبد العزيز جاويش وغيرهم من الذين شوّهوا سمعة الاصلاحيين وزعموا أن الشبيبة العربية غايتها تسليم البلاد الى الاجانب والقضاء على الدولة والاسلام وانهم خونة لا وزن لهم ، وطلبوا ابقاء الحالة في البلاد العربية كما كانت عليه .

لقد كان هؤلاء على خطأ في تصرفاتهم نحو عنصريتهم وموقفهم السلبي حيال قوميتهم العربية ، وكان بامكانهم الوقوف على الحياد ، دون المجاهرة بما يفتت نضال العـــرب ، وقد أثبتت الايام ، كيف ان الاصلاحيين كانوا على حق في مطالبهم ، وان الاتحاديين وسياستهم الخرقاء كانت السبب في تمزيق السلطنة العثمانية والبلاد العربية الى دويلات ، ولو أنهم اعطوا العرب حقوقهم ، ونظروا الى مصالح الوطن لتفادوا هذا التمزيق .

وجاء في كتاب « تاريخ المستقبل » لمؤلفه جلال نوري الكاتب التركي الشهير ما نصه : « ان المصلحة تقضي عـلى حكومة الآستانة باكراه السوريين على ترك أوطانهم ، وان بلاد اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغـــة التركية التي يجب ان تكون لغة الدين ، ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا ، أن تحول جميع الاقطار العربية الى أقطار تركية ، لأن النشء العربي الحديث صار يشعر اليوم بعصبية جنسية ، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب ان نحتاط لها من الآن » .

وقال الكاتب احمد شريف بك « لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاماً ، كأنهم ليسوا تحت حكم الترك ، فمن واجبات الحكومة في هذه الحال ان تنسيهم لغتهم وتجبرهم على تعلم اللغة التركية ، وهي لغة الامة التي تحكمهم ، فاذا اهمل هـذا الواجب كان كمن يسعى الى حتفه بظلفه لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم ، فانهم سيعملون عاجلا أو آجلا على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على انقاض دولة الترك » .

هذه هي آراء الاتحاديين كما صرح بها فريق من زعمائهـــم ، وهذه هي الغاية التي وضعوها نصب أعينهم منذ تقلدوا زمام الاحكام في البلاد العثمانية .

وقد أدرك العرب مصيرهم منذ ذلك الحين ، وأدركوا ان الاتحاديين قرروا حسم المسألة العربية حسماً نهائياً باتاً بالسيف والتشريد ، والمحافظة على سلامة دولة الترك ببتر الاعضاء التي يخشون ان يتطرق اليها الفساد ، فنشأ عن ذلك ان العناصر العثمانيـــة

التي عمل الاتحاديون على سحقها واستئصالها لمت أشعثها ، وجمعت كلمتها واستعدت للدفاع عن كيانها شأن كل ذي حياة في الوجود ، واقتفى العرب أثر تلك العناصر فألفوا الجمعيات العربية ، وكان من شدة اخلاص العرب للدولة العثمانية ما أدى الى ذلك الاتفاق الذي أبرمه الشهيد عبد الحميد الزهراوي مع عصبة الاتحاديين .

مطاعن الاتراك في العرب

لقد اشتدت الدعوة الى الطورانية ، وصدرت مؤلفات تركية حملت مطاعن جارحة في عظماء الاسلام والعرب ، ونبذ الترك كل ما هو عربي ، واحياء كل ما هو طوراني . وفي هذه الفترة قام الشيخ عبد الله الافغاني الملي المارق بتحريف الآيات القرآنية ، وقلب معانيها رأساً على عقب لتسخيرها في مصالح الاتحاديين ، وكان أفظع كتب الالحاد رواجاً هو كتاب (قوم جديد) وهو خلاصة الخطب التي القاها هذا الشيخ الأفاك في جامع (اياصوفيا) . وكتاب (تاريخ المستقبل) وقد ألفه جلال نوري . وكتاب (صوت كتاب) ومجلة (اجتهاد) وغيرها .

عودة وفد المؤتمر العربي الى بلاده

بعد ان اتضح لوفد مؤتمر باريس ، ان الحكومة الاتحادية تسوّف وتماطل ولا تنوي تنفيذ الاصطلاحات في البلاد العربية ، وجاء قرار الاصطلاح مبتوراً ، لقد قرر الاتحاديون جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً في البلاد العربية ، فتحرج موقف وفد الاصطلاح وقرر مغادرة العاصمة ، وبعث الى مندوبي الجمعيات العربية في الآستانة يوم سفره بتقرير عن النتائج وخيبة الآمال والأماني ، ثم تركوا العاصمة بعد ما اعربوا عن استيائهم من سياسة الاتحاديين واستخدامهم بعض صنائعهم في سورية للقضاء على فكرة الاصلاح . غير ان الشهيد عبد الكريم الخليل وبعض انصاره من شبان العرب لم يقنطوا من الاتحاديين ، ولم يفقدوا الثقة بهم ، فواصلوا مفاوضاتهم معهم وكانت نتيجة ذلك انهم خدعوا مرة ثانية ، فأقنعوا الشهيد عبد الحميد الزهراوي باخلاص الاتحاديين للعرب والمجيء الى الآستانة .

عودة الشهيد عبد الحميد الزهراوي الى الآستانة

وصل الشهيد الزهراوي الى الآستانة في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٣ الى الآستانة فاستقبل بمجاس عظيم من اعيان العرب وضباطهم وشبابهم ثم بدأت مفاوضاته رسمياً مع مدحت شكري بك امين سر جمعية الاتحاد والترقي وبعض اعضاء الوزارة في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٥ م ولم يمض على هذه المفاوضات مدة عشرة ايام حتى ادرك الزهراوي ان الحكومة تنوي المطل والتسويف ، فعزم السفر الى مصر ، وكان اصدقاؤه باستثناء الشهيد عبد الكريم الخليل يحذرونه سوء العاقبة ، وفي ٢١ تشرين الثاني جاهر باستيائه من مطل الاتحاديين وتسويفهم ونشر تصريحه في الصحف ، وكان تصريحه هذا اعظم وقع واثر في الآستانة . والواقع ان الاتحاديين غلبت عليهم النعرة الجنسية والرغبة في الاستئثار بالسلطة فصمموا على رفض كل اصلاح حقيقي للبلاد ، والقضاء على هذه الفكرة بمختلف الطرق والاحابيل .

حول المؤتمر العربي في باريس

لقد اتضح ان المؤتمر العربي الذي اجتمع في باريس كان عبارة عن مجموعة آراء متناقضة ، واهداف متضاربة بين وفود الجمعية الاصلاحية ، وجمعية النهضة اللبنانية واللامركزية ، وبعد انعقاده مدة ستة ايام انحل المؤتمر وبقيت الوفود تسعى

فيما جاءت اليه ضمن الاهداف والغايات المرجوة لها فقد ثبت ان بعض العناصر الابنانية الذين يمثلون جمعية النهضة اللبنانية كانوا على اتصال وثيق مع وزارة الخارجية الفرنسية ، حسب اقوال بعض الشهداء التي وردت عند الاستجواب في الديوان العرفي ، ونشرت خلاصتها في كتاب « الايضاحات السياسية » .

وكان ابرز ما بدر من السيد مختار بيهم الوطني المعروف ذلك الموقف المشرف الذي جابه بـه وزارة الخارجية الفرنسية حيث قال : « اننا نحترم الفرنسيين ، ولكن لا نرضى ان يكونوا رؤساء علينا ، بل نرغب معاضدتهم في اصلاح احوالنا ، بشرط ان نبقى عثمانيين ، وليس السوريون كما قيل لكم انهم يفتحون صدورهم لفرانسا » . وكان موقفه هذا سبب نجاته من الاعدام .

وعلى هـذه الصورة ، فقد كانت بعض العناصر الرجعية في واد ، وطلاب الاصلاح من المسلمين في واد .. وقد فرّقتهم النزعات والمباديء ، وقد اغتاظ المسيحيون من توقف الوفد الذي هدّ تصريحه اركانهم وهدم آمالهم وامانيهم الاستعمارية .

تعيين الشهيد الزهراوي في مجلس الاعيان

في يوم الاحد الرابع من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٤ م صدرت الارادة السنية تعيين الشهيد عبد الحميـد الزهراوي وعبد الرحمن باشا اليوسف ومحمد بيهم ويوسف سرسق ومحي الدين النقيب واحمد الكيخيا اعضاء في مجلس الاعيان العثماني ، فوقع هذا الخبر وقوع الصاعقة في البلاد العربية ، ورأى شبان البلاد في قبول الزهراوي لمنصب الاعيان اكبر ضربة على الاصلاح المنشود الذي لم يكن قد نفذ شيء منه على الاطلاق ، فأظهرت عـدم ارتياحها الى عمله وتبرأت منه ، وألقت عليه وحده تبعة الحوادث التي كانت تتوقعها . وقد ادرك الزهراوي ما احدث لتعيينه لعضوية الاعيان من تصدع في الجبهه العربية ، فأبدى للشباب الناقمين عليه استعداده لتقديم استقالته منها ، واشار الى انه لم يقبل بهذا المنصب الا لملاحقة الحكومة على تنفيذ الاصلاحات العربية ، مع بعض زعماء العرب الذين اسندت اليهم الوظائف العالية ، وكان جواب الشباب العربي اليه ، انها قطعت كل صلاتها السياسية معه ، وان حزب اللامركزية هو المسؤول عن اعماله ، فاذا شاء ان يقرر الاستقالة او عدمها ، فما عليه الا ان يستشير ذلك الحزب الذي عين باسمه عضواً في مجلس الاعيان .

موقف عبد الكريم الخليل من الزهراوي

وقـد رأى شباب العرب في الآستانة ان الشهيد عبد الكريم الخليل قد سار في مفاوضاته مع حكومة الاتحاديين بشكل يخالف اهدافها ، فاستدعته لمناقشته والاستيضاح منه عما جرى في قرار الاصلاح ، وعن موقفه حيال الحكومة والجمعية ، وعدم ممانعته في قبول الزهراوي بمنصب الاعيان ، فوافاهم الى دار المنتدى الادبي ، وكان بانتظاره ما يزيد عن الف ذات من اعيان العرب وادبائهم وشبابهم ، وبعد التحدث اعلن الشهيد الخليل انـه لا يستطيع الاباحة بأسرار سياسة تتعلق بالمسألة العربيه امام مئات من الحاضرين ، فانتخب الشباب السادة نجيب شقير صاحب جريدة بيام التركية والشهيد محمود جلال البخاري وصبحي حيدر والشهيد سيف الدين الخطيب واسعد داغر للاجتماع بالشهيد الخليل والاستماع الى ايضاحاته السرية ، والوقوف على مجرى الاحوال السياسية ، فاذا وجدوا ما تم كان في جانب مطالب الامة العربية ، والا اعلنوا عدم مناصرة الشبيبة له .

وقد اجتمع هؤلاء بالشهيد الخليل في ٧ شباط سنة ١٩١٤ م في جلسة سرية دامت اثنتي عشرة ساعة ، وقد ابدى لهم ان قبول الشهيد الزهراوي لعضوية الاعيان خير من عدم قبوله ، لانه يفعل في المجلس ما لايقدر على فعله في خارجه ، اذ يكون له الكلمة النافذة والقوة على الاقناع في الجمعية الاتحاديـة ما يبلغ به ابناء العرب المطالب التي يرمون اليها ، وان اهم الاسباب التي

اضطرت الزهراوي الى قبول منصب الاعيان ، واثبات الاتفاق العربي التركي بأدلة جلية واضحة ، عظم اطماع الاجانب في البلاد العربية ، ورغبتهم في انتهاز الخلاف مع الاتراك لتحقيق آمالهم فيها ، وان هذا السبب وحده يكفي لتبرئة الزهراوي في نظركم .

ولم تكن تصريحات عبد الكريم الخليل مقنعة بالاجمال ، ولكن رغبة اعضاء اللجنة في اجتناب كل ما يؤول الى اشتداد الازمة بين العرب والترك جعلهم يصدرون قراراً نشرته الصحف العربية ، ألمعت فيه الى ان امر تنفيذ الاصلاحات لم يصل الى الدرجة المطلوبة ، وليس فيه ما يوجب السرور ، واقترحت انتخاب لجنة استشارية تشد ازر الشهيد الخليل ويرجع اليها في استشاراته لها ، وان يبقى الوسول الوحيد بين الشباب والوزارة وجمعية الاتحاد والترقي لان ذلك اقرب الى المصلحة العامة .

وقامت الحكومة الاتحادية بعد ذلك تتزلف الى شباب العرب ، فكثر تردد الوزراء وجمعية الاتحاد والترقي على المنتدى الادبي ، فكان لا يمضي اسبوع الا ويزوره انور وطلعت وجمال ومدحت شكري وغيرهم ، فيتبادلون الخطب الحماسية وعبارات الود والاخاء مع اعضاء المنتدى .

احتجاج جمعية الاتحاد السوري في نيورك

وقد احتجت جمعية الاتحاد السوري في نيورك على تعيين بعض اعضاء اللجان الاصلاحية في سورية ومصر بوظائف مختلفة في الحكومة .

ورد رفيق بك العظم رئيس اللجنة العليا لحزب اللامركزية على جمعية الاتحاد السوري وخلاصته : ان الحكومة التركية لما ارادت تعيين الشهيد الزهراوي في الاعيان رأت اللجنة العليا ان ترضي بهذا التعيين ليكون واسطة لدوام التفاهم بينها وبين الحكومة ، وانه ليس في قرارها على تعيين الزهراوي في الاعيان مانع يمنعها من الاستمرار في الخطة الصالحة ، كما وانه ليس في تعيينه ما يوجب ريب اعضاء جمعية الاتحاد السوري .

رسالة الشهيد الزهراوي الى الشيخ رشيد رضا

وعلى اثر ما لقي الشهيد الزهراوي من عنت ونقد لقبوله عضوية الاعيان بعث الى صديقه الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الأسلامية ، والركن البارز في حزب اللامركزية رسالة سرية في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩١٤ م ، وقد ضمنها كل ارائه السياسية ، وهي تعبر عن شعوره واخوانه الشهداء ، واعرب فيها عن ثقته التامة بالاتحاديين ووجوب الاخلاص لهم ، وقد نشرت هذه الرسالة التاريخية في مجلة المنار الصادرة في اوائل ذي القعدة سنة ١٣٢٤ ﻫ وايلول سنة ١٩١٦م ورأينا ان ننشرها ليدرك القراء عظم الخيانة التي اقترفها الاتحاديون باعدام هذا العنصر الفذ في وطنيته وسمو نبله ومقاصده ، والذي عرّض لانتقاد اصحابه وحقد امته عليه ، رغبة منه في التوفيق بين العرب والترك ، وانقاذ الدولة من اعظم مشاكلها الداخلية .

وهذه نص الرسالة التي تكذب مزاعم الاتحاديين ، واتهام رجالات العرب بالخيانة والتآمر على الدولة .

« كنت قد فصلت لكم اذ جئت باريس ، كيف وجدت امر مؤسسي فكرة المؤتمر فوضى ، وكيف تعبنا في ستر الامر وايجاد المؤتمر ، وبعد انقضاء المؤتمر ، تفرق الجمع الذي لفق تلفيقاً ، ثم بعد قليل نفد صبر البيروتيين ، فذهبوا الى بلادهم عن طريق استانبول ، وبقيت يا عزيزي وحدي أمثل الفكرة ، وبقي خليل زينيه وايوب ثابت ، وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا قطرة واحدة ، حتى ولا من الجامعة السورية ، وانما همهما بيروت وحدها لا شريك لها .

لو عجلت تلك الايام ورجعت على الفور الى مصر ، لبقيت المسألة مقطوعة بتراء ، فيكثر استهزاء الافراد والجماعات

والاقوام باشخاصنا وبجماعتنا وقومنا ، لكن الله عز وجل سلمني من هذا ، وقدرني على الصبر هناك مثلا للفكرة مدة خمسة اشهر وما هي بالقليلة ولا الكثيرة ، ونعمة المدة كانت ، وقفت فيها كثيراً ، وعظم فيها اختباري لاوربا ، وما احوجنا الى مثل هذا الاختبار .

جئت بعد ذلك الى استانبول ، لأرى ما جدّ فيها ، لان المعرفة بالقديم لا تغني ، والمعرفة عن بعد كثير من مآخذها غير صحيح ، وما اضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح .

بعد وصولي بقليل عرفت كثيراً من الاحوال الحاضرة هنا ، وبعد مدة اخرى عرفت اكثر وكدت اظنني اكتفيت واحطت كل الاحاطة ، ولكن الآن تبين لي انه لولا الصبر والتأني اللذين مكنني الفاطر سبحانه منهما لرجعت بمعرفة غير كافية ، ولذلك اصبحت لا اجسر ان اقول تمت احاطتي ، وانما اقول : اصبح يجوز لي ان افصل بشيء من الطمأنينة ، وان تأخير التفصيل والشرح كان انفع وجاء اليوم في وقته .

والشرح هنا يتعلق بثلاثة مواضيع « او موضوعات » .

١ – اوروبا والعثمانية . ٢ – الاتحاديون وغيرهم . ٣ – رجال الاصلاح الحقيقي وابناء العرب هنا وفي الجهات الاخرى واني ابدأ بالاول لقصر البحث فيه ، واشفع بالثاني ، واخرت الثالث لطوله ، وطولته لتوقف التفاهم ، وكثير من اعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيه .

اوروبا العثمانية – : لقد كشفت اوروبا آخر ستار من ستر السياسة في المسألة العثمانية وقررت التداخل في سائر شؤونها ، وانما لا يزالون مختلفين بعض الاختلاف في كيفية هذا التدخل وكميته وصورة توزيعه فيما بينهم ، وليس في اوروبا اليوم موضوع مقرب على هذا الموضوع ، ولا تمضي ثلاثة اشهر حتى تتمخض الليالي وتلد ذلك الشكل الجديد الذي يتفقون عليه ، والذي أظنه ان الدولة ستبقى معه وتعيش أحسن مما كانت عائشة ، لأن بعض التداخل طبّ ، ولست مغالياً اذا ذهبت الى ان الموت اقرب اليها مع عدم التدخل البتة منه مع شيء من ذلك ، فانا اذا قلنا بعدم التدخل البتة ، فحينئذ تخلق كل واحدة سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بداء السكتة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم

الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟

لا يوجد الآن حزب سياسي آخر إلا ان يكون خفياً ، ولم أشتم شيئاً من هذا ، وحينئذ لا تجد مقابل الاتحاديين الا جماعات الاجناس ، كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب .

نعرف ان للروم جماعات واحدة برأسهم البطرك ، ولكيلا يستبد ربطوه بمجلسين روحاني وجسماني ، وهكذا الارمن أما العرب ، فليس لهم مثل ذلك ، وثانياً : الروم والارمن لهم جمعيات سياسية منظمة مرتبة غنيه ، وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم الا جماعتنا في مصر ، وجماعتنا في بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والارمن وجماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت .

« فالاتحاديون ، هم أولياء الامر مباشرة ، وهم اليوم يتسلحون بعزائم شديدة ماضية ، وناوون نيّة قاطعة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ، ويساعدهم فضلاؤهم في هذا السبيل ، ويعترفون بخطيئاتهم الماضية ، ويودون ان لا يعودوا الى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنياتهم واقوالهم هذه كل الايمان ، لأدلة كثيرة ظهرت لي ، ولكنني مرتاب من جهة قابليتهم تطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى ان عدم تركهم وحدهم خير من تركهم ،

ويرجى به ان تقوى قابليتهم ، فان شئتم ان تخطئوني بتحسين الظن الى هذه الدرجة – كما اشرتم الى ذلك في كتاب . . . – فاني لا اخطئكم بالتخطئة ، لأني أجلّ رأيكم اكثر من رأيي ، وانما ارجو ان يكون في خطئي شيء من البركة ، ارجو ذلك من مصداق قوله سبحانه : « فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

« هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قلّوا في المملكة ، وقصاراهم ان يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطركية وحق المبعوثية وسيقل الالتفات اليهم ، واما الأرمن ، فهم آلة بيد روسية ، وسيتم لهم في المبعوثية حظ قريب بما يأملون ، واما نحن معشر العرب ، فان أحالكم الان يعتبر بمثل جماعتنا ، وقد فصّلت ما تم على يدي في الكتاب الذي أرسلته الى الاخ الرفيق في البريد الماضي وهنا سأزيد :

رجال الاصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الاخرى ما أظنكم – استغفر الله – ما اعتقد انكم في حاجة الى بيان ، ان رجال الاصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما اعتقد انكم تعرفون منهم اكثر من ثلاثة او أربعة ، وأعني برجال الاصلاح الحقيقيين من جمعوا في موضوع الاصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجاربهم ومرنت رويتهم ، وصحت عزيتهم ، وشهد لهم ماضيهم ، من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذي يحبه الله ، وكره الفساد الذي يكرهه الله وامتزجت سيرتهم بأخبار معامع الجهاد الاصلاحي ، ومن اشربت افكارهم فهم معنى الرابطة ، وأفئدتهم محبتها وتعشقها ، فنحن لقلة هؤلاء واقعون امام حاجتين عظيمتين : الحاجة الى تكثيرهم ، والحاجة الى اشغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم ، ثم نحن مع قلتهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم امام مشكلتين عظيمتين ، الاول السبات الذي فيه الامة ، والثاني الجشع الذي اوروبا فيه .

« اترك تفصيل هذا الاجمال لحكمتكم ، وحسبنا هي في كل موضوع ، وآخذ الآن بحكاية حال ابناء العرب هنا لانكم علقتم الامل على صنف منهم هنا .

« العرب هنا ثلاثة اصناف ، متاجرون ومتعلمون ومأمورون ، فالصنف الاول لا في العير ولا في النفير من جهة السياسة والاصلاح ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني اولاد في ناشئة العمر لايليقون للسياسة ولاتليق لهم ، والصنف الثالث اربعة اقسام : الضباط والمأمورون المنصبون في بعض الوظائف ، والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا ، والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا .

فأما الضباط ، فلا تجربة لهم في هذه المسالك البتة ، والاولى عدم دخولهم فيها ، فان هذه التجربة القليلة التي سأقصها الآن زهدتني في كل سياسة يشترك فيها الضباط منا ، ذلك ان (...) ناقم اليوم على الحكومة فيشتهي لاجل هذا زعزعة الدولة ونسفها نسفاً ، وهو لاجل ذلك ناقم على ائتلافنا مع الحكومة ، ومضاد له ، لانه على زعمه يؤخر حركات العرب ، ولا أدري ماهي حركات العرب ، واين تسير واين ترسي ، وهذا يجتهد ان يجمع حوله بعض اولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صنيعنا ، ولكن لاينجح بحوله تعالى ، ومن جهة اخرى فهو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا ، وقد اردت اختباره ، فرأيته يجنح الى مصالحة اولياء الامور وحينئذ يرضى عن كل شيء ، فانظر يا عزيزي الى الذين يعدون انفسهم في مصاف رجالنا ، « واما المأمورون المتقاعدون ، فمثلهم كمثل العجائز لا يرضيهن شيء ، ولا يستطعن عمل شيء .

« واما المأمورون المنصبون ، فلا همّ لهم الا حفظ المنصب . « واما طلاب المأموريات ، فجياع مساكين لايفهمون من الاصلاح الا المأمورية ، ان جاءت فقد جاء الاصلاح ، وان لم تجيء فقد منع الاصلاح » .

« ومن هذا التفصيل يظهر لك ان العاصمة في حالتها الحاضرة ليس فيها عرب تستطيع جماعتنا ان تعتمد على احد منهم ، او ان تعمل صلة ورابطة مع احد منهم ، اللهم الا ان يكون « فلان وفلان » وكل ما اخبركم عنه « فلان » وهو سراب بقيعة جاءه

اخوكم الظمآن فلم يجده شيئاً ، وبعض اولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم ، وبعضهم لم يتمكن من اناتهم اربا لابيهم او اخيهم او ابن عمهم مثلا ، ومن هنا اكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء .

« واما العرب في الجهات الاخرى ، فهم اهل سورية واهل العراق واهل الجزيرة الخلص ، فالسوريون والعراقيون حضر قد ألفوا الذل ، وتعودوا الاستجداء والاستكانة ، لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا ، لا يساعدون ولا ينوون ان يساعدوا ، ولا يبون ولا يروق لهم ان يوقظوا ، واما اهل الجزيرة الخلص ، فهم الاهل وقّاهم الله الخير وشد سواعدهم ، اولئك يجب وصل الرابطة بهم من غير ان نقطعها مع الحضر على قلة غنائهم .

« قد فهمت من كتاب الاخ « فلان » كثيراً ، واستنبطت كثيراً ، ولو كان في وسع البشر ان تتوزع ارواحهم على امكنة متعددة لكان روحي اوزاعاً على اليمن وعسير والحجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية في هذا الباب لا يمكن تطبيقها .

« انظر يا عزيزي ، أنا لازم لهناك كما تشير ولازم الى هنا ، فان هنا محل عمل ليس بقليل ، فاني ارجو ان يكثر بوجودي هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم ، فان رضيت عن هذا الرأي فعليك عملان معجلان وعمل يمشي مع الزمان ، وأنا معك فيه على بعد المقر ، فالأول من المعجلين تبشيري بتلغراف من رضائك خاصة ، وهو الأهم ، ورضاء الرفاق عامة وهو مهم ، والثاني منهما حملك الرفاق على تقديم تلغراف للصدارة يحبذون فيه هذا التعيين ، ويجعلونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارات رقيقة تشويقية ، اما الثالث ، فهو ما بيننا من أمر ايجاد الرجال الذين يعتمد عليهم ، وتوزيعهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمي والعملي .

وإن لم ترض عن هذا الرأي فاكتب اليَّ مفصلا ومبيّناً من كل جهة من جهات الموضوع ، وأنا من عهدتَ من يدع رأيه أسيراً الى رأي وليه » .

هذه هي الخلاصة المفصلة واليك خلاصة الخلاصة وهي : « ان اليأس لا يجوز في حال من الاحوال ، ولكن الامة في كل اطرافها ليست بحالة يعتمد عليها في شيء ، وانه مع هذا لا يجوز اهمالها ، وكذا لا يجوز اهمال من بيدهم امر المملكة وتركهم وحدهم ، وانه لا بد لنا ههنا من رجال ، وان اكثر ما يتصرف به الرواة غير صحيح ، واني منتظر امركم بسرعة ، وان شوقي عظيم . . . »
عبد الحميد الزهراوي

فهذه الكتب السياسية السرية ومئات من امثالها تثبت للملأ عظم اخلاص العرب للاتحاديين قبل اعلان الاوروبية وبعدها ، ولكن هذا الاخلاص العظيم لا يظهر بأتم مظاهره الا بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب ، فقد تناسى العرب حينئذ كل خلافهم مع الترك وانضموا اليهم قلبياً دفاعاً عن الوطن المشترك ، فخاض جنودهم غمار المعارك في العراق والقوقاز والدردنيل والقنال ، ومات منهم عشرات الالوف في ميادين القتال ، واشتركت الامة العربية مع جميع الشعوب العثمانية في دفع الضرائب والاموال بحيث يمكن القول استناداً الى احصاء رسمي ان ما دفعه العرب من الضرائب والتبرعات الحربية عن طيبة خاطر كان اضعاف ما ضُرب على الامة التركية وما تبرع به الترك في هذه الحرب .

اما الجمعيات العربية فقد حُلت كلها بعد اعلان الحرب العثمانية ، واتجهت افكار العرب قاطبة الى الدفاع عن الدولة ، وبلغت منهم الحماسة أقصى درجاتها ، وصار أشدهم كرهاً للاتحاديين أعظمهم غيرة عليهم ورغبة في تأييدهم .

ووجه الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار وأحد اركان حزب اللامركزية خطاباً الى مسلمي سورية ، فشكرهم على ما اظهروه من نجدة وهمة واخلاص وطاعة للدولة ، وما بذلوه من الأنفس والاموال لها ، وكفهم عن طلب الاصلاح منها

وتقديرهم الحال الحاضرة قدرها ، ونشر غيره من رؤساء الدين وزعماء الاحزاب العربية الذين اعدموا أو حكم عليهم بالاعدام من محاكم الاتحاديين بيانات عديدة في هذا المعنى أثبتت للعالم كله عظم اخلاص العرب للحكومة الاتحادية وعزمهم على بذل كل غال ونفس في سبيلها .

التفريق بين الاحزاب والجمعيات العربية

بعد أن غضب الشباب العربي على تعيين بعض رجالات العــرب في مناصب الدولة ، اعتقد الاتحاديون انهم فرقوا بين الاحزاب والجمعيات العربية ، وقضوا على اتحادها وحماستها ، وانهم خدعوا العرب وبعض زعمائهم ، وأخمدوا الحركة الوطنية نهائياً في بلادهم ، فعمدوا في هذه الفترة الى ابعاد ضباط العرب عن الآستانة الى مناطق الاناضول وغيرها ، حيث قلدوهم وظائف اسمية سامية ، ولما انتهوا من عملهم هذا قرروا الفتك ببعض زعماء العرب ، وكان اول من بدأوا به القائد عزيز علي المصري .

عزيز زكريا شاهيليه المعروف بعزيز علي المصري

اطلق عليه الاتراك اسم عزيز علي المصري تمييزاً عن باقي الاتراك واسمه الحقيقي عزيز زكريا شاهيليه× تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٩٠٤ م برتبة يوز باشي ، واظهر همة شديدة في مطاردة العصابات البلغارية في مقدونيا وغيرها ، واشترك فيما بعد في قتال العصابات اليونانية والبلغارية والالبانية ، وانضم قبل اعلان الدستور الى جمعية الاتحاد والترقي فخدمها خدمات جليلة .

ولما زحف الجيش على الآستانة بعد الثورة الرجعية في ١٣ نيسان ، كان عزيز علي المصري على رأس احدى فصائله ، فهاجم ثكنة (توبهوس) بعد الاستيلاء على جسر غلطه ، واظهر مهارة عظيمة في مطاردة الثائرين .

ثم انفصل عن الاتحاديين بعد اعلان الدستور بعد ان تحقق نوايا الاتراك وسياستهم حيال تتريك العناصر ، فأنكروا عليه نصحه ، واتهموه بالخيانة وانه كان يبث الروح العربية في الجيش العثماني .

وذكر جمال باشا في مذكراته ، ان عزيز علي المصري كان برتبة بكباشي في هيئة أركان الحرب عندما تسلم انور باشا وزارة الحربية ، ووصفه جمال باشا بأنه كان من اشد الناس طمعاً واكثرهم غروراً ، ان يرى نفوذ الشهيدين عبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل يفوق نفوذه عندما كانت المسألة العربية معروضة على بساط البحث .

وذكر جمال باشا انه لما كان في منصب حاكم اضنه ، قابل عزيز المصري في الآستانة ، وتبادلا ملاحظات عن الخطابات الشهيرة الواردة من بيروت وسورية ، كان نشرها احمد شريف بك مراسل جريدة (إقدام) فأجابه عزيز علي (ماذا صنعتم لنا ايها الاتراك سوى سعيكم في إفناء العرب وإهانتهم واحتقارهم حتى تتوقعوا المعاملة الودية من جانب العرب .

واشار جمال باشا ، الى ان عزيز علي كان في مقدونيا بمعية المشير عثمان باشا حاكم جبهة (اسكوب) فخاطب المشير عزيز علي بلهجة قاسية وتهكم مرير ، فأجابه جواباً حاداً ، فذهل المشير لهذه الصدمة وامر بالقبض عليه .

ثم طلب علي المصري الالتحاق بجيش عزت باشا في اليمن ، وفي حرب طرابلس الغرب دافع مع زملائه انور باشا ومصطفى كمال باشا عن بني غازي . وقد استحكمت حلقة العداء بين عزيز علي وبين انور باشا منذ ذلك الحين ، ولما ابرمت معاهدة الصلح مع ايطاليا وعاد انور باشا الى تركية للاشتراك في الحرب البلقانية ، سلّم القيادة لعزيز علي .

×ومعنى (شاهلية) الرأس الواسع الذي يرى كل شيء ، وكان والده اول قوقازي وفد الى مصر ، وكان عزيز بك في السادسة من عمره لما توفي والده في المنوفية .

محاكمة عزيز علي

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٤م استقال من خدمة الجيش العثماني ولما عين انور باشا وزيراً للحربية اتهم بقيامه بدعايات عربية فأصدر أمره بالقبض عليه بتاريخ ٩ شباط سنة ١٩١٤م وارسله الى المحكمة العسكرية بتهمة اختلاس (٣٠) الف ليرة ذهبية كان انور باشا سلمها له قبل مغادرة طرابلس العرب باعتبارها من اموال الدولة .

وقد توسط الشهيد الزهراوي في امره وقام شباب العرب بمظاهرات عديدة في الآستانة ، وقد تألف المجلس العسكري من بعض صنائع انور باشا الذين لا يخالفون له أمراً .

وبدأت المحاكمة يوم الاربعاء في اول نيسان سنة ١٩١٤ م ووُجهت الى عزيز علي المصري التهم المستندة على افادات الشهود ، وهي انه لما كان في طرابلس الغرب قام في بث الفكرة العربية لانشاء دولة عربية مستقلة يتولى ادارة شؤونها ، وانه اجتمع بالايطاليين اثناء الحرب معهم ، وانه عدو للأتراك وخاصة لأنور باشا ، وانه خائن للدولة التركية ، وانه كان يسعى لضم اليمن الى مصر وهو في بنغازي وجعلها دولة عربية واحدة وغير ذلك من التهم الواهية .

وكان قصد الاتراك اعدام عزيز علي المصري دون محاكمة ، ولكن اهتمام الرأي العام العربي به جعلهم يعدلون عن ذلك ، ولما انتهت المحاكمة وازداد هياج العرب من اجله ، قرروا اغتياله في السجن ، فاحتج زعماء العرب وعرضوا المسألة على الصدر الاعظم وسفراء الدول ، واهتمت بريطانية بأمره وتوسطت ، فاطلق سراحه ، بعد ان أدرك الاتراك ان اعدامه يؤدي الى ثورة في البلاد العربية ، وقد سافر الى مصر ، ثم التحق بجيش الملك حسين في خلال الحرب العالمية الاولى وذهب الى العراق لمقابلة ياسين الهاشمي للقيام بثورة فيها ، وكان على اتصال مع رجال الثورة الاخيرة في الجمهورية العربية المتحدة .

تزوج من امريكية ورزق ولداً وحيداً اسمه (عمر)

قرارات الاتحاديين السرية

بعد ان اشتد الجدل بين الجمعيات والاحزاب العربية إثر قبول البعض مناصب حكومية واعتقد الاتحاديون أنهم مزقوا الوحدة العربية ، عقد الاتحاديون اجتماعاً خاصاً في وزارة الحربية بتاريخ ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩١٤ م حضره الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ومحافظ الآستانة العسكري احمد جمال باشا وذلك قبل ان يعين وزيراً للبحرية ، ومدير الأمن العام عزمي بك ، وتداولوا الرأي في التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية خاصة ، وانتهوا الى القرار الاتي :

١ – اقصاء ضباط العرب المقيمين في الآستانة ، وعددهم (٤٩٠) ضابطاً الى المناطق التركية ، حيث يستحيل عليهم الاتصال ببعضهم وباخوانهم العرب .

٢ – تولية القيادة في البلاد العربية الى الضباط الترك ، وإقصاء الضباط العرب عنها ، والاستغناء عن خدمتهم فيها بقدر الامكان .

٣ – الاسراع في تنفيذ سياسة تتريك العناصر .

٤ – يعدّ احمد جمال باشا المنهاج اللازم لتتريك العناصر .

٥ – مقاومة الحركة الاصلاحية التي ظهرت في بيروت وباريس .

٦ – الغاء الاحزاب العربية كلها ، ومقاومة دعاة الانفصال ومراقبة حركاتهم بدقة زائدة .

٧ – اقصاء العرب الذين يعملون ضد الاتراك عن الآستانة واستمالة كل من يمكن استمالته منهم .

٨ – تعزيز نفوذ جمعية الاتحاد والترقي في البلاد العربية والاكثار من المنتسبين الى انديتها .

الوضع الدولي قبيل الحرب العالمية الاولى

في سنة ١٩١٤ م أوفد الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ، وزير البحرية آنئذ جمال باشا الى فرنسا لحضور المناورات البحرية الفرنسية مندوباً عن الحكومة التركية ، ولمباحثة حكومة باريس في عقد معاهـــدة سياسية تقرر فيها علاقات الدولتين السياسية والاقتصادية ، وبعد مداولات عرضت فرنسا بعض الشروط أهمها منح سورية استقلالاً داخلياً واسعاً ، وان تطلق يد فرنسا في بعض الامتيازات في سورية ، وان تعين الحكومة التركية الحاكم العام بعد موافقة الحكومة الفرنسية ، وان يكون لسورية نواب في مجلس النواب العثماني ، وكان جمال باشا معروفاً بأنه شديد الثقة بصداقة فرنسا ، الا ان هنالك مفاوضات سرية كانت تدور وقتئذ بين المانيا وتركية .

عروض الحلفاء

وعرض الحلفاء على تركية بعض الشروط ، اذا ظلت على الحياد ، كالمحافظة على استقلالها ، والغاء الامتيازات الاجنبية ، وتقديم القروض المالية اللازمة لها ، وتسريح أعضاء البعثة الالمانيـــة ، ولكن حزب الاتحاد والترقي كان يسيطر على مقدرات الدولة ، وكان يريد الحرب ، ولو رضي الحلفاء بجميع ما يفرضه من شروط .

دخول تركية الحرب

شاء القدر القاسي وضعف ساسة الاتراك بزج تركية في الحرب ، واعلنت الحرب ، وقام زعماء المسلمين خارج البلاد العثمانية يستهجنون دخول تركية الحــرب ، ولكن قادة الاتحاديين أبوا ان ينزلوا عند رغبة العالم الاسلامي ، وكان موقفه من الاتراك ، ذلك الموقف المعروف الذي كان له أبعـــد الاثر في انهزام تركية ، وانهيار سلطتها وتفكك أطرافها وارتدادها الى مجاهل الاناضول .

أحمد جمال باشا

وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤م عيّن أحمد جمال باشا وزير البحرية ، مكان زكي باشا الحلبي ، قائداً للجيش الرابع وكان مقره في دمشق ، وتمتد دائرة نفوذه العسكرية والادارية ، وصلاحياته المطلقة من جنوب طوروس حتى اليمن .

غادر جمال باشا الآستانة في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩١٤م فبلغ سورية في اوائل كانون الاول . وعيّن زكي باشا الحلبي ، ياوراً للامبراطور غليوم ، وهكذا ابعد الاتحاديون هذا القائد العربي عن الجيش العامل .

ما كاد جمال باشا يصل الى حلب ، حتى انهالت عليه الوشايات ، وكان سبباً في الاضطراب الذي وقع فيه اول وصوله الى سورية ، والكره الذي اخذ يشعر به من مداهنة المستقبلين المرائين له ، ثم اصبح لا يرى في هذه المظاهر الكاذبة كبير امر .

وما وصل دمشق ، حتى وقع في بؤرة من الدسائس والوشايات ، اشترك فيها جماعة من السوريين واللبنانيين .

واحاطه الشعراء ، فتباروا بمديحه والاشارة ببطولته ، قبل ان تظهر بروق ألمعيته وعبقريته ، وألقى الشاعر المعروف السيد خير الدين الزركلي ، قصيدة طويلة في احدى حفلات دمشق ، فأغرقه بالمديح والاطراء والاطناب ، وهذا مطلعها :

احنوا الرؤوس وطأطئوا الهامات هـذا جمال مفرّج الكربات

وهذا البيت نموذج من قصائد الشعراء الطافحة بهذا اللون المزيل من الرياء والتملق .

تقرب جمال باشا من زعماء العرب

يعود الفضل في قدوم جمال باشا الى البلاد العربية الى بعض الوطنيين العرب ، وعلى رأسهم الشهيد عبد الكريم الخليل ، وقد توسموا فيه الخير والعطف الخاص على قضايا العرب الاستقلالية ولم يدر بخلدهم ما يختلج في قلب هذا السفاح من لؤم ومكر وغدر وبطش .

وقد تظاهر السفاح في البدء بالتقرب من الاستقلاليين ، وكان في الوقت نفسه يراقبهم رقابة شديدة ، ويسعى للاطلاع على أسرارهم ، ومنظماتهم الخفية تمهيداً للبطش بهم ، واتخذ الشهيد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر طبيباً خاصاً له ، وقرّب الشهيد عبد الكريم الخليل اليه ، وصادق الشهيد عبد الغني العريسي ، ومحمد كرد علي .

كان جمال باشا يعتقد ان الوطنيين المصريين سيهبون للثورة عند وصوله الى القنال ، والواقع أنه أخطأ في تقدير احلامه .

اما امراء العرب فقد وعدوا الاتراك بالمساعدة ، فاشترط ابن السعود بالمؤازرة شرط ان تقدم له الدولة العثمانية السلاح والعتاد الحربي ، وان تنحصر مساعدته بالدفاع لا الهجوم ، فهو يهاجم الانكليز اذا أغاروا على البلاد العربية ، فان لم يفعلوا لا يحرك ساكناً ، اما ابن الرشيد ، فقد ظل على الحياد مع ابن السعود ، وانضم الشيخ مبارك الصباح الى الانكليز كل مدة الحرب .

قصف بيروت بمدافع اسطول الحلفاء

وفي ١٧ كانون الاول سنة ١٩١٤ م ضرب اسطول الحلفاء مرفأ بيروت ، فغادر المسلمون بيروت ، واما المسيحيون فلم يفكروا بمغادرتها ، فاتخذ جمال باشا من هذه الظاهرة دليلاً على عطف المسيحيين من سكان بيروت ولبنان ، على دول الحلفاء ، وتشويقهم لاحتلال المرافىء السورية ، ورغم الحراسة القائمة على الشواطىء فقد تمكن الحلفاء بالاتصال ببعض العناصر ، واستطاع البعض المخاطرة بحياتهم وفرّوا الى عرض البحر وركبوا بواخر الحلفاء .

وبعد فشل حملة القنال التركية الواقعة بتاريخ ٤ شباط ١٩١٥م ، فقد جمال باشا صوابه وغضب لانخذاله ، فأراد القاء الرعب في قلوب السوريين واللبنانيين ، ليشغلهم بأنفسهم عنه وعن سياسته وفشله ، وأخذ يستمع الى كل ما يقال ، ويصدق كل ما يسمع ، وكان يتوهم بأنه محاط بالخونة والجواسيس ، وكان هذا الوهم سبباً في حدته وغضبه ، ورغبته الملحة في الانتقام والاقتصاص من كل المتآمرين والخائنين ، وهذه الحالة النفسية التي تولته بعد فشل حملة القنال هي السبب في السياسة الدموية التي اتبعها فيما بعد . . .

حفلة تكريم الشيخ عبد العزيز جاويش

وفي اوائل شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ م خطب جمال باشا في حفلة اقيمت في النادي الشرقي ، لتكريم الشيخ عبد العزيز جاويش ، وفي تلك الليلة التي خطب فيها السفاح ، اصدر امره بتفريق كتيبة ضباط العرب الشبان في دمشق وعددها (٨٠) شاباً من خريجي المدارس العالية وساقهم الى ميدان القتال ، واوصى بوضعهم في خطوط النار ، فلم ينج من هؤلاء الضباط سوى بعض الافراد الذين كتب الله لهم الحياة .

اغتيال الدكتور عزت آل جندي

الشهيد السوري الاول ١٨٨٣-١٩١٤

مولده ونشأته : ـ هو ابن المرحوم محمد بن سليمان آل جندي العباسي ، ولد بحمص سنة ١٨٨٣م ، ونشأ بكنف و الده ، في مهد العز والكرامة ، وتلقى علومه في المدارس الرسميـة بحمص ، ثم التحق بمعاهد دمشق التجهيزية ، وبعدها انتسب الى معهد الطب في الآستانة . وصل الشهيد الدكتور عزة الجندي قادماً من مصر ، في أواخر شهر كانون الاول سنة ١٩١٤م على آخر باخرة ايطالية ، قبل دخولها الحرب العالمية الاولى ، وتابع سفره الى بلده حمص ، وبلغ جمال باشا ان مناشير ثوروية ، وزعت في بيروت ، وكان الشيخ عبد العزيز جاويش ، والامير شكيب ارسلان ومحمد كرد علي وغيرهم من الد" اخصام الدكتور الشهيد عزة الجندي ، في ميدان السياسة والعقائد القومية العربية ، فأشاعوا وغيرهم من الدساسين في حمص عنه ذلك ، ولم يلبث الشهيد في حمص فترة ، حتى دعاه جمال باشا لمقابلته .

ولما كان الشهيد ، شقيق مؤلف هذا السفر التاريخي ، فاني اترك التحدث عن مراحل حياته ، لزميله وصديقه الدكتور المرحوم توفيق الشيشكلي الحموي ، ولصاحب الدولة المرحوم حقي العظم .

كلمة الدكتور توفيق الشيشكلي

« شعّت من جدران معهد الطب ، بارقه امل تتصاعد من فؤاد شاب ، تحركت في عروقه دماء اجداده العباسيين ، وثارت في نفسه تلك العزة المتوقدة في عهدي الرشيد والمأمون ، وحنّ الى ماضي اجداده الغابر ، فتلفت يمنة ويسرة ، فلم يجد امامه الا بضعة من ابناء العشائر ، وامراء العرب الذين جلبوا الى الآستانة ، ليحصلوا العلوم ظاهراً وليكونوا رهائن عند سيد (يلدز) حقيقة ، وهم من اولئك الغطاريف الذين يجب ألا يناموا على ضيم . ولكن عوامل التشتت والجهل ، بعثت فيهم سنة من النوم فخدّرت اعصابهم ، فضلّوا السبيل الى حين ، وقد كان وميض نار استعادة المجد المتخلل ، في افئدتهم في حاجة الى الايقاظ ، فاحتك بهم شابنا اللامع ، وحدثهم عن تاريخ الجدود وماضيهم الدارس ، وعزهم المفقود ، وهيج فيهم عاطفة استعادة المجد والسؤدد ، فلقيهم آذاناً صاغية ، وعاهدهم على السير في هذا السبيل حتى النهاية ، فعاهدوه وقطعوا شوطاً واسعاً في وضع الخطط وطراز تنفيذها في المستقبل ، وحـددوا الامكنة التي اختاروها للقيام باعمالهم ، ولم تكن الا احدى مناطق نفوذ بعض الامراء في الجزيرة ، وتمّ اجماعهم على مغادرة العاصمة ، لولا ان احست بهم عيون الجواسيس وحالت دون ذلك ، وبعد تحقيق واخذ ورد قضت السلطة بطرد هذا الشاب من معهد الطب لصغر سنه ، واقصائه عن الآستانة ، وما كان بطلنا في هذه الرواية الخالدة ، الا شهيد الامة العربية ، المرحوم الدكتور عزة الجندي ، الذي بقي بعيداً عن رفاقه تحف" به عيون الجواسيس ، حتى اعلن الدستور العثماني وصدر العفو العام عنه وعن امثاله .

جاء الشهيد الى دمشق ، واعاد انتسابه لمعهد الطب العثماني ، الذي كان اكثر اساتذته رفاقاً للشهيد ايام دراسته في الآستانة ، ورغم ميله الشديد لانهاء دروسه واخذ الشهادة ، تغلبت عاطفة الاشتغال بالسياسة على مقصده الاساسي ، وكاد يفقد ما يأمله لولا نصائح أسديت اليـه من رفاقه الاساتذة ، فترك قليلاً من وقته للدراسة وبذل القسم الاعظم منه لما استهوى فؤاده ، فكان رفيقاً لنا في المدرسة وصديقاً مخلصاً يرعى حرمة الرفاقة والصداقة ، لطيف المعشر ، كريم الطبع ، ولا ازال احتفظ بذكرى قدمها الي"

وهي كتاب فرنسي بالجراحة الصغرى خط إسمي عليه بيديه رحمه الله ، وكثيراً ما كان يتحفنا بأحاديثه اللذيذة ، ومنها حياته في القسطنطينية وما جرى له ولرفاقه في حديثه الذي قصصته عليك في صدر هذه الكلمة .

رحل الى الآستانة وبقي فيها يرتقب الفرص حتى اعلان النفير العام ، وبينما كنت في بعلبك رئيساً في خدمة الجيش العثماني عام ١٩١٤م مرّ المرحوم بالقطار الذي كان تحت اشرافي ومراقبتي في ذلك العهد ، وكانت مقابلة جميلة بعد انقضاء اربعة اعوام لم أره فيها ، وكانت آخر العهد به فتجاذبنا اطراف الحديث في مختلف الشؤون ، وقد أراني وثيقة موقعة بامضاء انور باشا وكيل القائد العام ووزير الحربية ، يطلب فيها من جميع السلطات العسكرية والملكية امداد الشهيد المرحوم بكل مايطلب من معاونة فقلت له والى اين انت ذاهب الآن ؟ اجاب الى الحجاز ، واليمن ، ونجد ، والى جميع الجزيرة العربية ، لأقوم بتهييج العرب واستفزاز حميتهم الدينية ، وتبليغهم امر الخليفة بالجهاد ، وقهقه كعادته ، فابتسمت معه وقلت له قل الحقيقة ، اجابني سأذهب الى مصر ، ومنها اخترق الجزيرة حيث اسعى لانفاذ برنامجي الذي تعلمه ، فالدولة العثمانية ستتمزق ، واذا لم نوجد لنا كياناً في الجزيرة يجرفنا تيار الاستعمار ونصبح اثراً بعد عين ، وستسمع عني مايثلج القلوب ، ودّعني وذهب ولم تمض مدة على مفارقتنا ، الا وسمعت بطلب السفاح جمال باشا له ، فأخذ محفوظاً وغاب عن الابصار . وشاعت بعد ذلك شائعات مختلفة لم نعلم الصحيح منها ، والذي أجمع عليه التواتر ، هو ان الطاغية جمالاً قتله برصاصة من مسدسه ، في احدى غرف نزل (دامسكوس بالاس) ، ودفن بأمره خاصة في محل مجهول ، فذهب ضحية شجاعته وجرأته ومغامراته واقدامه » .

كلمة صاحب الدولة المرحوم حقي العظم

« اول عهد المرحوم الشهيد الدكتور عزة بك الجندي بالسياسة بمصر ، هي السنة التي تعرفت به فيها اي سنة (١٩١١)م ولكنه كان يشتغل بالسياسة من قبل وهو في الآستانة ، وكان من اعضاء المنتدى الادبي .

اهدافه ـ : كانت اهدافه التي يرمي اليها تنقسم الى قسمين ، قسم ظاهري ، وقسم سري ، الظاهري ، هو الاستقلال الداخلي ، اي اللامركزية لجميع الولايات العثمانيـة من تركية وعربية وألبانية وارمنية . اما القسم السري ، هو الوصول الى الاستقلال العربي التام جاعلا اللامركزية سلماً يرّ به الى ما تصبوا اليه نفسه ، اي تاليف دولة عربية تجمع شتات الناطقين بالضاد تحت راية واحدة ، وذلك عند انحلال الدولة العثمانية ، وكان يعتقد ان هذه الدولة لا بدّ وان تنقرض ، وقد تقوّى معه هذا الاعتقاد بعد الحرب البلقانية حتى اصبح يقيناً ، وسمعته مراراً يقول ، ان الحصول على اللامركزية ضروري لنا جداً ، لأنه اذا بقيت الدولة العثمانية في الوجود ، نكون نحن العرب حصلنا والحالة تلك على الاستقلال الاداري تحت الراية العثمانية ، واذا انقرضت نكون قد وضعنا بذلك اساس دولتنا العربيـة المستقلة ، ولما أعلنت الحرب الكونية وخاضت تركية في معامعها ، كان اسفه عظيما لعلمه انها سوف تكون وسيلة لتقسيم الدولة العثمانية ، ومنها الولايات العربية بين دول الطرف الظافر ، وكان يعتقد ان انكلترا وحلفائها سيتغلبون على الالمان وحلفائهم حتما .

مبدأ اتصاله بالخديوي ـ : كان مبـدأ اتصاله بالخديوي بعد الحرب الطليانية الطرابلسية ، وعلاقاته به كانت متينة جداً ، وقد ارسله على رأس وفد الى طرابلس الغرب ، ليتوسط مع صديقه السيد احمد شريف السنوسي ، لوقف القتال لقاء مبلغ مليونين من الفرنكات ، وذلك بناء على تدخل ملك ايطاليا مع الخديوي عباس حلمي باشا ، ولما رأى الدكتور عزة بك ، ان بني قومه سيكونون مستعبدين ، وان تدخل الخديوي عباس ليس في مصلحة العرب ، نصح صديقه السنوسي بضرورة الاستمرار على الحرب ريثما يهيء له شروطاً مناسبة تضمن استقلال مقاطعة (برقة) الداخلي وجعله اميراً عليها مع دفع تعويضات (عما خربه الايطاليون من الزوايا السنوسية) مبلغ خمسة ملايين فرنك ، على ان يشتري له سلاحاً ومعدات حربيـة ، فارتاح السيد السنوسي الى مقترحات

الدكتور ، فوضع شروطه على اساسها بخط يده ، وسلمها الى رئيس الوفد الدكتور عزة بك الذي عاد مع رفاقه الى القطر المصري بدون ان يطلعهم على شيء منها ، اما الوفد فكان مؤلفاً من السادة الدكتور عزة بك الجندي رئيس ، والأعضاء ، عبد الحميد بك شديد ، مدير بنك دي روما بالاسكندرية ، والامير مصطفى الادريسي ابن عم السيد محمد علي الادريسي امير صنعاء اليمن ، والسيد عبد العزيز احد اشراف طرابلس الغرب ، والسيد الطوخي احد علماء الازهر ، عاد الوفد وسلم كتاب السيد السنوسي الى الخديوي الذي لما اطلع على شروط الصلح ، غضب كثيراً وقال للدكتور عزة بك ، ان هذا الشيخ يريد املاء ارادته على دولة معظمة فلماذا لم تنصحوه ؟..

ان هذا الشيخ لا يفقه من امر السياسة شيئاً ، فأنت الذي امليت له هذه الشروط ، فأجابه الدكتور الشهيد ، ان السيد السنوسي يقود مائة الف مقاتل ، وتلك القوة هي التي املت هذه الشروط ، وكان احد اعضاء الوفد عبد الحميد بك شديد حفظاً لمركزه ، واظهاراً لاخلاصه للحكومة الايطالية ، قابل السفير الايطالي بمصر وافهمه بخلوات الدكتور عزة الكثيرة مع السيد السنوسي مدة اقامتهم عنده ، وانه هو الذي حرض السنوسي على استمرار القتال ، وواضع تلك الشروط ، ولهذه الاسباب انقطعت علاقات الدكتور بالقصر الخديوي ، وبعد مدة استأنف الخديوي عمله بارسال وفد الى مقابلة السيد السنوسي ، برآسة عبد الحميد بك شديد ، ولما بلغ الدكتور عزة خبر سفر الوفد خشي العاقبة على صديقه السنوسي ، فأرسل من مصر رجلا عن طريق السلوم الى طرابلس الغرب يحمل معه كتاباً للسيد السنوسي ، أبان فيه ضرورة الاستمرار على الحرب والتمسك في طلب الشروط السابقة ، وعرفه بان عبد الحميد شديد عامل ايطالي ، وغير مخلص للقضية العربية ، ولما وصل الوفد الى طرابلس الغرب ، رفض السيد السنوسي مقابلته ، وفشلت جميع المساعي لحمل السيد السنوسي على الصلح .

اما صلات الدكتور الشهيد بالسيد الادريسي ، فكانت قوية ترمي الى مساندة السيد السنوسي في حربه مع الايطاليين ، وكان طبيبه الخاص يتردد الى صنعاء كثيراً ، وكان الادريسي يعتمد عليه في شراء الاسلحة والعتاد الحربية من بلاد اليونان وخلافها . وقد طلب السيد الادريسي مصاهرته ، فاعتذر الدكتور عن اجابة طلبه نظراً لصغر سن شقيقته اذ ذاك ، هذا ما سمعته ، ومابلغني من صلاته بالخديوي وبايطاليا ، وكان كل ذلك شائعاً بين الناس .

رحلاته الى الجزيرة — : أعرف رحلاته الى جزيرة العرب ، ولكن لا اعرف اغراضه من الاتصال بالملوك والامراء هناك .

الدكتور الشهيد والجمعية اللامركزية — : كان عضواً عاملا في لجنة جمعية اللامركزية الادارية ، وكان لهذه الجمعية لجنة تنفيذية سرية ، هي التي كانت تقوم بطبع المناشير الثورية وتوزيعها ، وترتيب اغلاق المدن في الولايات العربية ، وارسال برقيات الاحتجاجات الى الباب العالي ، وكان اعضاؤها اربعة من رجال اللامركزيين كان الشهيد رئيسهم . وقد كلف مرة من قبل هذه اللجنة ، الاتصال بأقوى جمعية ثورية ارمنية بمصر ، اظنها جمعية (هنجاق) ففعل ، وحضر اجتماعاً كبيراً لها وخطب بالحاضرين فكان وقعه فيهم عظيما ... وعندما استعفيت من مفتشية الاوقاف في الآستانة ، وعدت الى مصر في سنة (١٩١١)م وجدته هناك ، وعلمت ان طلعت باشا اراد استجلابه لحظيرة الاتحاديين ، فعرض عليه السفر الى باريس ليتخصص في احدى شعب الطب على نفقة الحكومة ، فرفض ذلك وجاء الى مصر ليكون في مأمن من بطش الاتحاديين ، وبعد برهة اعلنت ايطاليا الحرب على الحكومة العثمانية ، فاشترك مع البرنس عمر طوسون باشا في تشكيل اول جمعية للهلال الاحمر بالقطر المصري ، والشهيد اول من تطوع بالذهاب على رأس اول بعثة طبية للهلال الاحمر الى طرابلس الغرب ، وهناك بدأ يناوىء الاتحاديين امثال انور باشا ، ومصطفى كمال بك (رئيس الجمهورية التركية الان) مع صديقه القائد عزيز علي المصري ، الى ان توفقوا لتعيين السيد شريف السنوسي للقيادة العامة ، وبعد ان جلا الاتراك عن طرابلس الغرب عاد الى مصر ، وانشأ بميدان العتبة الخضراء مستشفى وزاول اعماله فيه ، وبالوقت ذاته ما انقطع عن الاشتغال بالسياسة لتحرير بلاده ، وعادت صلاته بالاتراك على أثر قطع علاقاته بالخديوي ،

فسافر الى الاستانة بدعوة من انور باشا الذي طلب منه ان يرشح نفسه للنيابة عن حمص على اساس مبادىء الاتحاديين ، وبالرغم عن توجيه الرتبة المتمايزة اليه فقد رفض الطلب وقدم ترشيحه باسم المعارضة فلم ينجح .

عاد الى سورية على آخر باخرة ايطالية ، وعلى أثر وصوله دخلت تركية الحرب العامة ، ولما وصل حمص استدعاه جمال باشا ، فأتوا به مخفوراً الى مركز القيادة بدمشق (اوتيل دامسكوس بالاس) الان ، وبمركز القيادة اغتالوه بأمر من جمال السفاح ، هذا ما بلغنا نقلاً من الجنرال مكسويل القائد الانكليزي العام بالقطر المصري ، ولم يعلم حتى الان مدفنه .

لقد قامت الحكومة العربية بواجبها الوطني ، فأدخلت اسمه بلائحة الشهداء الابرار وسمت باسمه الشوارع ، ومنحت مرتبات شهرية لعائلته تقديراً لجهاده وخدماته للقضية العربية ، واعقب ولدين ، هما قرة أعين الاسرة ، محمد منيب ، ومجاهد وقد سارا على خطى والدهما الشهيد بالعقائد الوطنية المثالية .

وهذه ابيات قالها الشاعر الكبير بشاره الخوري بمناسبة عيد الشهداء :

كتلة من لهب — في سماء العرب
ولواء من هدى — وشعاع من نبي
يا شهيداً دمه — قال يا أرض اشربي
أنت ان لم ترتو — بدم الحر الأبي
ذل فيك العربي — واستبد الاجنبي
(عزة) حسب المنى — بسمة من يعرب
قل له ان جئته — (عزت) الاوطان بي

ما نشرته مجلة اسرار الجاسوسية والحرب الكبرى عن الدكتور عزة الجندي

نشرت مجلة الاسرار الجاسوسية والحرب الكبرى في العدد الرابع والعشرين ، الصادرة بتاريخ ١٢ ايلول سنة ١٩٣٨ م عن مراحل اختفاء الشهيد الدكتور عزة ما نصه حرفياً :

« وساعد احمد آغا الشرقاوي ورفاق له ، المرحوم جعفر باشا العسكري والدكتور عزة الجندي على السفر الى طرابلس الغرب والمنطقة الادريسية .

وكان للاخرين أياد عظيمة في تحقيق سياسة احمد جمال باشا ومساعدته فيها .

وكان بعد ذلك ان منح احمد جمال باشا هؤلاء السادة وثائق تعفيهم من الخدمة العسكرية الاجبارية ، وتفسح لهم مجال البقاء في بيروت ليظلوا تحت تصرفه لتنفيذ الاوامر التي يعطيهم اياها .

الدكتور عزة بك الجندي

اما مصير الدكتور عزة بك الجندي ، فلايزال مجهولاالى يومناهذا . فابناؤه الذين هم اليوم من وجهاء حمص يجهلون امره تماماً لان الاشاعات الرائجة عن ذلك متعددة حتى الى اليوم وهي تقول ان احمد جمال باشا قد استدعاه فعلا الى القدس بعد عودته من قناة

السويس لايفاده بمهمة رسمية الى عسير لمحادثة السيد الادريسي ولكنه لم يوفـده وانما اعتقله وسجنه في مكان خفي ثم قتله سراً .

على ان هذا الخبر كان ولا يزال عبارة عن اشاعة لاتستند الى ادلة راهنة .

وقد قمنا بتحقيق في بيروت واستانبول نفسهـا توصلا الى معرفة الحقيقة . فأكدت لنا المعلومات التي استقيناها من هذين المصدرين ان الدكتور عزة بك الجندي لم يمكث في بيروت بل ذهب حقيقة الى المنطقة الادريسية وهناك اختفت آثاره .

حديث شاهد عيان

وقد قال السيد محمود الشرقاوي في حديثه لنا عن هذه القضية :

« دعاني اخي المرحوم احمد اغا الشرقاوي لأهيء مركباً شراعياً طلبه منه احمد جمال باشا لنقل احد رسله الى (جيزان) في المنطقة الادريسية ، وكنت اجهل هذا الرجل الذي سيبحر عليه .

« وقد تمكنت من الحصول على المركب المنشود وذهبت اليه واخي واحد رجال جمال باشا وهو ضابط تركي يدعي برهان بك فتفقدناه وبحارته وكانوا اربعة .

« وفي منتصف الليل الثاني جاء اليه اربعـة اشخاص هم الدكتور عزة بك الجندي والدكتور ناجي بك الاصيل - وكان اخيراً وزير الخارجية في العراق - والبنبـاشي نور الدين بك واليوزباشي احسان بك وسافر ثلاثة من هؤلاء على المركب وعاد الرابع وهو الدكتور ناجي بك الاصيل الى اليابسة معنا .

« وهذا كل مااعرفه عن الحادث وكانت آخر مرة رأيت فيها الدكتور عزة بك الجندي في بيروت وقد شاهدته بأم عيني يسافر الى المنطقة الادريسية »

اين ذهب الدكتور الجندي

هذا مارواه لنا احد رجال عصبة « جماعة جمال باشا » وهو وان كان لايعرف تفصيلات اخرى عن مصير الدكتور عزة بك الجندي فلأن دوره كان في الدرجة الثانية من هذه القضية في حين ان الذي مثل الدور الاول فيها هو شقيقه المرحوم احمـد آغا. فمن الصعب والحالة هذه معرفة اكثر من ذلك في بيروت.

اما البحارة الذين ذهبوا برفقة الدكتور فلم يعد احدٌ منهم الى بيروت وهكذا اختفى الضابطان التركيان فماذا كان مصيرهما ان المعلومات الراهنة الموجودة لدينا تدل على انهم بعد ان اوصلوا الدكتور الجندي الى ساحل عسير عادوا ادراجهم جميعاً، وقد كتب الينا جواد رفعت بك من استانبول جواباً على سؤال وجهناه اليه عن مصير عزة بك يقول:

« ليس لدي معلومات راهنة عن مصير الدكتور عزة بك الجندي . وكل الاشاعات التي نقلتموها الينا عن سجنه في دمشق ومقتله هناك عارية عن الصحة تماماً .

« وقد راجعت ، اجابة لطلبكم ، محمد جمال باشا ، - اي جمال باشا الصغير - وعلي فؤاد باشا لانهما هما الشخصان الوحيدان اللذان كانا على اطلاع على الامور فاجابني الاول انه لايعلم عن مهمة الدكتور الجندي شيئا الا انه نفى بشدة سجنه واعدامه سراً قائلا انه لم يعدم احد بمثل هذه الطريقة وانه اذا كان قد قتل ففي خارج منطقة الجيش الرابع ، واردف قائلاانه رجع خلال الحرب بأمر عزة بك واكد لمراجعيه انه لايعرف شيئا من مصيره .

« اما علي فؤاد باشا فقد صرح ان عزة بك الجندي قد سافر حقيقة لمقابلة السيد الادريسي يرافقه اثنان من الضباط الاتراك وقد وصل عزة بك الى هدفه وقابل الادريسي ولكنه لم يوفق في مهمته هـــذه لان الادريسي كان قد اتفق والانكليز في اذار سنة ١٩١٥ اي قبل وصول ذاك الوفد الى عسير.

« وان عزة بك كان قد ارسل رسالة واحدة عن مهمته هذه الى احمد جمال باشا وهو بدوره عرضها عليه ، اي على علي فؤاد باشا ، وارسلت هذه الرسالة الى انور باشا وهي لاتزال الى يومنا هذا محفوظة في سجلات وزارة الحربية العثمانية وهذا يؤيد ان عزة بك قد سافر من البلاد ولم يعتقل فيها سجيناً .

اما ماذا كان مصيره بعدئذ ورفاقه فمجهول

« وهناك تقرير ، لدى قيادة الجيش الرابع ، يقول ان المركب الشراعيّ الذي اقل الدكتور الجندي ورفاقه كان عرضة لمهاجمة جماعة كان يديرهم « جان عسكر » الجاسوس الانكليزي الذي اخذ على عاتقه مهاجمة السفن العثمانية في البحر الاحمر وقداسر ذاك المركب بمن فيه .

« واي مصير كان لمن فيه ؟ وهل كان عزة بك ورفيقاه العثمانيان بينهم ؟

« هذان سؤالان لم يتمكن علي فؤاد باشا من ان يجيب عليهما بشيء .

« اما انا فليس لدي معلومات راهنة اضيفها الى ماتقدم الا اعتقادي بان عزة بك الجندي اذا كان قتل ، لم يقتل في بلاده ، واذا وثقنا برواية علي فؤاد باشا امكن القول ان الرجل ذهب ضحية جان عسكر الجاسوس الانكليزي الذي اتعبنا كثيرا على سواحل البلاد العربيـــة .

ان جمال باشا قتل منذ ١٦ عاماً وبات امره بيد خالقه ولهذا لايهمنا الدفاع عنه ، وهو في اعتقادي قد ارتكب كثيرا من الجنايات المخالفة للقانون .

« غير ان الحقيقة الراهنة هي انه لم يقتل عزة بك الجندي وقد كان يثق به كما يثق بجعفر باشا العسكري.

رد المؤلف

ان رواية السيد محمود الشرقاوي عن سفر الشهيد الدكتور عزة الجنـــدي من مرفأ بيروت ، وعن جعفر باشا العسكري والدكتور ناجي الاصيل ، وزير الخارجية في العراق سابقاً ، محفوفة بالشك والوهن من الناحية التاريخية .

فقد قمت بشهر شباط سنة ١٩٥٦ م برحـــلة الى العراق ، وقابلت الدكتور ناجي الاصيل ، وكان آنئذ مدير دائرة الآثار العراقية في بغداد ، واستوضحت منه عما ذكره محمود الشرقاوي ، فأجاب ، بأنه (اي الدكتور الاصيل) كان يومئذ طالباً في الجامعة الاميركية ، ونفى علمه بهذا الحادث ، ومعرفته بالدكتور عزة الجنـــدي ، وانه كان سمع بشهرته السياسية ، التي طبقت الاقطار العربيـــة .

ولما كانت بقية المعلومات التي نشرتها المجلة المذكورة ، فيها من الملابسات والتناقضات ما لا يصح الوثوق بها ، فقد اضطررت لنشرها ، ليطلع القراء على نصوصها ، وقد استبعد العارفون بمصير الشهيد عزة صحة وقائعها .

حديث بين جمال باشا والشهبندر

عن الدكتور عزة الجندي

جاء في الصحيفة ١٠٨ من مذكرات عزيز بك مانصه :

« أراد أحمد جمال باشا ان يكون الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في جانبه ، فخابره بواسطة عبد الكريم الخليل ، ومحمد كرد علي ، فحضر الشهبندر ، وقابل احمد جمال باشا ، الذي تمكن من اقناع الدكتور بمحبته للعرب ، ورغبته الاكيدة في تحقيق مايصبوا اليه العرب من الاصلاحات اللازمة في بلادهم .

وكان الشهبندر ورفاقه الذين قابلوا الباشا على اتفاق تام معه ، من ان الدسائس التي ترتكب في البلاد العربية ، هي عبارة عن مؤامرات واسعة النطاق ، ترمي الى احداث ثورة عامة في البلاد العربية جميعاً تحت اشراف انكلترا او فرنسا وايطاليا ، وكانوا يرون ضرورة اغتنام هذه الفرصة ، لاستمالة امراء العرب الى الدولة العثمانية ، والعمل معها يداً واحدة ، ولهذا وعدوا احمد جمال باشا بمساعدته ، ونصحه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، بوجوب الاستعانة بالدكتور عزة بك الجندي ، الذي له معرفة بالسيد الادريسي ، والذي هو على اتصال به بصورة مستديمة » .

دعوة احمد جمال باشا للدكتور عزة الجندي

وذكر عزيز بك في الصفحة ١٠٩ من مذكراته مانصه حرفياً « إن احمد جمال باشا كان يكره الدكتور عزة بك الجندي ، ويرى في وجوده في سورية خطراً شديداً على ادارة الأمن العام من جهة ، وعلى سلامته هو ايضاً من جهة ثانية ، ولهذا تردد في بادىء الأمر ، بتنفيذ اقتراح الدكتور شهبندر كما تردد بعدئذ في تنفيذ اقتراح عبد الكريم الخليل ، عندما اقترح عليه الذهاب الى مصر ، لاقناع الحزب اللامركزي بعدم التعرض لجمال باشا والتعاون معه ، الا ّ أن تردده هذا لم يدم طويلا ، لأنه وجد ان الضرورة توجب والحالة هذه ، ارسال الدكتور الجندي بهذه المهمـة ، فان قام بها تمكن من استعادة ثقة الباشا ، والا فانه يكون قد تخلص منه وأبعده عن سورية ، ولهذا أبرق الى متصرف حمص يطلب منه دعوة الدكتور عزة الجندي للشخوص فوراً الى دمشق لمقابلته ، فصدع بالامر ، وفي اليوم الثاني كان فيها » .

الدكتور عزة الجندي في دمشق

وتابع عزيز بك حديثه فقال :

« أم ّ عزة الجندي دمشق مساء ، ونزل في الفندق ضيفاً على القائد العام ، وفي المساء انتدبني جمال باشا لتحيته باسمه ، وقد أعادت هذه المهمة الطمأنينة الى قلب الرجل الذي حسب لهذه الدعوة الف حساب ، ودعوته لمقابلة الباشا في اليوم الثاني ، وقد كانت

هيأته وحركاته تدل على انه كان كثير الانفعال ، حتى اذا اطمأن من لهجتي عاد اليه هدوءه ، واكثر من الممازحة وترديدعبارات الاخلاص للدولة ، ورغبته الاكيدة بفوزها على العدو ، وفي اليوم الثاني قصدته ، وذهبت معه الى دائرة جمال باشا الذي استقبله بحفاوة ، ولما هممت بالانصراف قال لي الباشا : لاداعي لخروجك ، أرى ان تكون هنا .

وقد كان الباشا ، كما فهمت فيما بعد ، يريد ان يتخذني شاهداً على الحديث الذي سيدور بينه وبين عزة بك في هذه الجلسة ، فصدعت بالامر وجلسنا نحن الثلاثة .

وكان بدء الحديث مجاملة والتفاتات ، كما هي العادة في مثل هذه الاجتماعات ، ثم دخل الباشا معه في الحديث ، وهو حديث طويل يدور حول موقف الدولة العثمانية ، والاسباب التي ادت الى دخولها في الحرب العالمية ، لتحرير بلادها من سيطرة الاجانب الذين يريدون اقتسامها ، ثم رغبته في ان يرى البلاد العربية موحدة عاملة في سبيل مقاومة الاستعمار الاجنبي ، وبيّن له ان الغاية من دعوته ، هي ارساله بمهمة لمقابلة الادريسي ، ووعده مقابل هذا العمل بمبلغ كبير من المال يساعده على اتمام مهمته هذه ، فقبل عزة بك بهذه المهمة ، واملى علي احمد جمال باشا نص هذا الكتاب الذي وقعه بامضائه ، وسلمه الى عزة بك الذي سافر في اليوم الثاني الى بيروت ، ومنها استقل احدى البواخر الاسبانية التي كانت مسافرة من مرفأ بيروت في ذلك اليوم وذهب .

ولست اعلم ما اذا كان الرجل قام بمهمته هذه أم لا ، الا ان الذي اعرفه ان احمد جمال باشا ما كان ليعتقد بذلك ، الا انه كان يقول : على كل حال ، ان وجود الدكتور عزة الجندي ، في خارج البلاد اوفق لنا .

حول تعيين مفتي حمص

وجاء في الصحيفة ١٢١ من مذكرات عزيز بك مانصه حرفياً :

« لقد وقعت مئات الحوادث التي تؤيد أمر اندفاع السوريين وراء الحصول على الوظائف ، وإحداها حادث تعيين مفتي حمص ، فان الخلاف حول هذا الامر كاد يؤدي الى ثورة في حمص بين عائلاتها ، حتى ان وفداً من عائلة الأتاسي ، جاء يرجو جمال باشا لمعاضدته في الأمر مقابل تأييد العائلة الأتاسية لاحمد جمال باشا ، كما ان الوفد صرح للباشا ان العائلة الاتاسية مستعدة لان تكون (...) مع جمال باشا في سبيل تحقيق هذه الغاية .

ويظهر ان للشيخ اسعد الشقيري غاية من وراء معاضدة هذه العائلة لتأييد مرشحها ، فساعدها لدى الباشا الذي وافق على تعيين الشيخ طاهر الاتاسي مفتياً على حمص في شهر حزيران سنة ١٩١٥ م ، وقد خدم الشيخ طاهر الاتاسي جمال باشا خدمات جلى ، وعلى الأخص فيما يتعلق بآل الجندي الذين كان ينقم عليهم جمال باشا خصوصا بعد ذهاب الدكتور عزة الجندي الى الادريسي كما بيناه في حينه وعدم عودته الى منطقته . »

كلمة المؤلف : لاأود التعليق على مأساة اغتيال الدكتور عزة الجندي ، وما رافقتها من وقائع رغم مرور مايقرب من نصف قرن على حادث اغتياله ، الذي مازال سراً يكتنفه الغموض . وقد تضاربت فيه الاقوال وتناقضت ، وقد رأينا من الحكمة التغاضي عن سرد المؤامرات والدسائس ، ونبش الماضي ، تلك الدسائس التي كانت سبباً في قذف الكثير من افراد الاسرة الجندية الى منافي الاناضول .

وان ماورد في مذكرات عزيز بك حول الشهيد الدكتور عزة الجندي يتعارض مع بعض الحقائق ، فقد سأل السيد محمد منيب نجل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، عندما كان في سورية ، عن حقيقة اغتيال والده فأجاب الشهبندر ، ان الدكتور عزة الجندي قتله جمال باشا في فندق دامسكوس بالاس ، ولم يذهب الى منطقة الادارسة .

كما وان الشهيد لم يذهب الى الجزيرة العربية ، مع الشيخ رشيد رضا ، للقيام بدعايات للاتراك فيها .

الشهيد صادق الجندى
١٨٧٦-١٩١٥

هو ابن المرحوم محمد بن سليمان الجندي ، وشقيق الشهيد المرحوم الدكتور عزة الجندي . ولد في مدينة حمص سنة ١٨٧٦م وتخرج من الكلية الحربية العليا في الآستانة برتبة : ملازم اول في سلك المدفعية المتوسطة .

في اليمن : — اشترك في حروب اليمن ، وحوصر ونجا من الهلاك ، وكان برتبة يوزباشي ، وعاد وبدأ يتنقل في البلاد حتى ترفع الى رتبة قائمقام عسكري في المدفعية .

نشاطه السياسي : — كان من مؤسسي جمعية العهد التي تضم كبار ضباط العرب والمفوض العام في سورية لحزب اللامركزية في مصر . وكان اسعد بك الدرويش الضابط اركان حرب من مؤسسي هذه الجمعية ، واحد رفاقه فيها .

في جبهة العراق : — ولما وقعت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م تلقى أمراً بالسفر مع فرقته العسكرية الى جبهة العراق ، وروى المجاهد المعروف الاستاذ سامي السراج ، انه استلم منه جميع الوثائق والاوراق السرية العائدة لحزب اللامركزية .

استشهاده : — اشترك في معارك العراق ضد الانكليز . وفي احدى معارك كوت الامارة استشهد في وقعة (دولابجه) الواقعة بين العزيزية وكوت الامارة وذلك في ١٧ آب سنة ١٩١٥ م .

اقترن عام ١٩١٢ م واعقب كريمة واحدة .

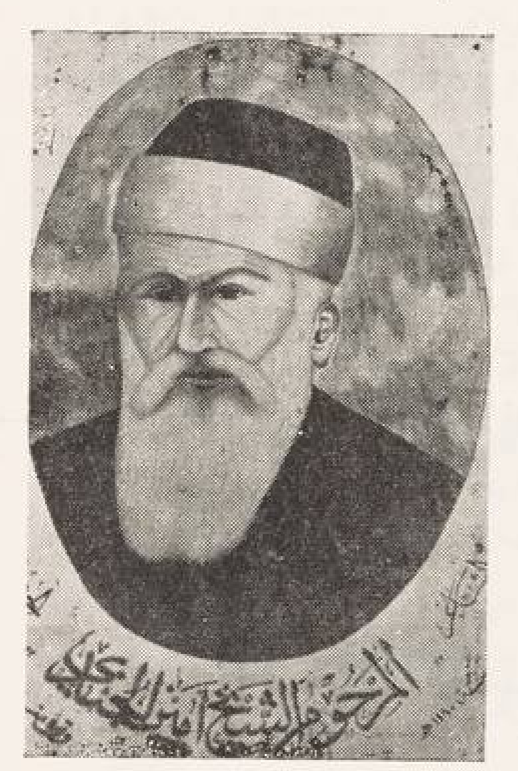
الاتراك واسرة آل جندي في حمص

لقد اتضح مما نشرناه عن موقف جمال باشا ، من الاسرة الجندية ، وما كان يضمر لها من الكراهية والعداء ، وما أوضحه عزيز بك رئيس دائرة الامن العام والاستخبارات في مذكراته ، عن مخاوف جمال باشا وقلقه من الدكتور الشهيد عزة الجندي ، وانه يرى في وجوده في سورية خطراً شديداً على ادارة الامن العام من جهة ، وعلى سلامته هو ايضاً من جهة ثانية ، ويسر الاسرة الجندية ان تفخر بهذا التصريح التاريخي وتعتز به ، فهو يدل على مكانة الشهيد الدكتور عزة وبطولته ، ونحن نود ان نعود الى عهد سلاطين بني عثمان في سنة ١٨٣٢ م فقد استحكم العداء بين الاتراك ، والاسرة الجندية منذ ذلك العهد ونمى مع الزمن، لما هجا الشيخ امين الجندي الشاعر المشهور، قواد الاتراك ووصف هزائم جيوشهم المريعة ، امام جيوش الفاتح ابراهيم باشا المصري ، بقصيدته التي دارت على كل لسان في الاصقاع العربية ، تلك القصيدة الخالدة التي استحال نشرها في ديوانه المطبوع في العهد العثماني ، وكانت من العوامل المؤثرة ، فيما حل بالاسرة من نكبات متتالية في العهد التركي .

لقد ورثت الاسرة الجندية هذا العداء ، حتى جاء السفاح جمال باشا ، فكان له ما اراد من التشفي والانتقام ، من اغتيال الشهيد الدكتور عزة الجندي ، ونفي فريق كبير من اخوته وابناء عمه وعائلاتهم الى الاناضول . وقد آثرنا نشر ترجمة الشيخ امين الجندي الذي كان اكبر داعية للقومية العربية في عهد الاتراك ، وقصيدته بكاملها ، فهي عبارة عن سجل تاريخي للوقائع الحربية .

الشاعر العبقري الخالد والداعية للقومية العربية
الشيخ امين الجندي
١٧٦٦ - ١٨٤١

الشيخ امين الجندي : — هو ابن السيد خالد بن السيد محمد الجندي العباسي ، ولد في حمص سنة ١١٨٠ هجرية الموافقة لسنة ١٧٦٦ ميلادية ، وعاش بكنف والده الذي كان حاكماً فأحسن تربيته وقد درس على علماء عصره وادباء زمانه ، ثم انتقل الى دمشق وأخذ عن علمائها وفي طليعتهم العلامـــة الصوفي المشهور الشيخ عمر اليافي ، ثم عاد الى حمص وكانت علائم النبوغ والذكاء الفطري والميل لنظم الشعر تتقد مواهبها فيه كالكوكب الدري منذ صغره ، وقد نظم الشعر وبرع به ، وللمرحوم من الشعر ما لا يحصى وكان له منظومات بكل بلد وجد بها ، فشعر بحلب لا يعرفه ابناء حمص وقس على ذلك ، وشعره المحفوظ في الصدور بالنسبة لشعر ديوانه هو كثير من قليل .



الوضع السياسي الخطير في عهده : — كانت صلة المرحوم الشاعر الشيخ امين الجندي بعهدين خطيرين مرت احداثها على الاقطار العربية كانت خلالها مسرحاً لحرب دامت سبع سنوات بين الاتراك ومحمد علي باشا والي مصر ، فقد كانت تجول بفكرة القائد العظيم محمد علي باشا بعد ان استولى على مصر تأسيس الامبراطورية العربية ، ولما كان المشار اليه لا يحسن اللغة العربية اوفد ابنه القائد العظيم ابراهيم باشا الذي يحسن اللغة العربية وله باع طويل بالسياسة والتفرس بأخلاق الناس ولأن همه الوحيد الأمنية الغالية التي كان يأمل تحقيقها والده محمد علي باشا ، وبما ان الشيخ امين الجندي كان من أهم الدعاة لفكرة تحرير العرب من نير الاتراك ، فقد استدعاه وقرّبه وجعله من خاصته ومستشاريه ، لا لسبب انه شاعر القرن الثامن عشر كما ذكره المرحوم جرجي زيدان في تاريخه ، بل للسبب المذكور آنفاً ، ثم كانت الدول الاجنبية تحيك الدسائس للايقاع بينهما حتى كانت الواقعة ، فاكتسح ابراهيم باشا المصري بجيوشه فلسطين وسورية وتغلغل في قلب الاناضول ، وكانت جيوش السلطان محمود الثاني بقيادة حسين باشا تتراجع امام ضربات الجيش المصري ، ولولا تدخل الدول الكبيرة واجبارها محمد علي باشا عـــلى الانسحاب من البلاد التركية والعربية ، لاحتل عاصمة الخلافة وتحول مجرى التاريخ .

علاقة الشيخ امين بالفاتح المصري : — لقد ذكر المؤرخ جرجي زيدان ان الشيخ امين الجندي هو شاعر القرن الثامن عشر دون منازع ، وقد سمع ابراهيم باشا قائد الحملة المصرية بشهرته وتوثقت عرى الصداقة بينهما فكان لا يفارقه ، وقد حضر معه اكثر المعارك الحربيـــة ، وكان يهنأ بمنادمته ويستبشر خيراً بقربه ولا يرد له رجاء ، وكان هذا القائد العظيم أسداً مهاباً تعتري الرعشة من يرمقه او يتحدث اليه ، ولا يستطيع التغلب عـــلى هذه الرعشة الا من اوتي جناناً ثابتاً وحباه الله منطقاً ساحراً ومواهب علمية فذة .

سفره الى مصر : — سافر الفاتح ابراهيم باشا لمقابلة والده في مصر والتحدث معه في الشئون الخطيرة المتعلقة بمصير الاقطار العربية التي افتتحها بسيفه فاصطحب معه الشيخ امين الجندي مرتين ولما حظي بمقابلة والده ، قال له : لقد اتيت لك بأعز هدية من البـــلاد الشامية وقدّم اليه الشيخ امين الجندي فلقي بالغ الحفاوة والاكرام ، وقد توافد على قصر الخديوي اكابر

القوم وفطاحل العلماء والشعراء والادباء للتعرف على الشيخ امين الذي طبقت شهرته الاقطار العربية ، فكان اعجابهم بعلمه وشعره عظيماً ، واتفق ان محمد علي باشا كان يبني في ذلك العهد جامع القلعة في القاهرة فطلب ابراهيم باشا من الشيخ امين ان ينظم تاريخ شعري لبناء الجامع فقال :

عروس كنوز قد تحلت بعسجد — مكللة تيجانها بالزبرجد
أم الجنة العليا ترفرف قاعها — بأبهج ياقوت وأبهى زمرد

اقامته بحلب : — ولما عاد ابراهيم باشا الى سورية دعته الظروف والاعتبارات العسكرية ان يتخذ حلب مركزاً لتوجيه حملاته العسكرية استعداداً لفتح بلاد الاناضول فأقام فيها مدة طويلة ومعه الشيخ امين ، وقد مدحه اثر انتصاراته في المعارك الحربية التاريخية بقصائد كثيرة .

وعندما توجه الفاتح العظيم ابراهيم باشا الى لبنان عن طريق حمص - طرابلس لزيارة صديقه الامير المرحوم بشير الشهابي الذي كان حليفه من جملة من انضم اليه ضد الاتراك كان يرافقه في هذه الرحلة الشيخ امين الجندي ومكثوا في ضيافته مدة ، ثم عادوا الى حمص وجرى لهم استقبال تاريخي حافل .

انسحاب الجيش المصري : — وفي عام ١٨٤٠م ميلادية عرض ابراهيم باشا على السيد عبد الله بن حسين الجندي وكان من أحب المقربين اليه رغبته بالذهاب معه الى مصر والاقامة فيها ومناه باعطائه الاطيان والاملاك ورضي هذا معه لولا إلحاح الشيخ أمين باعفائه من السفر معه ، وقد منحه عدة قرى براسيم لا تزال محفوظة لدى ورثته وموقعة بتوقيعه الخاص (سلام على ابراهيم) وقد وقع اثناء انسحاب الجيش المصري بعض حوادث النهب والسلب في البلاد الا حمص فانها سلمت من الاعتداء بفضل الشيخ امين وحاكمها عبد الله الجندي المذكور .

موقفه مع الاتراك بعد انسحاب الجيش المصري - لما كان الشيخ امين رحمه الله هو الداعية الاكبر لمجد العرب وتأييد الفاتح ابراهيم باشا المصري فقد أصبح موضع سخط الخليفة التركي الذي اهتم بأمره وأوفد أحد وزرائه الاشداء للقبض عليه ، ولما بلغ الشيخ أمين أن الوزير الموفد قد نزل ضيفاً على نقيب الاشراف من عائلة الكيلاني بحماه ركب من حمص لمقابلته دون أن يخشى عاقبة الامر ، ولما دخل المجلس خشعت ابصار الجميع تهيباً واجلالا لمقدمه الفجائي الذي كان بالنسبة لآل الكيلاني مفاجأة مهلكة وخشوا أن تنالهم نقمة الحكومة بسبب صداقتهم معه ، وخاطب الوزير التركي معرفاً بنفسه (أنا امين الجندي الذي جئتم للقبض عليه) ولما رأى الوزير التركي جرأته ومحياه الوقور تهيب زعامته ونفوذه وأدناه منه وتحدث اليه في شتى المواضيع وسافر معه في عربته الخاصة الى حمص فدمشق ، وظن الناس أنه قضي عليه لا محالة ، ولما انجلت للوزير التركي حقيقة الامر كتب الى الخليفة يخبره باجتماعه مع الشيخ امين وان ما اسند اليه من اوضاع تخالف الحقيقة والواقع ، فصدرت ارادة السلطان بالعفو عنه ومدحه بقصيدة مطلعها (وافتك بالعز خوذ زانها الطول) فحملها الوزير الموفد الى الخليفة وكان اجتماعه بالوزير التركي حديث الناس وقال بان سحر بيانه وفرط ذكائه وجرأته كانت السبب في نجاته من نقمة الاتراك .

الداعية الاكبر - ولم تقف بالشيخ امين همته عند هذا الحد من التقدم في النظم والنثر بل تعدتها الى السياسة ومطالبة اولي الامر بما يراه من موجبات الاصلاح ، فكما عرفناه شاعراً أديباً كذلك رأيناه سياسياً محنكاً ووطنياً يعمل لصالح وطنه وبلاده . ولما كانت آنئذ أمور الحج ودفاتر محاسبة المالية بيد اليهود وكانوا يكتبون الداخل والمصروف منها باللغة العبرية فقد بعث بقصيدته المشهورة الى السلطان محمود الذي أمر بالتحقيق واقصاء اليهود عن اعمال الدولة وقلب دفاتر المحاسبة المحررة باللغة العبرية الى اللغة العربية واصلاح كل خلل . وهذه بعض ابيات من القصيدة المدرجة في ديوانه :

ومنها ـ

واقتك بالعز خوذ زانها الطول — بديعة لحظها بالسحر مكحول
تشكو لعلياه ما قاست رعيتــه — من اليهود وعقـد الصبر محلول
حيث الدفــاتر عبرانية رقمت — خلاف ألسنـنا والحال مجهول
وليس تعلم أتراكٌ ولا عرب — ما خط فيها ولا المنقول معقول
أموال عكة ماذا تصنعون بها — ما آن أخذ لها ما آن تحصيل
فكيف ترجون صدقاً باليهود وهم — قوم اثـام ملاعين منا كيـل
كم بالربا سحبوا ذيل الخراب على — تلك البلاد وكم قالوا لهم زولوا

الى ان قال

فالسيف في الغمد يخشى وهو منجدل — فكيف وهو بكف الليث مسلول

وكان رحمه الله اذا جادل او ساجل كالبحر تدفقاً واندفاعاً ، قوي الارادة جبارها ، كبير النفس مهيباً جسوراً على المكاره والشدائد عظيم التأثير جذاباً ، وهو الذي قصم ظهور اعدائه فتكسرت سهامهم عند قدميه وطغت عظمته على الحادثات ، وهذا العبقري الخالد والداعية الاكبر الذي خدم امته ووطنه لا تحد من حياته الاخطار بل ستبقى اعماله ودروسه خالدات فيها ذكرى وعبرة للذاكرين ، فهو دنيا تولت وبركان خبا والبقاء للواحد القهار .

وفاته ـ وفي شهر شوال سنة ١٢٥٧ هـ — ١٨٤١ م دعاه ربه الى منازله العلية ودفن بمقبرة عائلته في حمص ، بجوار الصحابي العظيم خالد بن الوليد رضي الله عنه .

قصيدة الشيخ امين الجندي

وهي لم تدرج في ديوانه

عرج أخا البأساء نحو بني العلا — والثم ثرى اعتـابهم متذللا
وأبسط أكفَّ رجاءِ كسرك نحوهم — واجري الدموعَ على الخدود ترسلا
دعْ عنك جلباب التوقف والحيا — واسمح لنفسك والسوءالِ وانسلا
اني رأيت العزَ من شرفاتهم — لمعت بوارقه وأومضَ وانجلا
فاركب جواد العز في نيل المنى — واهجر حبيباً تصطفيه ومنزلا
واحذر تكن وغداً قليلَ مروءة — فتعدُ في الاحياء من اهل البلا
ان الجبانَ محقرٌ في قومه — واخا الشجاعةِ لايزال مبجلا
والحر لايرضى بحمل مذلةٍ — ولو إغتدى فوق الصعيد مجندلا

يغنيه ضمّ كعوبه عن كاعب ... وعناق بيض الهند عن بيض الطلا
وبحلبة الهيجاء شرب دم العدا ... اشهى له من شرب كاسات الطلا
ولسمعه يحلو صهيل الخيل لا ... لحن الغناء وصوت خشخشة الحلا
ويظل من حر الوغا متفيئاً ... بيض الصوارم والرماح الذبلا
ويخال ان علق الغبار بوجهه ... وابتله عرق فضوح مندلا
مسكاً يمازج عطر ورد راشح ... من روض زهر في نداة تكللا
يهوى القواضب والرماح وغيره ... يهوى الغزالة والغزال الأكحلا
جعل الأريكة صهوة عربية ... والمتكا قربوصه والمنصلا
فاخش المصان من السيوف فانه ... ليكاد وهو بغمده ان يقتلا
أأخي من طلب النفيس ولم يجد ... بالنفس خاب رجا مناه واحملا
رتب المعالي لا تنال براحة ... حتى تحير بها العقول وتذهلا
وطريقها عزت مسالكه على ... من لم يطق عند البلاء تحملا
أم العلا أم لكل محاضر ... من أمها أم السماك الأعزلا
فدع التعجب من شجاعة من مضى ... من قبل واترك عامراً ومهلهلا
وزن الرجال فان في افرادها ... من لا يزان بالف ذات في الملا
ياصاح ان حلت خطوبك أو غدا ... صرف الزمان ولست تلقاه سلا
يمم ذرى علم الشهامة والعلا ... وبظله الممدود كن متظللا
فهو الامام البر والبحر الذي ... منح المنايح للعفاة وأجزلا
مولاً كبسم الله ظلّ مقدماً ... في كل مرتبة على اهل الولا
ملك بدا في صورة بشرية ... فلذا يبيت لربه متبتلا
بسعادة الدارين فاز مع الولا ... نودوا ألست بربكم قالوا بلا
فاق الاوائل سؤدداً وفخامة ... وسما الاواخر رفعة وتفضلا
ان عد في المتأخرين فانه ... ختم وخير الرسل اشرفهم علا
مازال في نعم يجيب لسائل ... لولا التشهد لم يكن ينطق بلا
يسدي على البعد النوال لمادح ... من غير أن يسعى اليه ويسألا

في حكمه ترعى الضواري والظبا
وبعدله اضحى الزمانُ مجملا

تستأمنُ الُطرقات في أيامه
وبحفظ ابناء السبيل تكفلا

بحرُ يرى مثلي مدائحَ مثله
فرضاً اذا هو بالنوال تنفلا

بدر ولكن بالكمال متوّج
بحر ولكنْ وردُ منهلة حلا

متوفرُ الآداب موفورُ العطا
شهم أشم عن الاساءات اعتلا

مازال غيثُ الجودِ من راحاته
متجسماً متصبباً متهطلا

فالمح كمالاً بالفخام متوجاً
والحظْ جمالاً بالوقار مجللا

واستجل فرداً للفضائل جامعاً
واستجد غيثاً بالفواضل مقبلا

أضحى سمياً للرسول وصنوه
فغدا حديثاً بالمحامد والعلا

ولقد بدا الدينُ الحنيفُ بسيفه
يفترُّ عن ثغر الثغور تهللا

كم مُنكرات قد أزالَ وجودَها
عنا وكم من باطلٍ قد ابطلا

بطل اذا زأرتْ ضراغم بأسه
نهشتْ اراقمه الجوانح والكلا

تلقاه عند البأس جمراً مسعراً
وتراه يوم الأنس روضاً مخضلا

وتعده فوق الجواد اذا إعتلا
او هزَّ أسمرَهُ الرعوفَ الامثلا

ليثاً تخيلَ متنَ سرحانٍ وقد
أضحى يلاعب صلَّ حتفٍ مذهلا

سبحان من بالعز أطلعَ سعدَهُ
وحباه مجداً في الأنام مؤثلا

وتبارك الله الذي جعل التقى
والحلم والبأسَ الشديد له حلا

ماجرَّ جيشاً للجهاد محارباً
الا وجرَّ الرعبَ جيشاً أولا

ذو همة علوية لو صادمت
في الحرب طوداً شامخاً لتزلزلا

وعزيمة أمضى وأفتك في العدى
من كل نصالٍ يَقُدُّ الجندلا

يسطو بسام الفرند وجوهرٍ
للهام ينتر مجملاً ومفصلا

وبأسمر ، ماض السنان كأنه
في قبض ارواح العداة توكلا

من فوق صهالٍ أقب أجرد
للريح يسبق مطالباً أو مقبلاً

يمضي به للحرب غيرَ محجل
ويعود منها بالدماء محجلا

بعزيزها مصر تساما عندها
فغدا محمدها علياً أكملا

من للأنام أتاح بعد الخوف في ... ظل الاكارم للبغاة إستأصلا

هو فاتحُ الحرمين في غزواته ... بل والمسيرُ للرسول المحلا

ومزوّدُ الحجاج حسنَ سلامةٍ ... ايان شاءت ان تقيم وترحلا

فاللهُ اعطى القوس راميها الذي ... يرمي العدا بالويل رمياً مقتلا

هذا ولما فاض جور الترك في ... ظلم العباد وصار امراً مشكلا

وتظاهرت عمالهم بمظالم ... ومفاسدٍ وحوادثٍ لن تقبلا

وتمسكوا بالبدعة السوداء لا ... بالسنةٍ الغراء فارتدوا على

سلبوا البلاد مع العباد فلاترى ... فى حبهم ذا نعمة متمولا

ظنوا بأن الله ليس يذيقهم ... بأساً وان طغاتهم لن تخذلا

والله غيرّ مالهم من نعمة ... لما تغير حالهم وتبدلا

ومشايخ الاسلام اصبح جهلهم ... علماً فلم ترَ قط منهم اجهلا

وقضاتهم للسحت قد أكلوا فهل ... ابصرت حياً من مضرتهم خلا

نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم ... وعتوْا وزادوا في الضلال توغلا

وتناهبوا مال اليتيم فلا تسل ... عما توقع منهم وتحصلا

سخطَ الالهُ وشدّ وطأته على ... سُخطٍ ورهطٍ للمحرم حللا

زعموا أولي الأمر الولاة وغرهم ... في الآية الاصغا لمن قد اوّلا

نعمَ الخلافة في قريش أصلها ... وبها لقد جاء الحديث مسلسلا

فهمُ احقُ بها اذاً لكنهم ... وهنوا فما قاموا بها كلا ولا

اذ يبغضُ الملكُ الضعيفَ الهُنا ... وبضعفه الشرع الشريف تعطلا

والملكُ مُلكُ الله يؤتيه لمن ... قد شاءه لا بالوراثة والولا

واذا اراد اللهُ تأييد امرىءٍ ... بالحق وفّق قلبه كي يعدلا

حتى اذا ما الله أنفذَ حكمهُ ... في دولة الطاغين ان تتحولا

وأقام في مصرٍ لنصرة دينه ... شهماً شجاعاً محسناً متفضلا

فهناكَ قامَ بامر ربٍ قادرٍ ... بالحق يصدعُ وهواعدلُ من وَلا

واستلّ سيفاً ماله عن غامدٍ ... للفتح قام مكبراً ومهللا

أعني خليل الحرب ابراهيم من ... لركابه الجيش العرمرم قد تلا

هو سيد الوزراء ذروة عقدهم ... وأجل من بالمكرمات تسربلا

لاعيب فيه سوى الثبات وانه ... يلقى الكتيبة وحده والجحفلا

ان قيل ابراهيم جاء محارباً ... سقطوا وان كان الكلام تقوّلا

لو أن عنترة الشجاع بعصره ... لأتاه بعد الرق يسأله الولا

أو لو رآه التبعي وقد أتى ... بملوك حمير كلها لترجلا

ولقيصر لو لاح بارق عضبه ... لسعى لتقبيل الركاب مهرولا

أنى يطيقون الثبات وقد رأوا ... اسداً به شخص الحمام تمثلا

لما أتى أرض السواحل سلمت ... طوعاً فأرخص قوتها بعد الغلا

وافاض في القدس الشريف بيانه ... بحراً، ولكن بحره منهلة حلا

ولقد أبى التسليم والي عكة ... وغدا بوعد كالهبا متعللا

غرته اسوار بها ومدافع ... فلذا اصر على القتال وعولا

حتى اذا رميت بنار حصاره ... واستمطرتها بالرصاص بنوا جلا

قامت قيامتها على قدم الردى ... واحاط من كل الجهات بها البلا

بمدافع ما أن لها من رافع ... وقنابل تحكي القضاء المنزلا

وتلهب البارود حر شواظه ... في برها والبحر نار اشعلا

لو شام يوماً حرها اسكندر ... لاندك محكم سده وتفصلا

ما كان لولا الحلم أهمل أمرها ... لكن أبى سفك الدما متمهلا

ظنوا الاناءة منه عجزاً عنهم ... فهناك جد بفتحها واستعجلا

وأشتد كرب الهول عند هجومه ... ولظى الوطيس لكل قلب اوصلا

ووزيره المدعو بعبد الله قد ... أمن الردى ولأرض مصر أرسلا

الله اكبر انها لوقائع ... ومصائب لهم الاله بها إبتلا

انستك بدراً والنضير وخيبراً ... وحروب مكة والبسوس وكربلا

واتى دمشق الشام يبغي فتحها ... طمحاً مخافة ان تشان وتسبلا

خرجت جميع رجالها لقتاله ... الا وزيرهم الجبان الأرذلا

ذاك الذي قدم قبل الحرب منذ ... سمع الصراخ بكل ناحيه علا
حتى اذا طلبوا الامان أجابهم ... وانال كلا منهم ما أملا
فهناك مد رواق عدل مذرأى ... ستر الاله على ذراها مسبلا
صلى بجامعها الشهير وقد أتى ... قبر الحصور فزاره متوسلا
وبه على الفقرا تصدق بل وفى ... علمائها والصالحين تحفلا
وسرى الى حمص ليقمع من غدا ... في مالها وعقارها متخولا
وبها العساكر والدساكر قد حكت ... قطع الظلام اذا بدا متفضلا
بسحيرة الزنج استراح وقد سقى ... من مائها الجم الغفير وانهلا
بالجانب الغربي من صحرائها ... عب الجيوش وللطلائع ارسلا
فهناك باشرت الحروب بنفسها ... وزراء سوء فسقهم لن يجهلا
زحفوا اليه كالجراد فأدبروا ... لما رأوه كالسمرمر أقبلا
حسبوا لهيب الحرب نار جهنم ... حين الاله لهم بها قد نكلا
فترى الكماة ممدين على الثرى ... فتخال من وقع القنابل جفلا
واختل عقد نظامهم جزعا وقد ... غطوا الرؤوس ولم يغطوا الاسفلا
أضحت طعاما للطيور لحومهم ... ودماؤهم للمشرفية منهلا
ولكم أباد جموعهم من قبلها ... في جونة والبر بالقتلى إمتلا
وهناك ولو هاربين الى حمى ... حمص وكان اليوم يوما اجولا
لما رأى سيف الاله احد من ... كل السيوف مدى الزمان واطولا
القى السلاح تأدبا وتواضعا ... عند المزار وللضريح إستقبلا
فهناك ايده الاله على العدى ... وارام الخطب الجسيم المعضلا
لاقت من الوزراء اعظم شدة ... حمص اذ ابتليت ولم تبد الغلا
وبها استباحوا المنكرات فلا تسل ... عما توقع منهم وتحصلا
والى حماة الشام ساروا بعدها ... لمعرة النعمان تخترق الفلا
وغدا يجد السير في آثارهم ... بمواكب وكتائب لن تصطلا
حتى اتى حلبا فلم ير منهم ... الا طريحا اوجريحا مبتلا

فهنالك إنسرتْ بحسن قدومه   اشرافها ولوا الشريعه قد علا

وجميعهم خرجوا الى استقباله   مستبشرين وعنهمُ الكربُ انجلا

لكنه بالجيش جدّ وراءهم   وعن الفريسة ليس يبغي معدلا

وسرت سراياه الى انطاكيا   والنقع من وقع السنابك قد علا

وبه زهت اسكندرونَ ببهجةٍ   وغدتْ بابواب المسرة ترفلا

ولقد تملك كلما تركوا بها   مما تعذر بعضه ان ينقلا

وبأرضي بيلانٍ ادار رحى الوغى   واثار نيران الحروب واشعلا

والقوم من جزعٍ كأفراخ القطا   يغدونَ رعباً إذ يرون إلا جدلا

ذُهلوا بصاعقة المدافع فانثنوا   يترقبون الى السلامة مدخلا

حتى اذا إقتحمَ البوغاز بيأسه   وعلى الجبال سما وأشرق واعتلا

تركوا الذخائرَ والخيامَ وكلما   يخشون منه لدى الفرار تشغلا

وغدا يعضُ بنانه سر دراهم   اسفاً على ماحل فيه من البلا

من مخبرِ الأتراك ان جيوشهم   هزمتْ وان حسينهم ولّى الى

والعزُ في العرب إستنار منارُه   بنزوغ شمسٍ نورها لن يأفلا

ياحبذا جرثومة الفضل التي   طابت فروعاً حسبنا قد املا

بل دوحة افنانها شم الذرى   والخايضات لدى الهياج القسطلا

الفارس العباسُ مقدامُ الورى   والشهم ابراهيم بدر سما العلا

قوم لهم مد الاله بنصره   للفتح مداً مستقيما مفصلاً

ماوجهوا نحو الطغاة عساكراً   الاّ ونال الفتحَ جاء مرتلا

كلا ولا همّوا بفتح مدينة   الاّ تيسرّ فتحها وتسهلا

كم من بلاد فتحتْ بقدومهم   وببأسهم كم من عتلٍ جُندلا

كم اخلصوا لله في غزواتهم   وبعالهم قد جهزوا جيشاً إلى

ومحاولٍ بالمدح عَدّ صفاتهم   يهدى القريض مضفراً ومذيلا

كمحاولٍ لَمسَ السما ببنانه   أو مبتغيٍ للثريا موصلا

من علاءٍ البحرَ المحيط فرائداً   أو يابس الشمس الضياء المجتلا

عظمَ المقام عن المقال فمالنا — الا الدعاءُ ونرتجي ان يقبلا
حاشا يرد عزيز مصرٍ مادحاً — أضحى على أبوابه متطفلا
ثم الصلاة مع السلام على الذي — بمديحه الذكرُ الحكيم تنزلا
والآلُ والاصحابُ مع ذوصبوةً — أضحى بروضات الحمى متنزلا
أوما أمين الحب قال مؤرخاً — عرج أخا البأساء نحو بني العلا

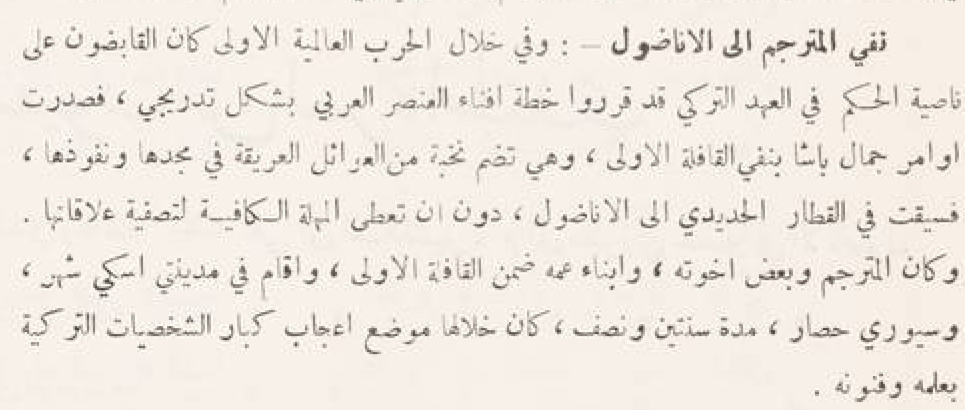
المنفيون من اسرة الجندي

المرحوم ابو الخير بن محمد الجندي وعائلته	— نفي الى اسكيشهر ، ثم الى سيوري حصار في الاناضول
« سليمان بن محمد الجندي وعائلته	— » » » » » »
« خالد بن محمد الجندي وعائلته	— » » » » » »
« جودت بن محمد الجندي	— اعتقل في مصر من قبل السلطات الانكليزية مدة الحرب
« رفعت بن محمد الجندي	— » » » » » »
« رشيد بن حسين الجندي وعائلته	— نفي الى باليكسر في الاناضول وسيق الى الجندية
السيد رضا بن عبد الرزاق الجندي وعائلته	— سجن ثم نفي الى يالتا في الاناضول وسيق الى الجندية
« شكري بن حافظ الجندي وعائلته	— نفي الى مدينة كوتاهيه ثم الى باليكسر في الاناضول وسيق الى الجندية
« محمد سعد الجندي وعائلته	— نفي الى مدينة باليكسر في الاناضول وسيق الى الجندية
المرحوم توفيق بن محمد علي الجندي	— التحق بجيش الملك حسين خلال الثورة العربية الكبرى
السيد عبد العزيز بن محمد علي الجندي	— » » » » » » » »

ابو الخير الجندي

١٨٦٧ - ١٩٣٩

أصله ونشأته – : هو السيد ابو الخير بن محمد الجندي العباسي ، ولد في حمص سنة ١٨٦٧م ونشأ في حجر والده جامعاً لطارف مجده وتالده ، اخذ عن علماء زمانه ، ولما شب انتسب الى خدمة الدولة فتدرج في الوظائف العدلية والمالية والادارية ، واقام مدة طويلة في دمشق تبسم ثغر اقباله فيها .



نفي المترجم الى الاناضول – : وفي خلال الحرب العالمية الاولى كان القابضون على ناصية الحكم في العهد التركي قد قرروا خطة افناء العنصر العربي بشكل تدريجي ، فصدرت اوامر جمال باشا بنفي القافلة الاولى ، وهي تضم نخبة من العوائل العريقة في مجدها ونفوذها ، فسيقت في القطار الحديدي الى الاناضول ، دون ان تعطى المهلة الكافية لتصفية علاقاتها . وكان المترجم وبعض اخوته ، وابناء عمه ضمن القافلة الاولى ، واقام في مدينتي اسكي شهر ، وسيوري حصار ، مدة سنتين ونصف ، كان خلالها موضع اعجاب كبار الشخصيات التركية بعلمه وفنونه .



ومن الحوادث المعروفة ان المغفور له الملك حسين ، لما رأى قافلة الشهداء الثانية من زعماء العرب تعلق على اعواد المشانق بدمشق ليلة ٥ - ٦ مايس ١٩١٦م وادرك نوايا الاتراك نحو العرب قام بالثورة العربية في منتصف شهر حزيران ١٩١٦م فاضطر الاتراك للتوقف عن تنفيذ خطتهم الافنائية ، وانشغلوا باخماد الثورة التي كانت تزداد لهيباً وضراماً ، وصدر العفو عن الشيوخ والاطفال بالعودة الى اوطانهم ، وفي خلال فترة انسحاب الجيش التركي ، كان الفقيد رحمه الله بطريقه الى وطنه .

ومن المحقق انه لولا قيام الملك حسين ، الذي ضحى بعرشه في سبيل القومية العربية وصدق مبادئه ، لقضى الاتراك على مائتي الف عائلة سورية لبنانية ، كان من المقرر نفيها وتشريدها في الاناضول .

تعيينه متصرفاً لحوران – : وبتاريخ ٢٥ مايس سنة ١٩٢٠ م عين متصرفاً لحوران ، وفي عهده وقعت مذبحة خربة الغزالة المروعة التي اسفرت عن مقتل المرحومين علاء الدين بك الدروبي رئيس مجلس الوزراء ، وعبد الرحمن باشا اليوسف .

وفي سني ١٩٢٣ - ١٩٢٤ - ١٩٢٥ م مثل حمص في المجلس التمثيلي .

متصرفية الفرات – : وبتاريخ ١٧ تموز ١٩٢٩ م عين متصرفاً لدير الزور وكانت محافظة الجزيرة منضمة اليها في ذلك الوقت وبقي فيها حتى احيل الى التقاعد بتاريخ ٢١ آذار ١٩٣١م .

مؤلفاته – : كان شاعراً متقناً ، وله ديوان شعر مخطوط ، ومؤلفات مخطوطة في العقائد والاخلاق والادب والتاريخ . وله موشحات كثيرة منتشرة في الاقطار العربية ومحفوظة من قبل اهل الفن .

وفاته – : مرض الفقيد اثر اصابته بنزلة صدرية حادة ، وفي يوم الخميس التاسع من شهر كانون الاول ١٩٣٩م لبى نداء ربه ، ودفن بمقبرة عائلته بجوار الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه .

حسني الجندي
١٨٨١

هو ابن عبد الرزاق الجندي ، ولد في حمص سنة ١٨٨١م وتلقى دراسته الأخيرة في الآستانة ، وانتسب الى خدمة الدولة في وزارة المالية ، وخلال الحرب العالمية الاولى ، كان يشغل قائمقامية بعلبك وكالة .



وخلال هذه المدة ، وردت اليه برقية بالقبض على اسعد حيدر وولديه صالح وابراهيم حيدر ، ووشى به رئيس شعبة تجنيد بعلبك ، بأنه لم يهتم بنصب الاعلام والزينات بمناسبة عيد الحرية التركية ، فاحيل الى الديوان العرفي العسكري بدمشق ، وحكم عليه بالطرد من الوظيفة ، والحبس سنة ، وسوقه الى جبهات القتال ، فاستبدل محكومية الحبس بالمال ، ودفع البدل العسكري ، ثم عاد الى حمص ينظر الى الاحداث بعين اليقظة والحذر ، بعد ان نفي شقيقه السيد رضا وعائلته الى الاناضول ، وعزّ عليه ما اصاب أبناء عمه من نفي وتشريد ، وارهاق وتنكيل ، فتجمل بالصبر ، حتى شاءت الاقدار ، فأختير رئيساً لبلدية حمص ، في ذلك العهد العصيب الرهيب ، فكان الآمر المطاع لدى قواد الجيش التركي ، واكثرهم ينتسبون الى الجمعية الماسونية ، وهو يحمل أعلى الرتب فيها ، فحما من نجا من افراد الاسرة من النفي ، بنفوذه وعطفه من كل سوء ، وحال دون الاتراك وما يبتغون من قطع اشجار البساتين العائدة الاسرة لتأمين تسيير القطارات الحديدية في ايام الحرب .

وفي عهد وجوده رئيساً لبلدية حمص ، التحق ابن عمه الضابط توفيق الجندي في جيش الملك حسين في الحجاز ، ثم عقبه شقيقه الضابط عبد العزيز الجندي ، فأبرق فخري باشا ، قائد الجيش في المدينة المنورة ، الى جمال باشا يخبره بذلك ، فأمر السفاح جمال بنفي جميع افراد العائلة الى الاناضول ، فتوسط صاحب هذه الترجمة ، لدى متصرف حماه ، علي كمال بك ، ثم مع الوالي تحسين بك في الامر ، فكان لحكمته ولباقته وقوة منطقه ابلغ الاثر في الحيلولة دون هذه النكبة ، واكتفى بنفي والدة الشقيقين الضابطين الفارين من الجيش التركي الى الاناضول ، وامهلت للاستعداد للسفر ، وفي هذه الفترة ، ابتكر المترجم ، بأنها قضت نحبها من شدة الحزن والالم ، وانطلت الحيلة على المسؤولين ، بفضل دهائه وحسن تدبيره .

وبعد خمسة عشر يوماً ، وردت برقية من جمال باشا ، وكان آنئذ في القدس الى والي دمشق بنفي حسني الجندي الى (قركليسا) وان اقرباؤه قد نفوا ، وتركوا رأس الافعى ، وقد وشى به المكتوبجي نوري بك ، وهو تركي كان له التأثير بالحكم عليه بالطرد

من الوظيفة والسجن ، فقابل الوالي تحسين بك ، واستطاع ان يدفع الاذى عنه ، فلم ينفذ قرار نفيه ، وكان الوالي قوي الارادة ، مدعوماً بنفوذ من المقامات العليا ، وهو الذي سعى بنقل جمال باشا من سورية ، بعد ان اثبت للمسؤولين خراب البلاد بسبب ادارته الهزيلة وتصرفاته وحمقه.

ثم عين مفتشاً عاماً في وزارة المالية وبقي فيها الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٣٣م قبل ان يبلغ السن القانوني بعشر سنين، اقترن سنة ١٩١٤م في السلط ، وانجب السيد قحطان وكريمتين .

شكري الجندي
١٨٨٤

هو ابن المرحوم حافظ بن عبد الرحمن الجندي ، ولد في حمص سنة ١٨٨٤ م وتخرج من جامعة الحقوق في استانبول سنة ١٩٠٨ م بتفوق ونجاح .

كان في عداد شباب العرب الذين اسسوا جمعية النهضة العربية في الآستانة سنة ١٩٠٧م وكان رئيسها الاستاذ محب الدين الخطيب الدمشقي ، وكان المترجم خازناً لها ، ومن اعضائها السادة صبحي حيدر ومظهر رسلان ونجيب الشهاب ، والشهيد الامير عارف الشهابي ، وقد استمرت في مهمتها مدة سنتين ، وتحول اسمها بعدئذ الى جمعية النهضة السورية ، وانضم اليها السادة لطفي الحفار ، وسامي العظم ، والقاسمي .

في سنة ١٩٠٨ م اشترك بتأسيس جمعية الاخاء العربي في استانبول ، اثر ظهور نية الاتراك بتتريك العنصر العربي ، وكان الامين العام ندره المطرن من بعلبك ، وانضم اليها زعماء جميع العرب الموجودين في استانبول ، وكان رئيسها الشهيد شفيق بك المؤيد العظم ، ومن اعضائها شكري باشا الايوبي ، وعارف بك المارتيني ، والى سورية المعروف .

وعلى اثرها اتفقت القوميات ، واصدرت جرائد بأسماء شعوبها ، ومن جملتها جريدة الاخاء العربي ، وكان محررها ابراهيم النجار ، وبسبب اقبال الشباب على الانضواء تحت لواء هذه الجمعية ، اصدرت الحكومة العثمانية اذ ذاك سنة ١٩٠٩م قراراً يمنع تشكيل الجمعيات العنصرية باسم الاقوام ، مما اضطر هيئة ادارة الجمعية ، لان تبدل اسمها العربي باسم جمعية الاخاء العثماني ، وسميت جريدتها بهذا الاسم .

وعند مجيء النواب السوريين للمجلس النيابي الاول ، وقيام الشباب باعداد استقبال شعبي للنواب ، الذين كان منهم نافع باشا الجابري ، وشفيق بك المؤيد العظم ، وعبد الحميد الزهراوي ، ورشدي الشمعة وغيرهم . مما اوجس قلق الحكومة التركية التي اخذت تراقب النواب وعلاقتهم بجمعية الاخاء العثماني ، فاضطر الشباب بايعاز من الشهيد الزهراوي واخوانه بتأسيس حديقة الادب العربي ، التي تحوّل اسمها بعد مدة قليلة الى المنتدى الادبي ، وذلك لابعاد شبهة النواب في الشباب ، وظلت الجريدة تصدر بتحرير السيد الزهراوي وفتح الله محسن ، وقد رؤي من المناسب تصحيح مبادىء جمعية الاخاء العربي في الجزيرة العربية ، فانتدب محب الدين الخطيب الى اليمن ، بوظيفة كترجمان في القنصلية البريطانية ، وانتدب المترجم شكري الجندي الى الحجاز لتأسيس

مدرسة علمية وذلك سنة ١٩٠٩ م ومكث في جدة عشرة اشهر لهذه الغاية ، كان خلالها يدير المدرسة المعروفة بمدرسة الفلاح الى اليوم ، التي كان يتولها الشيخ علي زينل .

وكان المترجم يقوم بعد الظهر بوظيفة مستنطق في محكمة البداية ، فأخذ يبث الفكرة العربية في جده ، واتصل بأمير مكة الحسين بن علي ، وطلب منه اعانة للمدرسة ، فسمح لهم بقسم من مخصصاته التي كان يتناولها من المسافرين من جده الى مكة ، واتصل به في موسم الحج ولقي منه ترحيباً لقيامه بهذه المهمة ، واثناء وجوده في جده عيّن صادق باشا المؤيد متصرفاً وقائداً لجدة ، وما ان اخذت بوادر النشأة العربية ، حتى اخذ مكتب الاتحاد والترقي الموجود في جده يراقبه ، وتمكن من الحصول على امر من مركز الجمعية في سلانيك باعتقاله وسوقه مخفوراً الى سلانيك ، مما أقام أهالي جده واقعدهم ، وشكلوا وفداً لمقابلة المتصرف واحتجوا لديه على شيوع هذا الخبر ، الذي فهم منه ان الغاية من ابعاده عن المدرسة اغلاقها ، وهي المدرسة الدينية الوحيدة التي تقوم بانشاء النشء الجديد ، حتى صرح وكيل بيت الامارة محمد حسين ناصيف ، بأن اهالي جدة على استعداد لانقاذه من دائرة الشرطة بالقوة ، فيما اذا اقدم على هذا العمل ، ثم تدخل المشير عبد الله باشا ، والشريف حسين بالموقف واصدروا امرهما بعدم التدخل في شؤون المدرسة ومديرها تفادياً من نقمة الاهلين وسوء ظنهم بالمعارف ، فابطل مفعول الامر الوارد من سلانيك وبقي المترجم في جده الى آخر شهر آب سنة ١٩٠٩م حيث عاد الى حمص ، وقد عهد اليه بتدريس التاريخ العام في مدرسة الاتحاد الوطني ، واذ ذاك وردت برقية من وزارة العدلية بتعيينه مدعياً عاماً في لواء الحديدة في اليمن فرفض .

وفي ٢٥ نيسان سنة ١٩١٠م اسس مكتباً للمحاماة بدمشق وعين وكيلا للخزينة السورية العامة .

وفي عام ١٩١٤م أنتخب لاول نقابة محاماة أسست في دمشق ، وذاعت شهرته العلمية كحقوقي متشرّع .

نفيه - : وفي عام ١٩١٦م نفي مع عائلته الى (كوتاهية) في الاناضول ، بداعي انه من اعضاء الجمعية الاصلاحية ، التي ينص برنامجها على اجراء اصلاحات تتعلق بأن تكون المرافعات امام المحاكم باللغة العربية ، وان تكون ادارة البلاد العربية على اساس اللامركزية ، وبعد اقامته في كوتاهية اولاً ، ثم في باليكسر ثانياً ، دعي الى الخدمة العسكرية في تشرين من عام ١٩١٨م برتبة ضابط احتياط ، وخدم اذ ذاك لمدة ثلاثة عشر شهراً في احد مراكز التعليم في الآستانة .

فراره من الجندية - : وفي اسبوع الاحتلال بالآستانة عقب الهدنة فرّ من الجندية ، وبعد الاحتلال وعلمه بتشكيل دولة عربية في سورية عاد الى حمص ، بتاريخ ١٩ كانون الثاني سنة ١٩١٩م حيث عين رئيساً لمحكمة البداية باسم حاكم منفرد في حمص ، واظهر من الكفاءة والنزاهة والوطنية ما دعمت مكانته البارزة .

جهاده - : وفي عام ١٩٢٠م اشترك في ثورة تلكلخ ، ضد الفرنسيين التي انتهت باحتلال البلاد السورية ، وفي عام ١٩٢١م اقترح عليه بالانتقال بوظيفة نائب عام استئناف حلب فآثر الاستقالة ، واشتغل بالمحاماة في مدينة حمص حيث كانت بدأت النهضة السورية ضد حكومة الانتداب ، فاعتقل عام ١٩٢٣م لمدة ثلاثة اشهر في بيت الدين (لبنان) وكان رفيقه بالاعتقال عبد الحميد كرامي الطرابلسي ، بداعي انهما كانا من مؤيدي خلافة الملك حسين .

وفي عام ١٩٢٥م حيث اشتدت الثورة السورية ، اعتقل في جزيرة ارواد مع شقيقه راغب ونورس وابن اخيه توفيق الجندي وكانوا برفاقة هاشم الاتاسي وشقيقه مظهر وابن عمه وصفي ومظهر باشا رسلان واخيه ورفيق وسعد الله الجابري ، والحاج ربيع المنقاري ، وطاهر الكيالي من حلب ، وعثمان الشرباتي من دمشق ، وبعد مرور شهرين على اعتقاله اخلي سبيله مع رفاقه ، وبقي راغب وتوفيق ونورس مدة شهر آخر في ارواد .

وفي عام ١٩٢٦ م على اثر توسع الثورة السورية وشمولها سهول حمص وجبال شمالي لبنان وجبل الزاوية ، اعتقل مع اخيه السيد نورس في الثكنة العسكرية بزعم انه كان شريكا في اعمال الثورة داخل مدينة حمص ، التي قام بها نظير النشيوتي وخيرو الشهلا ، ثم اطلق سراحه على ان يبقى مقيماً اقامة اجبارية في حمص .

في المجلس التأسيسي - انتخب عام ١٩٢٨ م نائباً في المجلس التأسيسي السوري ، وبعد حل المجلس التأسيسي على اثر رفضه قبول المواد الست التي اراد الفرنسيون ضمها الى الدستور ، وفي تلك الاثناء دعاه المفوض السامي الموسيو (بونسو) مع لفيف من النواب ، وكانت نتيجة الاجتماع معه شخصياً بواسطة الموسيو (موغرو) امين سر المفوضية ، بأن يلقي خطاباً في آخر جلسة من جلسات المجلس يحبذ فيها قبول المواد الست ، على ان يكلف بتشكيل وزارة بواسطة النائب وديع الشيشكلي ، فرفض وانحل المجلس ، وفي الحرب العامة الثانية سنة ١٩٣٩ م احتل الفرنسيون داره واسكنوا فيها الجنود . واسس الجمعية الخيرية وكان رئيساً لها مدة ونائباً وعضواً فيها زهاء اثنتي عشرة سنة .وقد عين عضواً في بلدية حمص ، ثم عضواً في مجلس المحافظة عام ١٩٣٧ م .

توفيق الجندي
١٨٨٨ -- ١٩٥٨

هو المجاهد الوطني توفيق بن محمد علي ، بن عبد الرحمن الجندي ، ولد في حمص سنة ١٨٨٨ م وتخرج من الكلية الحربية في الآستانة سنة ١٩٠٧ م متخصصاً في الاعمال الهندسية ، وعين في سلانيك ضابطاً لمحافظة على السلطان عبد الحميد المخلوع . وقد اشترك بالحرب البلقانيه عام ١٩١٢-١٩١٣ م .

وفي الحرب العالمية الاولى كان مفتشاً للقطعات الشقيقة في الجيش الرابع برتبة رئيس

جهاده - خاض معارك فلسطين وأصيب بجرح في رجله ، ثم التحق بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٧ م وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ م . دخل دمشق مع الجيش العربي بقيادة الملك فيصل الأول .

وفي عام ١٩٢١ - ١٩٢٢ كان معاوناً لقائد اللواء في درك حمص ، ثم سرح من الخدمة وتقاعد.

نفيه - وفي عهد الانتداب الفرنسي اعتقل مع اعمامه السادة راغب وشكري ونورس الجندي ونفي سجيناً الى قلعة ارواد ، مع اخوانه السادة هاشم ومظهر الاتاسي ورفيق ومظهر باشا رسلان ، وغيرهم بداعي مؤازرتهم الثورة الوطنية .

لقد اشتهر بمواقفه العدائية ضد المستعمرين وتفانيه لقوميته العربية .

وافاه الاجل يوم الاربعاء في ١٧ كانون الاول سنة ١٩٥٨ ولم يعقب ولداً .

عبد العزيز الجندي
١٨٩٧



هو بن محمد علي بن حافظ الجندي ، ولد في مدينة حمص عام ١٨٩٧ م ، دخل خلال الحرب العالمية الاولى ، مدرسة الحقوق العثمانية بدمشق ، وفي مطلع عام ١٩١٥ م دعي لخدمة العلم العثماني ، ودخل مدرسة الضباط فتخرج منها ضابطاً احتياطياً والحق بجبهة الدردنيل ، وبقي فيها حتى تم طرد الجيش الانكليزي منها.

وفي عام ١٩١٦ م الحق بخدمة الجيش الرابع العامل بقيادة جمال باشا السفاح في سورية والبلاد العربية .

ولما أعلن الملك حسين بن علي شريف مكة واميرها ثورته على الاتراك ، الحق بالحملة التركية المجهزة لتأديب الشريف

واولاده الخارجين على الحكم العثماني وفي المدينة المنورة اتصل بالكثيرين من رجال العرب ، منهم الدكتور محمود حمدي ، حمودة ، والدكتور المجاهد توفيق أحمد الانصاري ، فاتفق مع بعض الشباب العربي المتوثب ، أمثال الضباط شوكت العائدي ، وسمير الرافعي ، وحسني كوكش ومحمد حافظ آل معاز الحمصي ، وصمموا جميعاً على الالتحاق بخدمة الجيش العربي الحجازي ، فقامت قيامة القيادة العليا التركية ، فحكمت عليهم جميعاً بالاعدام ، ومصادرة اموالهم واملاكهم ، وبتشريد أهلهم وذويهم الى مجاهل الاناضول السحيقة ، ومنافيه النائية .

وعمل صاحب الترجمة في خدمة الجيش العربي ، وحضر المعارك التي نشبت على حدود المدينة ضد الاتراك ، ثم في عام ١٩١٧م الحق بخدمة الملك حسين ، وبعدها انضم الى جيش الملك فيصل ، واشترك في الحروب الفاصلة لفتح دمشق في منطقة معان والعقبة ، وعين رئيساً لديوان المفتشية العامة للجيوش العربية ، وتنقل في وظائف عسكرية اخرى ، ثم الحق بأمر قيادة منطقة حمص حين قامت الحركة المناوئة ضد فرنسا التي احتلت في حينها جبل لبنان وبلاد العلويين ، ونقل قائداً لمنطقة النبك ، وسرح من الخدمة اثر وقوع معركة ميسلون واحتلال دمشق ، وانصرف الى الجهاد السلمي .

ثم دخل مدرسة الحقوق العربية بدمشق عام ١٩٢٠ م وتخرج منها عام ١٩٢٣ م بشهادة من الدرجة الاولى وتعاطى المحاماة وفي عام ١٩٢٥ م وقعت الثورة السورية ، فاتصل بالقائد العربي فوزي القاوقجي ، حيث عملا سوية في دوائر اركان حرب الجيش العربي الفيصلي في سورية ، وتمكنت بينهما اواصر الصداقة ووحدة الغاية والعمل ، فتقرر القيام بحركة انتفاض على الافرنسيين في مدينة حمص وضواحيها ، وان يباشرها القاوقجي بقوته التي تعمل تحت امرته يؤازره نفر من شباب حمص ، فاتضح بعد التفكير ، ان مدينة حمص مكشوفة ، وعقدة مواصلات ، لاتصلح قط للقيام بأي عمل ضد الفرنسيين ، واثر ذلك التحق في بلاد عبر الاردن ، وعين مشاوراً عدلياً للجيش العربي الاردني ، فكان بحكم مركزه خير معوان للثورة السورية ورجالها العاملين ، وفي عام ١٩٢٨م عاد الى سورية واخذ ينشر مذكراته الرائعة في جريدة الف باء ، ومجلة الرابطة العربية بمصر ، ولما تم الجلاء دعي للخدمة في الجيش، وقام بواجبه في دوائر التجنيد في منطقة حلب الشمالية ، واستمر حتى بلوغه السن القانوني وخرج برتبة رئيس ونال بعض الاوسمة .

تشكيل المجلس العرفي الحربي

في اواخر سنة ١٩١٤ م أمر جمال باشا عقب وصوله الى سورية بتشكيل مجلس عرفي في عاليه ، وآخر في دمشق ، وأهمها شأناً ديوان عاليه في لبنان ليستخدمه في تنفيذ مآربه ضد احرار العرب ، وكان الديوان يتألف من هيئة تحقيق برئاسة الضابط (صلاح الدين) ، ومن هيأة قضاة يرأسها القائمقام شكري بك . وكانت الوثائق التي قام المجلس بتدقيقها على ثلاثة أنواع :

١ - الوثائق ٢ - الاعترافات ٣ - الاوراق التي وجدت في منازل قنصلي فرنسا في بيروت ودمشق .

لم يلتفت المجلس العرفي الى الافادات المبهمة ، ولا للمسموعات التي لم تكن قطعية المفاد .

اما الاعترافات ، فهي ما كتبه الشهداء في الافادات بخط ايديهم ، او بالاحرى ما كتب من قبل هيئة التحقيق ، ووقعه الشهداء رغم انوفهم .

وكانت احكام الاعدام تستند على أمرين : أولهما ، الانتساب الى احدى الجمعيات العربية ، والثاني : الرسائل السياسية التي اختلق الاتحاديون بعضها ، وعزوا البعض الاخر الى زعماء الاحزاب العربية .

اما الرسائل التي اختلقها الاتحاديون ، فلم ينشروا صورها الزنكوغرافية ، كما فعلوا بالرسائل الاخرى ، لأنها مكتوبة بخط أيديهم ، وبلغة تركية ، اكثر منها عربية .
وكذلك الرسائل التي عزوها الى بعض الاحزاب العربية ، فيرجع تاريخها الى ماقبل اعلان الحرب العالمية الاولى بأعوام ، وقد نشروا صورها الشمسية في صحف سورية ، ولكنهم حذفوا منها كل ما يظهر حقيقة رأي الكاتب المؤرخ ، مدعين أن ماحذفوه يمس حلفاء الدولة ، وقد أمعنوا فيها حذفاً وتحريفاً وتشويهاً ومسخاً ، بشكل لم يتركوا فيها الاعبارات متقطعة لارابطة بينها ، ولاتفيد المعنى ، المقصود ولم تكن هناك جلسات علنية ، ولا مرافعات ولا دفاع بالمعنى القانوني ، بل كان القضاة يسترشدون بتوجيه السفاح جمال باشا نفسه ، فكانت الكفاءة وعدمها هي القاعدة الاساسية في اصدار الاحكام .

تهمة اللامركزية

اعتمد الاتراك في احكامهم على الشهداء ، على اوراق الجمعية اللامركزية ، والجمعية القحطانية ، والجمعية الثوروية ، وكانت وثائقها محفوظة لدى السيد حقي العظم ، كما اعتمدوا على ما وجدوه في القنصليتين الفرنسيتين في بيروت ودمشق من وثائق ، وما عدا ذلك فانهم لم يوفقوا الى اكتشاف أية جمعية من الجمعيات العربية السرية الكثيرة التي كانت تعمل في تلك الايام .
وكانت قد تجمعت لدى جمال باشا معلومات كافية عن الجمعيات العربية السرية ، وخاصة عن الجمعية اللامركزيه ، فأصدر أمره في اواخر شهر حزيران سنة ١٩١٥ م باعتقال رجال القافلة الاولى من الشهداء وسوقهم الى المجلس العرفي الحربي في عاليه ، اذ لم يجد وسيلة يخفف بها من وقع الهزيمة على نفسه ويحوّل بها اهتمام الناس عنها سوى الفتك بالاحرار العرب .

احكام الديوان العرفي

أثر وصول جمال باشا الى سورية في اواخر سنة ١٩١٤ م كان أول ما اهتم به تشكيل المجلس العرفي في عاليـه ، لمحاكمة المتهمين بالقضايا السياسية من رجالات العرب ، فكان آلة مسخّرة بيد السفاح جمال ، وكان يتألف من هيئتين : الاولى هيئة تحقيق يرأسها الضابط صلاح الدين ، والثانية : هيئة قضاة يرأسها القائمقام شكري بك .
كانت المحاكمات الصورية الهزيلة الهازلة في عاليه ، فضيحة من فضائح الديوان العرفي ، الذي كان يتلقى الاوامر في التجريم قبل اعداد القرارات واعلانها ، كان هذا الديوان يصدر احكامه وفاقاً لمشيئة جمال باشا ، وكان اعضاؤه يكتفون في الغالب بدرس نفسية المتهم واخلاقه واطواره ، فان تبينوا أنه من الاذكياء الذين يخشى جانبهم ، اشاروا الى ذلك بجانب اسمه ، فيأمر السفاح جمال باعدامه للتخلص منه .
لقد كانت الكفاءة وعدمها ، القاعـدة الاساسية في اصدار الاحكام بالنسبة لأكثر المتهمين . ومعظم الذين نجوا من قبضة الديوان العرفي . هم الذين تظاهروا بالبله ، او انكروا نسبتهم العربية ، او قدموا هدايا ثمينة لرجال التحقيق ، فشهدوا ببلاهتهم ، واستعمل فريق وسائط اخرى للخلاص من شر الديوان المذكور .

اعتراف رئيس الديوان العرفي

لقد اعترف شكري بك رئيس الديوان العـرفي بنفسه ، بعد انفضاض الديوان ، ان الحكم في قضية قافلة الشهداء الثانية ، قد عدّل أربع مرات بأمر جمال باشا ، فكان في كل مرة يخرج اناساً من قائمة المعدومين ، ويدخل غيرهم ، وفي ٥ مايس سنة١٩١٦م

اي قبل الاعدام بيوم واحد فقط ، اتخذ القرار شكله النهائي ، وارسل للتنفيذ ، ويتضح من اقوال شكري بك ، ان الغاية من تأليف الديوان العرفي ، كانت لمقاومة النهضة العربيـة ، بالقضاء على نوابغ العرب ، سواء اكانوا منتسبين لأحزاب وطنية ، او جمعيات سرية ، او غير منتسبين ، وسواء أعثرت الحكومة على وثائق تتسامح بها وتتخذها وسيلة لأعتقالهم والبطش بهم ، ام لم تعثر ، بل كانت المحكمة العرفية تلجأ الى طريقة ثانية لاعتقال من يريدون الفتك به ، ولا يجدون وثيقة مخطوطة تدينه ، وهذه الطريقة تتجلى الوحشية والفظائع فيها بأجلى مظاهرها ، وهي ارهاق الناشئة ، واستعمال اشد انواع التعذيب والترويع مع المعتقلين لاكراههم على الافتراء وشهادة الزور ، على من لا يجدون سبيلا لادانتهم والحكم عليهم ، إلا بتلفيق شهادات المكرهين على تزويرها ، كما فعلوا مع الشهداء : رفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وعبد الغني العريسي .

ملاحظات علي فؤاد باشا

إن كثيراً من رجال الاتراك ، حتى الذين كانوا في صحبة جمال باشا ، انكروا عليه اعماله ، ومن جملة هؤلاء علي فؤاد باشا الذي تولى رئاسة اركان حربه ، وكان عند نشوب الحرب العالميـة الاولى ملحقاً عسكرياً في باريس ، فاستدعته الحكومة العثمانية ليتولى رئاسة اركان حرب جمال باشا ، باعتباره سيعمل في الشؤون السياسية ، لا بالشؤون العسكرية ، ولكن هو الذي يجب ان يهتم بها ، وقد وضع مؤلفاً بعنوان « من باريس الى صحراء التيه » أودعه فصلاً بعنوان (الحجاز) وقد ذكر في هذا الفصل ، الاسباب التي ادت الى الثورة العربية ، فقدّم من جملتها ما سماه بمظالم جمال باشا ومغارمه ، ووصف الاساليب التي كان الاتراك يرغبون في استعمالها ومعارضته لها ، وقد روي عنـه : ان علي فؤاد باشا قد راجع شكري بك رئيس الديوان العرفي الحربي في عاليه ، ونبهه الى هذه الشؤون ، فأجابه : انه ليس لديه سبب يحكم فيه باعدام احد ، ولكن جمال باشا ارسل اليـه قائمة بأسماء الاشخاص الذين يجب ان يعدموا .

وقد عاد علي فؤاد باشا الى بحث الموضوع ، بتفصيل اكثر في مذكرات كان ينشرها في جريدة (دنيا) التركية لصاحبها (فالح رفقي) خلال سنتي ١٩٥٢ — ١٩٥٣ م وذكر كيف انه انتهز فرصة زيارة رؤوف بك قائد المدرعة حميدية ، واراد ان يستعين به لحمل جمال باشا على العدول عن مناهجه ، فقام بما طلب منه ، ولكنه خرج من اجتماعه مع جمال باشا غاضباً يدعو الله ان ينتقم منه بسبب عناده وطغيانه .

الخوري يوسف الحايك

١٨٦٩ - ١٩١٥

ولد هذا الكاهن في سن الفيل (لبنان) في ٢ ايار سنة ١٨٦٩ م وأتم دروسه الكهنوتية ، اتهم براسلة الحكومة الفرنسية ، فقد صادرت الحكومة التركية رسالة وردت اليه من رئيس المجلس النيابي الفرنسي يشكره فيها على المعلومات المتعلقة بأحوال سورية وأوضاعها ، وقد قبض عليه في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩١٥ م وسيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه ، وبقي في السجن مدة ثلاثة اشهر مكبلا بالحديد يقاسي العذاب والارهاق .

وقد حكم عليـه بالاعدام ، وسيق يوم ٢٢ اذار سنة ١٩١٥ م الى دمشق ، واعدم شنقاً في ساحة المرجة ، ودفن بمقبرة الموارنة بدمشق ، وكان ذا عائلة واولاد .

اخلاص العرب

وفي هذه الفترة الرهيبة أبرمت جمعية الفتاة السرية قراراً في دار شكري باشا الايوبي بدمشق ، في شهر مارت سنة ١٩١٥ م بوقوف العرب الى جانب الدولة ، وتعليق مطالبهم الى نهاية الحرب ، وكان الرد أن جاء جمال باشا وقام بالبطش .

وبديهي ان رجال هذه الجمعية ، لم يعمدوا الى ايقاد ضرام الثورة العربيـــة الكبرى ، الا بعد قنوطهم من كل احتمال للتفاهم مع الاتراك .

وهكذا يتضح للملأ ، ان لا علاقة للثورة العربية ، التي اندلعت نيرانها سنة ١٩١٦ م بالوعود الخادعــة التي قطعها الانكليز للشريف حسين ، بل كانت ضريبة الدم ، لبعث السيادة القومية العربية .

نخله باشا المطران

١٨٧٥ - ١٩١٥

اصله ومولده — : انحدرت اسرة آل (المطران) من اصل غساني من بطن يعرف (بأولاد نسيم) وقـــد استوطنت بعلبك ، وفي سنة ١٦٣٨ م ، سيم على بعلبك مطران من اولاد نسيم اسمه (ابيفانيوس) كان يقضي شؤون الناس فعرف بيته بـ (بيت المطران) ولقبت الاسرة بهذه الكنية ، وقد أنجبت اسرة المطران طائفة من اهل العلم والفضل والادب ، وقد اعتمد امراء آل حرفوش وهم حكام بعلبك على هذه الاسرة فجعلوا من بعض افرادها كتبة ومستشارين لهم .

ولد الشهيد نخلة باشا في بعلبك سنة ١٨٧٥ م وهو ابن حبيب باشا بن يوسف المطران ، وتلقى دراسته في المدرسة البطريركية في بيروت ونال شهادتها النهائية بالعلوم واللغات العربية والفرنسية ، واقام في دار والده يتعاطى اشغال بيته ، وقد كانت تعم قضاء بعلبك ، ثم انتقل الى باريس حيث كان يلاحق مشاريع تجارية درّت عليه ارباحاً طائلة .

مكانته الاجتماعية — : كان رجلا رزيناً فذاً في تصرفاته الحكيمة ، ذا مكانة بارزة ووجاهة عريقة ، فأكرمته الدولة العثمانية برتبة البشوية أثر خدماته الموفقة بحل المشاكل التي كانت تعكر جو السلم بينها وبين فرنسا .

وقد اشترك في باريس بالمؤتمر العربي الذي عقد في باريس سنة ١٩١١ م لطلب اللامركزية والتحرير للبلاد العربية .

رحلته الى امريكا — : وفي عام ١٩١٢ م قام برحلة الى امريكا الشمالية (نيورك) لتعقيب اشغال تجارية ، فاستقبلته الجالية العربية بحفاوة لائقة ، وخلال رحلته هذه أسس النادي السوري الذي لا يزال الى اليوم يضع صورته في صدر قاعته اعترافاً بفضله ، ثم عاد الى باريس ومنها الى الآستانة وفيها تشكلت الجمعية العربية المطالبة بالتحرير ، وكان احد اعضائها البارزين .

عودته الى وطنه — : عاد الى بلده سنة ١٩١٢م واخذ يمهد سراً لتحرير وطنه ، ولما وقعت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م ازمع على مجابهة الدولة العثمانية باعلان الثورة بمعاونة اقطاب المنطقة في بعلبك والهرمل .

اعتقاله — لقد انفضح السر وخانه الحظ ، فقبض عليه في دمشق ، حكم عليه بالسجن المؤبد لاتهامه بخيانة الوطن لمحاولته ، الحاق بعلبك في لبنان وجعلها تحت الحماية الفرنسية ، وهي تهمة سخيفة لا تستحق الحكم بسجنه مؤبداً ، ومن ثم اغتياله بصورة وحشية .

تشهيره — : وفي ٦ كانون الثاني سنة ١٩١٥م تلى عليه والي سورية خلوصي بك قرار الحكم بالسجن المؤبد ، وقد قامت

السلطات التركية بتشهيره ، فأركبوه عربة خرقت فيه الأحياء والاسواق في دمشق بشكل وحشي ، لا يصدر الا عن الاتراك الذين اشتهروا بالنذالة وارتكاب الفظائع ، ومروا فيه من فندق دامسكوس بالاس الذي كان يقيم فيه السفاح جمال باشا ، فأطل وشاهد منظر التشهير ، وهكذا كافأ السفاح جمال ، نخلة باشا المطران الذي طالما أحسن اليه فأجاره وحماه مع طلعت وجاويد يوم قيام الثورة على الاتحاديين بالآستانة في بيته الذي كان محجة العظماء والادباء والفضلاء ، ثم سجن في قلعة دمشق في قبو مظلم رطب ، مدة ثلاثة اشهر ، وبعد ان قضى (٢٥) يوماً في السجن سمح لاهله بزيارته من بعيد .

الاغتيال - : قضت السلطة التركيـة بنقله من سجن قلعة دمشق الى ديار بكر الحصينة ، فأقله القطار الى محطة رياق ومنها الى حلب ، فتل الابيض ، وكانت الخطة تقضي بنقله الى اورفا ومنها الى ديار بكر ، غير ان الضابط الموكل على حراسته اوعز الى جنديين بأخذه الى مكان بعيد ، وهناك اعدم رمياً بالرصاص ، وعادا فأخبرا الضابط بأنه حاول الفرار فقتل ، ثم امرهما بتقطيع الجثة فألقياها في بركة ماء وكان ذلك في الربع الاول من شهر نيسان ١٩١٥ .

لقد أغتيل الشهيد نخلة باشا والدكتور الشهيد عزة الجندي في فترة متقاربة ، وذلك لان الاتراك لم يجاهروا آنئذ بالفتك برجالات العرب على نطاق واسع ، الا بعـد ان فوّض السفاح جمال باشا بالصلاحيات الواسعة ، لذا عمد الى خطة الاغتيال في بـادىء الامر .

وبينما كان نخلة باشا يساق ليلاقي حتفه اغتيالاً ، كانت عائلته بطريقها الى المنفى بجهات الاناضول .

كيف اتصلت اسماء الشهداء بالاتحاديين

اللجنة اللامركزية بالقاهرة تفاجأ بطلب اسماء وكلائها في البـلاد ، فتقوم المشادة بين رفيق العظم والشيخ رشيد رضا وحقي العظم على تسليمها أو عدمه ، وقد قال المرحوم ابراهيم النجار عضو اللجنة التنفيذية في الجمعية اللامركزية :

سرت في فضاء هذا الوطن في العقد الثاني من هذا القرن نغمة من نغمات الالهام أوحت الى النفوس حب التضحية والاستشهاد حتى النهاية ، فتجاوزت تلك النفوس الكريمة حد البشرية لتقرب من حد التأليه وتجردت من كل مطامعها ورغائبها الدنيوية ، الا رغبة واحدة هي السمو بفكرة الوطن الى اعلى طبقات الخيال حيث تمتزج بالدين . فبعة الوطن جزءاً متصلا بالخلود ، ويظل الى الابد لامعاً مشرقاً مضيئاً يهدي الوطنيين في هذا الوجود الى صراطهم المستقيم .

ولقد اجتاحت جميع الاديان وجميع الاوطان في تأسيسها الى هذه النغمة العلوية ، فكانت الهاماً وهب فيه الخالق مخلوقه اسمى مقامة ، فكان العمل وحياً ، وكان العامل رسولا وشهيداً .

أصدر جمال السفاح هذا الذي قال له ذات يوم طلعت بك سنة ١٩١٠ م من جراء قضية قذرة كضميره (لو انفقنا جميع القروض التي عقدناها لستر شرورك وآثامك لما كفتنا هذه القروض) .

اصدر كتابه عن شهداء القضية العربية ، فلم يل الكذب والرياء والافتراء على قلم ما أملته هذه الغرائز الشريرة على قلم واضع ذلك الكتاب ، فكان سواد نيّة كاتبه والموحي به شراً من سواد مداده ، ولقد كان يجوز ان يتهم الشهداء بالخيـال والهوس واندفاع الشباب ، الا الخيانة التي طهروا منها ، فكيف القول عنهم رحمهم الله انهم كانوا عمال الاجنبي في بلادهم .

ان مرور هذه التهمه في خاطر ، تجديف على الحقيقة والتاريخ وافتراء على هؤلاء الشهداء الابرار في مراقدهم الطاهرة ، فلقد كانوا بادىء بدء دعاة حق ، فجعلهم عناد الاتحاديين السياسي دعاة اللامركزية في اقل من سنتين ، ثم تحولت هذه اللامركزية في نفوسهم الى طلب استقلال داخلي محدود ، ولم يتجاوزوا فيه هذا الحد ، اللهم الا افراداً من غلاتهم كانوا يقولون في بعض ساعات

الاستياء والانفعال النفسي بالاستقلال التام الذين كانوا لا يعتقدون بامكان تحقيقه ويبحثون مع المرحوم رفيق العظم من سوء نتائجه التي تعالج البلاد في هذه الايام شر أوضاعها .

كان القرن الماضي قرن تفكك وتكون ، انفك فيه اليونان وصقالبة البلقان عن تركيا ، امة بعد امة ، وهم جماعة الارمن بالسير على اثرهم منذ سنة ١٨٥٠ م فغرقوا بدماء ابنائهم في ثوراتهم المتعددة ، وشاءت الأقدار للعرب في الربع الاول من هذا القرن ان ينفكوا عن الترك الذين ارتبطوا بهم اربعة قرون ، فهل يرى العرب في منتصفه تكوّن وحدتهم ، وتحقق الامة العربية في ختامه ما صبت اليه وما حققته الامة اليونانية وامم الصقالبة في ختام القرن الماضي وفي صدر هذا القرن الجديد .

اعلن الدستور في صيف سنة ١٩٠٨ م على ايدي ضباط الجيش العثماني من ترك وعرب والبان ، ولما كان ضباط الترك يجهلون البلاد العربية ولغتها ، عهدوا الى اخوانهم من ضباط العرب بتأسيس شعب جمعية الاتحاد والترقي في الولايات العربية ، فقام اولئك الضباط بأعمالهم خير قيام ، غير ان الحسد تأكل قلوب بعض ضباط الترك وخافوا عقبى استقواء الضباط العرب في بلادهم ، بعد ان اصبحوا فيها ذوي فتوة ، ففكروا بنقلهم منها فلم تمض ستة اشهر على اعلان الدستور حتى نقل (٦٠) من اولئك الضباط من ابناء العرب وغيرهم ، حتى رأينا اربعين ضابطاً من كبارهم في فروق استدعتهم وزارة الحربية اليها من مراكزهم وتركتهم شهوراً يطوفون في شوارع الآستانة دون عمل قبل ان تلحقهم تلك الوزارة بقطعات الجيش المقيمة في مقدونيا او الاناضول فلم يدع هـذا العمل ضباط العرب الى الارتياح فتذمروا وشكوا منه . ثم اتبع الاتحاديون فكرة اقصاء ضباط العرب عن بلادهم واقصاء الموظفين الملكيين عنها في الدوائر المختلفة فتفتحت العيون وتنبهت العقول في البلاد العربية وفي اقل من سنة بلغت حركة الاستياء درجة تنذر بالخطر ، فحاول المرحوم خليل حمادة باشا وزير الاوقاف اصلاح الحال ولكنه فشل في سعيه ، فأخذ شباب العرب ومفكروهم وقتئذ يفكرون بطلب اللامركزية العادية ، فاللامركزية الواسعة وتألفت من لجنة مصر وفروعها في الولايات العربية ولما تمّ لهم تأليف هذه اللجان اخذوا يغذونها بروح القومية العربية ويعملون على انماء الفكرة اللامركزية فيها فعهدت لجنـة القاهـرة الى ثلاثة من اركانها في هذا العمل ، هم المرحوم الدكتور عزة الجندي وحقي العظم والسيد ابراهيم النجار امين سر المجلس النيابي اليوم الذي كتب بقلمه وملأ بروحه معظم تلك النشرات الثورية التي تولى حقي العظم ارسالها الى بيروت والقدس ودمشق وحلب وتوزيعها فيها على ايدي بعض الشهداء .

ولقد ظلت الاحوال كذلك الى أن عقد العرب مؤتمر باريس فأمّته وفودهم من كل جهة ، وأوفدت اليه لجنة القاهرة المرحومين الزهراوي واسكندر عمون ، ولما كانت ثروة هذه اللجنة ضعيفة لقرب عهد تشكيلها جمعت مائتي ليرة مصرية لنفقـة الموفدين الكريمين ، أخذ المرحوم اسكندر عمون منها قيمة سفره الى باريس ذهاباً وايابا وهي دون المئة متعهداً بالانفاق على نفسه في العاصمة الفرنسية ، وترك البقية لزميله ، فلم تكفه — طبعاً — فلما نفد منه المال واحتاج اليه ، كتب رفيق العظم رحمه الله الى المرحوم عزة باشا العابد وكان يومئذ في (نيس) يسأله أن يمده بشيء من المال ، فأرسل اليه الباشا خمسين ليرة افرنسية ذهبية لقاء نفقات باريس الكبيرة ، فألح الزهراوي على لجنة القاهرة بالطلب مجدداً ، فامتنعت عن تحقيقه معتذرة بقصر يدها عنه ، وفيما هي وهو كذلك في اخذ ورد هبط باريس المرحوم عبد الكريم الخليل يصحبه مدحت بك شكري امين سر جمعية الاتحاد والترقي العام وشرعا يفاوضان الاستاذ الزهراوي مفاوضة انتهت باتفاقه معهما ومجيئه الى الآستانة لتنفيذ ما اتفقوا عليه .

ان في جميع هذه الحوادث البسيطة التي رويتها دروسا لعقلاء اليوم وعبراً بالغة ، فلو كانت الامة العربية ذات احزاب منظمة غنية كالامة الارمنية ، ولو كان للمرحوم الزهراوي المال الذي احتاج اليه لما اتفق رحمه الله مع عبد الكريم الخليل ومـدحت شكري على ما اتفقوا عليه ، ولما عاد الى الآستانة ، ولما توقف عزيز علي المصري ، ولمـا هرب نوري السعيد من الآستانة قادماً الى مصر ولما حدث شيء مما حدث .

ففي جميـع هذه الحوادث التي ذكرتها موضع درس وتأمل واعتبار لمن يعتبر بالحوادث .

فوجئت اللجنة اللامركزية في القاهرة ذات يوم بطلب غريب لم ندرك سببه ، طلب فيه صاحبه كشفاً بأسماء وكلاء اللجنة في البلاد العربية ، هؤلاء الذين كنا نوسل اليهم رزم المناشير الثوروية في جميع البلاد العربية .

ولقد قدم الاستاذ الشيخ رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية هذا الطلب الى رفيق العظم رئيس اللجنة ، ولما كان حقي العظم امين سر اللجنة اللامركزية يملك وحده كشفاً بهذه الاسماء رفض اعطاءها رفضاً باتاً أيدته فيه تأييداً شديداً ، فاشتد الطلب ، واشتد الرفض ، وبقينا في هذا النزاع العنيف خمسة شهور ، لا الطالبون ووسطائهم ينفكون عن ملاحقة الطلب ، ولا حقي بك يسلم مايعتقد بأنه مؤتمن عليه ، وأن أرواح هؤلاء الوكلاء في قبضة يده ، حتى فتق الله على اصحاب الطلب برأي ، فطلب رفيق العظم بصفته رئيس اللجنة اللامركزية جميع دفاترها من امين سرها وهو حقي العظم ، وكان له ما اراد ، وكان سبباً في خصام دام عامين بين حقي بك ورفيق بك من جرائه ، فكان اخذ تلك الدفاتر وارسال كشف بتلك الاسماء مقدمة كشف النقاب وتصفية الحساب .

ان جميع حوادث القضية العربية عبراً للمعتبرين ، فقد بدأت هذه الحركة مجدداً سنة ١٩٠٩م فلم تمض عليها خمسة اعوام من النجاح لقصر الوقت ولضعف تنظيمها ومالها ، فلو امهلتها الاقدار ربع قرن لكان من شأنها غير ما كان ، رحم الله شهداء هذه النهضة وجعل دماءهم المبذولة في سبيل وطنهم حجراً يوطد دعائم هذا الاثبات .

فرار الشهيد محمود جلال البخاري والتنوخي

الى البادية

لما اخذ جمال باشا بسوق رجال الامة العربية الى المنافي في أقاصي الاناضول ، فرّ منهم الشهيد جلال البخاري ، والسيد عز الدين التنوخي ، والتجئا الى آل مربود في قرية جباتا الخشب ، وأمعن في اخفائهم ونقلهم من مكان لاخر ، ابتعاداً عن الشبهة في امرهم ، وكان الاتراك يظنون ،ان الشهداء عبد الغني العريسي ، وعمر حمد ، وتوفيق البساط ، والامير عارف الشهابي ، وجلال البخاري ، وعزالدين علم الدين شيخ السروجية المعروف بالتنوخي ، كلهم يقيمون لدى الشهيد احمد مربود .

وكان آنذاك ثلاثة جواسيس للاتراك في قرية جباتا الخشب ، يترصدون ويراقبون ، فاخبر هؤلاء بوجود الشهداء لدى آل مربود ، والحقيقة أنه لم يكن في بيوت آل مربود سوى جلال البخاري ، وعز الدين التنوخي .

وأما الشهداء العريسي ، والشهابي ، والبساط ، وحمد ، فقد كانوا لدى الامير طاهر الجزائري في حوش بلاس وقد ساروا من هناك متوجهين الى جبل الدروز ، ولهم بحث خاص بما وقع لهم .

سفر البخارى والتنوخى الى البادية

سار الشهيد احمد مربود ، وعلي آغا زلفو ، وثلة من رجاله المسلحين يصحبهم ، الشهيد البخاري ، والسيد التنوخي ، من قرية جباتا الخشب الى حوران ، ومروا بقرية نوى كنجار حبوب ، ومنها واصلوا سيرهم الى عجلون ، ونزلوا في جبله على شيخ عرب العبيدات (كائد المفلح)صديق احمد مربود ، وبعد بضعة أيام رحلوا الى الزرقاء ، وفي الطريق فارقهم احمد مربود مع رجاله ، وبقوا مع خاله محمد الخطيب ، ليذهب بالشهيد البخاري ، ورفيقه التنوخي ، الى شيخ عرب الخريشات (حديثه الخريشة) ، وهو من اصدقاء احمد مربود المخلصين لعروبتهم ، ولما لم يجدوه في منزله ، اضطروا للنزول على ابن عم له وهو (شاهر الخريشة) فآواهم عنده أياما ، ثم رجع خال احمد مربود ، وبقيا في منزله حتى تيسر لهما ركب ذاهب الى الجوف فأرسلهما معه ، بعد أن اكرماه

وارضياه ، واستأجرا بعيراً يردفهما على التعاقب ، ونزلا في الطريق المسمى (بالهزيم) ومنه رحلا الى الجوف من وادي السرحان .

في بادية الجوف — وبعد عناء وبلاء بلغا الجوف ، وقد بقيا فيه نحو شهر ، وامير الجوف هو (العبد عامر) من قبل نواف الشعلان ، وكان عبداً قويا ذكياً ، أكرم مثواهما في غيبة سيده نواف .

ولما حل نواف في الجوف تعرفا اليه كطلاب علم ، فر ّا من الجندية وسَوْقاتها والتجئا اليه ، وكان الشهيد احمد مريود ، قد أوصاه بهما خيراً عند لقائه في القنيطرة ، وبقيا في ضيافة نواف ، حتى حل عليهما من اخوانهم الفارين ، الشهداء توفيق البساط ، وعمر حمد ، والامير عارف الشهابي ، وعبد الغني العريسي ، واخبروهما أن احمد مريود وخاله بقيا في الهزيم ، ليستنقذا متاعهم المنهوب .

وجاء في مذكرات الشهيد احمد مريود : أنه في شهر تموز سنة ١٩١٥ ، أعد العدة للرحيل الى الجوف ومنها الى الرياض ، وان مريود اجتمع بالشهداء البخاري ، وحمد ، والبساط ، والشهابي والعريسي ، والسيد التنوخي ، في موقع (الزلف) عند درب الغياث ، ومن هناك انتقلوا الى موقع الهزيم ، على أمل ان يجدوا فيه الشيخ حديثه الحريشة ، فكان عكس ذلك ، فقد وجدوا فخذاً من عشيرة السرحان وشيخهم (حمدي بن بالي) فما كان من هذا الشيخ النبيل ... الا أن سلبهم مايحملونه من سلاح وامتعة ومال وخيول ، حيث ظنهم من الدروز ، ثم انشغل احمد مريود بهذه القضية ، فاستعاد الشيخ حديثه الحريشة . والشيخ فارس القاضي شيخ عشيرة بني خالد ، المسلوبات من الشيخ « حمدي بن بالي » ، وسلمها الى اصحابها الشهداء .

اما الشهداء العريسي والشهابي وحمد البساط ، فقد حلوا في غرفة البخاري والتنوخي وباتوا جميعاً فيها تلك الليلة ، وكان الفصل شتاء ، واخبروهما بأحوال فرارهم وأخبراهما بوضعهما — البخاري والتنوخي — في الجوف ، واتفقوا بان يخبروا نوافاً بأنهم من طلاب العلم الفارين من الجيش ، وان لايخبروه بأنهم محكومون بالاعدام ، لأنه يخاف جواسيس ابن الرشيد الذين يجوسون خلال ديار الجوف في ترحالهم من حائل الى دمشق ، فلا يأمن نواف الشعلان ، ان يخبروا جمالاً السفاح بضيوف نواف الفارين من وجهه الشتيم .

وغداة غد أرسل نواف مع عبده ، يطلب عبد الغني العريسي ، ذا السن الذهبي ، والعباءة الجديدة المخططة ، وقد ظنه زعيم الوفد الشامي ، فذهب اليه العريسي ، وكشف له الغطاء عن احوال رفاقه جميعاً وإنهم محكومون بالاعدام ، وفارون من جمال باشا ، فخاف نواف منهم ، وخوفه الحقيقي من جمال باشا ، لأن البدوي لايستغني عن الحضر ، وبادية الشام لاتستغني عن حاضرتها دمشق ومنها بضائعها ومن حوران طعامها ورغم تحذير الشهيد جلال ، والتنوخي لاخوانهم القادمين ، بعدم الاباحة في السر ، الى نواف ، فانه طلبهما بعد رجوع العريسي ، ولامهما على كتمان الحقيقة عنه ، وقال لهما : كنتما اثنين ، واثنان يضيعان بين السكان ، اما الآن فقد أصبحتم جمعاً كبيرا لايخفى حاله على جواسيس ابن الرشيد ، فالأولى ان يرحل اخوانكم الى أي بقعة من جزيرة العرب ، وانه يساعدهم على الرحيل .

سفر العريسي والشهابي والبساط وحمد

وبعد ان تذاكر الاخوان في رأي نواف الشعلان ، رأوا ان يذهبوا ليقابلوا فيصل بن الحسين في المدينة ، لانه عازم على الثورة مع ابيه الحسين ، وبعد بضعة ايام سافروا ، وقد اعانهم نواف ببعير وزاد من التمر ، ودليل يدعى « شراري خرّيت » وبعشرين ليرة عثمانية وقد باعوا مسدساتهم في الجوف ، ورحلوا الى المدينة ، وكان لابد لهم من المرور بعرب (الفقير) وهم كغيرهم من القبائل حراس السكة الحجازية ، وكتب نواف لشيخهم « شهاب الفقير » كتاباً خطه التنوخي يتضمن توصية بحق الشهداء الاربعة ولكن هذه الوصية مع طمع البدو لم تجدهم فتيلا ، فقد قال لهم (شهاب الفقير) « يصعب عليكم السفر براً على الاباعر الى المدينة ، فالشقة شاقة والسفر طويل ، وخير من ذلك أن تركبوا القطار الى المدينة ، وانه يرفقهم بادلاء من أهله يسهل عليهم هذا التدبير » وكان قصده ان يستولي على أباعره ، فرضوا برأيه مرغمين ، واذا وقع القدر عمي البصر .



يرى في الصورة الشهداء الاربعة
من اليسار الى اليمين :
عمر حمد
توفيق البساط
الامير عارف الشهابي
عبد الغني العريسي
عند القبض عليهم من قبل السلطات
التركية في مدائن صالح

الشهداء الاربعة في قبضة الحكومة

ذهب الشهداء العريسي والشهابي وحمد والبساط ، من منازل الشيخ شهاب الفقير الضاربة على خط موازٍ للسكة الحديدية ، وبعيد عنها الى اقرب بلدة منهم وهي (مدائن صالح) وماأن بلغوا محطة المدائن حتى قعدوا في فناء المحطة ،وشرعوا ياتهمون من الجوع الخبز والدبس ، وهذه خطيئة فادحة إرتكبها الشهداء ، إذ لو تفرقوا عن بعضهم لما اشتبه بأمرهم ، وكان عليهم ان يستبدلوا ملابسهم المغربية ، بملابس رثة بالية زيادة في الحذر وامعاناً في اخفاء سماتهم ، فقد إتضح ان العباءآت التي كانوا يرتدونها الظاهرة في صورتهم ، عند القبض عليهم تستدعي الريبه في امرهم . كما وان السن الذهبي في فم الشهيد عبد الغني العريسي قد زاد في الريبة والشك في وضعهم ، ولكن قدر الله غالب كل شيء ، فقد ساقهم الحظ العاثر ، فرآهم الدكتور (شفيق المفتي) وهو من حي الميدان في دمشق وكان طبيب المحجر الصحي في مدائن صالح ، وكان في المدرسة رفيقا للامير عارف الشهابي ، وجلال البخاري ، فعرفهما واخبر عنها قائمقام الطفيلة ، الذي كان يومئذ في محطة مدائن صالح ،وهذا اخبر متصرف الكرك فصدر الامر بالقبض عليهم وكان ذلك في ٢٣ تموز سنة ١٩١٥ وبعد الاطلاع على التذكرة الشهابية التي دوّن فيها الامير عارف الشهابي جميع أحوالهم ،وما اصابهم من نكبات ودوّن فيها اسماءهم المستعارة العربية البدوية، حتى لا تعرف الحكومة اسماءهم الحقيقية انكشف امرهم ، وفي رواية اخرى ان الدكتور (احمد حلمي) وهو تركي الاصل، ولد بدمشق وسكن حي الميدان وكان من اطباء الخط الحديدي، عرف الامير عارف الشهابي وكان رفيقه في المدرسة فوشى بهم ، وقد نزح الدكتور احمد حلمي من سورية ، عندما احتلتها جيوش الحلفاء خوفا من ان ينتقم العرب منه ، لانه سبب اعدام اربعة من احرار العرب ثم سيقوا الى الديوان العرفي في عاليه وصدرت بحقهم احكام الاعدام .

مصير مريود والبخاري والجزائري والتنوخي

لما احس الشهيد احمد مريود بأن نوافاً غير راغب في بقاء البخاري والتنوخي في الجوف ، عزم على الرحيل ، وليس له إلا ناقة وراحلة تحمل اثنين ، فقال للتنوخي ، على الراحلة يركب اثنان ، والناقة لاتحمل الا واحداً ، فاما أن نتناوب عليها مع أحدكما ، أو يبقى أحدكما ، فقال التنوخي ، خذ البخاري لانه لايقوى على حياة البادية ، وأنا أذهب الى العراق ، او الى حاجم ابن مهيد شيخ الفدعان الذي هو من اخوان العهد ، فذهبوا بعد اسبوع الى جهة المدينة ايضاً ، ولما وصلوا لمنازل عرب الفقير ، حلوا أيضاً على شيخهم (شهاب الفقير) فأخبرهم بما حل برفاقهم والقبض عليهم في محطة مدائن صالح ، فعادوا ادراجهم إلى الجوف ، وقد لاقوا مشقات وعناء عظيمين من البرد الصحراوي وشظف العيش ، وحينما مروا بالجوف عرفوا أن نوافاً رحل إلى الضمير حيث والده نوري الشعلان هناك ، وقد بعثوا الى عز الدين التنوخي رسالة وهو في (سكاكه) يتهيأ للرحيل الى العراق ، وقد نجا التنوخي من الاعدام لافتراقه عنهم .

تسليم احمد مريود وخاله والبخارى والامير الجزائري

وأخيراً قام نوري الشعلان شيخ عشيرة الرولة بتسليم احمد مريود ، وخاله احمد الخطيب ، والشهيد جلال البخاري ، والامير طاهر الجزائري ، الى جمال باشا ، فسجنوا في تكية السلطان سليم ، ومن ثم نقلوا الى عاليه ، ونال نوري الشعلان من جمال باشا اكرامية قدرها خمسمائة ليرة ذهبية ، وسيف وعباءة ووسام تركي .

اعتقال عبد الكريم الخليل واخوانه

وفي شهر نيسان سنة ١٩١٥م دعا السفاح الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وعبد الكريم الخليل الى القدس ، فوجداه قلقاً مضطرباً من فشل خطة هجومه على القنال .

وبعد برهة فوجىء الناس في اواخر شهر حزيران سنة ١٩١٥م بنبأ اعتقال عبد الكريم الخليل واخوانه ، فوجموا واضطربوا ، ووقفوا يراقبون نتائج التحقيق وكان يدور سراً في مجلس الديوان العرفي العسكري في عاليه .

أسباب التبدل السياسي الفجائى

ان سبب تقلب السفاح جمال باشا في سياسته ، بعد ان اخذ يتقرب من العرب وزعمائهم في بادىء الأمر ، هو أمله ان يوفق الى افتتاح مصر ، لانه لو سار على سياسة الشدة في البلاد العربية قبل زحفه على القنال لكان لسياسته هذه رد فعل ومصير سيء عند عرب مصر ، لذلك كان يتلطف لبلوغ أمانيه من الاستيلاء على مصر بهذا التقرب والتحبب ، فلما مُنيت حملته على القنال بالفشل الذريع ، أسقط في يده ، وعاد يفكر في اقرار السياسة الاتحادية بالقضاء على كل حركة عربية ، ولما انتصر الاتراك في جبهة الدردنيل ، اعتقدوا ان النصر سيكون حليفهم في الحرب ، فرأوا من حسن السياسة القضاء على شباب العرب قبل حلول الهدنة ، فلا تكون امامهم مشاكل ولا منازعات ولا مطالبات من قبل العرب للاصلاح .

الوليمة القاتلة

وفي اواخر شهر ايلول سنة ١٩١٥ م اولم السفاح احمد جمال باشا وليمة عشاء في دار الحكومة بدمشق ، دعا اليها نخبة من خيرة اعيان البـلاد يتجاوز عددهم الثمانين ، وبعد ما انتهوا من طعامهم دخل عليهم من الحجرة الملاصقة احمد جمال باشا ، ووراءه

الامير شكيب ارسلان وغيره من رافعي الذيول المجرورة ، وحملة العروش الظالمة ، ففاجأ الامير شكيب الحاضرين من غير تحية ولا سلام ولا مقدمة بخطاب سداه الصلف ، ولحمته التحدي والتحريض ، واخذ يكيل الشتائم كيلا ، الى أن قال :

« ان في هذه البلاد السورية أناساً من الخونة اسسوا أحزاباً ، تارة باسم الاخاء العربي ، واخرى باسم الحرية والائتلاف ، وطوراً باسم الاصلاح ، وطوراً باسم اللامركزية ، ان هؤلاء جميعاً خونة ، فاصلبهم واقتلهم واشنقهم ، وأرح البلاد من شرورهم ، الى آخر مافي المعاجم من مرادفات التحريض والفتك والاغتيال » ،فبهت جميع الموجودين من هذه الصفاقة النادرة ، وكان الشيخ اسعد الشقيري حاضراً ، فالتفت حالا ، وقال بصوت جهوري ، والله يا دولة الباشا ، قد مشيت في ركابك من شمال سورية الى جنوبها ، ومن شرقها الى غربها ، فما فيها الا من يتعلق بأهداب الخلافة العثمانية ، وكل خبر يأتيك بخلاف ذلك هو خبر عار عن الصحة ، ومدسوس لأطماع في النفس ، وما كاد ينتهي من كلامه حتى قام الدكتور عبد الرحمن الشهبندر اليه وقبل لحيته على هذه الشهادة الصالحة ، ثم قام شفيق بك المؤيد فألقى كلمة بصوت منخفض لم يسمعه كثير من الموجودين ، وانتقل في ختامها الى جانب المنصة فكتب الى جمال باشا رسالة جاء فيها « انه سمع الليلة كلاماً ثقيلا تعدى طور اللياقة من الامير شكيب ارسلان ، فلاندري من يعنيه بتعريضه ، فأخذ السفاح جمال باشا الرسالة ، وكتب فوراً على حاشيتها جواباً (من كان في برذعته مسلة تخزه) ولم تمض ايام على هذا التحريض اللئيم ، إلا وشفيق بك المؤيد يرسف بالاغلال ويساق كالمجرمين إلى القدس ، ومنها الى الديوان العرفي في عاليه .

وقد عنى الامير شكيب بخطابه هذا جمعية الاخاء العربي ومؤسسها الشهيد شفيق المؤيد .

ثم فتحت ابواب السجون في دمشق ولبنان لاحرار البلاد وزعماء حركتها العلمية والوطنية .

وكان من هؤلاء شكري باشا الايوبي يُعرّى من لباسه ، ويضرب بالسياط في خان البطيخ بدمشق ، وهو يدور حول البركة ، والعريف التركي وراءه يسوقه بالسوط ليل نهار .

اعترافات بعض الشهداء

رغم وسائل التعذيب والارهاق وشتى الوعود التي كان يغمر بها الاتحاديون شباب العرب لحملهم على الاعتراف بما يعرفون ، فانهم لم يوفقوا الى ذلك ، فان الشهيد عبد الكريم الخليل لم ينطق بكلمة ، وفعل الشهيد عمر حمد مثله .

واما عبد الغني العريسي ، فقد افضى الى جمال باشا ببعض المعلومات التي استند اليها جمال باشا في ايضاحاته ، وكذلك فعل رفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب .

وقد اختلف الكثيرون في تقدير اهمية ما افضى به هؤلاء الشهداء الثلاثة ، ويرى البعض ان ما ادلوا به من معلومات كانت مبهمة عن جمعيتي اللامركزية والاصلاح ، فالتحقيق في الدورين، قام على اوراق اللامركزية ، وهذه وقعت في أيدي جمال باشا بسبب تفريط حقي العظم في مراسلاته وتحاريره واغراقه في ذلك اغراقا لم يكن له مايبرره ، ومما يؤيد هذا الاستنتاج ، انه لم يدر التحقيق حول جمعية الفتاة العربية ، مع ان بين الذين اُعدموا كثيرين من رجالها ،والذين ورد ذكرهم في اقوال عبدالغني العريسي وغيره هم من الذين لا تنالهم طائلة العقاب كالسيد رشيد رضا ورفيق العظم ، وخليل زينيه ، وغيرهم من رجالات العرب الذين كانوا يقيمون في مصر آنئذ .

محمد الشنطي اليافي

وتتجه التهمة نحو المدعو محمد الشنطي اليافي ، أحد مساعدي حقي العظم ، وانه هو الذي حمل اوراق الجمعية اللامركزية الى الاتراك ، وانه سافر في اوائل الحرب الى أتينا وسلم الاوراق بكاملها الى السفير العثماني غالب كمال بك أملا بأن تمنحه الدولة مكافأة

مالية كبيرة ، فأرسله هذا على الفور الى طلعت باشا وزير الداخلية ، فأحاله هذا على جمال باشا ، فقصد على الاثر الى دمشق وحل ضيفاً مكرماً على الحكومة التركية ، وكان يتناول الاموال والاكراميات الكثيرة . على ان جمال باشا عاد فأمر باعتقاله وكان جزاؤه الاعدام ، مع شهداء ٦ ايار سنة ١٩١٦ م

لقد أراد الشنطي الحصول على الثروة الكبرى لقاء بيع الاسرار التي ائتمنه عليها زعيمه حقي العظم ، وكان الله له بالمرصاد ، فلم يهنأ بتحقيق امانيه .

تعذيب المتهمين

ورغم استخدام وسائل التعذيب والارهاق لحمل المعتقلين على الاعتراف ، فان المحققين لم يفوزوا منهم بطائل ، وظلت اسرار الشهداء في صدورهم .

وان ما قيل عن عبد الغني العريسي ، ورفيق رزق سلوم ، وسيف الدين الخطيب ، بأنهم أفضوا بمعلومات خطيرة اوردها جمال باشا في كتاب « الايضاحات السياسية » فان ما ادلى هؤلاء به لا يزيد عن معلومات مبهمة عن جمعيتي اللامركزية والاصلاحية كانت تلوكها الالسن ولا تدين احداً .

فالتحقيق الذي جرى قام على اوراق اللامركزية ، وقد جاء بها محمد الشنطي اليافي بسبب تفريط حقي العظم وعدم حسبانه حساب العواقب ، وعلى ماعثروا عليه في قنصليتي فرانسا في بيروت ودمشق .

أما اوراق جمعية العربية الفتاة فقد كانت في عهدة محمد المحمصاني وظلت مدفونة في ضريح أحد الاولياء في بيروت قرب البسطة حتى ذهبت السيدة زينب حيدر ، الى منزل آل المحمصاني فاتفقت مع السيدة فاطمة المحمصاني ، وذهبتا الى مقام الولي ، واستخرجتا الأوراق وحرقتاها ، ولو وقعت هذه الاوراق في ايدي الاتراك لذهب جميع من بقي في ذلك العهد من الوطنيين العرب الى المشانق ، لأنها كانت تتضمن اسماء الجميع واسرار الحركات السرية كلها .

وقد نشر جمال باشا بتاريخ ٧ مايس سنة ١٩١٦ م بياناً في الصحف السورية ، قال في بعض فقراته « ان الوثائق السرية التي اكتشفناها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب (المفيد) الذي القي القبض عليه اخيراً ، بعد ان ذكرنا في البيان خبر فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ، ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفاقهم الآخرين ، قد نوّر المسألة من جميع أطرافها .

سجن عاليه

كان السجن في هضاب عاليـة (لبنان) وقد أنشأها أصحابها قصوراً للاصطياف في ايام الحر ، فصادرها الاتراك واتخذوها سجوناً للتنكيل والانتقام ، غرفه واسعة الأرجاء ، كثيرة النوافذ ، شديدة البرودة ، ولم يكن بها مايدرأ صبارة البرد القارس من وسائل التدفئة ، لان الاتراك كانوا يصادرون الاحطاب ويقطعون الاشجار لتأمين الوقود للقطارات الحديدية .

ومن البديهي ان يصاب السجناء بآلام المعدة والاسهال والمغص والرشوحات والحرقة والانحباس من تأثير البرد ، وكان الجند يكرهون السجناء على الاضطجاع ، وكانوا يتناومون على مضض ، وهم في جلاد مستمر مع فرط النعاس وشدة الالم والبرد ، وكان عليهم ان لا يغلقوا ابواب الغرف ، وان لا يطفئوا المصابيح لسهولة المراقبة ، وقد جيء بأكثرهم في اشهر الشتاء .

أساليب الانتقام

لقد اتضح ان الهدف الذي كان يرمي اليه الاتحاديون من تأليف المجلس العرفي هو مقاومة النهضة العربية بالقضاء على نوابغ العرب ، سواء أكانوا منتسبين الى حزب علني ، او جمعيـة سرية او غير منتسبين ، وسواء أعثرت الحكومة التركية على وثائق تتسلح بها وتتخذها وسيلة لاعتقالهم والبطش بهم أم لم تعثر ، بل كانت تلجأ المحكمة العرفية الى طريقة ثانية لاعتقال من يريدون الفتك به ولا يجدون وثيقـة مخطوطة تدينه ، اما هذه الطريقة ، فهي ارهاق المعتقلين بضروب الترويع والتعذيب ليكرهوهم على الافتراء وشهادة الزور على من لايجدون سبيلاً للحكم عليه ، الا بتلفيق شهادات المكرهين على تزويرها .

والواقع ان سياسة جمال باشا لم تكن ترمي الى التحقيق البريء العادل ، وانمـا كانت غايتها القضاء على فئة من متنوّري الشباب العرب واعدامهم .

وقد كان بين المتهمين جماعات ما عرفوا السياســة ولا عرفتهم ، ولم يكن بينهم من علماء الاجتماع ، او من الخطباء او الكتاب ، او الصحفيين ، او من ارباب اللسان القؤول ، او من المغرمين في الدخول والفضول ، او من اصحـاب الحركات والسكنات ، او من المنتمين الى الاحزاب العلنية ، او الجمعيات السرية ، او من متقلدي أسمى الوظائف الخطيرات الكبيرات التي يحسده عليها اتحاديو الاتراك ، ويعدّونها عليه من أعظم الخيانات ، وكان انتصار الاتراك في الدردنيل سبباً في تعجيل اعدام الرعيل الاول من الشهداء ، كما كان انتصارهم في كوت العمارة قد عجل في اعدام القافلتين الاخيرتين ، وضرب السفاح جمال العرب الضربة القاصمة ، فقتل الرجال ويتم الاطفال وشرّد العوائل العربية الى مجاهل الاناضول .

الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية

هو عنوان كتاب ألفه عزيز بك ، مدير الامن العام في السلطنة العثمانية ، وقد نشر تباعاً في جريدة الاحرار سنة ١٩٣٣م .

ذكر المؤلف عزيز بك في التوطئة ، انه لم يكن في السلطنة العثمانية دائرة خاصة للجاسوسية السياسية والعسكرية ، كما هي الحالة في بقيـة بلدان العالم ، وان دوائر الاستخبارات في العهد التركي ، خُلقت للوشاية والتنكيل ، ووصفها بأنها كانت اداة اتخذها المسيطرون على مقدرات البلاد للبطش بخصومهم ، وان الجواسيس الذين استخدموا لهـذه الغاية ، لا همّ لهم إلا تطمين رؤسائهم ، بنقل الافتراءات المختلقة عن خصومهم ، وان الحاكم اذا اراد ان يحصل على معلومات حقيقية ، عما يجري في البلاد صعب عليه الامر ، وارتد الى الوراء مكتفياً بالوشايات التي كثيراً ما عرقلت سير اعمال الدولة ، وتركتها في حالة فوضى شديدة .

ويرى المؤلف عزيز بك ، انـه اذا كان هناك من مسؤولية فى خطأ السياسة التي سار عليها احمد جمال باشا ، فان عاقبتها تقع في الدرجة الاولى على الشيخ اسعد الشقيري مفتي الجيش الرابع ومستشار جمال باشا قبل ان تقع على الباشا ، وانه حباً في استمالة الباشا اليـه ، كان على اتصال دائم مع بعض الشخصيات المشابهة له في البلاد السورية ، وانـه اوجد من نفسه دائرة استخبارات مستقلة .

الشيخ اسعد الشقيري واحمد جمال باشا

جاء في الصحيفة ٨٣ من مذكرات عزيز بك ، انه بينما وقف جمال باشا يتحدث الى اركان حربه في قصر الطور ، القائم على سفح جبل الطور في القدس ، بشؤون الموقف العسكري في الجبهة ، وكان مستاء من الفشل الاخير ، دخل عليه الشيخ اسعد السقيري ،

وعرض عليه حوادث مؤلمة عن المؤامرات التي تدبر ضد سلامة جيشه في سورية ، وفي سبيل الاتصال بالحلفاء بواسطة ثورة يضرمونها في جنوبي لبنان ، على ان تكون اداة لتدخل الحلفاء ، وأفهمه ان لا يثق بعبد الكريم الخليل ، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، الذين استقدمها اليه لدرس الحالة في الجبهة قائلا : انهما على اتصال باخوانهما في مصر يزودانهم بكلما هم بحاجة اليه من افادات عن الموقف في تلك البقعة .

وفي هذه الفترة ابدى جمال باشا استياءه ، وشدد على جميع الموشى بهم ، وعمد آنئذ الى تسليم الاوراق التي كان عثر عليها في القنصلية الفرنسية الى الديوان الحربي العرفي في دمشق .

وذكر صاحب المذكرات في الصفحة (٨٥) عن الوشايات السافلة ، بأن الوشايات لم تكن مقتصرة عند حد بعض المقربين من جمال باشا ، بل هناك مئات غيرهم ، وانه تلقى في الاسبوع الذي عاد فيه الى القدس ، « ٣٩٢ » تقريراً مرسلا من السوريين ضد اخوانهم ، فلو اراد جمال باشا ان يتمم واجبه كقائد للجيش الرابع وينفذ محتوياتها لملأ السجون من الضحايا البريئة .

يحيي باشا الاطرش

ورد في الصحيفة ١٠٧ من مذكرات عزيز بك ، ان الوثائق التي وجدت في القنصلية الفرنسية بدمشق ، كافية لالقاء تهم على عدد كبير من رجالات سورية ، منهم الامير علي باشا ، والامير عمر الجزائري ، ويحيي الاطرش ، ورفيق رزق سلوم وغيرهم ، وان احمد جمال باشا ، أخر النظر في هذه الوثائق .

ثم جاء في الصحيفة «١١٢» بأن جمال باشا كان يخشى الدروز واضرامهم الثورة ضده ، وقد استاء جمال باشا من وجود اسم يحيى باشا الاطرش في وثائق القنصلية الفرنسية ، لانه في حالة توقيف هذه الفئة ، سيضطر حتماً الى توقيف يحيي باشا الاطرش ، وتوقيفه سيؤدي حتماً الى قلاقل في الجبل ، ووجود اسم يحيى باشا بين اسماء الذين اشتركوا في هذه الحركة اهاب بجمال باشا ، لأن يؤخر محاكمة أصحابها ، ولهذا فانه ما كاد يصله نبأ نعي يحيي باشا حتى تنفس الصعداء وقال :

ان وفاته كانت خيراً له ولنا وللدروز انفسهم ، وهكذا انقذ موت يحيى باشا الدولة من ثورة درزية كانت محتمة في ذلك الوقت ، لأن جمال باشا قرر اعتقاله مع رفاقه مهما كانت نتيجة هذا الاعتقال .

كامل بك الاسعد

جاء في الصفحة ١٣٧ من مذكرات عزيز بك ، ان كامل بك الاسعد هو السبب الاصلي ، في فضح المؤامرة التي دبرت في صيدا لاحداث ثورة مشتركة في الجنوب مع اللبنانيين ، وقد ايد هذه الحقائق وفصّل الاجتماعات التي عقدها ابناء الصلح والجوهري في صيدا لجمال باشا ، بعد ان قدمه اليه الشيخ اسعد الشقيري الذي مثّل دور راسبوتين في بني قومه .

وقد ذهب كامل بك الاسعد ، بعيداً في سبيل تأييد اخلاصه ، فأعلن استعداده لجمع المتطوعة وتأييد نفوذه ، وكان له النفوذ الذي اراده وسحق خصومه ، وحصل على المال الوفير .

الوضع في ولاية بيروت

تفردت الولاية البيروتية بوضع غريب من الزعامة والاقطاعية ، فكان لكل لواء من الويتها الخمسة : لواء المركز المؤلف من مركز الولاية (بيروت) ومن اقضية صور وصيدا ومرجعيون ، والوية نابلس ، وعكا ، وطرابلس ، واللاذقية ، زعيم أكبر ، يرجع المتنفذون اليه ، واسباب الزعامة مختلفة ومن عناصرها السخاء والعطاء .

كامل بك الاسعد

كانت الزعامة الكبرى للواء المركز في ولاية بيروت الى كامل الاسعد ، وهو زعيم الشيعة الجعفرية الاكبر في البلاد السورية وكان والده خليل متصرفاً على نابلس ، وزعيم لواء نابلس الاكبر ، وهو حافظ باشا المحمد يقيم في جنين ، وينازع النفوذ في نابلس وفي اعمالها آل طوقان وآل عبد الهادي ، واللواء المذكور يحتاج الى اداري حازم ، فكان خليل بك أحد هؤلاء الاداريين ، الذين وفروا على الحكومة متاعب كثيرة .

وقد ورث ولده كامل بك الزعامة ، ولم يرث العمل الاداري الذي تولاه والده ، ولم تتشوق نفسه للوظيفة ، وكان كبار المتنفذين في بيروت انفسهم كآل بيهم والصلح ، وهؤلاء اصلهم من صيدا ، وآل سلام ، ومتنفذوا الطوائف المسيحية ، يجاملون آل الاسعد وينفذون مايطلبه كامل الاسعد منهم ، وكان الاسعد يقيم في (الطيبة) من اعمال مرجعيون ، واكثر اهل القرى في صور وصيدا ومرجعيون من الشيعة ، ومع تعدد المذاهب والطوائف في القرى ، فكل اهلها يحترمون كامل بك الاسعد ويلجأون اليه في كثير من المهمات ، والحكومة تحترمه ولا تستطيع جلب المحكومين الذين لجأوا اليه ، واذا استعصي على الحكومة أمر لجأت الى كامل الاسعد فحله بسهولة .

ولما اعلن الدستور العثماني أبد" الدستور ، وفي الوقت الذي اضطرت به الحكومة ان تنفي حافظ باشا المحمد من جنين الى بيروت بناء على شكاية الاهلين ، وقد سبق للسلطان عبد الحميد أن نفاه الى الاستانة ، فان الحكومة الدستورية ، لم تر سبباً لابعاد كامل الاسعد ، ولم تسمع من الاهلين شكاية عن زعامته .

ولما اشتبكت الحكومة العثمانية بالحرب مع ايطاليا ، طلبت من الاسعد تأييداً ، لانها تعرف ان ممثلي الدول الاجنبية في الدولة العثمانية يعرفون زعامته ، فأبرق معلناً ان لديه خمسة آلاف مسلح ، وانه مستعد هو وهؤلاء لان يزحف لقتال الطليان ، فشكرت الحكومة عاطفته هذه ، ولم تكلفه الزحف الى طرابلس الغرب .

ولما اعلن الانتخاب الاول بعد اعلان الدستور العثماني ، زار الطيبة رضا بك الصلح ، واستشار كامل الاسعد ، بان يرشح نفسه عن لواء المركز للنيابة ، وسأله اذا كان يؤيده ، ، فأعلن تأييده له ، واذاع ذلك في أقضية صور وصيدا ومرجعيون ، وفي هذه الاقضية نحو (٧٥) صوتا للناخبين الثانويين ، بينما مركز الولاية لاتزيد اصوات الناخبين فيه على الخمسين ، ففاز الصلح بالنيابة .

ولما تعاظم سوء عمل الاتحاديين ، اذا بكامل الاسعد يصبح إئتلافياً مما أقض مضاجع الحكومة العثمانية ، فانتظرت الفرص المواتية ، ثم ارسلت قطعة من الجيش في جنح الظلام الى الطيبة ، فطوقت القرية عامة ، وقصر الاسعد خاصة ، وفي الصباح الباكر طرق القائد باب قصره وألح بمقابلته ، فقابله ورأى القصر مطوقا بالجند ، وكذلك القرية ، وقال له القائد ، أنه جاء بناء على امر الحكومة ليستلم من كامل بك الخمسة الاف بندقية التي تحدث عنها في برقيته التأييدية ، ولما قال الاسعد انها برقية تأييد ليس الا ، اصر القائد ثم ابرز له ورقة يعلن فيها الاسعد انسحابه من حزب الائتلاف ، وانضمامه الى حزب الاتحاد والترقي ، فلما وقع" الورقة ، اعتذر القائد وانصرف .

وقبل ان يوقع كامل الأسعد على هذا الانسحاب والانضمام الى الاتحاديين، كانت الحكومة اعلنت الانتخاب للمجلس الاخير فامر الاسعد ان ينتخب الشعب المرشحين الائتلافيين، ووصل أمره الى علم الحكومة، حتى في حوران، مع ان الشيعة الذين يعيشون في حوران يعيشون عمالا، فاضطربت حكومة سورية من هذا الأمر.

لكن الحكومة في ولاية بيروت، استطاعت ان تقنع كامل الاسعد بان يرشح نفسه للنيابة عن بيروت كاتحادي، كما استطاعت ان تقنع السيد علي سلام، ان يرشح نفسه وهو من كبار مؤسسي حزب الاصلاح المعارض للحكومة الاتحادية فأجاب الطلب.

وقد سبق لكامل الاسعد، ان كان نائباً في الدورة الثانية، وبلغت به المعارضة الى ان كان مديراً مسؤولا لجريدة (الحضارة) التي انشأها في العاصمة العثمانية الشهيد عبد الحميد الزهراوي.

علي ان الشعب العربي وادع الحكومة. فلما انسحب الاسعد من الائتلافيين وانضم الى الاتحاديين كان اقل النواب الفائزين بالاصوات، حتى انه خسر من قضاء مرجعيون ستة اصوات اعطيت الى سامي الصلح الذي رشح نفسه لاول مرة.

واستطاعت الحكومة الاتحادية أن تفرض نوابا كما تشاء، اما زعامة كامل الاسعد، فانها كانت زعامة تعنى بالفقير، والضعيف على عكس حالة اكثر الزعماء.

رأي المؤلف: ان ماورواه جمال باشا في مذكراته، من ان كامل الاسعد، هو الذي وشى بالشهيد عبد الكريم الخليل ورضا الصلح، فاني استبعده، ذلك لان السفاح جمال باشا الذي كان مأجورا للاجنبي، والذي فاوض معظم الشهداء، ليؤيدوه ليكون ملكاً على البلاد العربية، والذي كان يشد عضد الصهيونيين، ويقدم لهم خير الاغذية والعناية، وقد اجاع الامة العربية، وحاول ان يخرج العرب من اماكن حساسة في بلاده، ولاسيما (اللجاه) وما ماثلها ليسكن فيها الارمن، قد يكون تعمد من هذه الفرية، ليوقع بين ابناء العرب بعد الحرب العامة.

جهاده ونضاله: ولما وصل الفرنسيون الى لبنان، قاومهم كامل الاسعد بشدة وضراوة، وثار عليهم جبل عامل بأجمعه. وكان كامل الاسعد وعلماء الجبل في طليعة الثائرين، وواصل الثورة حتى بعد مغادرة فيصل الاول البلاد، وأخذ الذين يعملون تحت لواء فرنسا، وبعض المأخوذين بالاوهام يحاربون الاسعد وقومه، ويشوهون سمعتهم، حتى ان امين الريحاني آخذ الثوار في جبل عامل وندد بهم. فرد عليه الشاعر المشهور علي الحوماني، وما كان للريحاني ان يعرض بالثورة العاملية، وهو ممن لايؤيدون فرنسا وانتدابها.

وقد لجأ الاسعد الى صفد، ولم تطب له الاقامة تحت العلم البريطاني كما طاب لغيره. وعاد الى بلاده بعد أن عفي عن الثائرين كما هو نتيجة كل ثورة، وبقي الجبل العاملي يطالب بالوحدة السورية. وللعامليين أماديح كثيرة، لكامل بك ولعائلته.

خبير على كل الامور مقلب   له سطعت من محكم الرأي أنوار

* * *

محمد حافظ السعيد

١٨٤١ - ١٩١٥

مولده ونشأته – : هو ابن سعيد بن مصطفى السعيد، ويتصل نسبه بالأرومة الحسنية واصل اسرته من المغرب الاقصى وقد هاجر جده الى فلسطين منذ ستة قرون ، ولد في غزة سنة ١٨٤١ م وهي السنة التي توفي فيها والده ، فحضنته والدته ، وتلقى العلوم على اعلام عصره وكان أديباً في اللغة التركية ، ذا كمال ووقار .



خدماته – : وفي سنة ١٨٦٠ م عين قائمقاماً للرملة ، وتقلب في مناصب الادارة العسكرية والقضائية والبلدية . ونظراً للاختلافات والمنازعات التي وقعت بين الطوائف المسيحية بما يتعلق بالطقوس والاحتفالات الكنائسية في كنيسة بيت لحم الكبرى، والتي ادت لسفك الدماء وتخريب مغارة المهد، فقد عهد اليه بمديرية بيت لحم ، وقام بتسجيل الحقوق القديمة والطقوس الكنائسية بصورة سرية لكل طائفة ، فأرضى الجميع بحكمته ولباقته.

في مجلس النواب التركي – : وفي سنة ١٩٠٨ م انتخب مبعوثاً عن لواء القدس وسعى بتأليف الحزب المعتدل ، فحقد الاتحاديون وأغلقوا المجلس ، فعاد المترجم الى وطنه مزوداً بعداوة الاتحاديين .

ولما ظهرت فكرة اللامركزية وقام العرب يطالبون بالاصلاحات المشهورة ، ابرق المترجم الى مقام الصدارة مؤيداً اللامركزية فحنق الاتحاديون عليه ، وفي خلال الحرب العالمية الاولى سيق الى الديوان العرفي الحربي في عالية.

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – « تفيد المكاتيب الواردة من مصر ان المومأ اليه كان معتمداً بيافا ، وقد اعترف ايضاً ان بعض طرود كانت وردت باسمه من مصر .

وقد حكم عليه بالاعدام ، ولكن الله استأثر به فعصفت المنية بروحه في سنة ١٩١٥م قبل تنفيذ الحكم به ، فلم يرَ ما رأى من الشهداء رفقائه . وبعد وفاته ابدل حكم الاعدام بالسجن المؤبد .

كان المترجم شاعراً كاتباً اديباً ، قوي الذاكرة ، كبير الحجة ، ذا شفقة محباً للخير .

وهكذا كان ضحية المبادىء الوطنية ، والحقد الاسود المتجسم في الاتحاديين ، ويعتبر شهيداً ، ولو لم يعلق على ارجوحة الشرف ، فقد لقي من التنكيل والارهاق ، ما أزهق روحه قبل تنفيذ حكم الاعدام به ، ولسان حاله يقول :

وابنوا كما بنت الاجيال قبلكم   لا تتركوا بعدكم فخراً لانسان

شهداء القافلة الاولى

هذه اسماء شهداء القافلة الاولى الذين علقوا على اعواد المشانق حسب تسلسل اعدامهم في ساحة البرج في بيروت فجر يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ م وعددهم أحد عشر شهيداً .

١ ـ عبد الكريم الخليل
٢ ـ الشقيقان محمود المحمصاني
٣ ـ محمد المحمصاني
٤ ـ عبد القادر الخرساء
٥ ـ نور الدين القاضي
٦ ـ سليم احمد عبد الهادي
٧ ـ محمود نجا عجم
٨ ـ محمد مسلم عابدين
٩ ـ نايف تللو
١٠ ـ صالح حيدر
١١ ـ علي الارمنازي

الاعدام في ساحة الخلود والمجد

بعد ان صدر حكم الاعدام بشهداء القافلة الاولى ، نقلوا بالعربات من سجن عاليه الى دائرة الشرطة في بيروت ، عند منتصف ليلة ٢٠ آب سنة ١٩١٥م ، فأدرك الشهداء مصيرهم المحتوم .

وفي دائرة الشرطة ادخلوا الى قاعة واسعة ، فكتبوا الوصايا التي تفتت الاكباد ، وهي آخر ما تمليه عليهم الوطنية والعاطفة قبل دنو الموت الرهيب .

وفي الساعة الثالثة صباحاً حانت ساعة الاعدام ، وجاء الجند فأخرجوا المحكومين اثنين اثنين الى ساحة (البرج) وقد سميت بعد ذلك بساحة الشهداء ، حيث نصبت اعواد المشانق .

قائد رعيل الشهداء

وكان اول من أقتيد الى المشنقة السيد عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي ، والفرقد الوطني ، فكان أجرأ الشهداء وأثبتهم جناناً ، وأعفهم لساناً ، فسار الى منصة الاعدام بخطى وئيدة دون مبالاة ، وكأنه يهزأ بجمال باشا وديوانه العرفي في هذا الحكم الانتقامي .

ثم جيء بالاخوين السيدين محمد ومحمود المحمصاني، واقتيدا الى أمام المشنقة ، فتعانقا طويلا ، وصعدا الى المشنقة بثغر باسم ، وكل منهما يحدق بأخيه ويودعه الوداع الاخير ، وطلب محمد من الجلاد ان ينفذ فيه وبأخيه حكم الاعدام بلحظة واحدة ، كيلا يتعذب احدهما برأى شقيقه يحشرج انفاسه امامه .

ثم جيء بالسيد عبد القادر الخرساء ونور الدين القاضي ، وهكذا الى ان علق الجميع على اعواد المشانق ، وكان اعدامهم بداية عهد ارهابي زالت فيه الطمأنينة من النفوس ، ولم يعد أحد يأمن فيه على نفسه ، وقد كثرت فيه الوشايات والتجسس والاعتقالات حتى انتهى الامر الى قافلة الشهداء الثانية ، وما كادت الساعة تبلغ الرابعة صباحاً حتى كانت عملية الاعدام قد انتهت ، وصعدت ارواح هؤلاء الشهداء المجاهدين الى منازل الخلود ، ولبست البلاد اثواب الحداد على شهدائها الابرار ، ثم انزلت الجثث عن الاعواد ، وجيء باحدى عشرة عربة ، ووضعت كل جثة في واحدة منها يخفرها شرطيان ، ونقلت كلها الى الرمل حيث دفنت في حفرة واحدة في مقبرة الدروز ، وأقامت السلطة حراساً على القبور ، وقامت عائلة الشهيد صالح حيدر بعد شهر من الاعدام بمحاولة نقل جثته ، فلم تهتد اليها في اول الامر بين الجثث الاخرى ، لان حرارة الرمل كانت قد شوهت معالم الشهداء ، ثم اهتدوا اليها من الملابس، فتركوها بسبب انحلالها .

عبد الكريم قاسم الخليل

١٨٨٦ ـ ١٩١٥

هو بن محمود بن يوسف الخليل، واصل أسرته من الهند، وقد هاجرت الى جبل عامل، واقامت فيه، وفي عهد ابراهيم باشا المصري نزحت واستوطنت قرية الشياح التابعة لمدينة بيروت.

تلقى علومه الابتدائية والاعدادية في مدارس بيروت، وتخرج من جامعة الحقوق في استانبول، وتعاطى المحاماة، واشتهر أمره في الاوساط الاجتماعية. وتوثقت صلاته مع وزراء الدولة وعظمائها وخاصة مع جمال باشا السفاح.

نشاطه السياسي ـ كان من أنبغ شباب العرب، ولما تألفت الجامعة العربية في الآستانة ساهم مع اخوانه بتأسيس المنتدى الادبي وانتخب رئيساً له، ثم عاد الى بيروت في عهد ولاية بكر سامي بك، وتوثقت عرى المحبة والالفة بينه وبين الوالي وجمال باشا قائد الجيش الرابع، وكان يسعى ويحث الاهلين على التطوع لخفر السواحل من هجمات الحلفاء.

الحفلة القاتلة ـ وصدف أن زار دمشق عبد العزيز شاويش وكان جمال باشا السفاح بدمشق، فرأى الشهيد عبد الكريم الخليل ان تقام لهما حفلة في النادي العربي المقابل لفندق الخوام أمام نهر بردى، فضمت هذه الحفلة جمالاً وعبد العزيز شاويش والقواد والاعيان والعلماء والادباء، وطلب الشهيد من الاستاذ عز الدين التنوخي من اعضاء المنتدى الادبي ان ينظم قصيدة للحفلة قومية الروح والهدف، فقال التنوخي للشهيد الخليل، كيف تطلب ذلك ؟ ألا تعلم اني جندي وأخشى بطش جمال السفاح قائد الجيش. فقال الشهيد عبد الكريم لا تخف، فقد قال جمال باشا بأن الدولة العربية مؤلفة من امتين التركية والعربية، والترك يعملون بكل قواهم على بث الروح القومية في امتهم، وعلى العرب مثل ذلك ان ينفخوا ضرام القومية في امتهم وطلب منه نظم القصيدة بأي موضوع يرتأيه. فقد تبدل رأي الحكومة وجمعية الاتحاد والترقي، وهكذا امتنع الشهيد الاستاذ التنوخي أن ينظم قصيدة بروح تلك القصائد القومية التي كان يلقيها في المنتدى الادبي.

وقد القى التنوخي قصيدته التي ذكر فيها حضارة العرب القديمة وبكاها بقوله:

حضارتهم ماتت كأني لذكرها ... يمرُّ عرفت الدار بعد توهم

وذكَّر جمال السفاح بأنه صديق العرب إن شد أزرهم وأعانهم على بلوغ أمانيهم القومية بقوله:

جمال صديق العرب ان شد ازرهم ... وأنقذهم من كل ضيق ومأزم

وذكر عبد العزيز شاويش وكان من انصار الاتحاديين وأطرى بلاغة ادبه، وخطب بعد التنوخي محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل وأنشد قصيدة وأشاد بمناقب سيده جمال السفاح.

وفي الفترة بين الخطيبين القى الشباب النشيد الحماسي المشهور

نحن جند الله شبان البلاد ... نكره الظلم ونأبى الاضطهاد

وقد ترجمت لجمال السفاح هذه الاناشيد القومية فقال : لا أبقاني الله بدمشق ان أبقيت هؤلاء الشبان ، وعقب الحفلة بفترة تشتت طلاب العرب .

ومن المحقق أن ما أشار به جمال باشا على الشهيد عبد الكريم من اقامةهذه الحفلة لتكريم عبد العزيز شاويش هي لكشف شبان العرب ورجالهم عما تخفيه صدورهم من الروح القومية الكامنة فيعرفهم لابادتهم جميعاً والتخلص من القوميين العرب ،وهكذا كان، فقد تبدلت أطوار السفاح نحو الشهيد عبد الكريم الخليل ، وقد سبق للشهيد ان هدد طلعت باشا وكان يومئذ وزيراً للداخلية وسكرتيراً لجمعية الاتحاد والترقي ، ثم أصبح فيما بعد صدراً أعظم للدولة ، بأن الاتراك ان لم يقبلوا باعطاء اللامركزية للبلادالعربية فالعاقبة يخشى أن تكون وخيمة ، وكان طلعت باشا يعد ولا ينفذ ، والظاهر أنهم كانوا يتربصون الدوائر بشباب العرب المثقفين ليصفو لهم الجو وتبقى خيرات البلاد العربية وقفاً على الاتراك لا يشاركهم فيها احد .

وفي الوقت الذي أخذ جمال باشا ينظر الى الشهيد بعين الشك والتهمة اكتشفت جمعية عربية في صيداواتضح ان له صلة برضا الصلح وانه من المساعدين لها ، وكان اذ ذاك من المرشحين لعضوية مجلس النواب التركي عن بيروت، وكان للوشايات التي تطوع بها الامير شكيب ارسلان بالشهيد الخليل وبغيره من شباب العرب ، وهي وشايات ثابتة ، أبلغ الاثر لدى السفاح جمال ، فقبض على الشهيد وزُج في السجن وجرت محاكمته في الديوان العرفي الحربي.

خلاصة نص قرار اتهامه والحكم باعدامه ـ كان مع رضا بك الصلح في كل تحريكاته أثناء الحرب العامة ، وخلاف ذلك فانه كان من ضمن الداخلين في الجمعيةاللامركزية وتشكيلاتها السرية ، وسافر الى مصر واشترك في مذكرات اللامركزية .

وفي صباح ٢١ آب سنة ١٩١٥ م اعدم شنقاً مع رفاقه قافلة الشهداء الاولى في بيروت .

وقد كتب وصية بليغة فيها حقائق عما ناله ورفاقه من تعذيب وتنكيل اثناء المحاكمة فأخفى الاتراك هذهالوصية (*) .

قضى الشهيد حياته عزباً وله اخوة واقارب في بيروت .

ونحن نستغرب ماورد في نص خلاصة الحكم باعدامه ، فقد تناسى الاتراك مقاصد هذا الشهيد النبيل ، يوم اوفده الاتحاديون مع امين سر جمعية الاتحاد الى باريس لاقناع زعماء العرب بعدم عقد ذلك الاجتماع التاريخي ، وان ما اُسند اليه من محاولة القيام بثورة ضد جمال باشا مع رضا بك الصلح ، هو زعم باطل ، وافتراء واضح ، كما أوضحنا ذلك في الحديث عن الزعيم الشعبي (كامل الاسعد) الذي الصقت به تهمة الوشاية بحق الشهيد ظلماً وعدواناً .

والسر في اعدامه أعمق من ذلك،وهو التخلص من صناديد العرب الذين كانوا يلاحقون حقوقهم المغتصبة بكل نشاط واخلاص.
رحم الله هذا الشهيد الفذ في اخلاقه وثقافته وبطولته ، (وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر).



(١) شقيقه السيد توفيق الخليل ـ موظف في القصر العدلي ـ النيابة العامة الاستئنافية

محمود المحمصاني

١٨٨٤ - ١٩١٥

رغم مضي ثلث قرن على الفاجعة ، فان القلم ليعجز عن وصف الأسى والالم عندما يدور في مخيلة المرء اعدام الشقيقين محمود ومحمد المحمصاني ، وقد توسط المقربون لدى جمال باشا السفاح بالعفو عن احد الاخوين كي يبقى والدهما المفجوع بعين واحدة ، ولكن أنّى لفؤاد هـذا السفاح ان يعرف الرحمة والعطف فأُعدما في لحظة واحـدة ، وستظل عيون الدهر تهطل على فقدهما .

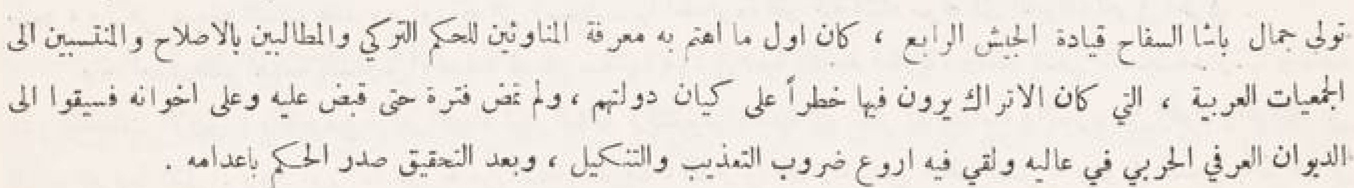


مولده – : بزغ نجم الشهيد محمود سنـة ١٨٨٤م ونشأ في مهد العز والرفه وعني والده بتثقيفه ، وقـد تخرج من مدارس بيروت ، واتقن اللغات العربية والتركية والفرنسية .

نشأته – : وبعد تخرجه تعاطى الاعمال التجارية مع عمه بضع سنوات ، ثم استقل عنه وفتح محلا تجارياً خاصاً واشتهر بصدقه واستقامته ومكارمه وحبه لخير الاعمال .

كان في عداد الشباب العاملين للقومية العربية ، ومن المطالبين بالاصلاحات العربيـة من المستعمرين الاتراك ومن الداخلين بالجمعية اللامركزية .

في الحرب العالمية الاولى – : ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى سيق الى الجندية وانتسب الى مصلحة البرق . ولما



تولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع ، كان اول ما اهتم به معرفة المناوئين للحكم التركي والمطالبين بالاصلاح والمنتسبين الى الجمعيات العربية ، التي كان الاتراك يرون فيها خطراً على كيان دولتهم ، ولم تمض فترة حتى قبض عليه وعلى اخوانه فسيقوا الى الديوان العرفي الحربي في عاليه ولقي فيه اروع ضروب التعذيب والتنكيل ، وبعد التحقيق صدر الحكم باعدامه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – : كان من ضمن الذين دخلوا في اللامركزية ، واحد مروجي مقاصدها السرية ، وادخل فيها بعض اشخاص واخذ اختام فروعها في سورية ووزعها ، وكان يدير شئون فرعها في بيروت بالذات .

وفي صباح ٢١ آب سنة ١٩١٥م ، اعدم شنقاً في بيروت مع شهداء القافلة الاولى ، وقال : كنت اعرّب في اليمن كتاب شقيقين قتلا في سبيل تحرير ايطاليا ، والتفت الى اخيه محمد وقال يودعه : (عسى ان نكون كلانا من محرري بلاد العرب) .

محمد المحمصاني

١٨٨٨ - ١٩١٥

هو شقيق محمود المحمصاني ، ولد سنة ١٨٨٨م ، تلقى دراسته في الكليه العثمانية لمؤسسها العلامة الازهري وتخرج منها ، ثم



سافر سنة ١٩٠٩م الى باريس لتحصيل الحقوق في جامعاتها الكبرى وقد تجلى ذكاءه اللماح ، فتفوق في الدراسة على اقرانه ونال شهادة الليسانس سنة ١٩١٢ م ثم قدّم اطروحته ونال شهادة الدكتوراه بالحقوق ورجع الى وطنه .

نشاطه الوطني — : كان عضواً عاملا في الحقل السياسي ، ذا همة شماء لا تلويه عقبة ، طموحاً يضحي بكل شيء في سبيل اعلاء شأن امته واصلاحها ، وكان من كتاب المؤتمر السوري الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣م وقد جاهر بصوته مع اخوانه طالباً من الحكومة التركية الاصلاحات العربية .

كان متعصباً لقوميته صلد العقيدة ، ومن ابرز الذين قاوموا رجال العرب في قبول المناصب التي عرضها الاتحاديون على الزعماء لارضائهم وخنق اصواتهم .

وكان من أعضاء الجمعية الاصلاحية المركزية ، ومن اعضاء النادي الاهلي في بيروت ، وقد اشتهر في مواقفه الخطابية المؤثرة ومقالاته الوطنية البليغة التي كان ينشرها في جريدة المفيد ، وكان الخصم الألد للصهيونية ، وقد عرض عليه مبالغ طائلة لشراء سكوته والرجوع عن خطته ضدهم فأبى كل عرض واغراء بشمم وهزء ، وقد ألف كتاباً بعنوان (الفكرة الصهيونية) اوضح فيه غاياتهم ومقاصدهم ، وقد فقد هذا الكتاب مع اوراقه التي صادرتها الحكومة يوم اخذه لديوان الحرب العرفي سنة ١٩١٥م ، وكان يهتم مع شقيقه محمود بشؤون المرأة واصلاح احوالها ، وكان يرى في زواج العرب من الاجنبيات انحرافاً يؤثر على التكاتف ، ويؤثر على العقائد الوطنية ويفرق الوحدة ، وقد انهمك في قضايا التربية فعرب كتاباً عن الفرنسية سماه (كتاب التربية) وكان على وشك طبعه ، ولكن عاجلته النكبة ففقد مع اوراقه التي احتفظت بها الحكومة التركية اثناء سوقه الى الديوان العرفي الحربي .

وقد ابدى عظيم اهتمامه بالمدارس الاهلية ، فدخل سنة ١٩١٤م في جمعية المقاصد الخيرية ، واخذ يسعى بتحسين مدارسها وخاصة مدرسة البنات الاولى ، وكان من اكبر الدعاة لنبذ العقائد والتقاليد الفاسدة التي تنخر الاجسام ، والتحرر من الجمود والمحافظة على تقاليد العروبة المثلى . ومن ابرز ما تحلى به من السجايا العربية ، الصبر والجلد والتسامي ، فلما اتصل به وهو في السجن بأن اهله في حزن عظيم ، اجاب : قولوا لهم بان لا تقلقهم الحوادث ولا تضعفهم الكارثات ، فالانسان يعرف وقت المصائب .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه — : « هو احد مؤسسي فرع بيروت ، وقد أُريئت له صور الخطابات التي كان كتبها في لزوم الانفكاك عن الادارة العثمانية ، وفي ظلم الاتراك وأذاهم فصدّق بوقوعها ، والتحق باللامركزية وادى تقاسيطه ايضاً اليها ، واخذ اختام فروعها ووزعها » .

وفي صباح ٢١ آب سنة ١٩١٥م اعـدم شنقاً في بيروت مع شهداء القافلة الاولى ، وقد تقدم مع شقيقه محمود الى ساحة الاعدام ، وطلب من اخيه محمد ان يعدم قبله ، فلم يقبل ، وقد ودعه ووقف بقلب كبير ينظر الى شقيقه وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة .

عبد القادر الخرساء
١٨٨٥ - ١٩١٥

ولد الشهيد في مدينة دمشق سنة ١٨٨٥ م واسرة الخرساء دمشقية الأصل تقطن في حي القيمرية ، تلق



عبد القادر الخرساء بلباسه الغربي



عبد القادر الخرساء بلباسه العربي

يا راحلا عن هذه الدنيا لقد ضاقت بك الدنيا فسر بأمان

دراسته فيها، فكان ذكيا نجيبا ، ومن أقطاب شركة الخرساء التجارية التي اشتهرت في انكلترا وتركية والعالم العربي .وكان من أقطاب الجمعية اللامركزية ، وفي منزليه الكائنين في دمشق وبيروت كان يجتمع فيه اعضاء الجمعيةومركزاً لنشاطها السياسي .وكان الوسيط بين الملك فيصل الأول وأقطاب الجمعية في دمشق وبيروت لتحرير البلاد العربية من من النير العثماني .

وعندما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في البلاد العربية أتهم بنقل وثائق الجمعية اللامركزية واختامها من القاهرة الى بيروت ، وسيق الى الديوان العرفي الحربي وزج في سجن عاليه ، ولقي اهوال التعذيب والتنكيل .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه ـ « كان من الداخلين في اللامركزية وأتى بأختام اللامركزية من مصر الى بيروت ، وهو نفسه كان من اعضاء فرع بيروت »

وفي صباح يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ م أعدم شنقا في بيروت مع شهداء القافلة الاولى.

كان يؤمن بالقومية العربية والوحدة الشاملة ، وقد هتف بها ساعة تنفيذ اعدامه .

نور الدين القاضي

١٨٨٤ - ١٩١٥



•ولده ونشأته _ هو ابن الحاج زين القاضي ،ولد في مدينة بيروت في ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٢ هـ و ١٨٨٤ م تلقى دراسة ابتدائية، وكان منذ نشأته يهتم بالقضايا العربية مخلصاً لوطنه وامته ، ولما وقعت الحرب العالمية الأولى نزحت اسرته الى حمص مع من نزح من سكان بيروت بسبب الضائقة التي حلت في لبنان وعدم توفر الاعاشة . وقد آثر الشهيد المترجم البقاء في بيروت لوحده دون اللحاق باسرته ،ولم يدر اهله بانتمائه للجمعيات العربية السرية لشدة حرصه وكتمانه للأمر.

ولما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية ،وامتد سلطانه الى لبنان أخذ يراقب شباب البلاد العربية للوقوف على حركاتهم الوطنية واشتراكهم بالجمعيات السرية العربية ، واستولت السلطات التركية على مراسلات ورد اسمه فيها ،فسيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه، وزج في السجن ونال من التعذيب والتنكيل كغيره من الشهداء .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه: ـــ « كان من ضمن الداخلين في الجمعية،وكان يأخذ ختام الفروع ويذهب بها الى الأماكن العائدة اليها،وهو الذي كان يستلم الأوراق المضرة من بريد القنصلية الفرنسية

وفي صباح يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ م اعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الاولى ، ودفن معهم .

وهكذا يتضح ان المهمة الملقاة على عاتق هذا الشهيد الجريء، كانت شاقة وخطرة .

وقد تذرع بالكتمان الشديد لتأمين مهمته في خدمه الجمعيات العربية على أكمل وجه ، ومن سجاياه البارزة حماسه العربي الاصيل المقرون بالرزانة والنشاط والصبر والاناة ،والوفاء،والعقيدة الوطنية الصلدة، التي جعلت خاتمته ان يكون في مصاف الشهداء الخالدين

الشهيد سليم عبد الهادي

١٨٧٠ - ١٩١٥

هو ابن احمد عبد الهادي ، واسرته معروفة بالوجاهة والفضل في نابلس ، وأصلها من (عرّابه) من كبريات قرى جنين ، والاسرة موزعة بين عرابه وجنين ونابلس ، ولد سنة ١٨٧٠ م وقد ذكره (محمد الشنطي) بأنه معتمد اللامركزية في جنين ، فتوارى عن الانظار ، بعد أن أحس العاملون في الحقل الوطني مايختلج في نفس جمال باشا السفاح من نوايا سيئة نحو العرب ، وانخدعت اسرة آل عبد الهادي بالوعود ، ولم يكن الناس يدركون أن حبال المشانق تُعدّ للقافلة الاولى من شهداء العرب ، وكانت النتيجة ان استسلم وأخذ من جنين وسيق الى عاليه ، وكان نصيبه أن يشنق في اليوم التالي .

خلاصة قرار اتهامه — « كان معتمداً للامركزية بقضاء جنين ، يصرح بذلك خطاب مؤرخ في سنة ١٩١٤ م »

وفي صباح ٢١ آب سنة ١٩١٥ اعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الاولى ، ودفن في مقبرة الدروز وأنجب كريمة واحدة هي السيدة (طرب) ، وهي قرينة السيد عوني عبد الهادي ، الوزير السابق في شرقي الاردن .

وصيته قبل اعدامه بنصف ساعة

إن وصية الشهيد سليم عبد الهادي محفوظة في اطار من القزاز الثمين معلقة في بيت الاستاذ عوني عبد الهادي ، ومع أنه حُظر على الشهداء المحكومين بالاعدام ، أن لا يكتبوا في السياسة ، وهددوا بتمزيق وصاياهم فيما إذا تجاوزت الوصية فيما الشؤون الشخصية فان المؤرخ والقارىء يستطيع أن يستنبط من نصوص الوصية روح الذي كتبها ، وما يختلج في صدره من جرأة تضاءلت أمامها هيبة الموت ، وسلطانه القاهر . ومن المؤسف ان لا يترك الشهيد صورة له لنشرها في ترجمته .

لقد خطّ الشهيد وصيته بخط ممتاز جداً ، يدل ذلك على رباطة جأش الشهيد وقوة أعصابه ، وهذا نص الوصية :

« أكتب هذه الوصية في الساعة الثامنة والنصف من ليلة السبت الواقعة في ١٠ شوال سنة ١٣٣٣ هـ حيث حكم عليّ بالموت في الساعة التاسعة من الليلة المذكورة ، أعني أكتب هذه الوصية قبل موتي بنصف ساعة .

اكتب هذه ، وأحد رفقائي المحكومين معي (محمد المحمصاني) اخذ ليصلب ، واني مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى .

« انني اقيم عمي حافظ باشا وصياً شرعياً وناظر وصي على ابنتي اليتيمة (طرب) وزوجتي الحزينة (فاطمة خانم) لما لي في حنوه وشفقته على عائلتي خير كفيل على راحتها ولعمي المومأ اليه أن يوصي من يشاء .

« ليصرف عمي وولي نعمتي حافظ باشا من مالي الخاص ثلاثين الف قرش ، منها خمسة آلاف الى الفقراء والمحتاجين ، وخمسة وعشرين الف ليشتري بها قطعة ملك توقف لمال المعارف ، ويصرف ريعها على ابناء المستقبل ، واوصيت لاخي الامين بألف ليرة فرنساوي من مالي ، ولشقيقتي أم لطفي بمائتي ليرة ، ولزوجتي بباقي ثروتي النقدية ، وبكافة المصاغ والمجوهرات التي هي لها ، وأطلب اليها المسامحة ، وأشهد الله بأني أموت وأنا راض عنها ، فجزاها الله عني خير الجزاء ، وجزاء الخير .

« أطلب المسامحة من الجميع ، واعترف في حالة الموت بالفضل والاحسان لسعادة عمي حافظ باشا ، جزاه الله خيراً وصحبني به تحت لواء المصطفى صلى الله عليه وسلم .

« وأكتب هذا بقلم حديد ، ومن التحقيق بالخط يعلم أنه كتب جيداً ، مما يدل على أنني أستقبل الموت بصدر رحب ، وذلك لأنني خرجت من هذه الدنيا الدنية ناصع الجبين ، طاهر الذيل ، مؤمناً بالله واليوم الآخر » .

وكتب على ظهر الوصية بخطه أيضاً « تسلم ليد اخي امين أفندي عبد الهادي مبعوث لواء نابلس ، ولا يسهى عن فكره تسديد (بابا اخوان) ثمن فسطان النوم والبشكيرين ، ويتضح من هذه الوصية انه ثرياً في ماله ، فذاً في سجاياه الفاضلة .

محمود نجا عجم

١٨٧٩-١٩١٥

هو ابن السيد محمد نجا عجم ، ولد في مدينة بيروت سنة ١٨٧٩ م تلقى دراسة ابتدائية على الشيخ عيسى ، ثم انتقل الى الكلية الاسلامية التي كان يرأسها العلامة المشهور الشيخ عباس الازهري ، وبعد تخرجه نزل الى ميدان الحياة العامة ، وفتح مكتباً لتخليص البضائع الجمركية وراجت اعماله وكانت اخلاقه الفاضلة وما تحلى به من صدق وامانة موضع ثقة الشعب البيروتي ، وقد أسهم في الخدمات الاجتماعية والثقافية.



كان على صلة وثيقة بالشهداء عمر حمد ومحمد المحمصاني والشيخ احمد حسن طباره ، فرضع لبان العروبة وتعشق الحرية واستقلال بلاده.

وعندما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية ، اظهر اهتمامه بمراقبة الحالة السياسية في البلاد العربية ، ومن لهم علاقة بالجمعيات العربية السرية من الشباب العامل لتطهير البلاد منهم ، عقيدة منه ، بأن كل من يطالب باصلاح شؤون وطنه يعتبر خائنا يستحق الاعدام .

كان الشهيد ذا عقيدة وطنية ، شديد العزة لقوميته العربية ، فأتهم بعلاقاته في الجمعية اللامركزية ، وسيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه ، وزج في السجن ، وذاق انواع التعذيب والارهاق .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه . ـ « كان من ضمن الداخلين في فرع بيروت ، وكما اعترف هو بنفسه كان يؤدي عائداته منتظما ، واعترف ايضاً بأنه كان قرأ المنشورات اللامركزية وسعى في اذاعتها .

وفي فجر يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ م اعدم شنقاً في ساحة البرج في بيروت مع قافلة الشهداء الاولى ، فاستقبل أرجوحة الشرف باسماً هادئاً ، وكانت آخر كلمات قالها « روحي فدى لعروبة بلادي واستقلالها ، عشت شريفاً ، وأموت شريفاً »

وقد دفن مع اخوانه الشهداء في مقبرة تلة الدروز ، وقضى حياته عزباً ، ولم يترك سوى شقيقة ثكلى عزبة.

محمد مسلم عابدين
١٨٩٨-١٩١٥

أصله ونشأته . هو ابن راغب بن احمد عابدين ، وقد اشتهرت اسرة (عابدين) بالعلم والفضائل ، ولد بحي سوقساروجة بدمشق سنة ١٨٩٨ م ونشأ في بيئة صالحة ، تلقى دراسته في المدرسة الشامية الرسمية الوحيدة آنئذ بدمشق ، ودرس العلوم العربية والشرعية على عمه العلامة المشهور (ابو الخير عابدين) .

في خدمة الدولة – عين رئيساً لديوان مديرية الاوقاف العامة بدمشق وأشغل وكالة المديرية فترة ، ومن ابرز ما اشتهر به انه وقف في وجوه الطامعين من الاعيان والمتنفذين الذين يستحلون التسلط على أملاك الأوقاف واغتصابها واستملاكها بوسائل التزوير والتواطؤ فكان شوكة دامية في حلوقهم ، فتوسطوا بنفوذهم لنقله .

ولأمور سياسية أقصي عن وظيفته في مديرية الأوقاف وخلالها أصدر جريدة دمشق واستمرت مدة سبعة أشهر .

عودته الى الوظيفة – عين مديراً لأوقاف اللاذقية بسعي المتنفذين للتخلص من شدة وطأته عليهم ، فكان هذا التعيين بشكل ابعاد عن دمشق . وقد سكن منزل الوجيه الشيخ عارف الصوفي بحي القلعة في اللاذقية .

اعتقاله – حضرت قوة من الشرطة لاخذه من بيته ، فطلب امهاله فترة ، الا ان القوة دخلت الى المنزل قسراً ، واستطاع قبل دخولها من رمي صرة تحتوي على اوراق الى دار جاره الشيخ عارف الصوفي ورافق الشرطة الى المخفر ثم اطلقوا سراحه ، ويظهر ان جاره خشي عاقبة احتفاظه بأوراق الشهيد التي قذف بها اليه فأتلفها .

الى الاعدام – وبعد ايام اعتقل الشهيد وسيق الى ديوان الحرب العرفي في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – « كان يفيد بأنه مع كونه غير داخل في الجمعية ، كان يكاتب حقي بك العظم ، الا انه قبل نحو سنة او سنتين بعد البحث عن منزل المومأ اليه ، كتب حقي العظم خطاباً يتعلق بهذه المسألة ، وبيّن في هذا الخطاب انه من ضمن الداخلين في الجمعية وهذا الخطاب عرض عليه ، وكان معتمداً للجمعية في اللاذقية » .

كان في عداد شهداء القافلة الاولى في بيروت ، فاعدم شنقاً في صباح ٢١ آب سنة ١٩١٥م وقد كتب وصيته المؤثرة وفيها اوصى ان يدفن في دمشق وسامح من وشى به وكان سبب اعدامه .

ولكن السلطات التركية دفنته في مقبرة الدروز في بيروت مع اخوانه الشهداء .

اقترن الشهيد سنة ١٩٠٧ م بالسيدة فوزية بنت صادق الداوودي وأنجب كريمتين ، وقد خصص لاسرته راتب مواساة كان رحمه الله مربوع القامة ، ممتلىء الصحة ، أبيض اللون ، أشهل العينين .

صورة وصية الشهيد محمد مسلم عابدين

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

مرحباً بلقاء الله تعالى

ديوني : الى الشيخ فارس الدمياطي — في اللاذقية مجيدي عدد (١٥)
الى عمه (٧)
الى الشيخ محمد افندي الازهري — « هو ادرى بالمقدار
الى علي افندي كيال — « بموجب دفتره
الى الحاج مصطفى شريتح — « نصف ليرة عثمانية
الى اديب افندي حكيم — « ٤٣ قرشا
الى علي افندي تقي الدين في الشام او في بيروت ليرتان عثمانية
الى الحاج احمد المغربي عشي في بيروت هو ادرى لا اعرف المقدار

دفني — : في الشام في مقبرة باب الصغير
تزويج بنتي "لابني" عمي
عمل اسقاط صلاة ، واسقاط صوم اي كفارة ، والشهادة لي بأني تائب لوجه الله تعالى
طلب السماح لي من الشيخ محمد افندي الازهري في اللاذقية مما يعلم ومما لا يعلم .
أشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، أوصي عمي ابو الخير ، وخالي صادق بالبنات وهن اختي" وابنتي" وامرأتي الظلمات ، واوصي صهري"نوري وفارساً بأختي" والله الحفيظ .

انني أوصي بعمل تهليلة لي ولوالدي" وقراءة ختم ، وقد وقفت المكرم ودلائل الخيرات الموجودين في جيبي لجامع الورد في الشام في سوقساروجه ، وانني سامحت من كان سببي وارجو الله تعالى ان يسمح عني وعنه .
هذه الوصية تسلم لعمي أخ أبي وخالي والد امرأتي .
أرجو من امرأتي ان تسامحني بمقدم صداقها ومؤخرها ومالها بذمتي من الحقوق لأنها ابنة كرام .
أرجو من شقيقي" وامرأتي وكل اهلي ان يقرأوا لي ما تيسر من القرآن العظيم .
تبت الى الله من كل ذنب والحمد لله رب العالمين .
اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . **محمد مسلم عابدين**
ان لم يمكن ان يكون دفني في الشام في باب الصغير ، فليكن في شارع عام تمر" فيه الناس والسلام على من اتبع الهدى .
لي في الديوان العرفي ٣٥ ليرة والبستي ضمن صندوقين وخرجين والليرات عثمانية .

رأيت خيـــال الظل أكبر عبرة	لمن كان في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشبـــاح تمر وتنقضي	الكـــل يفـــنى والمحرك باقي

من ديوني التي ارجو أن تؤدى عني أو يستسمح من أهلها مقدار الى الخواجه شكري الحلاق تجاه الحوض قرب السرايا ولست اعلم مقداره ، سلمت ليرة عثمانية واحدة ومجيديين وعدة قروش وستة عشر قرشاً وعشرة بارات صاغ فرط الى ادارة البوليس في بيروت لتضم الى التركة مع ساعتي التي سلمتها أيضاً .
أرجو ان يخصص لاطفالي معاش الايتام ، لأنه من حقوقي الشرعية ، أرجو أن يطلب لي سماح مصطفى الجمال خادم جامع الصغير في اللاذقية .
العلاجات الموجودة عندي جعلتها وقفاً وصدقة على فقراء السجن ، وانني اوصي إذا دفنت في بيروت أن يكتب على قبري الفاتحة لهذا الغريب ، ولكنني أؤكد كل التأكيد أن يكون قبري في مقبرة باب الصغير في الشام عند قبور عائلتي .

لم يصل من المال وماتركه من الاشياء الى أهله شيئاً مما ذكره في وصيته الا ربطة عنقه وكاسة ماء مكسورة

نايف تللو
١٨٨٥-١٩١٥

مولده ونشأته ـ : هو ابن سليم تللو ، والاسرة عربية الاصل وتكنت بـ« تللو » نسبة الى اسم قرية في منطقة جبل الأكراد ، التابعة لمحافظة حلب .

ولد بدمشق سنة ١٨٨٥ م وتلقى دراسته الاعدادية في مدارس دمشق ، وقد انتسب الى سلك الوظيفة فعين موظفاً في محافظة درعا ، ثم نقل الى زحلة ومنها الى الكرك ، وكان يراسل جريدة المقتبس بمقالات متنوعة . ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى وتولى السفاح جمال باشا قيادة الجيش الرابع وبدأ بتطبيق خطة ابادة زعماء العرب وشبابها . قبض عليه في الكرك وسيق الى سجن دمشق . وقد استجوبه الوالي خلوصي بك لمعرفة اهداف الجمعية ورفاقه فيها واغراه بالعفو ، ولكنه لم يبح باسرار هذه الجمعية وآثر الموت بكل شمم وإباء دون ان يعرض غيره للهلاك . ولما يئس الوالي من اصراره على الانكار سيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه وزج في سجن بيروت للتحقيق ، وكان صابراً متجلدا رغم مالقيه من عذاب وتنكيل .



خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه . « كان من ضمن الداخلين في الجمعية ومعتمدا لها بالبقاع ، وافاد ايضاً بأنه كان أدخل بعض اشخاص فيها » .

وفي صباح ٢١ آب سنة ١٩١٥ م اعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الاولى ودفن فيها ، ونجت عائلته من النفي بسبب المرض الذي أتاها حزناً على قرينها الا ان المنية وافتها بعد سنة من اعدامه وأنجب ولداً هو السيد جمال تللو ، وكان في الشهر السادس من عمره حينما فقد ابيه ، وبعد وفاة امه كفلته جدته لأمه وهو ابن سنة ونصف ، فأُخفي في قطنا عند جده لامه واشيع عن وفاته تفادياً من نفيه ، ولا معيل له في المنفى ، لم يترك الشهيد مالا أو عقاراً ليعتاش به طفله الوحيد ، فقامت الحكومة بتخصيص راتب مواساة له اسوة باسر الشهداء .

وهكذا ضرب هذا الشهيد اروع مثل في التضحية وكتمان السر ولو أباح السر ، لكانت نكبة كبرى ونحن لا نستعظم ذلك منه ، فانه ورث المروءة والكرامة العربية الاصيلة عن اجداد اسرته ، وفادى بروحه في سبيل وطنه .

صالح حيدر

١٨٨٤-١٩١٥

مولده ونشأته : – هو ابن السيد اسعد حيدر ، واسرته اشتهرت بالوجاهة والزعامة في منطقة بعلبك ، ولد فيها سنة ١٨٨٤ م وتلقى علومه الابتدائية في مسقط رأسه ، ثم انتقل الى الكلية البطريركية في بيروت سنة ١٩٠٤ م ونال شهادتها .

كان الشهيد خطيباً بليغاً ، يتقن اللغات الفرنسية والتركية والعربية ، ومن مواقفه الخطابية ، انه القى امام الجنود الاتراك في (الكرك) في اوائل سنة ١٩١٥ م خطبة حماسية اتجهت اليه الانظار ، واسترعت انتباه المسؤولين ، واشترط بمساندة العرب للأتراك في الحرب العالمية الاولى ، ان يمنحوا سورية الاستقلال .

كان شاباً نشيطاً جريئاً متحمساً لقوميته العربية ، وقد انتسب الى اللامركزية ، وكان رئيساً لبلدية بعلبك سنة ١٩١٢ م حتى اعدامه .

بدأ نشاطه السياسي سنة ١٩٠٧ م وتبلور هذا النشاط بعد سنة ١٩٠٨ م مع رفاقه الشهداء عبد الكريم الخليل ومحمد ومحمود المحمصاني في جمعيات سورية الفتاة والاصلاح والترقي واللامركزية .

ولما أحس بنوايا جمال باشا نحو رجالات العرب ، توارى عن الانظار ، وأراد جمال باشا القبض عليه فتمنع في الجبال ، فقبض على ابيه السيد اسعد حيدر ، وعمه الدكتور حسين خليل حيدر ، وسيق والده الى الديوان العرفي الحربي في عاليه .

وتلقى السيد حسني الجندي وكان آنئذ وكيلا للقائمقامية في بعلبك تهديداً من جمال باشا ، وتشديداً بالقبض عليه .

ولما علم من عمه السيد مصطفى حيدر ، بأن جمال باشا ينوي اعدام والده في حالة عدم استسلامه ، آثر الاستسلام وأبى ان ان يذهب والده ضحية بدلاً عنه ، وتقدم الامير شكيب ارسلان ناصحاً عم الشهيد السيد مصطفى حيدر بضرورة تسليمه ، تخلصاً من التعقيبات والمطاردة المستمرة بحقه ، وقد سلمه عمه ، فسيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه ، فكان نصيبه الاعدام شنقاً مع اخوانه رجال القافلة الاولى .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – . «كان معتمد اللامركزية في بعلبك ، ووجد مصرحاً في المكاتيب التي كانت وردت اليه والتي ارسلت الى محمد المحمصاني من مصر ، بأنه من ضمن الداخلين في التشكيلات السرية» .

وفي فجر يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ م اعدم شنقاً في ساحة البرج في بيروت ، ودفن في مقبرة الدروز مع رفاقه شهداء القافلة الاولى ، وكانت آخر كلمات قالها «نموت ، ولتكن جماجمنا اساس الاستقلال العربي» وقد نقل هذه الجملة شرطي كان حاضراً ساعة اعدامه ، ونقلها صحافي افرنسي ، ونشرت في كتاب اسمه «ليالي سورية» ترجمه (طاز باز) .

وقد أنجب ولداً هو السيد رياض وكريمتين ، وقد اصدر جمال باشا امره بنفي اسرة آل حيدر الى الاناضول ، وكان بينهم سعيد باشا السليمان حيدر وعائلته .

الشهيد علي الارمنازي

١٨٩٤ - ١٩١٥

ولد في حماه سنة ١٨٩٤ م ، ونشأ في بيت علم قديم فيها ، وهو ابن الشيخ محمد الارمنازي وجده علي الارمنازي ، وهذا الاسم متردد في العائلة منذ قرون ، وقد تلقى دراسته في مدارس الحكومة وعلى ايدي أساتذة من رجال الأدب ، وعين في وظيفة قضائية وهو في سن مبكرة جداً ، ثم استقال واشتغل في المحاماة والصحافة . وكان مندوب حزب اللامركزية في حماه .

أصدر جريدة نهر العاصي سنة ١٩١٢ م وقامت بجرأة بالغة بتأييد الحركة الاصلاحية وحزب اللامركزية والمطالب العربية القومية ، حتى انه سنة ١٩١٣ بعد مقتل محمود شوكة باشا واعدام كثير من الشخصيات العثمانية . نشرت عدداً شديد اللهجة وفي صفحته الاولى قصيدة لأحد كبار ادباء حماه وشعرائها المرحوم الشيخ حسن الرزق ومطلعها :

الى حضرة السلطان أرسله شعرا عسى أن يرى فيه من العرب الذكرى

وكان هذا العدد سبباً لاقامة دعوى على الشهيد الارمنازي ، واتهامه بالجناية فتوارى أشهراً عديدة ، وبعد ذلك بذلت مساع بدمشق حتى حُوّلت تهمة الجناية الى جنحة . ثم نظرت محكمة حماه برئاسة احد كبار قضاة العرب السيد نجيب القباني البيروتي وأصدرت حكمها بالبراءة ، وقد اشترك السيد صالح بسيسو وسعيد محاسن في هذه الدعوى وكانوا أعضاء في هذه المحكمة ، وكان هذا العمل من المحكمة دليلاً على الاقدام في ذلك العهد وتغلغل الفكرة القومية والدفاع عنها .

وقد نالت جريدة نهر العاصي اعجاب زعماء الحركة الاصلاحية واللامركزية في بيروت ودمشق والقاهرة ، وكان يتلقى رسائل عديدة في هذا المعنى ، حتى ان الدكتور الشهيد عزة الجندي وكان يومئذ في مصر ، صنع للجريدة المذكورة كليشة جميلة وأرسلها اليه تقديراً لجهود الجريدة .

كان كثير الاتصال بمعظم قادة الحركة العربية بدمشق وبيروت وكثير الاسفار الى المدينتين . وقد اتصلت بينه وبين المرحوم عبد الكريم الخليل رابطة مودة وثيقة حينما كان في دمشق سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ م .

ويروى انه لما قبض عليه سأله جمال باشا عما يعرفه عن عبد الكريم الخليل ، وأخذ يوجه اليه مطاعن وشتائم ، فأجابه ، اني لا أعرف عبد الكريم الخليل ، ولكني اعرف عبد الكريم الذي كان صديقاً لدولتكم . فاستشاط جمال باشا غضباً لهذا الجواب ، وكان توقيف الشهيد علي الارمنازي في اثناء المحاكمات ، وما لقيه في سجن عاليه من الصبر على آلامه ، موضع تقدير الذين خرجوا من السجن وتحدثوا عن شدة جلده وصبره .

ونقل عن لسان الشهيد ، ان جمال باشا لما طلبه لمقابلته ، أُحضر ، واطل من وراء الستار ، فشاهد الشهيد الدكتور عزة الجندي لدى جمال باشا ، فأُدخل الى غرفة مقابلة لغرفة جمال باشا ، ريثما ينتهي الحديث بين السفاح والدكتور الجندي ، وسمع مشادة في الحديث ، وهذا ما يؤكد صحة اعدامه في دمشق .

ومن فضائل سجايا هذا الشهيد ، ونبل شهامته ، ان جمال باشا سأله بالحاح وشدة عن المرحوم خالد آغا الدرويش البرازي ، وما يعرفه من صلاته بالجمعيات العربية ، فأنكر معرفته به ، وقال الشهيد انه يعرف خالد آغا الباكير البرازي ، وقد كان

نائباً في البرلمان العثماني . ولكي لا يقع خالد آغا الدرويش في الشرك نفى عنه كل شيء ، وألصق التهم المسندة اليه الى ابن عمه خالد آغا الباكير نائب البرلمان ، وكان قد انتقل الى رحمة ربه ، ومع ذلك كله فقد أمر جمال باشا بنفي خالد آغا الدرويش الى الاناضول.

نص قرار اتهامه والحكم باعدامه — « اعترف بأنه انوجد في مخابرات مع اللامركزيين إلا انه يدعي بأنه اخيراً انفك عنهم ، كان معتمداً للامركزية في حماه والذي أتاه بالخاتم هو نوري القاضي .

وفي فجر يوم ٢١ آب سنة ١٩١٥ م اعدم شنقاً في ساحة البرج في بيروت مع قافلة الشهداء الاولى ، ودفن بمقبرة الدروز في بيروت قضى الشهيد حياته عزباً .

النفقات السرية

خصص احمد جمال باشا مبلغ خمسمائة ليرة ذهبية الى جماعات القبضايات ، واتخذ من هذه الفئة شبه حرس حوله لانه كان يعتقد ان الشعب قد ازدادت نقمته عليه بسبب اعدامه القافلة الاولى من رجالات سورية ،وان في مقدور رجال الحرس مقاومة اعدائه داخل البلاد السورية ،والمناداة بنفسه خديوياً على سورية عندما يحين الوقت ، ولكنه لم يستفد منهم شيئاً فراح يعتمد على رجال الدين المسلمين في تأييد حركاته لاعتقاده بنفوذهم على عامة السوريين ، لهذا استمالهم ليكونوا قوة ثانية بجانبه مع القبضايات ، واكرمهم زيادة عن المعتاد ، فأقطعهم الاموال والذخائر لاعاشتهم ، وكان في مقدمة الذين استفادوا من هذه الاموال السرية الشيخ اسعد الشقيري ، الشيخ عبد الكريم الحسيني ، الشيخ بدر الدين الحسني ، الشيخ تاج الدين الحسني ، الشيخ النحاس ، الشيخ عبد الرحمن الانصاري ، الشيخ الجوبي ، الشيخ الصيادي ، الشيخ عبد القادر الخطيب وغيرهم . والشيخ الوحيد الذي أبى ان يمد يده الى هذه الاموال السرية هو الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت .

وأشار عزيز بك في مذكراته الى ما كان يتمتع به مفتي بيروت الذي صادفه في سورية من نبل وشرف واباء .

نية اعتقال رجالات العرب

بعد اعدام القافلة الاولى من شهداء العرب في بيروت بتاريخ ٢١ آب سنة ١٩١٥م استقر جمال باشا في دمشق ، في خريف سنه ١٩١٥م ، وكان اول عمل نفذه ، ان اقصى الضباط العرب ، الذين كانوا في الجيش الرابع المرابط في سورية ، فشتت شملهم ، وارسلهم الى ميادين القتال المختلفة ، كما ابعد الوحدات العربية عن الاقطار العربية ، تفادياً لكل طارىء مفاجيء .

جمال باشا ورجال الدين — : رأى جمال باشا من الحكمة والسياسة ، التقرب الى زعماء البلاد ، واستمالة المشايخ ورجال الدين ، فوزع عليهم الهدايا والاموال والاعاشات السخية ، ليأمن جانبهم ، محاولاً تهدئة الاعصاب ، والدعاية لنفسه بما كان يختلج في نفسه من مطامع يرغب في تحقيقها متى حانت الظروف لاغتصاب البلاد العربية واقتطاعها من الدولة العثمانية ، وكان لا يغيب عن فراسته مافطر عليه بعض المشايخ ورجال الدين من نفاق ورياء ، فكان يتغابى امرهم ، ويغض الطرف عن شططهم ، والتقرب اليه بتقديم الوشايات بحق الناس ، حتى ضاعت عليه الحقائق وجعلوه في أرجوحة ، تقوم قوائمها على الدس والتلفيق والافتراء والوهم.

عبد الله الظاهر
١٨٥٦--١٩١٦

تقيم اسرة الظاهر المعروفة في القبيات (عكار) ، يتعاطى افرادها الفلاحة والزراعة في اراضيهم المملوكة
ولد المترجم في القبيات سنة ١٨٥٦ م وتلقى دراسته في مدرسة غزير المشهورة ، كان عضواً يمثل منطقته
في مجلس ادارة طرابلس .



نزوحه الى اميركا : - نزح مع والديه الى اميركا الجنوبية واقام فيها مدة اربع سنوات تعاطى خلالها التجارة ، وشاء القدر ان يعود الى وطنه ليلقى حتفه ظلماً وعدواناً .

اتهامه : فوضته القنصلية الفرنسية بشراء بعض الاراضي الاميرية في (جفتلك) حمص ، ولما تولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع وعثر على المخابرات والوثائق المدفونة في حائط القنصلية الفرنسية في بيروت عثر على اوراق المفاوضات المتعلقة بمبايعات الاراضي المذكورة ، وقد قبض عليه في حمص وسيق الى المحاكمة وزج في سجن عاليه وبيروت زهاء سنة لقي خلالها انواع العذاب ، وكانت التهمة الموجهة اليه بالتعامل مع الدولة الفرنسية كافية لادانته حسب الشريعة التركية بالاعدام .

اعدامه : - وفي ١ اذار سنه ١٩١٦ سيق الى ساحة الاعدام واعدم شنقاً في بيروت .

ونحن نرى ان تعامله مع الفرنسيين كان ينحصر في شراء الاراضي الأميرية في حمص ، وليس في ذلك مايستوجب الحكم عليه بالاعدام ، وقد استطعنا الوقوف على معلومات تؤكد ان صاحب هذه الترجمة ، قام بمهمته لقاء منفعة خاصة ، تقاضى عنها أجره ، واذا قيست جريمته هذه ، بما كان يرتكبه الاتحاديون عند قيامهم بمهام شراء الاسلحة والعتاد للجيش العثماني ، وقطع الاسطول من الدول الاجنبية لقاء عمولة يتقاضونها من شركاتها ، وجدنا جرائمهم عبارة عن تواطوء وسرقة وخيانة ، هي افظع مما نسب الى هذا المترجم المظلوم .

يوسف الهاني

١٨٧٠ - ١٩١٦

ولد المترجم في بيروت سنة ١٨٧٠ م وتلقى دراسته في مدرسة عين طورة وكلية القديس يوسف في بيروت .

لقد شاء القدر ان يكون فيليب زلزل ترجمان قنصل فرانسا في بيروت اصل البلاء وسبب النكبات والفواجع



التي حلت بكثير من الناس ، فقد صدر الأمر بابعاده فتوسط قنصل المانيا في امره ، فعفي عنه ، ولكن بعد أن أفشى الأسرار واطلع السلطات التركية على مكان الوثائق السرية المدفونة في احد جدران بناء القنصلية ، وضع السفاح جمال باشا يده على ماوجدوه من مخابرات وبوشر بالتحقيق والقبض على ذوي العلاقة فيها .

ويرجع عهد المخابرات الى تاريخ ١٨ اذار سنة ١٩١٣ م بين القنصل والسفارة ووزارة الخارجيه الفرنسية ، وبين المخابرات لائحة اصلاحية طويلة خلاصتها طلب استيلاء فرانسا على سورية وحماية النصارى وزيادة الحكومة التركية للضرائب الاميرية ، والاضطرار للهجرة بسبب الاضطهاد وهي تعبر عن آمال النصارى ومطالبهم ، وهناك مخابرات ظلت طي الكتمان لاسباب سياسية .

وقد كان المترجم احد الموقعين على هذه اللائحة المشؤومة ، فقبض عليه وسيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه وزج في السجن ، فاعترف بصحة توقيعه فحكم عليه بالاعدام .

الشفاعات : ـ رغم مابذلته عائلة المترجم من وساطات وشفاعات للعفو عنه ، فان السفاح جمال باشا قبل دعوتها الى وليمة فاخرة وترامت مع ولديها على اقدام هذا الطاغية ، فوعدهم بالعفو ووثقوا بقوله ، ولكنه كان يضمر الفتك في قلبه . وبعد ايام نقل المترجم من عاليه الى بيروت ليلاو كتب وصيته ، وفي فجر يوم ٥ نيسان سنة ١٩١٦ م اعدم شنقاً في ساحة البرج .

ونحن نرى ، في موقف جمال باشا مايخالف الشرف والاخلاق ، فقد وعد اسرة صاحب هذه الترجمة بالعفو عنه رحمة باولاده ، ثم حنث وغدر ، وكان عليه وقد ازمع على اعدامه ان يرفض الحضور الى الوليمة المعدة له ، الا اذا كان ولو عاير يدان يرى في هذه الحفلة مايراه ... ويسمع من ألسنة المتوسلين عبارات الاسترحام ، وهم يذرفون الدمع امام قلب قُدَّ من صخر .

بلاغ جمال باشا

وفي يوم اعدام القافلة الثانية من شهداء العرب في بيروت ودمشق ، اصدر جمال باشا في ٦ آيار سنة ١٩١٦م بلاغاً يبرر فيه اعدام القافلة الثانية من الشهداء ، وهذا نصه « لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المؤلف في مصر والممالك العثمانية تحت عنوان (حزب اللامركزية) والذين حوكموا امام ديوان الحرب في عاليه ، كتبت في البيان الذي نشرته في شهر آب سنة ١٩١٥ م ان الملاحقات تجري بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا .

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعترافات عبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد الذي قبض عليه أخيراً ، واعترافات سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ، ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين ، قد كشفت عن سرائر المسألة من جميع اطرافها ، فسيق الى ديوان حرب عاليه جميع الذين ظهر ان لهم علاقة بها بدرجات متفاوتة ، مع الذين اشتركوا في المساعي الخائنة لتنفيذ مشاريع الجمعية ومقرراتها واعمالها ، وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي اجراها الديوان العرفي صدرت الاحكام اللازمة بحق المتهمين من الموقوفين والفارين كل حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي تستهدف سلخ سورية وفلسطين والعراق عن السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة .

وقد حكم بالاعدام على شفيق بن احمد المؤيد ، الامير عمر بن عبد القادر الجزائري . الشيخ عبد الحميد الزهراوي . عمر بن مصطفى احمد . رفيق بن موسى رزق سلوم . محمد بن حسين الشنطي . شكري بن بدر علي العسلي . توفيق احمد البساط . سيف الدين بن ابي النصر الخطيب . الشيخ احمد بن حسين طبارة . عبد الوهاب بن الحسين الانكليزي . سعيد بن فاضل عقل . باترو باولي . جرجي بن موسى الحداد . سليم بن محمد سعيد الجزائري . علي بن محمد حاج عمر . رشدي بن احمد الشمعة . امين لطفي ابن محمد الحافظ . جلال بن سليم البخاري . عبد الغني العريسي . الامير عارف الشهابي . وذلك لثبوت اشتراكهم في مؤامرات الجمعية بصورة رئيسية عملية .

احكام السجن والنفي

وحكم بالسجن على كل من تبين اشتراكهم في الدسيسة فرعياً وهم : سالم بن مصطفى المظلوم بالاعتقال في القلعة لمدة خمس سنوات . توفيق بن محمد الناطور ويوسف بن مخيبر سليمان بعشر سنين . وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة . ورياض بن رضا الصلح بنفي مؤبد . والامير طاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين معتقلا في القلعة .

وحكم بالنفي على الذين تعاونوا مع الجمعية بدافع الصلف او الجهل تعاوناً محسوساً بالرغم من انهم كانوا يجهلون مقاصدها ، وبالرغم من ان الوثائق لم تجرمهم تماماً وهم : رضا الصلح ، اسعد حيدر .

واشار البلاغ الى اسماء الذين قرر ديوان حرب عاليه منع محاكمتهم والى ارسال المجرمين الى منافيهم وسجونهم ، وعلى هذا المنوال استقر الامن في سورية وفلسطين ، وسينشر كتاب حاوٍ جميع الوثائق على حدة ، مع اعترافات المجرمين المتهمين وتاريخ لهذه القضية .

اعتقال زعماء العرب - : لو تحققت اماني جمال باشا باستقلاله في هذه البلاد ، لبطش بالعناصر الهزيلة من الوشاة دون هوادة ، لتصفية الجو من حوله ، وازالة ما استحوذ على افكاره من بلبلة وشك وتردد ..

وقد شرع وهو في دمشق يعتقل زعماء العرب ورجالها الاحرار ، ودفع بهم الى السجون ، واقسم ليقضين على جميع اركان الحركة اللامركزية وطالبي الاصلاح بلا رحمة ، وهي الحركة العربية السرية الوحيدة التي اكتشفها الاتراك بواسطة (محمد الشنطي اليافي) الفلسطيني . وشرع ديوان عاليه ينظر في القضايا الجديدة المحالة اليه من جمال باشا ، وما لبث حتى اصدر حكمه بالاعدام على فريق كبير من المعتقلين .

نفى ثلاثمائة عائلة عربية

وتنفيذاً لبلاغ السفاح جمال ، تمّ تنفيذ احكام النفي بزهاء ثلاثمائة اسرة من خيرة الاسر العربية في سورية ولبنان ، وقد بدأ ترحيل المنفيين في شهر نيسان سنة ١٩١٦ م الى الاناضول حيث وزعوا في مدنه وقراه بين قونيه وانقره وديار بكر وبروسه واضنه وسيواس ، وكانت الغاية من ذلك اضعاف العصبية العربية في سورية ، على ان جمال باشا لم يلبث حتى حصد ما جنته يداه من فتك وبطش ، فانفجرت الثورة العربية الكبرى التي قام بها الشريف حسين ، فكانت من اهم العوامل لزوال العهد التركي عن البلاد العربية .

شهداء القافلة الثانية في دمشق

وهذه اسماء الشهداء الذين علقوا على اعواد المشانق في دمشق فجر يوم السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ الموافق ٦ ايار سنة ١٩١٦ م وعددهم سبعه شهداء وهم : حسب ترتيب التسلسل في اعدامهم :

١ ـ شفيق بك المؤيد العظم « دمشق »
٢ ـ عبد الحميد الزهراوي « حمص »
٣ ـ الامير عمر الجزائري « دمشق »
٤ ـ شكري العسلي « دمشق »
٥ ـ عبد الوهاب الانكليزي « دمشق »
٦ ـ رفيق رزق سلوم « حمص »
٧ ـ رشدي الشمعة « دمشق »

اعدام شهداء القافلة الثانية من السوريين بدمشق

غادر عاليه في الخامس من شهر ايار سنة ١٩١٦م قطار خاص يقل الشهداء السادة شفيق المؤيد العظم . عبد الحميد الزهراوي . الامير عمر الجزائري ، شكري العسلي ، عبد الوهاب الانكليزي ، رفيق رزق سلوم ورشدي الشمعة .

حمل القطار اولئك الشهداء الابطال تحت حراسة شديدة من الجند ، ولما وصلوا إلى رياق ، التقوا بالقطار الذي ينقل عائلاتهم الى المنافي في الاناضول ، فخاطبوهم والدموع تنهمر من العيون ، وحسرات القلب تتأجج وتختلج في الصدور ، وكان مشهد اللقاء والوداع مؤلماً مريراً يفتت الاكباد ، وافترق القطاران من رياق الى حلب ودمشق ، ولما وصل قطار دمشق الى محطة البرامكة ، منع الجند الناس من الوقوف هناك ، ثم نقلوا المحكوم عليهم الى دائرة الشرطة في الليل ، وأحضروا أحد الشيوخ يؤهلهم للموت ويشجعهم ويعزّيهم ، وهم ليسوا بحاجة لتشجيع ، فكلهم ليوث وأبطال لايرهبون الموت.

وفي الساعة الثالثة من صباح يوم السبت الواقع في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ الموافق لليوم السادس من شهر ايار سنة ١٩١٦ م أنيرت ساحة الاعدام بالانوار الكهربائية ، وأمرت السلطة السيد الشماس صاحب مقهى زهرة دمشق انارة مصابيح المقهى لتسطع بأنوارها على الساحة .

اللحظة الاخيرة

جيء بالمحكوم عليهم في ثياب الاعدام البيضاء ، وعلى صدورهم خلاصة الحكم ، وبديء بالتنفيذ اولا بالسيد شفيق المؤيد العظم ، ثم بالسيد عبد الحميد الزهراوي ، وقد انقطع الحبل به ، فرفعوه وعلقوه مرة ثانية بعد أن شدوا رجليه شداً قوياً ، وجيء بعده بالامير عمر الجزائري ، ثم السيد شكري العسلي ، ولما جاء دور التنفيذ بالسيد عبد الوهاب الانكليزي أمسك به الجند لشدة بأسه ومراسه ، وقد أمعن في لعن الاتراك الغاشمين وشتمهم ، فعبر عن كل مايختلج في نفوس العرب وألسنتهم حيال مظالمهم وفظائعهم ، ثم جيء بالسيد رفيق رزق سلوم وانتهوا بالسيد رشدي الشمعة .

الانتصار المشين

لقد اكد الذين كانوا على اتصال وثيق بجمال باشا انه وقف في شرفة بناية احمد عزة العابد التي صادرتها السلطات العسكرية التركية يتفرج على تنفيذ احكام الاعدام وحشرجة ارواح فريق من رجالات العرب الذين اقضوا مضاجع الاتحاديين في البرلمان التركي بمواقفهم المشهورة .

وفي الوقت الذي لبست به دمشق والبلاد العربية اثواب الحداد اسى ولوعة على ابنائها ، انطلق السفاح جمال في ذلك اليوم المشؤوم الى قرية (الحيارة) في غوطة دمشق ، فنقلت ثلاث عربات بعض النساء الى هذه القرية حيث قضين النهار في نشوة خمر ، وغناء ورقص ، وكانت قرينة نشأة بك تطربه بغنائها ورنات عودها ، ثم عاد الجميع في المساء يجولون في الاسواق حاملين باقات من الزهر رمزاً لذلك الانتصار المشين باعدام احرار العرب .

الشهيد شفيق بك المؤيد العظم

١٨٦١-١٩١٦

مولده – هو ابن احمد مؤيد باشا ، بن القائد نصوح باشا ، بن سعد الدين باشا ، بن اسماعيل باشا ، بن ابراهيم العظم ، الجد الاكبر والاول للعائلة .



ولد بدمشق سنة ١٨٦١ م وتلقى دراسته في (عينتورا) الشهيرة في لبنان ، ونبغ في اللغات العربية والفرنسية والتركية وألمّ بالانكليزية ، وكان شاعراً وأديباً في اللغة العربية .

مراحل حياته – عين في وظائف مختلفة ، منها مديرية الدفتر الخاقاني بدمشق ، ومصلحة الجمارك في بيروت ، وكان في الخامسة والعشرين من عمره اذ ذاك ، وفيها اقترن السيدة فاطمة بنت عبد الفتاح اليافي ، وانجب منها ست كرائم وولدين ، وهما واثق بك ، وهشام بك رحمها الله .

سفر والده الى الاستانة – سافر والد الشهيد احمد مؤيد باشا الى الآستانة ، وحظي بمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني ، وانجده بمجل مشاكله وتمر بلقائه ، ولقي منه كل عطف واعزاز ، ولما علم من حديثه معه وفرة افراد عائلته ، وسعة دائرته ، كلفه السلطان لعرض ما يبتغيه ، فترفّع ، ولم يطلب منه سوى الحاق ولده شفيق بك وحفيده صادق بك المؤيد ، بعد ان اكملا دروسها ، في خدمة الدولة ، فأمر بالحاقها بحاشيته في الباب العالي ، وقد عين الشهيد شفيق بك مترجماً ، وعين صادق بك ياوراً ، ثم منح الثاني رتبة البشوية ، فكان من اقرب الموظفين لسلطانه ، وعهد اليه بمهمات كبرى .

وفي سنة ١٨٩٦ م عهد الى الشهيد بمفوضية الديون العامة ، فبقي فيها الى سنة ١٩٠١ م ، وقد حدث ان عمدت الدولة الى تمديد الخط الحديدي من رياق الى حلب ، واقتضى لها ان تقدم كفالة لادارة الديون العامة كي تكفل الخط ، وعزمت على احالة جباية اعشار ولايتي سورية وحلب الى الادارة المشار اليها ، وقررت عقد مجلس من رجال الدولة ، كان احمد عزة باشا العابد القرين الثاني للسلطان احد اعضائه ، فدعا المجلس شفيق بك مفوض الديون العامة ، واستشاره في الموضوع ، فرفض الشهيد الموافقة على هذا التدبير ، غير ان السلطان اقرّه بعد ذلك ، فاضطر شفيق بك الى الاستقالة من مفوضية الديون العامة ، فما كان من هذه الادارة التي كان الشهيد معارضا لها الا ان عينته مفوضاً عنها في ادارة حصر الدخان ، لأن موارد الحصر كانت من جملة موارد الديون العامة لتسديد مطالبها .

حزب الاخاء العربي

بقي الشهيد في هذه الوظيفة حتى اعلان الدستور ، ولما بدأ حزب الاتحاد والترقي يسيطر على الامور ارتأى الشهيد ان يؤلف حزباً يحمي حقوق المناطق العربية الداخلة في حوزة الدولة العثمانية ، فألف جمعية الاخاء العربي ، وانتخب لها مجلساً ادارياً من أكابر رجالات العرب الموجودين في الآستانة وأصدر جريدة باسم الآخاء العربي العثماني ، ثم ما لبثت ان اغلقت .

مبعوث دمشق – انتخب نائباً في البرلمان التركي عن دمشق ، وكان في هذا المجلس ، رشدي الشمعة ، وشكري العسلي ، فكانوا من ابرز اعضائه علماً وجرأة وذكاء ، ولهم مواقف مشهورة تجلت فيها عقيدتهم العربية الصلدة .

وقبل الحرب العامة الاولى اجتمع البعض من رجالات العرب من سورية ولبنان ، والفوا مؤتمراً اتخذ له مقراً في باريس ، ولم يكن الشهيد من اعضائه ، وفي تلك البرهة ، سافر الشهيد الى لبنان فسورية ، ثم قصد مصر ترويحاً للنفس ، وقبل سفره مرّ على

اصدقائه من كبار الشخصيات في الآستانة ، وفي عدادهم الموسيو (بايار) سفير فرنسة في تركية ، فكتب الموسيو بايار الى قنصل فرانسا في لبنان ، يعلمه بأن شفيق المؤيد هو من ابناء الاسر العليا ويوصيه بأن يتصل به ويقدم له ما قد يحتاج اليه من خدمات، نظراً لمكانته ، وخلال الحرب العامة قام الاتراك بتحري القنصلية الفرنسية في بيروت فعثروا على بعض الاوراق ومنها تلك الرسالة ، فكان ذلك من جملة الاسباب التي ادت لنكبته ، واعدامه ، بداعي اتصاله بالفرنسيين وتآمره معهم ضد الاتراك ولنا كلمة عامة حول ذلك في بحث خاص .

زواجه الثاني – اقترن بالسيدة نعمت ارملة المشير الصدر الاعظم جواد باشا بعد وفاة زوجها ، وقد ظلت في عصمته زهاء سنة ، ثم توفيت اثر عسر الولادة ، وظل ولدها حياً ثلاثة ايام ثم مات ، وقد كان لزواج الشهيد بهذه المرأة ابلغ الاثر في نفوس اخصامه الاتراك ، وقد سبق ان تقدم لها وزراء وقواد ونواب ، فاختارت الشهيد من بينهم ، ورضيت به قريناً لها ، وقد ورث الشهيد من زوجته المثرية ، فأثار بذلك حفيظة الاتراك عليه ، ويمكننا الجزم بأن اسباب اعدامه تتألف من عوامل ثلاثة ١ – تأسيسه جمعية الاخاء العربي ، واسمها يدل على مغزى خطورتها ٢ – الصفعة المشهورة لطلعت باشا ٣ – رسالة الموسيو بايار السفير الفرنسي الى قنصل فرنسا في بيروت وهي حجة تذرع بها الاتراك للقضاء عليه .

الصفعة القاتلة – كان الاتحاديون لايتورعون بالفتك بالاحرار واغتيال كل مناوىء لسياستهم ، وكان (احمد صميم) وهو تركي الاصل وصاحب جريدة (مربستي) ضد الاتحاديين ، وقد وقف جهوده وقلمه لنصرة الائتلافيين من رجال العرب الاحرار ، وقد اقض مضاجع الاتحاديين بما كان ينشره على صفحات جريدته عن نواياهم حيال العناصر التابعة للعثمانيين ، ويندد بسياستهم وخططهم الملتوية ، فضاقت صدور الاتحاديين من نقده اللاذع ، ونصحه السليم ذرعاً ، فاغتالوه بينما كان على الجسر الممتد بين استانبول غلطة ، واحدث مقتله ضجة كبرى .

ومن مواقف الشهيد التي تشهد ببطولته وجرأته في مجلس المبعوثين التركي ان (حلاجيان افندي) وزير النافعة تقدم للسلام عليه ، فقال الشهيد له ، قبل ان تمد يدك لمصافحتي اذهب وطهرها باسم حزبكم من اغتيال احمد صميم ، ثم قام خطيباً يندد بتواني الحكومة وعدم اهتمامها بأمر اظهار قاتل الصحفي احمد صميم والقبض عليه ، الى أن وجه الشهيد كلامه إلى طلعت باشا وكان وزيراً للداخلية آنئذ فقال « اننا نعتبر طلعت باشا هو المسئول عن اغتياله ودمه » وخلال فترة الراحة ، تقدم طلعت باشا لمصافحة الشهيد وتهدئة ثورته ، عله يخفف من وطأة حملاته على الاتحاديين باثارة موضوع مقتل احمد صميم ، فاعتذر الشهيد عن مصافحته لعقيدته بأن يده ملوثة بدم القتيل ، فاستاء طلعت باشا وقال للشهيد (أنت تخلط بأقوالك) وشتمه فلم يحتمل هذه الصدمة وصفع طلعت باشا وركله برجله وشتمه بالمثل ، وهذه حوادث مفروض وقوعها بين صفوف النواب في جميع المجالس النيابية العالمية ، ويمكننا الجزم ، بأن هذه الحادثة كانت من اكبر العوامل التى ادت للتشفي والانتقام من الشهيد ، فسببت اعدامه ، وقد ظل الاتحاديون يتربصون به والحقد يغلي في صدورهم ، حتى أتاحت لهم الظروف باعدامه .

على ان تسنم طلعت باشا منصب الصدارة العظمى ، لم تفت في عضد الشهيد الجريء ، فكان في مواقفه حيال الاتحاديين أسداً هصوراً لا يُقحم ، فلم ينثن عن نقده لهم ، وكان شوكة دامية في أعينهم .

ثم دار الزمن ، وتخبط الاتحاديون في ظلمات السياسة الحالكة ، وساقهم الطيش وعدم الادراك والتفهم للسياسة الدولية ، فآثروا السير في ركاب الالمان ، ودخلوا حرباً طاحنة ، دون الوقوف على الحياد ، وجاء جمال باشا السفاح لتنفيذ سياسة الابادة والقتل والنفي والتشريد في البلاد العربية ، مما هو معلوم لدى كل مطلع .

القبض على شفيق بك : – أثر الوليمة القاتلة التي أولمها السفاح جمال باشا في دار الحكومة بدمشق في اواخر شهر حزيران سنة ١٩١٥ م التي ألمعنا عنها في بحث خاص ، اصدر جمال باشا امره بالقبض على الشهيد ، فسيق كالمجرمين الى القدس وهو يرسف بالاغلال ، ومنها الى الديوان العرفي في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : — « كان مؤسساً لجمعية الاخاء العربي ، وكان في اتصال ومذاكرات مع السفير الفرنسي في الآستانة ومأموري فرنسا السياسيين في مصر وسورية لاجل امارة سورية ، واستقلال العـرب ، ودعى القوى العسكرية الفرنسية الى المملكة ، ثم أسس الرابطة اللامركزية ، وثبت انه بعد العفو العام ايضاً اشتغل بهذه المسائل » .

وفي ليلة السبت ٤ رجب سنة ١٨٣٤ هـ و ٦ ايار سنة ١٩١٦ م كان اول من نفذ فيه حكم الاعدام في ساحة المرجه .

وقبل اعدامه بشهر واحد أمر جمال باشا بنفي اسرة الشهيد الى بورسه فرافقها صهره عبد القادر بك بن اسعد باشا العظم لايصالها الى مقر المنفى ، ونفي علي بك المؤيد واسرته وهو شقيق الشهيد ، وابناء اخيه اكليل بك ، وصفوح بك ، ومأمون بك ، وعائلة عثمان بك العظم ، شقيق رفيق بك العظم .

الدعايات المختلفة — : لقد اتهم الاتراك الشهيد بما اتهموه ظلماً وعدواناً ، وللتاريخ حكمه في ذلك بأمانة وصدق فأسرة العظم المعروفة التي أنجبت اعاظم الرجال كانوا حكام هـذه البلاد حقبة طويلة ، فلم يُتهم احد منهم بما اتهم به الشهيد شفيق بك ، ولم ينحرفوا عن العقيدة العربية ، وقد اوضحنا الحقائق في ردنا على مذكرات جمال باشا ، التي لم يُقصد من وضعها الا تشويه سمعة زعماء العرب والطعن بكراماتهم والتجني عليهم زوراً وبهتاناً .

اعقب الشهيد ولدين هما واثق بك المؤيد ، وقد تسنم منصب وزارة الداخلية في عهد الانتداب الفرنسي ، فكان من اشرف الوزراء واعفهم يـداً ولساناً ، واقداماً وتجرداً ، وكانت له وساطات نافعة لرفع الحيف والظلم عن كثير من الافراد في عهد الثورة عام ١٩٢٥ م ، وهشام بك ، وقد توفيا ، وست كرائم احداهن قرينة الوزير الاسبق عبد القادر بك بن اسعد باشا العظم .

مواهبه الادبية — : كان الشهيد كاتباً اديباً ، وشاعراً موهوباً ، ومن نظمه هذه الابيات وقد كتبها على صورته بمناسبة خاصة :

قلت للشمس اذ علت فتوارت	من حجاب الاعظام والاجلال
صانك الله من افول ودامت	بك مزدانـة سماء الكمال
لا تطيق الابصار نور محيا	ك فجئنا اليك بالتمثال

فائز بك المؤيد العظم

١٨٩٤ – ١٩٤٦

هو ابن علي بك بن مؤيد باشا العظم ، وابن اخ الشهيد شفيق بك المؤيد ولد بدمشق سنة ١٨٩٤ م واتم تحصيله الاعدادي ، وقد نفي مع والده وشقيقيه عمر واحمد الى بورسه في الاناضول ، ثم فرّ مع شقيقيه واجتازوا القفار والبراري ، حتى وصلوا الى قرية حتيتة الجرش في الغوطة ، وقاسوا من الاهوال والمشقات الشيء الكثير ، وكان آنئذ مصاباً بالحمى المرزغية التي انهكت قواه ، فوشى به احد الجواسيس فقبض عليه ، وسيق الى جمال باشا السفاح فسأله : كيف اتيت الى دمشق وانت منفي ، وكان المترجم يحسن التكلم باللغة التركية ، فأجابه بجرأة نادرة ، أتيت للانتقام ، فسأله ، ممن تنتقم ، فقال له انت تعرف ، فأمر بتوقيفه بدائرة الشرطة ، وتألفت محكمة لمحاكمته ، والحكم عليه بالاعدام .



النجاة — فكر شباب آل المؤيد بتدبير خطة لفراره وانقاذه من الموت المحقق ، وقام ابن عمه الشهيد البطل سعد الدين فبعث اليه بطعام فيه مخدر شديـد التأثير استحصل عليه بواسطة الصيدلي السيد عزة الجراح ، مع ملابس وقميص ابيض مغسول بالنشاء ، وكتب له في داخل القميص ، ان لا يأكل من الطعام المخدر ، وقد أكل الحراس بشهية ونهم ، وأثر المخدر فيهم فناموا دون حراك وفتح نافذة الغرفة ونزل من اعلى شجرة اوكاليبتوس كانت تلاصق النافذة . وكانت الانوار مطفأة وانسل الى الطريق الواقع ، امام بناية وزارة التربية والتعليم الآن ، وامتطى فرساً اعدها له ابن عمه الشهيد سعد الدين المؤيد ، وذهب الى قرية يلدا ، فوجد ابناء عمه مأمون وبدري بن زيور وسعد الدين مع شقيقيه عمر واحمد قد تجهزوا لقطع البادية عن طريق جبل الدوز وتمكنوا من اجتياز الصحراء والوصول الى الحجاز ، والتحقوا بثورة الملك حسين .

انتقل الى جوار ربه سنة ١٩٤٦ م اثر اصابته بالشلل ودفن في بيروت .

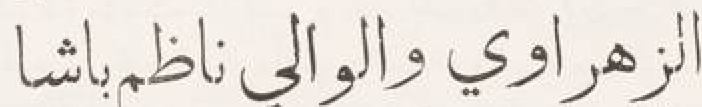
الشهيد عبد الحميد الزهراوي

١٨٧١ - ١٩١٦

ولد شهيد الوطنية والعروبة الفقيد المرحوم عبد الحميد بن محمد شاكر بن السيد ابراهيم الزهراوي بمدينة حمص سنة (١٢٨٨) هجرية (١٨٧١) ميلادية من اسرة عريقة في قدمها ووجاهتها، وهي تنحدر من اصلاب سيدنا الحسين رضي الله عنه. درس علومه على علماء عصره واجهد نفسه على التحصيل ومطالعة الكتب في كل فن حتى بلغ في ثقافته شأواً عظيماً .

وفي سنة (١٨٩٠) ميلادية، سافر الى الاستانة بقصد السياحة، فاقام فيها برهة وجيزة، ثم سافر منها الى مصر. وهناك اجتمع بكثير من الفضلاء والادباء، وجرت بينه وبينهم مطارحات شعرية ارتجالية ، فكان موضع الاعجاب والتقدير ، وبعدها رجع الى حمص فأصدر جريدة سماها (المنبر) فكان ينتقد فيها اعمال الحكومة وجورها وعسفها، والحكومة تهتم لمنعها ومصادرة اعدادها .

وفي سنة (١٨٩٥) م سافر ثانية الى الاستانة بقصد التجارة. ولما كان المجتمع العربي والوضع السياسي بحاجة اليه ، فقد ترك التجارة وعكف على مطالعة العلوم والفنون في دور المكتبة العمومية ، وكان يحرر في جريدة (المعلومات) العربية المقالات الادبية والاصلاحية فكان يراعه كالمهند الصارم شديد الوطأة في ذلك العهد ، فوضعه السلطان عبد الحميد تحت المراقبة ثم عين قاضياً لاحد الالوية فلم يقبل ،وكان القصد من تعيينه ابعاده عن جو العاصمة للحد من دعاياته وافكاره المؤثرة. وبعد ان اوقف تحت المراقبة اربعة اشهر ارسل الى دمشق (باقامة جبرية) براتب شهري قدره خمسمائة قرش ذهبي .



الزهراوي والوالي ناظم باشا

وفي هذه الفترة طرحت جريدة المؤيد المصرية في عهد السلطان عبد الحميد سؤالا على العالم الاسلامي مفاده (هل يصلح السلطان عبد الحميد ان يكون خليفة المسلمين ـ ولماذا) ؟ .

فأتتها الردود من مختلف الاقطار الاسلامية ، ، وكان أبرز الردود واقواها وافضلها رد الشهيد المرحوم عبد الحميد الزهراوي اذ وضع (٢٢) بنداً يثبت فيها ان السلطان عبد الحميد لا يصلح ان يكون خليفة ويجب خلعه ، وقد وردت نسخة من الجريدة في البريد السياسي الى الشهيد الأجل ، فقص المقالة واحتفظ بها في جيبه وكانت بتوقيع (ع.ز)

وصدف ان أصدر الزهراوي آنئذ رسالة في الطلاق، وقد احدثت ضجة كبرى، وقامت قيامة العلماء ، فانهالوا ابرقياتهم على الباب العالي مستنكرين هذه الرسالة زاعمين بان الزهراوي قد اضاع الدين ، فتلقى الوالي امراً بالتحقيق عن هذه الشكوى ، وكان بين الوالي ناظم باشا والشهيد الزهراوي خصومة شديدة ، وكان الزهراوي يوصم الوالي بأنه عبد لاسياد والعبد له حكم، والحر له حكم في الشرع، وكانت هذه العبارة تؤلم الوالي كثيراً ، وبقيت الخصومة بينهما لدرجة ان احدهما اذا ذكر اسمه امام الاخر يرتعش وينتفض لذكراه .

ولما ورد الامر بالتحقيق عن رسالة الطلاق ، كان الزهراوي يقضي السهرة في بيت (آل اكريبوز) في حي قولي بسوقساروجه ، فأتى المفوض وابلغه بلزوم حضوره لمقابلة الوالي ، وفي الطريق تذكر الزهراوي المقال الموجود في جيبه ، وخشي ان يفتش ويعثر عليه في جيوبه ، وهناك الطامة الكبرى، فاستأذن الزهراوي المفوض بالدخول الى

مراحيض جامع الورد لقضاء حاجته ، وبينما كان الزهراوي يزق المقال ويهم بالقائه في المرحاض كانت يد المفوض تنقض على يد الزهراوي ، فهاجمه واغتصب من يده اوراقا ممزقة وسار حتى دخل على الوالي مضطرباً .

اما المفوض فقد اعطى المقال الممزق الى كاتب الوالي الذي جمعه بسرعة وقدّمه للوالي ، وهنا بدت علائم الاضطراب والقلق جلية في محيا الزهراوي ، فنظر الوالي الى الزهراوي وقال له ، ماهذا يازهراوي ، سأبعث بك وبهذا المقال الى استانبول بدون تعليق ، فماذا ترى .

وهنا تجلّت مكارم الاخلاق والنبل والمروءة في الوالي الخصم الشريف الذي تقدم بخطى وئيدة نحو الموقد الذي يشتعل ناراً ورمى بالمقال فيه فاحترق بأقل من طرفة عين ، والتفت الوالي الى الزهراوي قائلا يااستاذ ، ان في الاتراك احراراً وليسوا كلهم بعبيد ، وذلك رداً على ما كان الزهراوي وصم الوالي به ، في انه « عبد لأسياد » .

وبعد ذلك امر الوالي بادخال العلماء المجتمعين لمناظرة الزهراوي ، وسألهم عما يأخذونه عليه في رسالته التي اصدرها في احكام الطلاق ، فقالوا اننا لم نقرأ هذه الرسالة بامعان فاجابهم علام إذن خربتم الدنيا بشكواكم وزعمتم بأن الدين قد ضيّع ، وان الزهراوي قد أساء الى الشريعة ، وتطلبون مجازاته باشد العقاب ، ثم هددهم ان لايعودوا لمثل هذه الشكايات والمهازل تحت طائلة العقوبات الشديدة ، وأبرق الى استانبول بالنتيجة .

لقد قص هذه الحادثة الدكتور الشهيد عبد الرحمن الشهبندر الذي سمعها من لسان الشهيد الزهراوي رحمهما الله .

تآليفه : ـ وفي خلال اقامته بدمشق كتب رسالة في الامامة ورسالة في الفقه والتصوف نقد بعض المسائل فيهما وبحث في الاجتهاد ، فثار عليه العامة باغراء بعض المحرضين من العلماء ، ولما جمعهم الوالي ناظم باشا في مجلسه للمباحثة والمناظرة في موضوع رسالته تغلب عليهم بقوة حججه الدامغة . ولما عجزوا عن ادراك غايتهم عمدوا الى التلفيق ، فكانت الايحاءات السياسية المسندة اليه كافية لابعاده عن دمشق التي اقام فيها سنة وستة اشهر ، فارسل مخفوراً الى استانبول واقام فيها نصف سنة ، ثم ارسل محفوظا الى وطنه حمص (باقامة اجبارية) وانتجت قريحته الوقادة عدة مؤلفات منها كتاب (نظام الحب والبغض) وترجمة السيدة خديجة ام المؤمنين ورسالة في النحو واخرى في المنطق وغيرها في علوم البلاغة والمعاني والبيـــان والبـــديع وكتاب في الفقه وله مخطوطات كثيرة بقيت مسودة بخطه اغتالتها يد الاتراك عندماجيء به من الاستانة الى الديوان العرفي في (عاليه) وله شعر لطيف في كل باب .

وفي سنة ١٩٠٢ ميلادية ضاق ذرعاً من اقامته الاجبارية ففر هارباً من حمص الى مصر واشترك في ادارة تحرير جريدة (المؤيد) المصرية ونشر فيها مقالات مفيدة مشهورة ، ولما حصل الانقلاب العثماني واعلن الدستور انتخب عن حمص نائباً في مجلس (المبعوثين) ـ النواب ـ فكان صوته في المجلس من اقوى الاصوات في سبيل خدمة امته وبلاده .

وفي خلال الدورة الاولى لمجلس المبعوثين اصدر الفقيد في الاستانة جريدة (الحضارة) وكان من مؤسسي حزب الحرية والائتلاف المؤسس لمعارضة حزب الاتحاد والترقي .

حادثة ٣١ مارس الشهيرة : ـ وفي اول سنة من نيابته وقعت حادثة ٣١ مارس الشهيرة ، فقد حاصر الجند المجلس النيابي بحجة الارتجاع عن الدستور ، وقتل المرحوم محمد بك ارسلان مبعوث اللاذقية برصاص الجند في باب المجلس ، ورمى بعض النواب بانفسهم من النوافذ العالية فتحطموا خوفاً من القتل ، وفر الكثير منهم حفظاً لحياتهم وبقي الشهيد الشجاع مع بضعة اشخاص ثابتي الجأش وهم يخابرون المراكز بالهاتف ويذكرون الواقعة وما هم فيه من خطر . ويئس الشهيد من هذا الحصار فاخترق صفوف الجند بلا اكتراث حتى وصل الى منزله وإنفضّ الجمع ، فثباته في مثل هذا الموقف الحرج يدل على استهتاره بالحياة ومدى عقيدته وجرأته ، وعلى اثر هذه الحادثة التي شاع خبرها حتى بلغ الروملي بشكل مجسم زحف محمود شوكت باشا بجيوشه ليضرب الاستانة لحماية الدستور والتنكيل بالأرتجاعيين والانتقام ممن اثاروا هذه الفتنة ، فأرسلت الحكومة إذ ذاك هيئة مؤلفة من الاعيان والمبعوثين

لمقابلة القائد الزاحف وابلاغه حقيقة الحال ، فكان الشهيد العظيم من اعضاء تلك الهيئة ، فاستقبلوه في (اياستفانوس) من ضواحي الآستانة وأوقفوه على جلية الامر حتى سكن غضبه ودخل بغير حرب .

وفي اواخر هذه الدورة للمجلس حصلت مناقشة حول المادة (٣٥) من القانون الاساسي ووقع الخلاف الشديد ، فانفض المجلس وتجدد الانتخاب ثانية ، فعاد المترجم الى وطنه ، وأوحت الحكومة الاتحادية بعدم انتخابه نائباً ، وعاد الى استانبول وتابع الاشتغال بالصحافة ، وبعدها سافر الى مصر وانتخب رئيساً للمؤتمر الذي انعقد في باريس لمطالبة الحكومة التركية بالاصلاحات اللازمة لبلاد العرب ، وكان مدة اقامته في باريس موضع الاعجاب والتبجيل ، واهتمت الحكومة الاتحادية لوجوده في باريس فاوفدت وفداً اليه لاقناعه بالعودة واجابة مطالبه ، فعاد الى الاستانة وعين عضواً في مجلس الاعيان ليشرف على انجاز وعدهم

ثم بدأت الحرب العالمية الاولى واعلن جمال باشا السفاح القائد العام في البلاد السورية الادارة العرفية ، وانتقم من رجالات العرب ونوابغهم .

نص قرار اتهامه والحكم باعدامه : - « كان مؤسساً للمنتدى الادبي ، ومروّجاً لبرنامجه السري ، وانوجد في رئاسة جمعية اللامركزيين ومذكراتها السرية ، واشترك في مؤتمر باريس رئيسا له بصفته مندوباً عن الجمعية المذكورة ، وتولى ادارة الاملاك التي اوقفها عزت العابد للسعي في تحقيق امر الاستقلال العربي وعقب المؤتمر ذهب الى مصر وتولى رئاسة اللامركزيين ، وبعدأن عيّن عضواً في الاعيان لم يفك ارتباطه باللامركزية ، بل انه لم يقبل عضوية الاعيان الا بعد صدور قرار جمعية اللامركزية في ذلك ، وكان في مخابرات مع منسوبي اللامركزية في سورية الى الايام الاخيرة » .

وفي ليلة السبت ٤ رجب سنة (١٣٣٤) هجرية و ٦ أيار سنة ١٩١٦ ميلادية صلب هذا النابغة العظيم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال . ودفن مقبرة باب الصغير بدمشق .

وكان لسان حاله يقول :

ياجزع نح وابك واندب جثة خلقت	من يوم (قالوا بلى) للضنك والمحن
وحي اهلا وجيراناً وآونة	حي الرفاق وحي سائر الوطن
حباً بصالحهم اضحيت فديتهم	ليقطفوا ثمراً من راحتي جني

وربما جهل الناس انه رحمه الله كان شاعراً مبدعاً قوياً في اسلوبه ، ومن الطف شعره القصيدة العصماء التي نظمها ونقتطف منها بعض ابياتها ليقف المطلع على رسوخ قدمه وبعد افكاره وحسن يقينه واعتقاده وقوته في النظم والبيان والبديع .

لاتكذبنا بالصبر	لا تخدعينا يا فكر
ان الحقائق تحت طي النشر	فوق المنتظر
لكن برؤيتها دعاوى الناس	تعيي من حصر
وسوى سراب لم يروا	والآل كم عز النظر
أنى التصور يا حجا	للسر في هذي الصور
الكون مبني على الحركات	كل في قدر

ومنها -

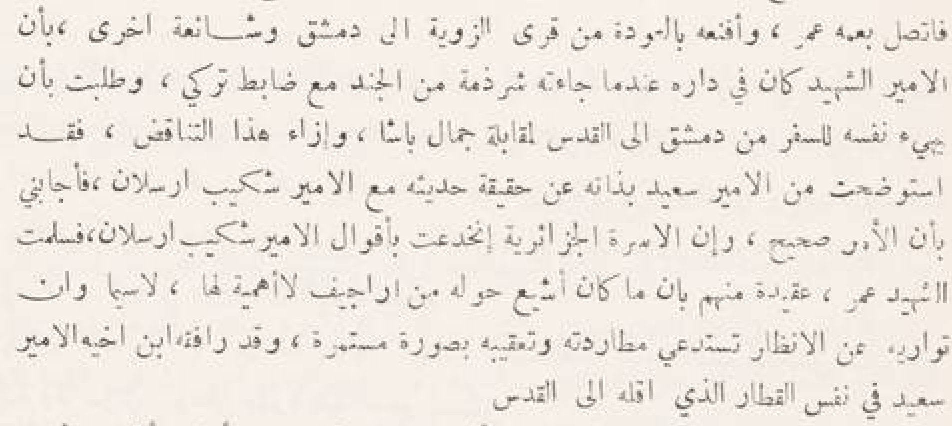
دع عنك دعوى واستمع	قولا مفيداً مختصر
الناس عثّر في الغرو	ر ولاجئون الى الغرر
دعوى بها يسلون ما	يلقون من تعب وضر
فهو رهان الكدح ما	داموا وتلك هي السير

الشهيد عمر الجزائري
١٨٧١ - ١٩١٦

هو ابن الامير المرحوم عبد القادر الجزائري الكبير ، ولد بدمشق سنة ١٨٧١م وعني والده بتثقيفه على أعلام دمشق، فنشأ كأسلافه من هذه الاسرة العربية المجيدة

ولما وقعت الحرب العالمية الاولى ، وتولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع في سورية ، أخذ يراقب زعماء العرب وشبابها الاحرار ، ويرى في تمسكهم بقوميتهم العربية ومطالبتهم بالاصلاح واللامركزية جناية لاتغتفر .

أحس الامير الشهيد بنوايا السفاح جمال باشا فاختبأ في قراه الكائنة في منطقة الزوية ، واشاعة متواترة بان الامير شكيب ارسلان قد أقنع الامير سعيد الجزائري بضرورة تسليمه ، فانخدع الامير سعيد وهو ابن اخ الشهيد بأقوال الامير شكيب ، فاتصل بعمه عمر ، وأقنعه بالعودة من قرى الزوية الى دمشق وشائعة اخرى ، بأن الامير الشهيد كان في داره عندما جاءته شرذمة من الجند مع ضابط تركي ، وطلبت بأن يهيء نفسه للسفر من دمشق الى القدس لمقابلة جمال باشا ، وإزاء هذا التناقض ، فقد استوضحت من الامير سعيد بذاته عن حقيقة حديثه مع الامير شكيب ارسلان ، فأجابني بأن الأمر صحيح ، وإن الاسرة الجزائرية إنخدعت بأقوال الامير شكيب ارسلان ، فسلمت الشهيد عمر ، عقيدة منهم بان ما كان أشيع حوله من اراجيف لاأهمية لها ، لاسيما وان تواريه عن الانظار تستدعي مطاردته وتعقيبه بصورة مستمرة ، وقد رافقه ابن اخيه الامير سعيد في نفس القطار الذي اقله الى القدس



وقد قابل الامير سعيد جمال باشا وسأله عن سبب طلب عمه ، فأجابه بأن عمه ، أصبح موقوفاً الآن ، لانه يسعى لهدم كيان الدولة العثمانيه ، وانه سيحال مع صحبه ، الى الديوان العرفي في عاليه ، وان عمه كان واسطة التعارف بين شكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وقنصل فرنسا ، وبعد حديث طويل بين الامير سعيد وجمال باشا ، وعده بالمحافظة على حياة عمه ولو حكم بالاعدام فانه سيبدّل قرار الديوان العرفي بالسجن الى أن ينجلي غمار الحرب .

لم يبر جمال بوعده ، فكان نصيبه ان يرسف بالاغلال ، ويساق الى الديوان العرفي ليحكم بالموت . ومن المؤسف ان يكون لكل شهيد علاقة بدسائس الامير شكيب ارسلان ، وليس أهون على الامير الارسلاني من الاعتذار ، بأنه خدع ايضاً كما خدعوا بأقواله ، وهذا تعليل حادث بعد الوقوع وليس من المعقول ابداً أنه وقد لمس غدر السفاح جمال باشا باليد ، وشاهد حوادثه بالعين أن يقدم على عمله بقلب صاف ونية سليمة ، سيما وقد دلت حوادث كثيرة ، بأن الامير الارسلاني قد خدع الشهيد جرجي الحداد واسرة الشهيد صالح حيدر بمثل ذلك وغيرهما ، وكان الواشي والدساس الاول على شهداء العرب ، وسبب خراب بيوت أسر كثيرة بالقتل والنفي والتشريد .

وفي ٤ آذار سنة ١٩١٦ م طلب جمال باشا الامير علي باشا الجزائري شقيق الشهيد عمر ، واوقفه مع ولده الامير عبد القادر حتى تم تنفيذ حكم الاعدام بالشهداء ، خوفاً من ان يقدم ورجاله على انقاذه من الاعدام .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : - « كان يتقاضى الاموال من المعتمد الافرنسي الى زمن الحرب العامة ، وكان ممهداً لامر التزام جانب فرنسة ، وهو الذي قدم شكري العسلي وبعض اشخاص غيره الى المعتمد ، وان مقدار ماابداه من المعونة في التزام جانب الفرنسيين مصرح في اوراق السفير والمعتمد » .

وفي فجر يوم السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ و ٦ ايار ١٩١٦ اعدم شنقاً في ساحة المرجة بدمشق ، وصادر الاتراك قصره في دمر وأحالوه الى مستشفى ، وقطعوا اشجار حديقته ، وسلموا بيوت الامير الشهيد في حي العمارة لى مهاجري الارمن وقد انجب ولداً هو الامير مظفر ، وقد مات وهو في الثالثة عشر من عمره بعد اعدام والده ، ونفيت اسرته الى الاناضول .

وقد اوردنا في ردنا على مذكرات جمال باشا ماله علاقة بآل الجزائري وتحامل الاتراك عليهم بالباطل .

الشهيد شكري العسلي

١٨٧٨--١٩١٦

هو ابن علي بن محمد العسلي ، ولد بدمشق سنة ١٨٧٨ م ونشأ في بيئة فاضلة . تلقى دراسته بدمشق، وتخرج سنة ١٩٠٢م وكان رقمه (١٨٢) كما جاء في ترجمته في كتاب « المدرسة الملكية والملكيون » الصحيفة ٤٦٧ في المكتب الملكي الشاهاني في الآستانة الذي يتخرج منه رجال الادارة وعين بمعية والي سورية ناظم باشا ، وبعد اكمال تمرينه عين الى قضاء فاش في الاناضول سنة ١٩٠٦ ثم نقل الى قضاء المرقب سنة ١٩٠٨ وفي ذات السنة نقل الى قضاء صهيون وقد مدحه جامع كتاب (المدرسة الملكية والملكيون) بأن الشهيد قام خلال مدة وجوده قائمقاماً لقضاء فاش بمشاريع حيوية ومنها قيامه شخصياً بالاعمال اللازمة لاسالة الماء النقي الى مركز القضاء وبنائه دار الحكومة فيه . . وعين قائمقاماً لقضاء الناصرة سنة ١٩١٠م



في مجلس المبعوثين- وفي كانون الثاني سنة ١٩١١ م انتخب نائباً عن دمشق التركي ، وكان من افاضل نواب العرب في مبادئه الوطنية وجرأته واخلاصه ومما اشتهر عنه انه كان درس القضية الصهيونية ، واطلع على خفاياها ونواياها ، ولما اراد الاتحاديون بيع ملايين الدونمات من اراضي فلسطين للصهيونيين صفقة واحدة، بوساطة السمسار اليهودي جاويد بك وزير المالية التركي ، كان الشهيد العسلي اول من رفع عقيرته في معارضة هذا المشروع الخطير ، وخطب منددا اضرار الصهيونية وغاياتها واخطارها ، ووقف نواب العرب يشدون آزره فأسقط المشروع.

كان الشهيد صنو زميله الشهيد عبد الوهاب الانكليزي في مواقفه الفذة ، اذا ذكر اسم احدهما اقترن معه اسم صاحبه ، ولما إنفض مجلس المبعوثين ، عاد الشهيد العسلي الى دائرته الانتخابية في دمشق ، فاستقبله آلاف من رجال الامة وشبانها ، وتحمس البعض فحلوا خيول مركبته وجروها حتى اذا بلغ دار البلدية رفعوه على الاكتاف ابتهاجاً برجوعه وتقديراً لجهاده في نصرة القضية القومية العربية .

وشاء القدر ان يضرب الاتحاديون البلاد العربية بقائد سفاح فتولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية ، تنفيذا لخطة مرسومة يقصد منها الفتك بزعماء العرب ، وابادة العنصر المناوىء لسياستهم الغاشمة وبديهي ان يحنق الاتراك على نواب العرب لمواقفهم الشريفة بالدفاع عن قوميتهم العربية في البرلمان التركي ، فقام السفاح جمال باشا بضربته القاصمة ، وكانت النتيجة ان سيق الشهيد الى ديوان الحرب العرفي في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : - « كان من اعضاء اللامركزية ، ووقع على ورقة تتعلق بلجنة اللامركزيه في الشام ، وصرح بحب الافتراق علناً في خطابه الذي القاه في مصر امام تمثال ابراهيم باشا ، وادخل بعض اناس بالذات في جمعية اللامركزيين» .

وفي فجر يوم السبت ٦ ايار سنة ١٩١٦ م اعدم شنقاً في ساحة المرجة بدمشق مع قافلة الشهداء الثانية . ولما حلت الفاجعة باعدامه كان ولده خالد في السنة الاولى من عمره ، فنفي مع الاسرة الى مدينة (بيله جك) في الاناضول

الشهيد عبد الوهاب الانكليزي
١٨٧٨-١٩١٦

هو ابن احمد الانكليزي ، وتكنت الاسرة بالانكليزي ، لان الجد الرابع كان عصبي المزاج ، فكان يقال له (انك مثل البارود الانكليزي) وغلبت الكنية عليه كما وقع لبعض الاسر في مثل هذه المناسبات .

ولد في قرية المليحة من غوطة دمشق سنة ١٨٧٨ م وتلقى دراسته في مدرسة الجقمقية الرشدية وكان رفاقه فيها الشهيد شكري العسلي وعبد القادر بك المؤيد العظم وذلك سنة ١٨٩٢ ، ثم الغيت هذه المدرسة سنة ١٨٩٣م ونقل طلابها الى الصفوف المعادلة لصفهم في مدرسة عنبر الاعدادية بدمشق وبقي الشهيد يتنقل في كل سنة حتى وصل الى الصف الرابع في سنة ١٨٩٦ فذهب مع زميله الشهيد شكري العسلي الى استانبول ودخلا الصف الاول من القسم الاعـدادي وفي سنة ١٨٩٩ م تقدما الى المسابقة وكان الشهيد المترجم ، الاول في فحص المسابقة على جميع الطلاب فدخلا المدرسة الملكية الشاهانية وتخرجا منها في سنة ١٩٠٢ م حيث عينا في معية والي سورية وكان حينئذ ناظم باشا لتمضية مدة التمرين وهي ثلاث سنوات على الشؤون الادارية .

وقد وردت ترجمته في كتاب « المدرسة الملكية و الملكيون » الصفحة ٤٦٧ بأن رقمه في المدرسة كان « ٢٠٩ » وتخرج من الملكية بدرجة (علي الاعلى) واثناء وجوده في معية الوالي عيّن مدرساً للأدب والانشاء التركي في المدرسة الطبية التي أفتتحت في سورية علاوة على وظيفته ، ويعتبر الشهيد كاتباً اديباً من الطراز الاول في اللغة التركية .

وفي سنة ١٩٠٨م عيّن قائمقاماً الى قضاء سروج ، وفي سنة ١٩٠٩ نقل الى قضاء الباب التابع لولاية حلب ، واظهر كفاءة ادارية ادهشت المراجع العليا ، فقد قام بتحصيل اعشار الدولة المستحقة على الوجهاء الذين استحلوا اكلها ، فكتب والي الولاية الى وزير الداخلية بما قام به الشهيد من اعمال ادارية باهرة ، فكتب وزير الداخلية الى الشهيد مباشرة كتابا بخطه يشكره على اعماله الجليلة التي اخبره بها الوالي ويهنئه على صدق العمل وحسن الادارة ، ومما قال له « لو كان عند الدولة عشرة قوام مقام من عيارك ، لعدت من ارقى حكومات العالم » ووزير الداخلية يومئذ هو طلعت باشا الاتحادي المشهور .

استقالته من خدمة الدولة : استقال من قائمقامية الباب ، وبدأ حياته السياسية وخاض غمارها طلباً لاستقلال بلاده فكان من رجالات العرب الاحرار الذي يشار اليهم بالبنان في اخلاصه وصدقه وجرأته .

وفي عام ١٩١٠ اقترن الشهيد بكريمة السيد عبد الرزاق الانكليزي .

وبعد الحرب البلقانية عاد الى الوظائف ، فعين مفتشاً للملكية ، وكان يقوم بدعايات للقوميه العربية مما أثار حفيظة الاتحاديين عليه .

ولما قام جمال باشا يسوق زعماء العرب وأحرارهم الى الديوان العرفي بعاليه خشي طلعت باشا على حياة الشهيد ، لما يعرفه عنه من ذكاء وصدق في خدمة الدولة ، فاقترح عليه ان يفر اذا كان له شيء يتذرع به لمحاكمته ، فأبى ، وكان ماخشيه طلعت باشا ، فقد سيق الشهيد الى الديوان العرفي وكان في عداد المتهمين .

نص قرار اتهامه والحكم باعدامه : « كان كما اعترف هو بنفسه مخاصماً للحكومة ببواعث الاحتراص ، وكان من الذين دخلوا في تشكيلات اللامركزية حسبما ادعاه وأيده رفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وغيرهما من باقي الشهود ، وحضر الاجتماع الذي كان حصل لأجل ادارة امر القيام في الشام » .

وفي فجر يوم السبت السادس من شهر ايار سنة ١٩١٦م اعدم شنقاً في ساحة المرجة مع رفاقه قافلة الشهداء الثانية وانجب في عام ١٩١٣م ولداً هو الوطني المعروف الاستاذ عصام الانكليزي وهو شبيه والده الشهيد في وطنيته وجرأته واخلاقه الفاضلة .

الشهيد رفيق رزق سلوم
١٨٩١ - ١٩١٦

نشأته ودراسته : – ولد الشهيد رفيق بن رزق سلوم في مدينـــة حمص من أبوين ارثوذكسيين في شهر آذار سنة ١٨٩١ ميلادية . وفي الخامسة من عمره دخل المدرسة الروسية الابتدائيـــة في حمص ، ولما أنهاها دخل المدرسة الاكليركية في دير البلمند فدرس فيها اربع سنوات ونال شهادتها مبرزاً على جميع اقرانه ، وعاد الى حمص وأقام في المطرانية الارثوذكسية حيث اخذ بعض الحساد يضايقونه ، وكانت نفسه الحرة تتوق الى عالم الجهاد فخلع الثوب الرهباني وسافر الى بيروت حيث دخل الكلية الاميركية وهنا ألف روايته (أمراض العصر الجديد) التي كان لها وقع عظيم في الطبقة المتنورة النازعة الى الحرية ، وبعد سنة عاد الى حمص فعرفه استاذه باللغـــة التركية المرحوم خالد الحكيم بالشهيد المغفور له عبد الحميد الزهراوي الذي اشار عليه بدراسة الحقوق في الآستانة .



سفره الى الاستانة : – وسافر الشهيـــد الى استانبول ودخل جامعـــة الحقوق عملاً بنصيحة الشهيد عبد الحميد الزهراوي وكان له من العمر (١٧) سنة فأكب على الدراسة حتى اصبح موضع اعجاب الجميع ، وجعل يدبج المقالات البديعة وينشرها في المقتطف والمهذب والمقتبس والمفيد وحمص ومجلة لسان العرب التي اصدرها النادي الادبي في الآستانة ويحرر جريدة الحضارة التي اصدرها العلامة الشهيد عبد الحميد الزهراوي ، ومن مؤلفاته في هذه الآونة (حياة البـــلاد في علم الاقتصاد) وقد طبع ، وكتاب (حقوق الدول) الذي يقع في نحو ٨٠٠ صفحة لم يطبع ومحفوظ عند اهل الفقيد .

ميله الى الفن والموسيقى : – كان للشهيد ولع شديد بالفن الموسيقى ، فأتقن العزف على القانون والعود والكمان والبيان وكان يحث اخوانه على تعلم الفن لروعته ، وكانت أناشيده الحماسية الملحنة تلهب النفوس .

في النادي الادبي : – كان من أشد المجدين في انشاء النادي العربي في الآستانة ، ويهدف الى ائتلاف العرب وصيانـــة حقوقهم واستقلال بلادهم ، وكان الشهيد نائباً لرئيسه الشهيد المغفور له عبد الكريم الخليل ، وله فيه المنزلة العليا والكلمة النافذة ، وقد مثل هذا النادي الادوار المهمة في القضية العربية وأيقظ الامة من سباتها .

ولما أنهى الشهيد دراسة الحقوق كان يجيد اللغات الروسية واليونانية والتركية والعربيـــة ، وله في هاتين اللغتين الكتابات المفيدة والخطب الرنانة .

في الجيش التركي : – ولما خاضت تركيا الحرب الكونية انتظم الشهيد في جيشها ضابطاً .

في سجن عاليه : وفي ٢٧ ايلول سنة ١٩١٥م ميلادية قام الوشـاة عليه بالسعايات الكاذبة فقبض عليه وهو في بيت عمه المرحوم انيس سلوم بدمشق وسيق الى عاليه حيث قاسى الاهوال الشديدة .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : – « كان يكتب الاشعار لتهييج الذين يسعون للاستقلال العربي ، وتشجيعهم كما اعترف هو بذلك ، وكان من الاعضاء المنسوبين للامركزية . وفي ليلة السبت ٦ أيار سنة ١٩١٦ ميلادية . اعدم شنقاً في ساحة المرجة بدمشق مع قافلة الشهداء الثانية .

ولما صدر الحكم باعدامه بعث برسالة مؤثرة الى والدته وأخويه وأخواته وفيها يصف ما ذاقه من تعذيب خلال مدة توقيفه في السجن واستجوابه . وقد آثرنا نشرها ليطلع الملأ على ما ورد فيها وقد نوّه عن اسماء الاشخاص الذين وشوا به وسامحهم ونعتهم بأن الطبيعة أوجدتهم ضعفاء ، واوصى ان يكتب على قبره الابيات التالية :

وان الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جداً
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
وان ضيعوا عيني حفظت عيونهم ... وان هم هووا عني هويت لهم رشداً
وان زجروا طيراً بنحس تمر بي ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعداً

شعره : ـ كان رحمه الله شاعراً وخطيباً متين الاسلوب في نظمه ونثره ، ومن نظمه قصيدة اقتطفت منها بعض ابياتها وقد غلبت فيها روح الحرية الفكرية :

هو الحق مثل الشمس في الكون يظهر ... وليس يضير الشمس أرمد ينكر
سلام على الحق المبين وآله ... وكل امرىء قد قام للحق ينصر
سلام على كونفوشيوس وصحبه ... وبوذا وموسى ثم عيسى المطهر
سلام على الهادي الامين محمد ... وكل رسول جاء بالحق يجهر

ومنها ـ لئن كنت من اتباع عيسى فانني ... احب جميع المرسلين وأشكر
ولا سيما ذاك القريشي من أتى ... يهدي به أهل البسيطة أبصروا

ومنها ـ لك اليوم مني شاعر لا يهمه ... تعصب اقوام لفضلك أنكروا
رفعت لروح الله عيسى مكانة ... وقد جاء عيسى قبل ذاك يبشر

ولما أبلغ حكم الاعدام قال هذه الابيات وهي آخر ما نظمه رحمه الله :

لا العرب أهلي ولا سورية داري ... ان لم تهبوا لنيل الحق والثار
ان نمتم عن دمي لا كنتم أبداً ... وكان خصمكم في المحشر الباري
أنا الذي دمه في الارض منتشر ... كأنما هو نهر في الفلا جار
قتلت ظلماً وغدراً بل وتضحية ... عنكم بأيدي وحوش كلها ضار
فالترك اسمهم فيه قد اجتمعت ... كل الرذائل من ذل ومن عار

قضي الشهيد حياته عزباً ويتقاضى اخوته راتب المواساة المخصص للشهداء .

كتاب رفيق رزق سلوم

تلقينا من الفاضل السيد شاكر سلوم شقيق الشهيد رفيق رزق سلوم صورة الكتاب الذي كان ارسله لوالدته واخوته قبل اعدامه، وهو كتاب تاريخي يصور حياته في فترة السجن والتحقيق .

« سلام وتحية وبعد : فهذه قصتي اليكم احببت ان اذكر لكم تاريخ سجني باختصار ، واوصيكم ببعض امور لابد منها ، لانني متيقن من زمن غير بعيد ، ان وقت الموت قد قرب ، وانه لابد ان تشيع بعض اشاعات لاصحة لها ، لذلك احببت ان اذكر لكم كل شيء كما وقع تماماً .

ألقت الحكومة القبض علي في ١٤ ايلول شرقي قبل الظهر بساعة ، واوقفتني بسجن الضباط وبقيت هنالك خمسة ايام لااعرف سبب سجني ، ويوم الجمعة صباحاً اخذوني الى عاليه للاستنطاق فسألوني عن تاريخ حياتي في الآستانة ، وتاريخ حياتي في دمشق وعن علاقتي مع المرحوم عبد الكريم الخليل ، لانهم ادعوا بأني كاتم أسراره ، وانني كاتب عبد الحميد الزهراوي الخاص ، وان لي قصائد واناشيد وطنية أحض فيها الناشئة العربية على طلب الاستقلال ، هذه هي التهمة الموجهة الي ، وقد دفعت هذه التهم بالحجة القاطعة ، وعرفت الذين وشوا بي من بيروت ومن طرابلس الشام ، ثم زاد الطين بلة ، احد رفاقي المسجونين معي ، وهو رشدي من غزه ، فكان يتظاهر أمامنا بالصداقة ، ويذهب الى الديوان العرفي فيفتري عليّ ببعض امور لكي يظهر اخلاصه للحكومة . ويخلص من الاعدام ، لأنه اعترف عن نفسه صراحة ولم يبق له وسيلة ينقذ بها حياته الا التجسس .

ثم بعد ذلك جاء أخي العزيز شاكر الى عاليه ، وأرسلني ديوان الحرب الى القدس لأنهم لم يجدوا علي دليلا يثبت دعواهم ، وقالوا ان الذي أمر بتوقيفي جمال باشا ، وان مسألتي تتعلق به رأساً ، فحبسوني بالقدس خمسة ايام عند قومندان المركز ، ثم استدعاني الباشا وألقى علي نفس الاسئلة التي القيت علي في الديوان ، وتهددني بالضرب وانواع العذاب ، فأجبته نفس الاسئلة التي أجبتها في الديوان ، فغضب كثيراً ، ثم استدعاني اليه ثانية وحاول ان يقنعني لاقص عليه شيئاً عما قام في ذهنه من الخيالات الوهمية ، فأكدت له اني بعيد عن السياسة بعد السماء عن الارض ، وحينئذ أمرهم بأن يعذبوني ، فأخذني الضابط نور الدين ومعه بايرام وجندي آخر الى غرفة خاصة ، وربطوا يدي ورجلي بالحبال ، وبدأوا يضربونني ضرباً اليماً ، واغمي علي من شدة الضرب ثم افقت فعادوا الى ضربي ثانية ، فاغمي علي ثانية ، ثم افقت فعادوا الى ضربي حتى تكسرت في ايديهم عدة عصي ، واغمي علي ثالثة وأنا اقول لهم لاأعرف شيئاً ، ثم اعطاني الضابط نور الدين قلماً وورقة ، وكلفني ان اعترف ، واعطاني فرصة مقدار ساعة وقال لي : اذا لم تعترف احضر آلة لقلع الاظافر ، فأقلع اظافرك واطيل عذابك ، حتى تموت واطرحك في الوادي للوحوش ، فرأيت ان اصراري بهذه الصورة يجعلهم يتوهمون انني عالم ببعض الامور واصر على انكارها ، فوعدته انني عزمت على الاعتراف ، ورجوت ان يمهلني الى الصباح لان رشدي ضاع من شدة الالم ، فأخذت وكتبت له بالورقة بأن المرحوم عبد الكريم الخليل كان كلفني من ست سنوات الدخول في جمعيته ، فرفضت طلبه ، وانني لا اعلم شيئاً غير ذلك ، وذكرت له في الورقة تاريخ الاصلاحات ، واني كنت من حزب عبد الحميد الزهراوي صديق الحكومة الذي رضي بالاصلاح بالرغم من معارضة كثيرين .

الاعتراف بالجبر والاكراه

وبعد أن قرأ الورقة ضربها في وجهي وقال هذا لا يكفي ، فقلت له ان لي علاقة بجمعية اخرى ولكنها ليست سياسية ، ومقصدها تشويق الطلاب ليذهبوا الى اوروبا ويتعلموا فيها ، وليس في ذلك ما يخالف قانون الحكومة او ادارتها ، ثم ذكرت

له انني استعفيت من هذه الجمعية ايضاً ، وقدمت استقالتي الى صديقي سيف الدين الخطيب ، وهذا ارسل استعفائي الى توفيق الناطور في بيروت ، وكان سيف الدين حاضراً فاعترف امام الباشا انني استعفيت وان الجمعية المذكورة لا تشتغل بالسياسة ، وبعد هذا الحادث بيومين رجعت الى عاليه وبقينا نحو خمسة وثلاثين يوماً ما سألونا عن شيء .

وحضر جمال باشا فأمر ان يستنطقونا من جديد ، فشرعوا يتهددوننا بالضرب ، لانهم رغبوا ان نوافقهم على بعض الافرارات فرفضنا بتاتاً ، وهكذا استنطقونا وقضينا اثناء الاستنطاق من العذاب ما يشيب له رأس الطفل ، وكانت الحكومة في اثناء ذلك توسع دائرة التحقيقات بواسطة جواسيسها وهم (....) وغيرهم من الجواسيس ، وقضينا هذه المدة ننتظر الاعدام يوماً فيوماً ، أما عن حمص فلم تسألني الحكومة شيئاً لاني قلت لهم اني خرجت من حمص صغيراً ، ولا معرفة لي بأحد منها ابداً ، وقد صار لي من اليوم ستة اشهر وثمانية ايام ونحن ننتظر الاعدام يوماً فيوماً ، لان الحكومة لا تطبق قوانينها ، بل لها سياسة خاصة في هذه الحالة ، وإلا فانه لا يوجد جرم في الحقيقة ابداً ، ولكن هي السياسة قاتلها الله » .

وصيته قبل فترة الاعدام

« هذا هو تاريخ حالتي عن حياتي في السجن ، وكنت أتلقى كل هذه الامور بصدر رحب ، وكنت اضحك من هذه الاوهام وانظر الموت كما ينظر العطشان الى الماء ، لأني مؤمن بالله وبالآخرة ، ومعتقد أن الآخرة أحسن من الدنيا واذا كان في الموت فراق الأحباب ، ففي الاخرة أجتمع بوالدي واختي واخي وكثيرين من اقاربي ، ولا يؤلمني إلا امر واحد ، وهو انكم تعبتم كثيراً لأجلي ، ولم تحصدوا شيئاً من تعبكم ، ولكن استشهادي هو أعظم واشرف نتيجة تحصدونها ، فتصوروا أني مسافر الى اميركا واني ناجح في اعمالي ، وهل نجاح أعظم من هذا النجاح ؟ أنتم الان لا تدركون معنى هذا النجاح ولكن المستقبل سيعرف حقيقتي ، وحينئذ ترفعون رؤوسكم افتخاراً .

أما من جهة المعيشة فلا أخاف عليكم ، لأنكم جميعكم قادرون على تحصيل معاشكم ، ولا يوجد عندكم اولاد صغار وعجز ، فاياكم والحزن ، لأني اكره الحزن والحزانى ، وثقوا بأن روحي ترفرف دائماً فوقكم فأرى كل حركة من حركاتكم ، فأراكم ولا تروني ، فاذا حزنتم أهرب من عندكم ، واياكم ان تغيروا ثيابكم او عادة من عاداتكم ، ولقد تركت لكم أثراً من بعدي . اذكر منه كتاب الاقتصاد واذا وجدتم فرصة فاطبعوا كتاب حقوق الدول الذي نشرته في المهذب ، ثم اجمعوا المقالات التي كتبتها في المقتطف في رسالات خصوصية ، واني احمد الله لأنني عشت شريفاً وأموت شريفاً ، واما الجواسيس الذين تكلموا عني فاني اسامحهم ، واكتبوا على قبري هذه الابيات : « وان الذي بيني وبين بني ابي »

ثم انني لا أنسى الجميل والالتفات الذي لقيته في بيت عمي بالشام ،واشكر جميع الاصدقاء الذين ساعدوني في سجني سواء مادة او معنى ، سلام لجميع الاقارب وعليكم ان تعتنوا بتربية اولاد اخي الثلاثة على المبادىء القومية ، وعلموهم ان يعيشوا ويموتوا لاجل الوطن .

اما الدين الذي علي ، فهو خمسمائة ليرة ذهبية لاخي شاكر ، جزاه الله عني خيراً ، ولا حاجة ان اوصيك يا أخي في العائلة وان لا يكون موتي سبباً ليأسك ، بل كن رجلا كبيراً كما عرفتك ، وما الحياة إلا منام او خيال ينقضي ، فلنجتمع في احضان ساره وابراهيم وحيث ندرك ان الدنيا لم تكن سوى منام رأيناه وانقضى وليكن الله معك » .

في ٢٢ اذار ١٩١٦ رفيق رزق سلوم

الشهيد رشدي الشمعة

١٨٥٦-١٩١٦

هو ابن احمد باشا الشمعة الوجيه الدمشقي المشهور بوجاهته ومكارم اخلاقه، ولد بدمشق سنة ١٨٥٦ م ونشأ في مهد الفضائل، في بيت كان محجة للشعراء والعلماء والادباء، فارتشف من هذه البيئة الكريمة ما افاده في تطور حياته، تلقى دراسته العالية في استانبول وتخرج من معاهدها، وفي سنة ١٨٨٦ م إقترن بالسيدة بنت الاميرالاي سليمان بك.

في مجلس النواب: انتخب نائباً عن دمشق في البرلمان التركي، وكان من كتاب العرب المشهورين، وألف عدة روايات وطنية مثلت في دمشق، تجلت فيها اروع معاني القومية العربيـة، فأغضب الاتحاديون الاتراك وحقدوا عليه، وكانوا لايجرأون بالتعرض اليه، لما يتمتع به من حصانة برلمانية، حتى اذا ما وقعت الحرب العالمية الاولى، وتولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع، وكان من الاتحاديين المتعصبين للعنصرية الطورانية، اتى دور الحساب عن الماضي والتصفية، فأخذ جمال باشا على عاتقه التشفي والانتقام من نواب العرب البارزين وغيرهم من زعماء البلاد وشبابها الاحرار.

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه: — «كان ألقى في دور التمثيـل محاضرات تشجع الانفراد العربي واستقلاله، وكان مشتركاً في تشكيلات الجمعية اللامركزية وفي جميع تشبثاتها السرية بصفته عاملا لها».

وفي فجر يوم السبت الواقـع في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ و ٦ ايار سنـة ١٩١٦ م اعدم شنقاً في سـاحة المرجة بدمشق مع شهداء القافلة الثانية، وصادرت السلطات التركية قصر والده احمد باشا.

وقد أنجب (نديمه) وهي التي اشار عنها بعض المؤرخين، بانها تلاقت مع والدها في رياق يوم سوقها مع اسرتها الى المنفي في الاناضول، وكان القطار يقله مع اخوانه الشهداء لتنفيذ حكم الاعدام بهم، وذكروا بان الجند التركي قد حال بينها وبين لقاء ابيها الشهيـد، ثم مرضت اثر ضربها وماتت في الطريق، والحقيقة، ان الجند مانعها من وداع ابيها، ولم تمت في الطريق اثر اصابتها بالحمى، بل بقيت على قيد الحياة، واقترنت بالدكتور (جبان) الدمشقي، وتوفيت سنة ١٩٥٥ م

وانجب (وصفيه)، وهي زوجة السيد عبد اللطيف العسلي، و(سعديه) وهي قرينة الدكتور مصطفى حكمت العجلاني و(فوزية) وقد اقترنت السيد سليم المخيش (والهام) وقد اقترنت بأديب مردم، و(نعمت) اقترنت ثم توفيت.

وانجب ذكراً واحدا، وهو القانوني المشهور بنزاهته المرحوم احمد الشمعة وقد توفي سنة ١٩٥٧م.

ومن الغرابة ان يكون حفيده المهندس المشهور السيد نسيب العجلاني رئيس مصلحة الفيجة بدمشق اقرب احفاده شبهاً له في سيمائه.

اسماء شهداء القافلة الثانية في بيروت

وهذه اسماء شهداء القافلة الثانية الذين علقوا على اعواد المشانق في ساحة البرج في بيروت فجر يوم السبت الواقع في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ الموافق لليوم السادس من شهر ايار سنة ١٩١٦ م وعددهم اربعة عشر شهيداً ، وقد درجنا اسماءهم حسب تسلسل اعدامهم.

١ ـ باترو باولي
٢ ـ جرجي الحداد
٣ ـ سعيد عقل
٤ ـ عمر حمد
٥ ـ عبد الغني العريسي
٦ ـ الامير عارف الشهابي
٧ ـ الشيخ أحمد طباره
٨ ـ محمد الشنطي اليافي
٩ ـ توفيق البساط
١٠ ـ سيف الدين الخطيب
١١ ـ علي محمد حاج عمر النشاشيبي
١٢ ـ محمود جلال البخاري
١٣ ـ سليم الجزائري
١٤ ـ امين لطفي الحافظ

تنفيذ احكام الاعدام بشهداء القافلة الثانية في بيروت

أصدر السفاح جمال باشا أوامره بتنفيذ حكم الاعدام بشهداء القافلة الثانية فجر يوم السبت الواقع في ٤ رجب سنه ١٣٣٤ هـ و٦ ايار سنة ١٩١٦ م وفي الوقت الذي كان قطار بيروت ـ دمشق ينقل الشهداء السوريين السبعة الى دمشق ، كانت المركبات تحمل من عاليه الى بيروت الشهداء وهم :

عبد الغني العريسي ، سيف الدين الخطيب ، الأمير عارف الشهابي ، سليم الجزائري ، امين لطفي الحافظ ، جرجي الحداد ، بترو باولي ، عمر حمد ، محمد حسين الشنطي اليافي ، توفيق البساط ، الشيخ احمد طباره ، سعيد عقل ، علي الحاج عمر النشاشيبي ، محمود جلال سليم البخاري .

وقد نقلوا من عاليه إلى ديوان الشرطة في بيروت قبل منتصف الليـــل ، فأدركوا المصير ، وراحوا ينشدون جميعاً نشيد الشهيد عمر حمد الشهير :

نحـــن أبنـــاء الألـــى	شـادوا مجـداً وعــلا
نســل قحطـــان الأبي	جــــدّ كـــل العرب

وظلوا ينشدون ويتسامرون طول مدة وجودهم في دار الشرطة، كأنهم في حلقة أدب ، وقد قُدّت قلوبهم من صخر .

ثم جيء بأدوات القرطاسية ، فمنهم من كتب وصية ، ومنهم من ظل ينشد الأناشيد الوطنية الحماسية ويتمشى في الغرفة .

أما الشهيد أمين لطفي الحافظ ، فقد صاح بأفراد الشرطة وقال : أين هيئة الديوان العرفي تبلغنا حكم الموت ، وكيف تعدموننا دون أن تحاكمونا أو تسمعوا أقوالنا ؟.. وقال غيره مثل أقواله .

ثم جاء مدير الشرطة ، فأخذ منهم الوصايا ، وجاء الشيخ والكاهن لاتمام مراسم التأهب للموت ، وأتى الشرطة بقمصان بيضاء ودفعوا الى كل منهم بواحد منها ، فلبسوها وهم ينشدون اناشيد القومية العربية التي تهز النفوس .

اللحظات الاخيرة في حياة الشهداء

وفي الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل حانت ساعة الموت ، فدخل الجند وطلبوا الشهداء : سعيد عقل ، وبترو باولي ، وجرجي الحداد ، وسيقوا مكبلين يرسفون بالاغلال الى ساحة الاعدام ، وقام الطبيب يفحص اجسامهم ، وتلى ضابط الديوان العرفي نص الحكم الصادر بالاعدام .

وصعد الشهيد بترو باولي من تلقاء نفسه الى منصة المشنقة ، ورفس الكرسي برجله فهوى وقضى نحبه

ثم صعد بعده الشهيد جرجي الحداد ، ورفس الكرسي ببسالة ، وجاء دور سعيد عقل ، فتقدم رابط الجأش واوصى الطبيب ان يشدّ جسده بكل قوة عند تعليقه ، لان خفه جسمه تمنع انقطاع حبل حياته بسرعة .

ثم جاء الجند بثلاثة آخرين وهم : الشهداء عمر حمد ، وعبد الغني العريسي والأمير عارف الشهابي .

وأكد الذين حضروا تنفيذ احكام الاعدام ، ان الشهيد عمر حمد منذ خرج من دائرة الشرطة الى ساحة الاعـدام ما انفك ينشد نشيده العربي الذي تناقلته الركبان وهو (شبوا على الخصم اللدود نار الوغى ذات الوقود) وهو يهدر كالاسد الهصور ، ولما وقف على منصة الاعدام ، تكلم باللغة الفرنسية ليفهمها الاتراك ، وقد ندّد بسياستهم ، فاشمئز منه الجلاد وركل الكرسي من تحته قبل ان يمكن الحبل من عنقه ، فانقطع الحبل ، وهوى الى الارض وهو بين حي وميت ، فتقدم منه ذلك الجلاد الوحش ، فاستل سيفه وطعنه به لاعناً شاتماً ، ثم حمله مع زبانيته واعاد وضع الحبل في عنقه ، والدم ينزف بغزارة من جرح بليغ اصابه في رأسه عند وقوعه . ومن جراح طعنة سيف الجلاد .

وجاء دور الشهيد عبـد الغني العريسي ، واراد ان يتكلم فأسرع الجلاد اللئيم الى وضع الحبل في عنقه ، وهوى الكرسي من تحته فقضى .

وعجل الجلاد باعدام الامير عارف الشهابي فلم يدعه يتكلم ، وجيء بعد ذلك بالشهيد الشيخ احمد طبارة ومحمد الشنطي اليافي ، وعلقوهما وظل الجند يقودون الشهداء اثنين اثنين الى اعواد المشانق ، حتى جاء دور الشهيد توفيق البساط ، فوصل الى ساحة الاعدام ، وقد لاح الفجر بأنواره يكشف حلك الليل ، فسار مسرعاً ثابت الجنان الى المشنقة وهو يتكلم ، فوضع الحبل في عنقـه ورفس الكرسي فأهوى ومات .

وسأل رضا باشا رجال الشرطة وقال : من بقي عندكم من المحكومين فأجابوه : الضابطان سليم الجزائري وامين لطفي الحافظ ، وكانا كلاهما من كبار اركان حرب الجيش العثماني ، فلما سمع رضا باشا باسم الضابطين ، دخل مسرعاً الى دار الشرطة ، وقابل الشهيدين هناك ، ودامت المقابلة نصف ساعة ، وخلالها كان الشهيد الجريء امين لطفي الحافظ يتكلم بلهجة قوية مع رضا باشا ويقول له : كيف حكم علينا الديوان العرفي دون تحقيق ، ولم يسألونا ، أهذا هو جزاء خدماتنا للدولة .

وأخيراً قال لهما رضا باشا ، سأخبر القيادة العليا بشأن العفو عنكما ، وجلس حالا الى الهاتف ، وطلب جمال باشا ، فأجيب أنه متغيب ، وان وكيله فخري باشا موجود وحده في القيادة ، فطلب محادثته ، ودامت المخابرة عشرة دقائق ، حاول رضا باشا في اثنائها ان يحصل على العفو عن الشهيدين بصفتهما من كبار ضباط الجيش ، غير ان الجواب كان يرن بوق الهاتف بهذه الكلمـة (غير ممكن) ولما يئس رضا باشا ، التفت الى سليم الجزائري ، وقال له متأثراً ، ماذا تريد ان أفعل بعد الآن ، تعال انت فخاطب فخري باشا ، فاقترب الجزائري من آلة الهاتف وطلب مخابرة فخري باشا ، فلم يسمع غير هـذه الـكلمة (غير ممكن) فرفع يده مهدداً غاضباً ، ورمى الآلة فحطمها ، والتفت الى امين لطفي فقال له هلم بنا .

وتقدم رضا باشا من الشهيد سليم الجزائري فصافحه ، وعاد ادراجه ليحضر مشهد إعدامه بصفته الرسمية ، وكان الجزائري مهاباً محترماً في الجيش ، حتى انهم كانوا يحترمونه ويهابونه وهو سجين في الديوان العرفي ، بل ان رهبتهم منه لم تنقص حتى ساعة اعدامه .

ومشى الضابطان معاً بثيابهما العسكرية الى أرجوحة الابطال ، وكانت مهاميز احذيتهما الطويلة ترن على بلاط الشارع ، وكانت

قد مرت ساعة على اعدام الاثني عشر شهيداً قبلهما ، وكان نور الفجر قد أضاء الكون الحزين ، وقد حاول افراد الشرطة ان ينتزعوا (قابق) الشهيدين عن رأسيهما ، والشارات العسكرية عن أكتافهما ، فأبيا ، وأمرهم رضا باشا بالكف عن ذلك .

صعد الشهيد سليم الجزائري أولاً الى منصة الاعدام ، وتكلم بما يجب مع رضا باشا ، وتقدم الشرطي ليضع الحبل في عنقه ، وأراد ان ينتزع نظارتيه عن عينيه فمانع .

ثم جاء دور الشهيد امين لطفي الحافظ ، فصعد الى منصة الاعدام وهو يضحك ، وارتبك الجلاد وهو يضع الحبل في عنقه ، فأخذه الشهيد الجريء من يده ووضعه هو بنفسه في عنقه ، ولكن الجلاد رفس الكرسي من تحت رجليه ، قبل ان يمكن الشهيد الحبل من جوزة العنق .

دفن الجثث

نقلت جثث الاربعة عشر شهيداً الى مقبرة الرمل ، فدفن الشهداء الى جانب اخوانهم الذين اعدموا قبلهم في حفرة مهملة .

وقام المهندس المعروف السيد ثابت الحافظ نجل الشهيد امين لطفي الحافظ في عام ١٩٢٨ م بالتحري على الحفرة التي دفن بها والده ، وبعد تحريات مضنية ، عثر عليها فوجده مدفوناً مع رفيقه الشهيد سليم الجزائري ، وقد تعرف عليهما من المهاميز المعدنية ، فأشاد قبراً ضم رفاتهما الطاهرة .

شهوة التشفي والانتقام

ولم يكتف السفاح جمال باشا بما اعدمه من رجالات البلاد ، فأصدر أمره الى شكري بك رئيس الديوان العرفي في ذلك الحين باعدام سبعين شخصاً من نخبة ابناء البلاد ، وقد بذل شكري بك اقصى مايمكن من الجهد لتجريمهم فلم يستطع ، فسافر على الاثر من عاليه الى دمشق ، واجتمع بجمال باشا ، واقنعه بالاكتفاء بمن اعدمهم ، ولم يطل الوقت حتى استقال شكري بك من عمله .

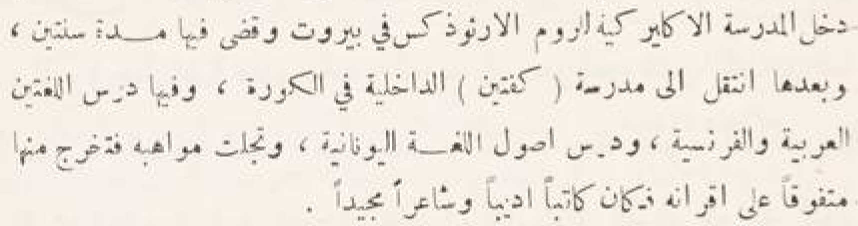
وبعد الانتهاء من هذه الفواجع ، اذاع جمال باشا منشوراً أكد فيه أنه قد انتهى من سياسة الاعدام ، ولكنه لم يمض شهر واحد على السادس من شهر ايار سنة ١٩١٦ م حتى علق الشيخين الشقيقين فيليب وفريد الخازن على اعواد المشانق .

وفي هذه الفترة الرهيبة قام جمال باشا بجولات عدة في المناطق السورية ، ليقف على الحالة الروحية بين الاهلين ، والتفتيش على المراكز العسكرية ، فصادر أبنية المدارس الاجنبية والاهلية ، وأعطى الاوامر لتفتيش المنازل والمستودعات العائدة لمحتكري الاغذية ، فصادروا ما وجدوه فيها من مواد الاعاشة ، فارتفعت الاسعار الى حد كبير ، وانفقدت المواد الضرورية من الاسواق ، واستعمل الاهلون زيت الحلو للانارة بدلا من البترول الذي لم يبق له اثر الا في المستودعات العسكرية وأطال الضباط الاتراك أيديهم في السرقات ، فكانوا يأخذون من الفلاح الحبوب الخالية من الاجرام ، ويخلطون فيها مقادير كبيرة من التراب ، ويبيعون ما يسرقونه في السوق السوداء حتى امتلأت جيوبهم .

بترو باولي

١٨٨٦-١٩١٦

هو ابن بترو باولي من التبعة اليونانية ، ولد في مدينة بيروت سنة ١٨٨٦ م وتلقى علومه الابتدائية في مدرسة الثلاثة أقمار ، ثم دخل المدرسة الاكليركية للروم الارثوذكس في بيروت وقضى فيها مــدة سنتين ، وبعدها انتقل الى مدرسة (كفتين) الداخلية في الكورة ، وفيها درس اللغتين العربية والفرنسية ، ودرس اصول اللغــة اليونانية ، وتجلت مواهبه فتخرج منها متفوقاً على اقرانه فكان كاتباً اديباً وشاعراً مجيداً .



في ميدان الصحافة ـ اشترك في عهد الحرية التركية مع بعض رفاقه فأصدروا جريدة (الوطن) ، ثم انسحب اخوانه واستقل باصدارها وحده . واخيراً أوقفتها الحكومة باعتباره يوناني الجنسية ، ثم تولى اعمال التحرير والادارة في جريدة (المراقب) لصاحبها جرجي عطية ، واستمر في عمله حتى اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى فتوقفت الجريدة عن الصدور بسبب فقدان الورق .

نكباته : ــ ولما نشبت الحرب العالمية الاولى أثبت انه يوناني التبعة ، الا أن السلطات التركية اعتبرته عثماني التبعة ، وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤م ، قبض عليه وأُرسل الى دمشق ، وتوسط القنصل اليوناني بأمره فلم يفلح ، وبقي سجيناً مدة أربعة اشهر في دمشق ، وجرت محاكمته امام المجلس العرفي فأُطلق سراحه بعد ان دفع البدل النقدي عن خدمته العسكرية ، واجبر للبقاء في دمشق تحت المراقبة ، ثم سيق مخفوراً الى حلب وسجن شهراً ، ومنها الى سجن اورفا فسجن قونية ، وبعد وساطات أفرج عنه وبقي قيد المراقبة ، وبعدها سيق الى سجن ازمير فمكث فيه سبعة اشهر .

وفي شهر اذار سنة ١٩١٦ م سيق الى عاليه بعد ان قضى زهاء سنتين متنقلا من سجن لآخر ، وجرت محاكمته امام الديوان العرفي الحــربي .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : ــ « لم يمض اوقاته التي انوجد فيها في عالم الصحافــة ، إلا بالتلقينات والتشبثات والتشريبات لأجل استقلال مملكة عربية » .

وفي صباح ٦ ايار سنة ١٩١٦ م اعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية .

ويتضح من قرار اتهام هذا الشهيد ، انه وهب نفسه وجهوده في سبيل القومية العربية ، ولم يتهم بعلاقاته السياسية مع دولة أجنبية ، وهذا مايزيد في قدر الشهيد الذي لقي من التنكيل والارهاق خلال المدة الطويلة التي قضاها متنقلا بين السجون ، ثم فدى روحه في سبيل المثل العليا ، وأهداف وطنه وحريته واستقلاله ، وكان في استشهاده عبرة وعظة للعاملين المخلصين في الاجيال الصاعدة .

الشهيد جرجي حداد

١٨٨٠-١٩١٦

هو ابن موسى ، الحداد ، ومن مواليد لبنان ، كان اديباً وناثراً بليغاً ، وقد امتهن الصحافة واقام بدمشق .



ولما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية ، شعر المترجم بما يضمره له الطاغية السفاح من حقد وانتقام ، وقد تطوع الكثيرون بالوشاية عليه ، فتوارى ، عن الانظار ؛ وكان ينوي الفرار مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وتوفيق الحلبي ، الا أن الامير شكيب ارسلان اتصل به ونصحه بتسليم نفسه ، فخدعه كما خدع غيره ، ولا يستغرب عن الامير الارسلاني أن يكون هو الواشي عليه بذاته ، ولما انخدع بأقوال الامير ووعوده وسلّم نفسه كان نصيبه الشنق .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : ـ « كان من اعضاء الجمعية اللبنانية ، واشترك في جميع تشبثاتها فعلياً ، واجتهد بنشرياته لاستقلال لبنان . »

وفي فجر يوم ٦ أيار سنة ١٦١٦ كان في عداد شهداء القافلة الثانية الذين اعدموا شنقاً في ساحة البرج في بيروت ودفن مع اخوانه في مقبرة الرمل .

واكد الذين كانوا على صلة وثيقة بالشهيد ، انه كان في السادسة والثلاثين من عمره حين اعدامه ، وانه بريئاً من كل ما اسند اليه من التهم السياسية ، وقد نشر بعض مقالات في جريدة (العصر الجديد) ، يؤيد فيها اهداف وطنه باستقلال لبنان ، وليس في ذلك مايستوجب اعدامه ولكن هكذا قضت سياسة الاتحاديين الاتراك الذين كانوا ينظرون الى قادة العرب وادبائهم ومفكريهم بعين الخطر والانتقام ، وكان ماتحلى به هذا الشهيد من ادب وتفان في سبيل قوميته العربية سبب اعدامه على ارجوحة الشرف ، التي لايحلم بها الا عظماء الرجال .

والناس صنفان موتى في حياتهم   وآخرون ببطن الارض احياء

الشهيد سعيد عقل

١٨٨٨-١٩١٦

أصله ونشأته — : هو ابن فاضل بشاره عقل ، ولد في الدامور (لبنان) سنة ١٨٨٨م وتلقى دراسته في مدرسة غزير ، ثم انتسب الى مدرسة الحكمة المشهورة ، التي تخرج منها اعلام الرجال ، وقضى فيها خمس سنوات تجلت فيها مواهبه الادبية ، وتفوق على اقرانه في مراحل الدراسة العالية . فكان آية في الذكاء والنجابة والاخلاق الفاضلة ، وكان موضع اعجاب اساتذته وتقديرهم ، فتفرسوا به خيراً وهو في فجر شبابه ، بأن مستقبله واطواره ورجولته تدل على انه سيكون من نوابغ الرجال .

مواهبه الادبية — : اشتد ولعه بنظم قوافي الشعر وهو في مدرسة الحكمة ، وقد تركها قبل ان يتضلع في علم البيان وفنون الخطابة ، ودخل مدرسة الشويفات واخذ يدرس الحقوق على بعض الاساتذة ويتعلم اللغة الانكليزية ، واستمر في ذلك مدة سنة ومن آثاره الادبيـة وهو في مقاعد الدراسة رواية شعرية ألفها ، وقد مثلت في برج البراجنة ، ولاقت رواجاً واستحساناً ، ورواية شعرية غنائية عنوانها (فيرا) ولم يتم تمثيلها ، وهي تدل على ميله الى الادب والفن في آن واحد .

اغترابه — : سافر في سنة ١٩٠٧ م مع شقيقه وكان في الثامنة عشرة من عمره الى المكسيك ، وفي بلاد الغربة تفتحت مواهبه ، وكانت كأكمام الورود العبقة فجادت قريحته بالنظم والنثر ، واصدر جريدة صدى المكسيك ، واستمر اخراجها مدة نصف سنة ، وبعد اعلان الدستور العثماني عاد الى بيروت عام ١٩٠٩م بعد ان وهنت صحته ، وضاق صدره من هواء تلك البلاد ومناخها الذي لم يوافق مزاجه الصحي .

في ميدان الصحافة — : اخذ وهو في المكسيك يراسل صحف الهدى ومرآة الغرب في مدينة نيورك ، ثم تولى التحرير في جريدتي المطامير والنصير ، واصدر جريدته المشهورة (البيرق) ودبج يراعه فيها مقالاته الوطنية الرائعة ، ولكن السلطات التركية كانت له بالمرصاد فأوقفتها ، وتولى رئاسة تحرير جريدة الاحوال ثم توقفت ، وحرر في جرائد لسان الحال والاتحاد العثماني والثبات والاصلاح وهذه الاخيرة كانت لسان حال الجمعية الاصلاحية ومؤتمر باريس لصاحبها زميله الشهيد الشيخ احمد حسن طباره ، ثم عاد الى التحرير في جريدة الاحوال ، فتوقفت عن الصدور عند نشوب الحرب العالمية الاولى ، وقد ذاع صيته كشاعر واديب متفنن وصحفي بارع ، فكانت الصحف تتسابق لتلقف منظوماته ومقالاته الادبية .

محنته — : كان لولب الحركة السياسية ، وقد عمل لتحرير لبنان والبلاد العربية من النير التركي ، وتحقق ان الشهيد لم يقم بأية دعاية لدولة اجنبية بل كان ينادي باللامركزية والاستقلال ، وهذا ما يزيدنا اعجاباً بوطنيته وتقديره .

ولما تولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع ، كان الامير شكيب ارسلان في ركابه اينما سار وحل ، يمالق له ويوشي برجالات العرب ، وفي اليوم العاشر من شهر شباط سنة ١٩١٦م قبض عليـه في بيروت وسيق الى الديوان العرفي الحربي في عاليه ، وزج في السجن رهن التحقيق والمحاكمة . وقد ابدى شجاعة وصبراً وجرأة نادرة في مراحل حياته وفي الساعة الرهيبة من موتـه ، وكان يعلل النفس إما بالعفو او النفي ، ولكن خاب الامل ، وشاء القدر ان يكون شهيداً خالداً وهو في فجر شبابه ونبوغه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه — : « سعى في تشكيل مملكة عربية مستقلة ، وذلك بفعاله وحركاته ونشرياته في جريدة الاتحاد العثماني التي دخلها بواسطة رزق الله » .

وفي فجر يوم السبت ٦ أيار سنة ١٩١٦ م تقدم الى منصة الاعدام وهو رابط الجأش ثابت الجنان ، واوصى الطبيب ان يشد رجليه عندما يتأرجح في الفضاء للتعجيل في لفظ انفاسه الاخيرة ، وهكذا اعدم شنقاً في ساحة البرج في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية ودفن مع اخوانه الشهداء في مقبرة الرمل .

وقد خلده ادبه الرائع ، واستشهاده في ميدان الجهاد الوطني ، ولو امتد اجله لكان من نوابغ الرجال ، وانجب ولداً وكريمتين .

الشهيد سعيد عقل في مذكرات عزمي بك

ورد في الصحيفة ٢٠٤ من مذكرات عزمي بك رئيس دائرة الاستخبارات والجاسوسية التركية عن الشهيد سعيد عقل ما نصه حرفياً :

« سعيد عقل شاب كثير الحماس لقضيته اللبنانية ، مندفع في سبيل تحقيقها غير حافل بالمصاعب التي تعترضه ، حتى انني عندما اجتمعت به في الديوان الحربي العرفي في عاليه لم يتردد في المجاهرة امامي برأيه في قضية بلاده قائلا :

الشهيد - : انني لم اكن خائناً ، ولست مذنباً لاقف تجاه محكمة تعتبرني خائناً ، فأنا ادافع عن حقوق بلادي كما اعتقد .

عزمي بك - : ولكن هل خدمة بلادك هي ان تنزع هذه البقعة من الدولة العثمانية وتضعها تحت نفوذ الدولة الفرنسية .

الشهيد : كلا فأنا لم افكر ، ولن افكر قط في سلخ هذه البلاد عن السلطنة العثمانية ووضعها تحت النفوذ الفرنسي ، وانما اردت ان تنال حقوقها المعترف بها دولياً فقط ، اما فرنسا فقد اظهرت تجاهنا شيئاً من العطف ، فحفظنا لها الجميل .

عزمي بك : اذاً انت تعترف بأنك كنت خائناً للدولة العثمانية .

الشهيد - : اذا كان دفاعي عن بلادي يعتبر خيانة بنظركم فأنا كذلك وافتخر بهذه الخيانة .

عزمي بك - : ان الدولة لاتنكر قط على احد حقه في مثل هذه الامور شرط ان لا تتعدى هذه الوطنية الى الخيانة ، فأنت تدعي الوطنية والاخلاص ولكن كيف توفق بين ادعائك هذا والمرتب الذي كنت تتقاضاه من السفارة الفرنسية .

الشهيد - : من قال ذلك ؟..

عزمي بك - : ان الوثائق الموجودة لدينا تثبت انك كنت تتقاضى راتباً شهرياً قدره (٨٠٠) فرنك .

الشهيد - : اذا كانت لديكم مثل هذه الوثائق فأنا على استعداد لتحمل مسؤوليتها ، ولكنني اقول لكم منذ الآن انكم لاتملكون مثل هذه الوثائق ، لانني لم أتناول من احد بارة الفرد ، وتابع عزمي بك قوله عن الشهيد مانصه حرفياً :

« اوردت هذه المحاورة التي دارت بيني وبين سعيد عقل لأنني اردت ان اجعل هذا الشاب مثالا لغيره ، فهو كان صريحاً في اقواله جد الصراحة ، وهذه الصراحة هي التي قادته الى المشنقة ، انه لم ينكر قط انه كان من اعضاء جمعية النهضة اللبنانية ومن العاملين على تأييد مبادىء هذه الجمعية بكل قواه ، وقد استشهد على موقفه هذا بعشرات المقالات التي حررها في الصحف ، الا انه انكر ان يكون عاملا على تأييد النفوذ الاجنبي ، حتى انه انكر معرفته بالوثيقة التي رفعها بعض زعماء المسيحيين وفي مقدمتهم ارقش وزينيه وطراد وثابت بالشكوى من الدولة والمسلمين .

انه رفض ان يكون جاسوساً على غيره ، وقد انكر معرفته بعلاقات اصحاب الصحف بالقنصلية الفرنسية ، قائلا انه يجهل مثل هذه الامور ولا يريد التدخل فيها .

ولما كنت في بدء عهدي صحفياً فقد اعجبت بهذا الشاب واردت انقاذه ، الا انني لم انجح ، لان جمال باشا كان مقتنعاً بأنه يشتغل لحساب فرنسا ويتقاضى منها راتباً شهرياً مستنداً بذلك على افادتي عبد الغني العريسي ورفيق رزق سلوم وتأييد الشيخ أحمد طباره ، وقد كانت هذه الشهادات كافية لارساله الى المشنقة » .

المؤلف « يتضح من اقوال عزيز بك الى الشهيد سعيد عقل بشأن الراتب الذي كان يتقاضاه من القنصلية الفرنسية ، ان هذه التهمة لا تستند الى وثائق معينة ، وهذا ما يثبت ان التهم الموجهة الى شفيق المؤيد ورفاقه بشأن اتصالاتهم مع الدولة الفرنسية كانت مثل هذه التهمة التي وسّعها جمال باشا واظهرها للملأ بأنها اتصالات وخيانات ومؤامرات على الدولة العثمانية .

واذا صح ما ادلى به الشهداء العريسي وسلوم وطباره ، عن الشهيد سعيد عقل ، فقد كان ذلك تحت عامل الارهاق والتعذيب وهي تهمة لا تبرر اعدام هذا الشهيد الشاب الذي اثبت بوطنيته وجرأته انه فخر العروبة والخلود .

الشهيد عمر حمد
١٨٩٣ - ١٩١٦

هو ابن مصطفى حمد ، وجدّه حمد مصري الأصل ، كان هاجر الى لبنان في عهد الأمير بشير الشهابي واستوطن بيروت .



ولد الشهيد سنة ١٣١١ هـ و١٨٩٣ م في مدينة بيروت ، وكان في الثامنة من عمره إذ ختم القرآن الكريم للمرة الرابعة على الشيخ شاتيلا المشهور ، وقسى عليه الدهر فتوفي والده قبل أن يجاوز الشهيد التاسعة من عمره ، فاضطر الى ترك الدراسة واشتغل في اسواق التجارة نحو اربع سنوات لتأمين اعاشته ، فكان عصامياً كالأسد الذي لا يعدم فريسته أينما كان .

ذكاؤه ونجابته - ومن الجدير بالذكر والشكر ، أن القائمين على الكلية الاسلامية قد اكتشفوا في الشهيد الصبي آنذاك النجابة والذكاء الماح ، فأدخلوه الكلية الاسلامية ، فتلقى دراسته فيها على اختلاف أنواعها فبرع وفاق .

مواهبه الشعرية - درس اللغة العربية على أعلامها ، وامتلك ناصية القوافي فأخذ ينظم الشعر ، وكان مايلقيه في نادي الكلية الاسلامية من قصائد وطنية ، يتغنّى بها بمجد العروبة الغابر ، ويندب سوء حالها الحاضر ، مستحثاً العزائم ، مستفزاً الهمم ، ابلغ الاثر في النفوس ، فكانت الأعناق تتطاول لرؤية ذلك الفتى الأسمر الفارع القامة ، الجهوري الصوت وهو على منبر الخطابة ، فترمقه الابصار ، ويتحدث الناس عن نبوغه وهو في فجر شبابه ، وقد ترك خلفه قصائد جمعت بديوان مؤلف من مائة صفحة ، ولو امتد أجله لبرز في ميدان الأدب والخطابة ، ولكن قضت ارادة الله انيذوي غصنه الرطيب ، وهو في عمر الورود ، كالنحلة التي تأتي بالشهد المصفّى للناس ثم لاتلبث أن تموت .

وفي سنة ١٩١٢ م أتمّ الشهيد دروسه في الكلية الاسلامية ونال شهادة البكالوريا والقى قصيدته الرائعة ، وعنوانها (الشهامة والوفاء) نقتطف منها قوله :

خلّ يا صاح ذكر ذات العقود ... واهجر اللهو بين ناي وعودِ
ودع الكأس وابنة العنقود ... للمعنّى المتيّم المعمود

(ببياض الطلى وورد الخدود)

خففي اللوم واقصري العتب (لبنى) ... لِمْ تقولين شاعر ما تغنّى
بهوانا ولم يكن بالمعنّى ... أنا أحببت غير حسنك حسنا

أنا أوثقت في سواك عهودي

الى أن كشف عما يختلج في صدره من قصد نبيل وحب لقوميته العربية فقال :

يا ذوات الجمال لمتنّ مرّاً ... وقعه كان في فؤاديَ جمرا
منْ عذيري ولست أحتاج عذرا ... غير أني بحب قوميَ مغرى

أتغنّى بـه بكل قصيد

قبلَ الآنسات عذري وقمنا   ثم صافحنني بيسرى ويمنى

قلن لي يا فتى القريض تغنَّ   وابن آي مجد قومك إنّا

عاشقات لذكر مجد الجدود

وفي الحفلة التي أقامتها الكلية الاسلامية بمناسبة مولد الرسول الأعظم القى قصيدته وقد تجلّى في كل بيت منها أسمى معاني الوطنية والوفاء ، وايقاظ الروح العربية منها قوله :

دع ذكر «روما» فلا صحب ولا آلُ   فيها لنا وبها لا ينعم البالُ

وأشدد الى الشام رحل العزم مجتهداً   فما لمثل ربوع الشام ترحال

لا خير في بلد عزّ الصديق به   وربعه من رياض المجد ممحال

عشقت قومي وأوطاني وكل فتى   في الناس يعشق والعشاق أشكال

يا عيس سيري الى (دار الوليد) ففي   دار الوليد لنا يا عيس آمال

ومنها : هناك قام (بنو مروان) وارتفعت   لهم بنود بها هام السهى طالوا

ربعٌ اذا ذُكرتْ أيام نضرته   (حنيت رأسي وحني الرأس اجلال)

ومنها : فالعرب أهلي وحسبي ذاك من نسب   أميل نحو حماهم حيثما مالوا

يا ركب حيِّ الحمى عني وقل لهمُ   هبوا الى المجد ان النوم قتَّال

ومنها : وقل له يا ابن (عبد الله) عزّ على   بنيك عز وللاذلال قد آلوا

نامت عزائمهم ، فُلَّت كتائبهم   بادت معالمهم ، والربع أطلال

ومنها : تبكي (الجزيرة) من خطب ألمّ بها   ودمع (زمزم) بالأرزاء سيال

وختمها بقوله: يا أيها العرب لا عز ولا حسب   ان ظلّ ينشد مجد العرب قوال

يا أيها العرب لا ملك ولا علمٌ   ان لم يقم بينكم يا عرب فعَّال

لا تُصلح العربَ أقوال منمَّقة   وما لمضنى بغير الوصل إبلال

أما اناشيده الوطنية التي نظمها في المناسبات القومية ، فقد اشتهرت وسارت بها الركبان وأصبحت رمزاً قومياً خالداً ، منها النشيد الذي حفظه كل عربي :

شُبوا على الخصم اللدود   نارَ الوغى ذاتِ الوقود

يا أيها العرب الكرام   الى متى أنتم نيام

قوموا الى الموت الزؤام   وامشوا له مشي الأسود

كنتم ملوكاً في الورى   تخشاكم أسدُ الشرى

بالبيت في أمّ القرى	هل تذكروا تلك العهود
لا عاش من خاف الطعان	أوهاب أحداث الزمان
أي امرىء يرضى الهوان	أولى به سكنى اللحود

اما نشيده الشهير (هيا بنا) فقد ذكره جمال باشا في كتابه (الايضاحات السياسية) وكان من اهم العوامل لاعدامه ، وقد آثرنا نشره .

هيا بنا هيا بنا	ابن السعود	يعزنا
يا ابن الرشيد انت العميد	ابن الوليد	يعزنا
هيا بنا هيا بنا	ابن السعود	يعزنا
يا ابن السعود هيا بنا	ابن الجدود	يعزنا
هيا بنا هيا بنا	ابن السعود	يعزنا
فتى العراق هو الوثاق	انت المراد	يعزنا
هيا بنا هيا بنا	ابن الرشيد	يعزنا

لم يترك الشهيد الصادق الوفي، الكلية الاسلامية التي أنجبته وكان لها الفضل في اظهار نبوغه ، فقد اختارته استاذاً للعربية وتاريخ الاسلام في القسم الاستعدادي ، وكان في الوقت نفسه يتفرغ للتحرير في بعض الصحف المحلية .

في الحرب العالمية الاولى : نشبت الحرب العامة فحملته عاصفتها الهوجاء الى دمشق ضابطاً احتياطياً ، فمكث فيها نحو ثلاثة اشهر ، وكان الطاغية جمال باشا قد بدأ بتنفيذ مشروعه الدموي الذي يرمي إلى القضاء على كل نزعة استقلالية في البلاد العربية قضاء مبرماً ، ولما أحسّ بنوايا السفاح جمال باشا أزمع على النزوح الى البادية ، فاتفق مع احد الموظفين من أسرة (آل قاسم)البيروتية، وكان يعمل في الديوان العرفي في عاليه ، أن يخبره متى ظهر اسمه في قائمة الأحرار المطلوبين ليتوارى عن الأنظار ، وقد أطلعه هذا الموظف النبيل الشهم على السر .

فهرب بالقطار من بيروت الى دمشق ونزل في فندق دار الفرح بدمشق .

وسألت الشرطة أهله عنه ، فأجابوا وهم لايعرفون ما وراء ذلك ، بأنه سافر الى دمشق ، فلاحقته شرطة دمشق ، ولما أتت قوة الشرطة الى فندق دار الفرح صدف أن رآهم من بعيد وهم يخرجون منه، فترك أشياءه وتوارى في بيت (السيدة فاطمة دوغان) وهي بيروتية الاصل وظل عندها ثلاثة عشر يوماً .

وخلال هذه المدة اتصل بالشهيد عبد الغني العريسي وكان صاحب مطبعة بدمشق ، واتفق واياه والامير عـارف الشهابي وتوفيق البساط على الفرار الى البادية ، هذا وان قصة رحلته هذه مع رفاقه الشهداء والقبض عليهم وما لاقوه من عذاب وشقاء منشورة في بحث مستقل .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : « ثبت بالوثائق انه من ضمن اعضاء اللامركزية ، وكان أنشد في احدى مراسح التمثيل قصائد تنفر بين العرب والترك ، وكان فرّ مع عبد الغني العريسي ورفاقه الى البادية ، وانوجد معه في حركاته القائم بها عند العربان » .

وفي فجر ٦ ايار سنة ١٩١٦م أعدم شنقاً في بيروت مع شهداء القافلة الثانية ، ولما اعتلى المشنقة قال :

خطوا على متن قبري يا بني وطني	بيتـاً تردده عـني فـم الحقب
هذا ضريح أصيل في عروبتـه	قضى شهيـداً لتحيا أمة العرب

وهكذا انتهت حياة هذا الشهيد الشاب الجريء وهو عزب رحمه الله .

الشهيد عبد الغني العريسي

١٨٩٠-١٩١٦

مولده ونشأته — ولد الشهيد عبد الغني بن محمد العريسي في بيروت في ٢٠ شوال سنة ١٣٠٨ هـ الموافقة لسنة ١٨٩٠ م ، تلقى دراسته في مدرسة المقاصد الخيرية في بيروت وتخرج منها ، ثم انتسب الى المدرسة العثمانية لصاحبها العلامة الأزهري ونال شهادة سنة ١٩٠٦ م واختاره مديرها للتدريس فيها ، واختص باعطاء دروس الانشاء والطبيعيات مدة سنتين الى سنة ١٩٠٩ م .



ثم ترجم للشاعر الشهير حسن حسني الطويراني ديوانه المسمى بـ (ثمرة الحياة) وعرّب مؤلف (بول دومر) الفرنسي وطبعه لأهمية مواضيعه الاجتماعية والوطنية .

في ميدان الصحافة — لما ظهرت الجمعيات العربية الى حيز الوجود في عهده ، وازداد نشاط العاملين في القضايا الوطنية ، رأى الواجب يقضي عليه باصدار جريدة تعبّر عن الاماني القومية العربية ، فأصدر جريدة المفيد ، وبعد السنة الاولى من اصدارها أدخل شريكا معه السيد فؤاد حنتش واستمر في اخراجها بضع سنين كانت لسان العرب ومقالاتها الوطنية تنقض كالصواعق على الاتراك ، فأوقفتها الحكومة التركية مرات عدة ، وقد عانى وكابد المشقات لتأمين اصدارها وتعرض لاضطهاد السلطات التركية فما ونى ولا استخذى كغيره من حملة الاقلام المرتزقين ، واستمر في بث الروح العربية في نفوس العرب ونقد الحكومة والمطالبة بالاصلاحات بجرأة نادرة لم يجرأ غيره من أصحاب الصحف للخوض في مثل هذه النواحي الخطيرة ، وفي سنة ١٩١٤م نقل جريدته الى دمشق .

دراسته العالية — لم يكتف بما ارتشفه من العلم في مدارس بيروت ، بل دفعه طموحه للسفر الى باريس ، وانتظم في المدرسة الحرة للعلوم السياسية وأقام فيها مدة سنتين حيث نال شهادتها العليا ، ثم عاد وقد تجلت مواهبه بما نشره من مقالات علمية وتاريخية وادبية ، وكان في المؤتمر العربي الذي عقد في باريس درة لامعة وألف للمؤتمر حزب كان أمين سر لجنتي التحضير والادارة فيه .

في عهد جمال باشا السفاح — ولما أعلنت الحرب العالمية الاولى وتولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع كان اول عمل بدأ به مراقبة شباب العرب والنية على ابادتهم ، وقد نقل جريدة المفيد الى دمشق واشترك مع الامير الشهيد عارف الشهابي على اصدارها وبالطبع فان الاستاذ محمد كردعلي قد رأى بمجيئه الى دمشق واصداره جريدة المفيد مايضر بمصلحة جريدته المقتبس ويحد من مكانته ، فكان من جملة المتطوعين بالدس والوشاية عليه الى السفاح جمال ، ولما شعر الشهيد المترجم بنوايا جمال باشا اختفى مع اخوانه الشهداء الامير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط ، ورغم مابذله السفاح جمال وجواسيسه من نشاط لمعرفة مقر اختفائهم ، فقد ذهبت جهودهم ادراج الرياح ويئس من القبض عليهم .

الفرار الى البادية — لقد فصلنا قصة فرار هؤلاء الشهداء وما عانوه من مشقات وعذاب في الصحراء ، وكيفية القبض عليهم في مدائن صالح في فصل خاص .

وبعد القبض على الشهداء الاربعة سيقوا مخفورين الى الديوان العرفي الحربي في عاليه وظلوا مدة ثلاثة اشهر في سجنه قيد التحقيق ، وجاء في مذكرات جمال باشا أن تصريحاته قد اوقعت بكثير من الشخصيات ، والذي تحققناه ان ما ادلى به من تصريحات كان لا يتعدى المعلومات عن الافراد الموجودين خارج البلاد العربية ولا تطالهم ايدي الاتراك وذلك للتخلص من اهوال الضغط والتعذيب والارهاق في السجن ، وان اقوال جمال باشا بحقه كانت دساً واختلاقاً للحط من كرامة هذا الشهيد الكريم في نظر ابناء وطنه .

خلاصة نص قرار اتهامه والحكم باعدامه - «حكم عليه بالاعدام غيابياً ، واخيراً القي عليه القبض ، كان من ضمن الذين دخلوا في اللامركزية وفي تشكيلاتها السرية وكان مأموراً لترتيب امر القيام في سورية ، وكان في العوامل لتهيئة الافكار المضرة قبل المؤتمر وبعده ، وكان يسعى بكل قواه لضمان استقلال العرب وثبت ايضاً بأنه حرّض العربان على القيام .»

وفي صباح ٦ ايار سنة ١٩١٦ م أعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية ، ومن تصريحاته الشهيرة قبل اعدامه قوله : (ان مجد الأمم لا يبنى الا على جماجم الابطال ، فلتكن جماجمنا حجر الزاويه في بناء مجد الامة العربية) وكتب وصية تاريخية خطيرة ، ودفن مع رفاقه الشهداء في مقبرة الرمل في بيروت .

وصية الشهيد عبد الغني العريسي

يا بني يعرب وياسلالة قحطان ، ويانسل الاكارم الأماجد، وياخلف الأشاوس الصيد الذين دوّخوا العالم بعزمهم ، وملكوا الدنيا بعدلهم ، ياذوي الهمم الشماء والنفوس العصماء ، والمآثر الغراء ، يا أباة الضيم ، وياحماة الذمار وحافظي العهود ، يا أيها الاخوان المنتشرون في جميع انحاء العالم المعمور واقطاره سلام .

«اوجه خطابي هذا اليكم وانا على شفير هاوية الموت ، وبين براثن الوحش الاتحادي الذي خرب بلادكم ودمر بيوتكم ، ويتم اطفالكم ، ورمّل نساءكم ،واذلّ اخوانكم ،وامتهن حرمتكم ، وحبس ملاك الحياة وقوامها عن اطفالكم المعولين واولادكم الصارخين ليقدمها طعاماً لأطماعه ، اوجه اليكم خطابي هذا من بادية الشام من بين مضارب اخوانكم الأعراب الأسود الذين عليهم المعول الأكبر في انقاذ البلاد ، ودك عرش الظلم والبغي والجور وكل فاحشة ومنكر .

«وقد لا يصلكم كلامي هذا قبل وصول منعاي ، لأن الظالمين قد اصدروا احكامهم الجائرة عليّ وعلى عشرات غيري من خيرة ابناء سورية ، وبعدما افلت من ايديهم واصبحت حراً حيث تتجلى الحرية بأسمى مظاهرها بين خيام الأسود ، ومضارب الظباء ، أرى الواجب عليّ يدعوني الى نواحي الشام ، واني مبكر غداً بعد أن أعهد الى اخي في الجهاد .. النجدي في ابلاغكم خطابي بالطريقة التي يراها ، فان تيسر لي الخلاص والافلات مرة ثانية أتممت الواجب ، والا فحسبي انني خدمت امتي وبلادي حتى آخر نقطة من دمي،ولست بالفدائي الاول الذي يموت اليوم في سبيل القومية العربية ، فالرفاق كثر ، والغاية النبيلة التي نقوم بها وندعو اليها تقتضي ضحايا كثيرة ، لأن أركان الحرية والاستقلال لاتثبت الا على الدماء الذكية ،ولا تصان بغير النفوس الابية ،فلاتيأسوا اذا بلغكم غداً ان مئات من نخبة رجال الامة العربية قتلوا ، فالغد يتلوه غد ايضاً ، وبعد غد فرج ان شاء الله » .

«ستسمعون — وربما سمعتم — بماترتعد له الفرائص ، وتقشعر له الابدان من الفظائع التي يمثلها الاتحاديون في الامة العربية النجيبة ، لأنهم قد قرروا افناء الشعب السوري برمّته حتى الاطفال ، وهم منذ أشهر عاملون على احتكار الأقوات تحت سلطتهم العسكرية ، وقد قرروا ايضاً محق العراقيين الأباة ، ولكنهم في العراق أقصر يداً مماهم في سورية ...

وربما خلت سورية من ثلثي سكانها الحاليين ، لأن من ينجو من المشنقة يميتونه تجويعاً وهزالاً .

«لقد حاولوا قتل لغتنا وجربوا ان يميتوا عاطفتنا القومية وبذلوا الجهود في تتريكنا فلم يفلحوا ، كل هذا ونحن صابرون صبر الكرام ، اما وقد باشروا ابادتنا واجلاء من يبقى من المزارعين والعمال عن البلاد السورية الى حيث يفقد جوهر عنصره الشريف فلا صبر على هذا ولا طاقة .

«ان قائد الفيلق الرابع جمال باشا وقد عرقل بحيله مساعينا ، وأخر قيامنا ، فانه بعد خيبته بغزوة مصر ، واسترجاع القطر الشقيق الى العبودية تظاهر بالميل الى العرب ، وأسرّ الى عشرات من كبار الشعب السوري ، انه يريد الاستقلال بسورية، وقد ألمع مرات في الولائم الخاصة التي كانت تقام له الى استقلال سورية ، وحث المتنفذين على النهوض على القيام وشق عصا الطاعة على الحكومة ، فوثق كثيرون منا به ولكن البعض الآخر لم يأمن غدره ، ولاتغافل عن تنبيه اخوانه الى الحذر من الوقوع في

حبائل مكره ، وقد تمكن بهذه الأساليب الخداعة ،والأكاذيب السياسية من اكتشاف بعض دخائل السوريين، فأعمل فيهم السيف، وأمعن فيهم قتلا ، ولكن سيفه ومشنقة دواوينه العسكرية ، واحكامه الجائرة ومنكراته الفظيعة هذه كلها كانت اكبر مساعد لنا على دعوتنا ، واعظم منشط لنا في جهادنا ، وهي وان تكن اخرت أوان القيام به ، الا انها وطدته وثبتته ، ودعتنا الى التحفظ والتعقل والروية والتفكير .

« نحن الآن نطلب حياتنا من براثن الموت ، ان خطتنا منظمة كما يجب وستجود سورية بالمبشرين بدين الاستقلال العربي والفرج معقود على اسنة الاسل ،ومكتوب على شفار بيض الظبى . الفرج يأتي من البادية ، والجذوة الميمونة المتقدة الآن في الحجاز هي فاتحة البركات للبلاد العربية جمعاء .

« لا تلبث نجد ان تثور ، والاسد العراقي ان يثب عندما تصل اليه الامداد ، والشبـل السوري الضعيف المحبوس في قفصه الحديدي ستهبّ به النخوة القومية ، وتسكبه الغيرة الجنسية قوة وعزماً ، فيكسر قضبان سجنه الفولاذي ، ويحطم بقوائمه رأس مقيده ، وقد لاينقضي الخريف ، وتهب عواصف الشتاء الا وتثور زوابعنا ، وتنقض صواعقنا على هامات الظلام .

« فيا اخواني الاعزاء المهاجرين في الاصقاع البعيدة عن مظالم الاتحاديين وجورهم ، اطلب اليكم باسم القومية الشريفة التي تنتمي اليها ، ان لا تتقاعسوا ،ولاتتقاعدوا ، ولا تتصاموا عن نداء الوطنية والحرية والاستقلال العذب الذي يدعوكم الى الاتفاق الى الاتحـاد ، الى التعاضد ، الى الوئام ، الى الانضمام والالتفاف لما فيه خيركم وخير بلادكم ، ونجاة ذويكم وحريمكم واعراضكم من الدمار والفناء والموت والانتهاك والدنس .

« اعلموا ان اخوانكم هنا يقدمون أرواحهم ، ويضحون نفوسهم في سبيل القومية ، فلا تضنوا انتم بالاتحاد والاتفاق ، التمس منكم ان لا تفترقوا فرقاً وطوائف ، فاليوم لا مسيحي ، ولا مسلم ، ولا يهودي ، ولا درزي ، ولا وثني ، بل الجميع عرب ، ومن العرب وللعرب ، لا لبناني ولا بيروتي ولا شامي ولا حلبي ولا حمصي ولا حموي ، فحظ البيروتي ، هو حظ لبنان ، وحظ الشام وحلب وفلسطين والعراق والحجاز واليمن .

« اني لعلى ثقة مما اقول فلا تشكوا ، وحدوا جمعياتكم ، وحدّوا أفكاركم وحدوا آراءكم ، وفقوا بين مشاربكم واذواقكم ومساعيكم .

ادعوكم ايها الاخوان المحبوبون اينما كنتم ، وحيثما اجتمع منكم عشرة ان تبادروا الى تأليف جمعيات باسم سورية ، تتعارفون بها وتتفاهمون ، وتكرسون مما رزقكم الله من خيراته وبركاته ونعمه وامواله لاجل سورية الجديدة ، لاجل سورية المستقلة » .

لقد بعث الشهيد بهذه الوصية من البادية ، وهو يعلم مصيره ، وان اجله قد دنا ، وتعتبر بمغزاها ومعناهـا دستوراً قومياً للأجيال الصاعدة ، لقد بنى الشهيد مجداً اساسه الاخلاق ، وهيكله العلم ، وتاجه الفضيلة ، وكان من الطبقة الاولى من رجال الامة ثقافة واندفاعاً في سبيل الاصلاح ، وليس من السهل دراسة شخصية هذا الشهيد ، واطواره وعقيدته الوطنية ، بعد ان أتهم جمال باشا ، وجعل من اعترافاته التي انتزعت منه بالشدة والارهاق وسيلة للفتك بكثير من شباب العرب ، فالمواضيع متشعبة وقد اكتنفتها الشكوك في تلك الفترة المرعبة .

واذا اطلع القارىء على ماورد في وصية الشهيد رفيق رزق سلوم ،اقتنع بأن ما اسند الى الشهداء الثلاثة، العريسي والخطيب وسلوم من الاعترافات ضد اخوانهم الشهداء ، كانت تهمة باطلة ، لاتقنع بها ضمائر ذوي الوجدان .

الامير عارف الشهابي

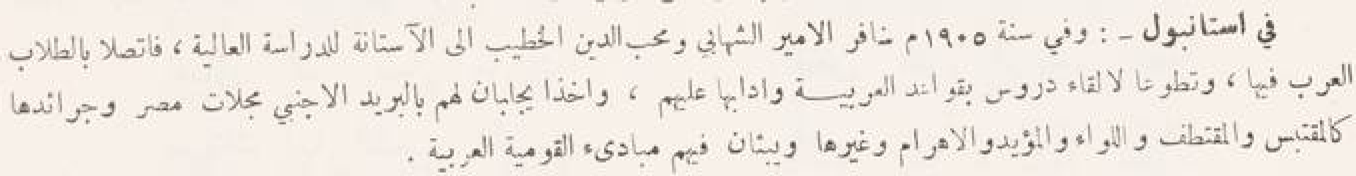
١٨٨٩ - ١٩١٦

أصله ونشأته - : هو الامير عارف بن سعيد بن جهجاه بن حسين بن محمد بن حسن بن محمد بن قاسم بن منصور من اسرة امراء بني شهاب الذين ينتهي نسبهم الى بني مخزوم من قريش ، والذين اشتركت عشيرتهم في الفتوحات تحت لواء ابي عبيدة بن الجراح ، ثم حكموا حوران ، فوادي التيم ، فلبنان على ما هو معروف في التاريخ .

ولد الامير الشهيد في (حاصبيا) مقر الامراء الشهابيين في وادي التيم سنة ١٨٨٩م تلقى دراسته الاعدادية في دمشق .

نشاطه الوطني - : تألفت في دمشق اول حلقة وطنية وذلك سنة ١٩٠٣م من محب الدين الخطيب والشهيد الشهابي، والدكتور صالح قنباز ، والدكتور صلاح الدين القاسمي وعثمان مردم بك وغيرهم ، وكانوا تلاميذ يترددون على حلقة الشيخ طاهر الجزائري ، وكانت اغراض هؤلاء الشبان الظاهرة مدارسة اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب والاسلام .

اما هدفهم الخفي ، فقد كان بعث العروبة من رقادها بتلقين شباب العرب الوسائل المؤدية الى هذا البعث .



في استانبول - : وفي سنة ١٩٠٥م سافر الامير الشهابي ومحب الدين الخطيب الى الآستانة للدراسة العالية ، فاتصلا بالطلاب العرب فيها ، وتطوعا لالقاء دروس بقواعد العربيـــة وادابها عليهم ، واخذا يجلبان لهم بالبريد الاجنبي مجلات مصر وجرائدها كالمقتبس والمقتطف واللواء والمؤيد والاهرام وغيرها ويبثان فيهم مبادىء القومية العربية .

وفي استانبول أسسا مع شكري الجندي وعبد الكريم قاسم الخليل (جمعية النهضة العربية) على ان يكون مركزها الثابت في دمشق ، وهي اول جمعية قومية عربية منظمة نشأت في اوانها قبل اعلان الدستور العثماني ، وافضت محادثات شبانها بعد الانقلاب الى تأسيس المنظمات القومية المشهورة كالمنتدى الادبي في الاستانة وجمعية (العربية الفتاة) والجمعية (القحطانية) وجمعية (العهد) .

فالشهيد عارف الشهابي يعد من رواد القومية الاول الذين وضعوا اسسها في اوائل القرن الحاضر .

وكان يدرس بالمجان تاريخ العرب في مدرسة الوطني المجاهد الشيخ كامل القصاب بدمشق ، ويلقن طلابها ما كان للعرب من مجد زاهر، ويحثهم على العمل لاعادة الامة العربية الى سابق عزها وسؤددها .

وبعد تخرجه من كلية الحقوق في الآستانة عين كاتباً خاصاً لوالي بيروت (ادهم بك) ، ثم عهد اليه بوكالة قائمقامية النبك ، ولما اخذ الاتحاديون يضطهدون شبان العرب ، ابت نفسه الكبيرة الخضوع للذل ، فآثر الانطلاق من قيود الوظيفة فاستقال واحترف المحـــاماة ، فـكان من المحامين اللامعين في عهده ، فاشتهر امره وذاع صيته .

في ميدان الصحافة - : وفي اوائل سنة ١٩١٤م شارك الشهيد عبد الغني العريسي في اصدار جريدة (المفيد) في بيروت، ثم نقلاها الى دمشق ، وكان للامير الشهيد فيها مقالات وطنية رنانة بتوقيع (عبد الله بن قيس) كان لها وقع الصواعق على رؤوس المستبدين ، فتعرض لنقمة الوالي عارف المارديني واضطهاده .

آثاره الادبية :— ألف رواية التلميذ، وترجم رواية فتح الاندلس للشاعر عبد الحق حامد ، وقد ساهم في تأليف لجنة لتمثيل الروايات الادبية الوطنية على المسارح بدمشق، ورصد ريعها لاعانة الجمعيات الخيرية وتشجيع العلم والادب . ومن آثاره في التأليف كتاب في تاريخ العرب والاسلام في ثلاثة مجلدات ، لا تزال مخطوطة .

كان الامير الشهيد شاعراً واديباً ، وله قصائد وطنية وتصويرية رائعة لم ينشر منها الا القليل ، وكان في زمنه يُعد من ابرز كُتاب العربية في بيانه المشرق وديباجته الناصعة واطلاعه الواسع على الادب العربي قديمه وحديثه ، واننا بلسان المجتمع نرجو من شقيقه العلامة العبقري الامير مصطفى الشهابي، رئيس المجتمع العلمي العربي بدمشق ، ان يعني باخراج تاريخ العرب الى حيز الوجود .

فراره:— ولما شعر الشهيد بنوايا جمال باشا السفاح فرَّ مع رفقائه : عبد الغني العريسي، وعمر حمد وتوفيق البساط الى الجوف في البادية ، وقد قبض عليهم في محطة مدائن صالح كما هو مفصل في البحث الخاص عن فرارهم واجتماعهم بالشهيد محمود جلال البخاري والاستاذ عز الدين التنوخي في الجوف، وسوقهم الى الديوان العرفي العسكري في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه : — كان من اعضاء اللامركزية واهميتها مصرحة في المخابرات التي تبودلت بين اللجنة المركزية وفرع بيروت ، وهو ايضاً فرَّ الى البادية ورغّب العربان في القيام .

وفي صباح ٦ ايار سنة ١٩١٦م أعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية ، وأظهر جرأة شهابية موروثة .

وقد انجب ابنة وهو في سجن عاليه، فأوصى بتسميتها (ثأر) ولم تعش بعد استشهاده الا قليلا ، ولزوجته رسائل بليغة بعثت بها اليه وهو في سجنه ، ولها فيه رثاء مؤثر ، وهكذا قضى هذا الامير شهيداً في سبيل القومية العربية ، وهو في اوج شبابه .

ونرى وفاء لهذا الشهيد الاعز ، ان ننشر قصيدته التي القاها في نادي المدرسة العثمانية الدمشقية ليلة حفلتها لسنتها الخامسة ١٩١٠ - ١٩١١م وهي مدرسة الشيخ كامل القصاب في حي (البزورية) بدمشق ، ويتجلى في كل مقطع منها ما يختلج في صدره من وطنية صادقة ، وحس مرهف ، وروح وثابة ، ودعاية للقومية العربية ، واني اتقدم بالشكر الى الاخ الوفي الامير يحيى الشهابي ، وهو ابن شقيقة الشهيد الذي اتحفني بهذه القصائد .

تعالى الله يفعل ما يشاء	أغاضَ النورُ أم حُمَّ القضاءُ
عرفتك ايها الشعب المفدى	يقصر عن معاليك العلاء
عرفتك والمدارس آهلات	رياض جادها منك السخاء
عرفتك والمعاقل شامخات	لسطوتها تخر الكبرياء
عرفتك والبوارج منشئات	يهاب زئيرها برٌ وماء

* * *

اتذكر اذ نشأت وانت طفل	أنار ظلام غفلته الذكاء
اتذكر اذ صبوت الى المعالى	بعزم حَدُّه صيقله المضاء
فقوضت العروش ولا تبالي	وعرشُ الظلم يدركه الفناء
سلوا كسرى وقيصر اذ اتتهُمْ	جيوشُ العرب يدفعها الاباء
تحاذر ان ترى في الكون بغياً	وترجو أن يسود به الاخاء
سلوا الصينيَّ والهندي يوماً	وقد أودى بهم داءٌ عَياء

وداويت اللذين بغوا بحلم | وبعضُ الحلم للباغي دواء
فأرضى فعلُكَ الديان ربي | وسُرَّ بما اتيت الانبياء

* * *

ويذكر الشباب بالامجاد الغابرة ، والبعد عن اليأس فيقول :

تذكر زادك الرحمن مجدا | ولا تيأس ففي اليأس البلاء
تذكر عهد اندلسٍ ومصرٍ | وبغدادٍ وفاخِرْ ما تشاء
تذكر شامنا والعلم فيها | ليالي تحسد الأرض السماء
مدارس تستضيء بها البرايا | وقد أنحى على الغرب التواء
مئات ليس يحصيهن عد | أذاع أريجها منك العطاء
أراها اليوم نال الدهرُ منها | فغار العلم واندك البناء
وأقفرت الديار ديار قومي | وفاز الجهل وانقطع الرجاء
الا بالعلم يسعد كل حي | وفي الجهل المذلة والشقاء

وتتجلى سمو اهدافه ، ووطنيته وحث الشباب بالاقدام على ارتشاف العلوم فيقول :

بلادي لا أراك الله ضيماً | وخيم في مغانيك الصفاء
بني وطني دعوا هذا التراخي | فلا يجدى التنادب والبكاء
الى العلم الصحيح نسير سيراً | حثيثاً لا يلم به رخاء
ونبذل دون ما نبغي دمانا | ويغني دون ما نبغي الثراء
سماع ، سماع أن المال سُحت | لَعَمْرُ الحقِ ليس له بقاء
اذا لم يفد في سبل المعالي | الا فالمال للعليا فداء

* * *

يقول الكاشحون من الاعادي | بأن الشرق ليس له ارتقاء
وأنْ لم يبقَ منه سوى ذماء | وغبأ ينطفي هذا الذماء
وَرَبّ البيتِ ما قال الأعادي | ورب البيت مَيْنٌ وافتراء
فانْ يَكُ مجدُنا العلمي وَلّى | فملء عروقنا تلك الدماء
رفات جدودنا أبداً تنادي | فيوقظ هاجعاً هذا النداء
تقول عليكم بالعلم دوماً | فذلك منهل فيه الشفاء
تقول وقولها حق صراح | تعزّوا فالبنون لكم عزاء

وهذه قصيدة وطنية عنوانها : الى م ... الى م ...
وقد جادت بها قريحته في زمن السلطان عبد الحميد، عهد الطغيان وخنق الاصوات الحرة ، وقد تجلى في مقاطعها ، آيات الهدى، والنصح لبني قومه ، فقال رحمه الله ، وطيب ثراه .

الى مَ ... الى مَ ...

الى مَ ... الى مَ ... تثور النفوس — فتقذفُ بالأمل الباطل
وحتى م ... يمرحُ هذا الخيال — فيرجعُ في خيبة السائل
ألم يأنُ للقلب ان يستفيق — فلا يطمئنَ الى الزائل
ولكنه في سُبات عميق — يفكر في الزمن القابل
وتلك الخواطر احلامه — تهب وتطفأ بالعاجل

* * *

فؤادي .. فؤادي .. الىم السكون — اما للتجاهل من آخر
وكيف احتواك ظلام الخمول — ومنك الشعاع الى الخاطر
كفاك تعامي وأنت البصير — فقد اشرق الحق للناظر
أفقْ وتبصّرْ نفوسَ الانام — فمن مستكينٍ الى ثائر
أفقْ وتبصر رؤوس الانام — فَمنْ مستقيم الى جائر

* * *

فؤادي تنفس صبحُ المنى — وآنَ قيامُك يا راقدُ
وأشرق للشرق نورُ الهدى — فثاب الى عقلهِ الشاردُ
وهبّ بنوه هبوب الرياح — وُحرّكَ جُثمُ الراكد
وأصغرُهُ قام والاعجميْ — وكلٌ لنيلِ العُلى قاصدُ
ولا بُدَّ للشرق مِن هبّةٍ — يَخرُّ لها المغربُ الجاحدُ

* * *

فأنَّ الفؤاد أنين السقيم — بصوتٍ خفيٍّ ولكنْ مُبينْ
ورفرف كالطير يرجو الخلاص — وأنى لذاكَ الشقي السجينْ
وقال رويدك يا صاحبي — تنادي وأنت من الغافلين
وتذكر شعباً سما وارتقى — وتلهو عن العرب البائسين
وكانوا ملوك جميع الورى — فأضحوا عبيداً الى الآمرين

* * *

فقلت : فديتك ياذا الفؤاد — ويامستشار الهنا والشقا

أتحيا نفوس براها الخمود وأودى بها حيث لا مرتقى
وفرقها الدهر عن مجدها وناهيكَ بالدهر انْ فرقا
واغرى بها زُخرفُ الاجنبي فلله منه اذا ابرقا
ودس بها من سموم النعاس فنامت وهيهات أن تأرقا

* * *

فضج الفؤاد وكأنَنَّه يسألني كشفَ سرّ خفي
فقلت له قد ألفنا الرخاء ولم يَلمْونا حرجُ الموقف
فجاء بنو الغرب اوطاننا مجيءَ الميقظ والمسعف
وقاموا لنشر العلوم وكنا اذا قبل ماالعلم لم نعرف
وشادوا المدارس دوراً عظاماً فأعجبتِ العينُ بالزخرف

* * *

فذي للبنين وذي للبنات تراها تَلظّى دروساً دروساً
يَؤمّ اليها قُبيلَ الشروقَ شبابُ البلاد خميساً خميساً
يسوسُ عقولهمُ الأجنبيُّ كأنا على العجز من ان نسوسا
يُريهم علوماً تميت النفوس ولا خير فيما يميت النفوسا
الى أن محا ضوء آمالنا ولم يُبقِ من ذاك الا نسيسا

* * *

أجل .. ان للعلم بين الورى يداً ترتفع السافل المُزْدَرَى
ونورا يزيح ظلامَ الخطوب اذا الدهرُ عن نابه كشرا
ولكن بربك ما علمنا ولما نزل أنفسنا نُشترى
أنرجوه من كرم الأجنبي ونرجو الرقي لأسمى الذرى
وأن نَتملّصَ من رقّه وذا كيف يرضى بأن يخسرا ؟

* * *

بني وطني .. آن وقت القيام ووقت البروز ووقت الزحام
وأن نتمطى بتلك القيود وان نطلب العيش عيش الكرام
وأن لا نؤول بأوطاننا الى الأجنبي ونبقى نيام
وان نرفع البؤس عن امة تساق الى الذل سوق السوام
احييكم يا جدود جرت الى قممَ المجد جريَ السهام

الشيخ احمد طبارة

١٨٧٠-١٩١٦

مولده ونشأته — : هو ابن المرحوم حسن طبّاره ، واسرته عربية الاصل ، حسنية الارومة ، هاجرت من المغرب الى بيروت قبل القرن الحادي عشر للهجرة ، وانحدر من اصلابها اعلام الرجال في العلم والادب والسياسة والتجارة .



ولد الشهيد في بيروت سنة ١٨٧٠ م وتلقى علومه على اعلام عصره ، وكان خطيباً لجامع النوفرة ، وأسهم كثيراً في اعمال الاصلاح والوعظ والارشاد .

في ميدان الصحافة — : دخل معترك الصحافة ، فكان من المبرزين ، وقد حرر جريدة ثمرات الفنون ، وفي ٢٢ ايلول سنة ١٩٠٨ م أصدر جريدة الاتحاد العثماني ، فكان في طليعة الجرائد البيروتية ، وكان من اركان النهضة العلمية والادبية ، وله فيها القدح المعلى .

ثم أصدر جريدة (الاصلاح) فكانت مجلة فنية وأدبية خرجت بترتيب صحفي أنيق ، فبلغت في آخر عهدها وذلك قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى شأواً لم تبلغه جريدة عربية معاصرة ، وقد امتاز بمقدرته وجرأته الادبية ، وتفنن بأساليب السياسة ، ووقف قلمه البليغ في نصرة القومية العربية ومقاومة رجال العهد التركي ، فكان طوداً شامخاً لا يتزعزع عن عقيدته الوطنية الصلدة .

في المؤتمر العربي : — كان من دعاة طلب الاصلاحات العربية ، وعضواً بارزاً في المؤتمر العربي اللامركزي الذي عقد في باريس واميناً لسره ، وقد ألقى اثناء انعقاده محاضرة ضد السياسة التركية نزلت على رؤوس الاتحاديين الاتراك كالصواعق فطغى حقدهم عليه .

آثاره — هو مؤسس اول مطبعة اسلامية في بيروت ، طبع فيها معظم ما ظهر من الاشعار والدواوين في عهد الدستور العثماني ، وكان اديباً وناثراً مجيداً ورغم مهامه في الشئون السياسية والصحفية ، فقد وضع سلسلة من الكتب العلمية والمدرسية المفيدة ، لا تزال حتى اليوم تدرّس في المدارس الاهلية ، ومن آثاره المعروفة كتاب (فتح الرحمن لطلاب آيات القرآن) تجلت في معانيه مواهبه الادبية الفذة ، ونشر مصوراً لكتاب (كليلة ودمنة) .

محنته : — ولما نشبت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ م وتولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع ، كان في عداد الذين سيقوا الى الديوان العرفي في عاليه للتشفي والانتقام ، وزج في السجن ، ولقي اهوال التعذيب والارهاق ، فصمد لهذه المحنة فكان مثالياً بايمانه وصبره وجلده .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه — « بناء على طلب رزق الله ارقش المحكوم عليه غيابياً بالاعدام ، كان أخذ سعيد عقل المحكوم عليه بالاعدام ايضاً محرراً لجريدته ، وكان العامل الوحيد في الجمعية الاصلاحية ومدعي الاصلاح ، وثبت انه اهم عضو وعامل خصوصي للامركزية ، واشترك في المؤتمر العربي بباريس ووقع على القرارات المتعلقة بتأسيس امارة مستقلة » .

ويتضح من نص قرار اتهامه ان الشهيد كان اعظم ركن في الجمعيات العربية ، ومن اشدهم اندفاعاً للمطالبة بحقوق أمته وقوميته العربية ، ومن اشرفهم اخلاصاً وتفانياً في سبيل مجد عروبته .

وفي فجر يوم السبت الواقع في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ و ٦ ايار سنة ١٩١٦ م اقتيد الى منصة الاعدام في ساحة البرج ، وصعد اليها بايمان وجرأة مشهودة ، وهو يردد قول الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي :

وان الذي يسعى لتحرير أمـــة ... يهون عليـــه السجن والنفي والشنق

فكان في عداد شهداء القافلة الثانية من زعماء العرب واحرارها ، والحد الثرى في مقبرة الرمل في بيروت ، وأنجب ذرية كريمة لها مكانتها في الاوساط الاجتماعية الراقية .

محمد الشنطي اليافي

١٨٨٠ - ١٩١٦

لاندري بأي وصف يخط القلم ترجمة هـذا الرجل الذي كان السبب فيما حل بزعماء العرب وشبابها الاحرار من فواجـع ونكبات ، ولاريب في أن القيم الاخلاقية هي الركن الاساسي في حياة الافراد والجماعات ، فان افتقر اليها الانسان ، كان من العناصر الضالة الضارة في المجتمع ، والمترجم من هذه الفصيلة الحقيرة .

لقد بدأ هذا الرجل المشئوم حياته السياسية بالتجسس على ابنـاء وطنه ، فأغرى الناس بظاهرة فوثقوا به ، ومالبث حين حانت له الفرصة ان ينفث سمومه كالافعوان القاتل ، وختم حياته بالتجسس على ابنـاء وطنه ، فأفشى اسرارهم وخان بهم وغدرهم وباعهم بالمال لارضاء غريزة نفسه الدنيئة .

ولد سنة ١٨٨٠ م وهو بن حسين الشنطي اليافي ، فلسطيني الاصل انتسب الى الجمعيـة اللامركزية ، وجاء الى مصر ، فمنحه المرحوم حقي بك العظم الثقة واطمئن اليه ، وأفرط بالثقة والائتمان به دون ان يتحقق من اخلاقه ودخيلة امره ، وعهد اليه بوثائق الجمعية السرية ليسلمها الى اصحابها من المنتسبين الى اللامركزية ، وعرج بطريقه الى الاستانة وفي قرارة نفسه امر خطير ، لايدرك عواقبه الا من



كان على شاكلته من ذوي النفوس الحقيرة ، والعناصر الفاسدة ، التي فقدت كل جوهر من سجايا الرجال .

لقد اغراه الطمع وسولت له نفسه ، فقابل رجال العهد التركي في الاستانة ، واطلعهم على مايحمله من اسرار خطيرة لها علاقتها بالقومية العربية ، فرحبوا به واكرموا مثواه ، واوفدوه مع رسالة توصية الى جمال باشا بدمشق ليتوسع بالتجسس على ابنـاء قومه . وقـد احتفى به الامير شكيب ارسلان ، واختفى فترة الى ان افرغ مافي مكنونات صدره من معلومات واسرار ودس وتلفيق بحق رجالات العرب، ولما وقف جمال باشا على كل شيء ، امر بسوقه (ونعم مافعل) الى الديوان العرفي للتحقيق والمحاكمة فكان شاهداً على شباب العرب ، وسبباً لاهلاكهم ، الا ان الله لم يغفل عن افعاله النكراء . فقد ثبت اشتراكه مـع الذين وشى بهم واوقعهم . وابتلاه الله بالوشاة الذين تقدموا الى جمال باشا واطلعوه على المبالغ الكبيرة التي نالها جزاء افشائه اسرار السياسة العربية ، فاشتد غضب السفاح عليه ، لتلاعبه وخيانته وامر بالتخلص من شروره ، فحكم عليه بالاعـدام ، فانتقم الله منه عاجلاً . خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه - (كان كما اعترف هو بنفسه من ضمن الداخلين في اللامركزية ، وكان اتى ببعض مكاتيب للامركزية سلمها الى ارباب عناوينها في سورية) .

وفي صباح يوم ٦ ايار سنة ١٩١٦ أعدم شنقاً مع قافلة من الشهداء الثانية في بيروت وخلد بالخزي والعار الأبدي .

ومن المؤسف ان ينتسب المترجم الى اسرة (اليافي) التي انجبت اقطاب الرجال في العلم والادب والسياسة ، فالجد الاعلى لهذه الاسرة ، هو الشيخ عمر اليافي الملقب بأبي الوفا قطب الدين ، وقد ولد في مدينة يافا سنة ١٧٥٩ م ورحـل الى نابلس ومصر في سبيل طلب العلم ، ثم قدم دمشق سنة ١٧٨٣ م وقد طاول الثريا علمه وفضله ، وتوفي سنة ١٨١٧ م واعقب عدة اولاد ، انتشرت ذريتهم ، فأحفاده في طرابلس وفلسطين هم من اصلاب الشيخ ابي النصر اليافي المتوفي بمصر سنة ١٨٦٣ م امـا الاسرة الموجودة في بيروت ، فهي من اصلاب الشيخ محي الدين اليافي ، الذي تولى افتاء بيروت وتوفي سنة ١٨٨٦ م ومن احفاده دولة السيد عبـد الله بن عارف بن عبد الغني بن محي الدين اليافي .

اما كنية (الشنطي) التي عرف بها صاحب هذه الترجمة ، فلاندري صلتها التاريخية باسرة آل اليافي .

الشهيد توفيق البساط

١٨٨٨-١٩١٦

هو ابن احمد البساط ، ولد في مدينة صيدا (لبنان) سنة ١٨٨٨ م وتلقى تحصيله في المدرسة الملكية في استانبول التي يتخرج منها رجال الادارة وكان المع طالب بين طلاب العرب والروم والاتراك ، والمجلي على الجميع بذكائه وكان شجاعاً يبدي رأيه ولايهاب ، تخرج سنة ١٩١٢ م وعين مأموراً بمعية والي دمشق للتمرن والوقوف على الاعمال الادارية . وكان من اعضاء المنتدى الادبي اللامعين .



في الحرب العالمية الاولى – . ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى ، اخذ مع رفاقه السادة شكري القوتلي وعز الدين التنوخي و الشهيد جلال البخاري للخدمة المقصورة فاكمل الدورة واصبح ضابطاً احتياطياً .

القصيدة القاتلة – واحب جمال باشا السفاح ان يستعرضهم بعد تخرجهم ضباطاً في سهل المزة وكان الاتراك ينشدون اناشيدهم القوميـــة فألقى الشهيد قصيدة وطنية وانشدوها ، ولما ترجمت للسفاح جمال امر بسوقهم الى جبهة جناق قلعة ، وعندما وصل الى حلب خطب فيهم السيد عز الدين التنوخي ، وتشاور الشهداء بوضعهم الراهن آنذاك ، فآثروا الفرار الى البادية ، وقد قبض عليه مع رفاقه الامير عارف الشهابي وعبد الغني العريسي وعمر حمـــد في محطة مدائن صالح كما هو مفصل في حادث القبض عليهم ، فسيقوا موقوفين الى الديوان العرفي الحربي في عاليه لمحاكمتهم ، واكد رفاقه انه كان ابرز رفاقه الشهداء اطمئناناً وصبراً عند محاكمته ، رغم مالقيه من تعذيب وتنكيل .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – كان فر من الفيلق اثناء خدمته فيه وبقي فاراً شهوراً عديدة ، وكان يوزع مايأتي الى المنتدى الادبي من المنشورات السرية ، واعترف رفيق رزق سلوم بانه من الداخلين في تشكيلات اللامركزية ، ويثبت ان فراره ، هو وجلال البخاري من الجندية كان لاجل تهييج العربان .

وفي صباح ٦ ايار سنة ١٩١٦ م اعدم شنقاً في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية . ودفن مع رفاقه الشهداء بمقبرة الرمل في بيروت ،

قضى هذا الشهيد حياته عزباً ووقف نفسه ومواهبه في خدمة القومية العربية .

وأكد الذين كانوا على صلة وثيقة بجمال باشا آنئذ ، ان فرار الشهداء الاربعة من قبضة السفاح ، قد أقض مضاجعه وبات عصبي المزاج بشكل مخيف ، وقد تعرض رجال الادارة وقواد الدرك الى تهديده ووعيده ، بسبب انقضاء مدة طويلة على فرارهم ، دون التمكن من معرفة مقر اختفائهم والقبض عليهم ، ولما اكتشف امرهم وقبض عليهم في محطة مدائن صالح ، دخل السرور الى قلبه ، وكافأ قائمقام الطفيلة والمتصرف على اخلاصهم لواجباتهم .

ومن سجايا هذا الشهيد الفاضلة ، انه رغم مالقيه من عسف وتعذيب ، فانه لم ينطق بكلمة فيهـــا أي ضرر على رفاقه وغيرهم ، ولم يرد في مذكرات جمال باشا مايؤيد انه افشى الاسرار ، او وشى بأحد من اخوانه ، وهذا مايزيد في قدره وكرامته كشهيد عربي نبيل ، اتصف بروح كريمة ، ومقاصد وطنية مثلى .

والمع بعض رفاقه الذين يعرفون احوال الشهيد أنه كان في استانبول موضع تقدير واعجاب ، وموضع حسد بعض العناصر فجادوأجدفقد تضاءلت أمام ألمعيته مواهب اقرانه .

زانتك في الخلق العظيم شمـــائل   يغرى بهن ويولـــع النبـــلاء

الشهيد سيف الدين الخطيب

١٨٨٨ -- ١٩١٦

إن آل الخطيب من البيوتات الكريمة التي انجبت علماء الدين ، وان مؤسس مجدهم هو الشيخ الامام السيد عبدالقادر الخطيب الذي يرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر ، وان العلامة الشيخ أبا النصر الخطيب هو كبير خطباء دمشق ، وان الشهيد سيف الدين الخطيب هو اصغر انجاله من الذكور ، وقد ولد في دمشق سنة ١٨٨٨ م وتخرج من جامعة الحقوق في الآستانة وكان من مؤسسي النادي العربي في القسطنطينية .



في خدمة الدولة — عين عضواً في محكمة بداية حيفا ، ولما بدأ السفاح جمال باشا يسوق رجالات العرب الى سجن عاليه ، اعتقل الشهيد من وراء منضدة الحكم في حيفا . وطالما اسدى اليه المخلصون النصح بالفرار ، من وجه الطغيان في احد القوارب لينجو من الموت المحقق ، فأنه لم يفعل خوفاً من انتقام جمال باشا من كل من يمت الية بصلة ، كما كانت عادة الاتراك ...

وفي سجن عاليه لقي انواع التعذيب والتنكيل المرهق ، وقد نسب اليه والى رفيقيه الشهيدين عبد الغني العريسي ورفيق رزق سلوم بأنهم افشوا اسرار الجمعيات السرية العربية ، والحقيقة ان ما قاله هؤلاء ينحصر باحرار العرب الموجودين في مصر وغيرها وهم بعيدون عن قبضة الاتراك تخلصاً من ارهاقهم المرير .

خلاصة نص قرار اتهامه والحكم باعدامه - « كان يدير شؤون المنتدى الادبي السرية هو وعبد الكريم الخليل ، ووقع على البلاغات التي كانت نشرت في امر افتراق العرب ، وذهب الى مصر وتحادث مع اعضاء اللجنة اللامركزية هناك » .

وصيته المحزنة — كتب الشهيد وصيته البليغة ، ومن العجب ان يستجمع الشهيد قواه ليخط على ورقة بالية ومن وراء اشباك الحديد وبين حراب الجند وبنادق الحفراء آخر سطوره في الحياة ، وقد كتب وصيته المحزنة وهو يتمنى ان تقرأ الاجيال ما كتب ...

قال الشهيد « من وراء السجون وبين غرفها اخط هذا الكتاب والله يعلم بأنه آخر ايامي سجيناً ، وسيقضى علي مظلوماً ، ولست آسفاً على شيء وانا والحمد لله طاهر بريء ناصع الجبين ، استقبل ربي عز وجل ولا اثم يتبعني ، ولا عار يلصق بي ، الا اني وحق العلي القدير ، باسط الارض ورافع السموات بتأجج قلبي ناراً كلما تذكرت بانني اغادر هذه الدنيا الفانية ، ولم اقم بواجبي حيال امي وزوجتي واخوتي ، واشهد الله باني اترك الحياة وكل ذرة من ذرات وجودي تقر بفضل من ربوني وعلموني ، فأسأله تعالى ان يجزيهم عني كل خير انه سميع مجيب » .

« كما اني ابث عاطفة الحب الخالصة ، وارسم القبلة الاخيرة على يد سيدتي الوالدة المسكينة ، وشقيقاتي الاربع وام لطفي بصورة خاصة ، اما زوجتي الغريبة التركية البائسة التي لم تر مع زوجها العروس من السعاده والرفاة شيئاً ، وقد كان سبباً لشقائها ومصابها فانني راض عنها . ولها الخيار في ان تقيم بينكم فتتخذونها ولداً بدلاً عني ، كما لها الخيار في الرجوع الى ابويها شريطة ان تصفح عني .. مادام هذا قدر الله ولاراد لقضائه ، وعوضها الله خيراً والهمها الصبر .

« هذا ولي مكتبة في الاستانة تنوف على (٣٥٠) مجلداً ارجو توزيعها على المدارس ...

وآخر كلمة اقولها اشهد ان لااله الا الله واشهد ان سيدنا محمد رسول الله ... ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ، ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفرعنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد .

«اللهم اني اسألك العفو والعافية وحسن الختام في الدين والدنيا الآخرة » .

هذه هي وصية سيف الدين الخطيب الشهيد ... فما اقرأها انسان الا ابكى واستبكى ، وكيف يتمرد الدمع على العين والوصية ، كتبت قبل دقائق من تنفيذ الاعدام الرهيب .

في ساحة الاعدام – .وفي صباح ٦ ايار سنة ١٩١٦ م كان في عداد قافلة الشهداء الثانية التي اعدمت شنقاً في بيروت وردد بعد الشهادتين والحبل في عنقه :

لاتنهض الاقوام بعد عثارها   الا اذا كان النهوض على الدم

وقد دفن مع الشهداء في مقبرة الدروز في بيروت .

مصير زوجته : لم تحتمل زوجة الشهيد العروس المصاب ، فآثرت ان تترك دار زوجها الى بيت ابويها في استانبول ،**وبعد** يومين من وصولها اطلقت الرصاص على نفسها مأسوفاً على صباها وجمالها ووفائها .

الشهيد علي الحاج عمر النشاشيبي

هو ابن الحاج عمر النشاشيبي ، ولد في مدينة القدس سنة ... ونشأ في اسرة معروفة بالعلم والفضل والوجاهة .

تلقى دراسته وتخرج طبيباً بيطرياً ، وانغمر في الشئون السياسية فكان من احرار العرب المخلصين لقوميتهم ، وانتسب الى الجمعيات العربية وأبدى نشاطاً يذكر .

ولما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية وفلسطين ، امر بالقبض عليه ، وسيق الى سجن عليه ولقي فيه اهوال التعذيب والتنكيل والارهاق .

قرار اتهامه والحكم باعدامه – (كان من اعضاء الجمعية القحطانية التي انقلبت اخيراً الى الجمعية الثورية العربية واللامركزية ووحد مساعيه مع جميع الجمعيات المشكلة اخيراً للاستقلال العربي » .

وفي صباح يوم السبت الواقع في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ و ٦ ايار سنة ١٩١٦ م أعدم شنقاً في ساحة البرج في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية ودفن في مقبرة الدروز مع رفاقه الشهداء .

وفي غمرة الحرب العالمية ، وبعد اعدام هذا الشهيد جادت قريحة ابن عمه المرحوم محمد اسعاف النشاشيبي ، اديب العروبة العبقري بقصائد قبح فيها سياسة الاتراك الجائرة ومطلعها :

لئن ساس ابناء المغول قبيلة   نأى الخير عنها والبلاء اقاما

ولما رأى بؤس امته وما ابتليت به من شقاء واستخذاء نظم مقيدة رائعة استهلها بقوله :

العرب مات شعورهم   فاندبه دهرك باكيا

ولى فولى بعده   انسي وساء مآليا

قد كنت اطمع ان ارى   وطني بهيجاً زاهيا

فوجدته من كل علم   او علاء خاليا

فرثيته وندبته   وسكبت دمعي غاليا

فعاذني يا ابن الكرام   وبغيتي ومراميا

ان تصبح العرب الاذله   سادة ومواليا

الشهيد محمود جلال البخاري

١٨٨٢ - ١٩١٦

أصله ونشأته – هو ابن علامة عصره المرحوم الشيخ سليم بن اسماعيل الآمدي، نسبة الى مدينة آمد مركز ولاية ديار بكر، والبخاري لقباً بالنسبة الى أمه وخاله السيد عبد الله البخاري المستوطن دمشق .



ولد الشهيد بدمشق سنة ١٨٨٢م وتلقى دراسته في مدرسة عنبر وتخرج منها سنة ١٩٠٨م وانتسب الى الملكية الشاهانية في استانبول ، وقضى عامه الاول فيها، ثم انتسب الى كلية الحقوق وتخرج منها عام ١٩١٣ م .

كان الشهيد سأل والده أن يأخذمعه الى استانبول اخاه عاصماً ، وكان في الخامسة عشرة وأعده ليدخله احدى مدارسها وقد سافر معه اليها عام ١٩١١–١٩١٢م، وحضر كثيراً من الاجتماعات والمناقشات التي كانت تدور في المنتدى الأدبي وخارجه.

نشاطه الوطني – كان مخلصاً لعروبته متعصباً لقوميته ، يتألم من حالة البلاد العربية المتأخرة التي كانت تئن من الجهل والفقر والمرض، وكان من أعضاء النادي سامي العظم وهو مديره وبهجة مردم بك ، خليل رفعت ، سيف الدين الخطيب والشاعر رفيق رزق سلوم وغيرهم وعلى رأسهم العربي الصميم الشهيد عبدالكريم قاسم، وكانوا يطالبون الدولة باللامركزية الادارية ويقيمون الحفلات والتمثيلات على على المسارح ويدعون اليها اعضاء الحكومة ويخرجون جريدة الحضارة تنطق باسمهم ، وكان المصري والعراقي والسوري والفلسطيني واللبناني والمغربي وجميع أبناء العرب يداً وقلباً ولساناً واحداً ولهم هدف واحد ، وقد بلغ الشعور بالقومية العربية الذروة ، ولم يعد بالامكان السكوت عن حالة البلاد .

في خدمة الدولة – لما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان الشهيد عضواً في محكمة بداية قضاء عجلون مع رفيقيه سامي العظم وخليل رفعة ، ثم طلب الى الخدمة المقصورة ، ومن رفقائه في نفس الدورة السادة شكري القوتلي وشكري الشربجي وفخري البارودي وعز الدين التنوخي وكثير من شبان العرب المثقفين ،وبعد ان تخرج من مدرستها برتبة ضابط احتياط عُيّن مشاوراً عدلياً في ديوان الحرب العرفي العسكري بدمشق .

جمال باشا في حفلة – زار دمشق عبد العزيز شاويش، وكان جمال السفاح آنئذ بدمشق،فرأى الشهيد عبد الكريم الخليل أن تقام لهما حفلة في النادي العربي المقابل لفندق الخوام امام نهر بردى ، فضمت هذه الحفلة جمالاً وعبد العزيز شاويش ورؤساء الضباط ووجهاء دمشق وعلماءها وادباءها،واختار وافرقة المنشدين من ضباط الخدمة المقصورة العسكرية،وبينهم الشهيد البخاري ذو الصوت الرخيم، والقى الاستاذ عز الدين التنوخي قصيدة وطنية ، وانشد بعده محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل قصيدة اسلامية وأشاد بمناقب سيده جمال باشا ، وكان في الفترة بين الخطيبين ينشد شبان الخدمة المقصورة النشيد العربي المشهور .

نحن جند الله شبان البلاد   نكره الظلم ونأبى الاضطهاد

ويرتفع بينهم صوت الشهيد جلال ، وكان الموقف يلتهب بالوطنية والحماس مما لفت ذلك انظار جمال باشا .

ولما ترجمت الاناشيد القومية لجمال باشا ، قال : لا أبقاني الله بدمشق ان أبقيت شبان الخدمة المقصورة فيها ، وأمر باقفال المدرسة وتشتيت شمل طلاب العرب شذر مذر ، وكانت الغاية من ذلك ابادتهم جميعاً ، والتخلص من القوميين العرب حسب خطة مرسومة ، الى ان حان موعد تنفيذها ، ولعل ما اشار به جمال باشا على عبد الكريم الخليل من الاحتفاء بعبد العزيز جاويش كان مقصوداً ليكشف شبان العرب ورجالهم عما تخفيه صدورهم من الروح القومية الكامنة فيعرفهم ليهلكهم .

الفرار من الجيش – شعر شبان الخدمة المقصورة بقوة الحدس بسوء نية الاتراك فأخذوا يفرون من الجيش ، اما الشهيد جلال فقد فر الى البطل العربي الشهيد احمد مريود في قرية جباتا الخشب بجبل الشيخ ، وبعد قليل انضم اليه عز الدين التنوخي وظل مريود يرعاهما ويحافظ عليهما من الجواسيس وبعد ان اقاما مدة شهرين في ضيافته ، وفي قرية الحلس عند علي آغا زلفو ، واشتدت وطأة التجسس عليهما وعلى الشهداء عبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد البيروتية والامير عارف الشهابي وتوفيق البساط وعمر حمد شاعر بيروت ، رأى من الحزم ان ينتقلوا من جباتا الخشب لمكان أشد أمناً ، فأرسلهم الشهيد أحمد مريود مع خاله الى وادي العسل بجبل الشيخ ، فاختبئوا في مأمن عال منه مطل على الوادي ، وكانوا مسلحين ، وثاني يوم جاءهم احمد مريود راجعاً من القنيطرة بعد ان قابل جمال باشا ، واجتمع بشيوخ العرب ومنهم نواف الشعلان ، فعادوا الى جباتا .

هذا وان قصة سفر الشهيد ورفاقه الى البادية وما جرى لهم حتى القبض عليهم منشورة في بحث خاص .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – انه كان فر مع توفيق البساط من الفيلق ، واشترك معه في جميع فعاله ، وثبت ايضاً انه في الوقت نفسه كان يبذل المجهود قبل النفير العام في المسائل المختصة بالاستقلال العربي .

وفي فجر يوم السبت ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ و ٦ ايار سنة ١٩١٦ م اعدم شنقاً في ساحة البرج في بيروت مع قافلة الشهداء الثانية ، ودفن في مقبرة الرمل ببيروت . قضى الشهيد حياته عزباً ، وخصص لأخوته راتب المؤاساة .

الشيخ سليم البخاري
١٨٤٨ – ١٩٢٨



هو ابن اسماعيل الآمدي . ولد سنة ١٨٤٨ م في مدينة دمشق .

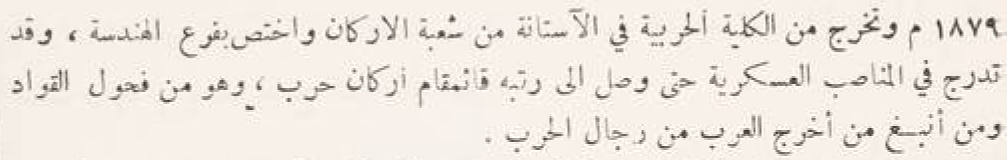
نفيه – عقب اعدام الشهيد امر جمال باشا بنفي والده الشيخ الجليل ، فتشفع به ولده السيد نصوحي البخاري ، وكان من كبار ضباط الجيش التركي لدى طلعة باشا وزير الداخلية آنئذ ، فخابر هذا جمال باشا بأمره ، فأجابه ببرقية ، بأن الشيخ سليم البخاري يستحق الاعدام لمناوئته السياسة التركية وانه لا بد من نفيه من دمشق الى الاناضول ، وهكذا كان الاتراك ينظرون لكل من يتعصب لقوميته العربية خائناً ، وقد زاره ولده في منفاه وكان يقيم في غرفة واحدة مع الشيخ سعيد الباني الدمشقي المنفي ايضاً .

كان عضواً لمجلس الشورى ، ثم رئيساً للعلماء ، ومن أركان النهضتين الوطنية والعلمية ، والعامل الفذ في محاربة البدع والخرافات ، ومحاربة المرتزقة من الأشياخ الجهلة الأغرار ، وقد آثر اعتزال منصب رئاسة العلماء اثر ما جرى من تدخل في شؤون الدين يوم أعلنت خلافة الملك حسين بن علي ملك الحجاز السابق على أن يقر هذا التدخل ، ويحول بين المسلمين وبين المبايعة بعد أن بايع وأمضى حك البيعة ، وهذا دليل ناهض وحجة دامغة على مقدار صلابته في مبدئه .

وفاته – انتقل الى رحمة ربه يوم الاربعاء في الرابع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٧ م .

الشهيد سليم الجزائري
١٨٧٩–١٩١٦

أصله ونشأته – هو ابن محمد بن سعيد الجزائري الحسني، وابن اخ العلامة المشهور الشيخ طاهر الجزائري، ولد بدمشق سنة



١٨٧٩ م وتخرج من الكلية الحربية في الآستانة من شعبة الاركان واختص بفروع الهندسة، وقد تدرج في المناصب العسكرية حتى وصل الى رتبه قائمقام أركان حرب، وهو من فحول القواد ومن أنبغ من أخرج العرب من رجال الحرب.



مواهبه – رغم انهماكه بالشؤون العسكرية فانه ألف كتاباً في (المنطق) بأسلوب انفرد به عن الطريقة القديمة، وكان كاتباً أديباً وخطيباً في اللغتين العربية والتركية ويجيد اللغة الفارسية، ملماً باللغات الانكليزية، والفرنسية والالمانية. ونابغة في العلوم الرياضية، وقد اختير لتدريس فنون التعبئة والصافات في الكلية الحربية عدة سنين، وابان عن اقتدار قل ان كان لامثاله. وخاض المعارك في حروب كثيرة، وأسر في حرب اليمن ونجا من الخطر، بفضل حنكته ودهائه، وبرز في مواقفه في الحرب البلقانية.

في الحرب العامة – ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى تولى قيادة اللواء السابع عشر، ثم قيادة اللواء الثامن عشر في ادرنه وقرق كليسا.

عقيدته الوطنية كانت دعوته العربية متجلية فيه، وقد جاهر بطلب الاصلاحات العربية، واشتهر بعقيدته الوطنية ودفاعه عن القومية العربية بجرأة واقدام، وكان من مؤسسي جمعيات (العهد، القحطانية، فتيان العرب) وقد اشتهرت اناشيده الوطنية الحماسية، وتعرض لنقمة الاتحاديين فأضمروا له الشر، ولما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية قويت كلمتهم وأظهروا نواياهم بابادة رجالات العرب وتشريدهم، وقد سيق الشهيد المترجم من ازمير الى الديوان العرفي الحربي في عاليه وزج في السجن، وكان رئيس واعضاء المجلس العرفي يهابون جانبه وينظرون اليه بصفة خاصة بعين الاجلال والتقدير لعلمهم بعبقريته العلمية العسكرية.

ومن التدابير التي فرضها الاتراك على الشهداء الموقوفين في السجن، ان لايتحدثوا الى بعضهم، وصدف ان كان الشهيد مرة يغسل يديه على المغسلة، فتكلم مع رفيق له فأطلق الخفير التركي الرصاص عليه فأخطأه، وقد اتضح ان هنالك مؤامرة مدبرة للفتك بالشهيد قبل اعدامه شنقاً، فان الجندي اطلق الرصاص على توفيق الناطور وهو في فراشه يتحدث الى نفسه بصوت خافت، ظناً منه انه الشهيد سليم الجزائري، فأخطأ الهدف المقصود، واصاب الناطور في رجله، وهذه الاصابة كانت السبب في استبدال الحكم على الناطور من الشنق الى السجن عشر سنوات.

وضاق الموقوفون ذرعاً من الخفراء الذين يمنعونهم من التحدث الى بعضهم، فاتخذوا الصلاة وسيلة، فكانوا يتحدثون خلال السجود والركوع اثناء الصلاة والخفراء الاتراك لا يفقهون مايقولون.

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه – «هو من الرؤساء الوحيدين الذين اولدوا فكرة الاستقلال العربي، وهو الذي اسس جمعية الضباط، ونشيده المدرج في متن الكتاب يوضح كل آماله».

وفي فجر صباح يوم ٦ ايار سنة ١٩١٦ م اعدم شنقاً مع قافلة الشهداء الثانية في ساحة البرج في بيروت ودفن مع زميله الشهيد امين لطفي الحافظ في قبر واحد في مقبرة الدروز في بيروت.

الشهيد امين لطفي الحافظ

١٨٧٩-١٩١٦

اصله ونشأته - : هو ابن الحاج محمد عيد بن عمر قسومه ، واسرته شامية الاصل ، لا كما ورد في قول بعض المؤرخين بأنها حلبية الاصل ، كانت تقطن في القنوات ، وغلبت عليها كنية (الحافظ) نسبة الى والد الشهيد محمد عيد الذي كان عطاراً ثم كف بصره فحفظ القرآن واصبح شيخاً متفنناً وعهد اليه بامامة جامع المشيرية بدمشق .

ولد الشهيد بدمشق سنة ١٨٧٩م وتلقى دراسته الابتدائية والرشدية العسكرية بدمشق ، ثم دخل المدرسة الحربية العليا في استانبول وتخرج من شعبة الاركان مختصاً بقسم الهندسة ، وعين ضابطاً في المشيرية العسكرية بدمشق ، وفي خلال فترة وجوده فيها برزت اعماله السياسية الوطنية وكان فريق من الشباب المثقف امثال الشهيد سليم الجزائري ، ورشدي الشمعة ولطفي الحفار واترابهم يعملون التمرينات البدائيـة للروايات في داره استعداداً لتمثيلها في مسرح سينما الزهرة ، ويشتركون في تأليفها ووضعها ، وهي تحررية اكثر من اليوم ، ويجمعون ريعها لصرفه في الاعمال الوطنية .

وفي سنة ١٩٠٦م اقترن واستوطن حي عرنوس بدمشق .

نقله - : ومن البديهي ان لا يرضى المشير التركي آنئذ بقيام شباب دمشق بتمثيل الروايات التي تبث روح القوميـة العربية لما فيها من المساس بالسياسة التركية ، فاصطدم مع المشير لتعرضه له ، وهو احد الشباب الذي يشترك في التمثيل والتأليف فأهانه المترجم ، فنقل على اثرها الى اضنه وذلك سنة ١٩٠٨ م ومكث فيها سنة ونصف ، ثم نقل الى حلب قائداً للموقع وظل فيها حتى الحرب العالمية الاولى ، ومنها نقل الى جبهة القوقاس ، واشترك في معاركها الاولى وكان آنئذ برتبة الميرالاي في مدينة (بوزفاد) .

مواهبه - : ومن اعماله الخاصة قيامه بالاشراف على أبنية الخط الحجازي عند انشائها وعلى دار الحكومة في درعا ، وكان يهتم بالاعمال الطوبوغرافية ، ومن مآثره انـه رسم منطقة قرى الغوطة المملوكة من قبل آل اليوسف ، وقام بتنظيم خرائط طوبوغرافية لتحصينات قلعة الدردنيل ، وذهب مع بعثة الى الافغان ، وقام بتنظيم خريطة لبلادها وكان يتقن اللغات الفرنسية والانكليزية والارمنية والفارسية والتركية واديباً في اللغة العربية لوضعه الروايات التمثيلية وقد حرقت آثاره وتلفت باجمعها وقد سيق من جبهة القوقاس مخفوراً الى الديوان العرفي الحربي في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه - : «كان رئيساً لفرع جمعية العهد بحلب وقد تبين ايضاً انه بعد النفير العام ألقى الفساد بين الضباط العرب ، وكان في عداد قافلة الشهداء الثانية فاعدم شنقاً ببيروت في صباح يوم ٦ ايار سنة ١٩١٦ م ودفن مع رفاقه .

انجب الشهيد السيد ثابت الحافظ وهو آية في النباهة والذكاء كأبيه ، وهو مدير الابنية في وزارة الاشغال العامة .

امتاز الشهيد بالجرأة والاقدام ، وقـد علا صوته ساعة تنفيذ الاعدام ، وندد بالاتراك الظالمين والحكم باعدامه دون سؤال ولا جواب .

له قلم ما هزّه في ملمّـة　　من الدهر الا هزّ سيفاً مهندا

المحكومون بالاعدام غيابيا

في الوقت الذي اصدر الديوان العرفي الحربي في عاليه قراراً بالاعدام على قوافل الشهداء الثلاثة ،صدر قرار بالحكم بالاعدام غيابياً على هؤلاء السادة بالتهم الموجهة اليهم بذيله.

رفيق بك العظم
حقي بك العظم
الشيخ رشيد رضا
داوود بركات
فارس نمر
الدكتور شبلي شميل
خليل المطران
ابراهيم النجار
جورج عبد المسيح
جبرائيل ناصيف
نجيب عازوري
الفرد عازوري
جورج بجري
الامير خليل ابو اللمع
خليل بولاد
هنري حبيب بولاد
نجيب البستاني
امين البستاني
يوسف البستاني
الامير مجيد ارسلان
سعيد مخير
رشيد تقي الدين
يوسف صيموئيل

فيليب سمعان
نجيب قطان
نجيب قريصاتي
جورج دوماني
جورج قريصاتي
كميل اده
جان عيد
نجيب غناجه
الدكتور غرزوزي
نعمت الله غانم
رفائيل عزة
ميشيل لطف الله
الدكتور يوسف كحيل
الشيخ يوسف الخازن
جورج خيرو
رشيد خياط
ادمون ملحمه
الدكتور خليل مشاقة
يوسف سمعان صيدناوي
الياس حنين
سليم شميل
سليم يونس
ماريوس شميل
يوسف حبيب زنانيري

الياس زهار
الفونس زينيه
فؤاد اشطيب
قسطنطين بني
حسن حماد
عبد الحفيظ بن محمود الحسن
رزق الله ارقش
سليم ثابت
عزة العابد
شكري غانم
عزيز علي المصري
بشارة البواري
اسكندر سرسق
ادوار كرم
جبرائيل حداد
سيمون أبي شنب
قيصر ابي شنب
اسعد باسيلا
نجيب ايوب
الفريد ليان
اسعد مفرج
انطون ارقش
نجيب موسى دياب

وجميع هؤلاء من السوريين واللبنانيين الذين كانوا في مصر واوربا في تلك الايام، باستثناء عزيز علي المصري، فهو من اصل مصري.
وهذا قرار الديوان العرفي بنصه حرفياً :

« هؤلاء الاشخاص منهم من كان يعد الافكار ، ومنهم من كان يهيء الاسباب للقيام والاختلال سعياً وراء نزع بلاد العرب وفكها عن الادارة العثمانية ، لاجل تأسيس خلافة عربية تابعة لمصر تحت سلطة الانكليز العسكرية ، وبعضهم من هو ساع في ذلك بالفعل او شريك في هذه التشبثات ، وبعضهم من كان مهيئاً لترتيبات القيام او داخلا فيها ،وبعضهم من المتصلين بالامركزية ، كما ان بينهم من كان متصلا بالحكومة الفرنسية ويعمل في خدمتها ، وكلهم فارون وقد حكم عليهم غيابياً بالاعدام » .

الشهيدان الشقيقان فيليب وفريد الخازن

١٨٦٥ – ١٨٦٦ – ١٩١٦

بعد ان تم اعدام القافلة الثانيـة من شهداء العرب في بيروت ودمشق وذلك في السادس من شهر ايار سنة ١٩١٦ م ، أصدر جمال باشا بياناً اشار فيه ، الى أن اعمال الاعدام والنفي قد انتهت ، وانه لن يلجأ بعد ذلك الى قصاص .



فيليب الخازن

فريد الخازن

الا ان هذا الطاغية قد إشتط في بغيه وجرائمه فأمر في السادس من شهر حزيران سنه ١٩١٦م باعدام الشقيقين فيليب وفريد الخازن فأضاف الى فواجع اعدام الاخوين الشهيدين محمد ومحمود المحمصاني ومفتي غزة وولده ، فاجعة ادهى وأمر ، فكان الشهيدان الخازنيان ضحية مخابرات بعيدة عن السياسة لاتستحق ازهاق روحين كريمتين .

فان كان القتل جريمة مهما كانت عواملهـا ، فان العمل الذي تتجاوز فظاعة القتل ، هو ان يكون القتل بريئاً ونبيلا في مقاصده ، والجريمة التي لاتغتفر ، هي ان يوصم الشهيد بالقتل لاسباب هزيلة ، لاتمت الى الحقيقة والموضوع بصلة .

ومما يحز في النفوس ان يستقل الوصوليون الانانيون ، فيزعمون ان الشهيدين اعدما من اجل فرنسا ، وهو قول ضحل فيه التجني والافتراء والظلم ، وقد تواترت هذه الشائعات السخيفة على السنة المحبين لفرنسا ، عقب الانتداب الفرنسي على لبنان وسورية فأسـاء الواصمون الى كرامة شهيدين عزيزين واسرتها التي اشتهرت بالنبل والفضل ، وربما كان هذا الوصم وقـع من الواصمين دون تعمد او قصد ، ليتقربوا زلفى الى الفرنسيين المنتدبين .

وهكذا عاشت مع الزمان فكرة عنهما كانت خاطئة الى حد بعيـد ، الى ان انقضت السنون ، فشاء القـدر الذي قسا على الشهيدين ان يجلي الحقائق ، فانهارت الشائعات امام اليقين الوطني ، وثبت ان استشهاد الشقيقين كان بمعناه الشريف النبيل المقدس ، وانهما استشهدا في سبيل لبنان لافي سبيل فرنسا وان ماورد في الرسائل التي كتبها الشهيدان وهما يرسفان بالاغلال في سجنهما تدل على ان التهمة المسندة اليهما كانت لبنانية ولاعلاقة لفرنسا اي صلة بالموضوع .

ونرى لزاماً علينا ، بل شرفاً واعتزازاً ان نسجل للتاريخ بصدق وامانة محو ذلك العار ، ونزع ذلك الثوب الذي البسه اياهما اهل العار من اقاربهما واصدقائهما ، تجنياً وافتراء ، وان نذكر بكل فخر ان الشهيدين اعـدما دفاعاً عن حرية لبنان فقط ، وحق لهما الخلود تحيط بهما هالة المجد والشرف مدى الزمان .

مولد الشهيدين ونشأتهما — . اشتهرت اسرة الخازن المارونية بالوجاهة العريقـة ، ولد فيليب سنة ١٨٦٦م وشقيقه فريد سنة ١٨٦٦ م في قرية عرمون ، وتلقيا علومهما في مدرسة الآباء اليسوعيين ، ولهما آثار علمية وادبية ، وقـد أصدرا سنة ١٨٩٥ م جريدة الارز واستمرت زهاء عشرين سنة .

محنتهما — . صدر الامر بابعاد فيليب الى حلب في اواخر شهر كانون الاول سنة ١٩١٤ م ولحق به شقيقه فريد مختاراً لمرافقته . وفي ٢٥ اذار سنة ١٩١٦م استدعتهما السلطات التركية ، فسيقا الى الديوان العرفي الحربي في عـاليه ، وزجا في السجن منفردين زهاء شهرين ، وقام المستنطق باستجوابهما ، وتليت عليهما التحقيقات باللغة التركية التي يجهلانها ، وقـد احسا من القرينة

انها حكما بالاعدام ، فكتبا وصيتهما بتاريخ ٤ حزيران سنه ١٩١٦م وكان كتاب (الاقتداء بالمسيح) سلواهما في نكبتهما، فاستظهرا مواضيعه الدينية التي أضفت على قلبيهما الصبر والعزاء .

اعدامها - . ان القلم ليعجز عن وصف هذه المأساة ، متى علم الانسان ان شقيقين يساقان الى ساحة الاعدام ليرى احدهما اعدام اخيه ، وفي فجر السادس من شهر حزيران سنة ١٩١٦م فاضت روحيهما على ارجوحة الشرف في بيروت .

ومما هو جدير بالذكر ان الشهيد الشيخ فريد الخازن، كان بعث الى زوجته السيدة هند الخازن رسالة مفصلة عن استجوابه الذي تم في الثاني من شهر ايار سنة ١٩١٦ م وهي المرة الوحيدة التي استجوبه المحققون في المجلس العرفي الحربي، اخبرها فيها جميع مادار بينه وبين رئيس لجنة التحقيق ... ومن غرائب ذلك التحقيق ان فريداً، استرحم ان يسمح له بتدوين أجوبته خطياً ليسهل على المترجم ترجمتها خشية ان تفوته كلمة خطيرة ، فقال له الرئيس « لاحاجة الى الكتابة فنحن نريد محادثتك لااستجوابك الآن رسمياً».

كتب الشهيد فريد في رسالته الى زوجته : « قال لي رئيس التحقيق : يوجد تحرير من القنصل (الفرنسي) انك سافرت الى باريس سنة ١٩١١ م (وأبرز التحرير اولا ، دون ان يتلوه ! وكنت قريباً منه فنظرته ...) ثم قال لي : ان تحرير القنصل يوضح انك سعيت بخصوص المسائل اللبنانية المذكورة في تقرير منك (وكان بين يديه) فأجبته : اني اقتصرت في مساعي (في باريس) على الشؤون المالية ، وخطي معروف ، توقيعي معروف ، ويوجد لدى المتصرف عرائض مني بالفرنسية ، فاطلبوها وقابلوها . وعلى كل فلنفرض ان التقرير مني ، وهو ليس مني ، فماذا يتضمن ؟

قال : المسائل اللبنانية . « فشرحت له المسألة اللبنانية ، كما في دفاعي وزدت : انه على فرض ثبوت ان التقرير مني ، وهو ليس مني ، فيكون انه لايتضمن مايعد جرماً ، فسكت ثم قال : وهذا ؟ ... وابرز النبذة المطبوعة بالفرنسية ، بتوقيع فيليب فقلت ، هذه لاخي ، فاسألوه عنها .. فقالوا : انها ممضاة بأسم خازن وهذا يكفي !

فقلت ان عائلتنا مؤلفة من ٣٠٠ شخص ، ويوجد اربعة باسم فيليب ،وستة بأسم فريد،وعلى كل فهذه مطبوعة ليست سرية ، وليس فيها كلمة او عبارة له ، وكلها مأخوذة عن المؤرخين العثمانيين والفرمانات السلطانية وبطاقات نظارة خارجية الدولة العلية والمحررات الدولية ... وعدا عن ذلك ، فقد رفع منها نسخة الى الباب العالي ، فيمكنكم البحث عنها هناك فتجدون انها لاتتضمن ما يسيء ، اوما يوجب المؤاخذة ، فقال: فيها عبارة ان الدولة ليس لها سلطة مطلقة في لبنان . فأجبته : هي عبارة مأخوذة عن كلام جودت باشا في النبذة وفي الخامس من حزيران سنة ١٩١٦م بعث الشقيقان الى الخوري يوسف الخوري في عاليه يكلفانه ايصال وصيتها ورسائل سرية الى المطران عبدالله الخوري والى ذويها ، وقالا له . « انهت محاكمتي ومحاكمة اخي ظهر امس . على اننا لم نعهم منها شيئاً ، لان الاتهام تلي باللغة التركية وابوا ان يترجموه لنا ، رغماً عن شدة الحاحنا ، ولكننا لحظنا منه من بعض الظواهر ان النيات ليست حسنة لجهتنا ، لان ورقة الاتهام ، على ما تيسر لنا فهمها ، تحتوي على تهم لم نستجوب عليها ، وليس بين ايديهم وثائق تثبتها .. ولما كنا ننتظر شراً لاخيراً ، كتبنا وصيتنا استعدادا لكل طاريء ، مع كتب وداع لعائلتنا ، وبين الكتب التي ارسلها الشهيدان الى الكاهن المشار اليه ، رسالة الى نسيبهما الشيخ كسروان ، كتبها المرحوم فيليب وقال له فيها : « لابد ان ينشروا بعد تنفيذ الحكم فينا المستندات التي استندوا اليها ، فيجمعوا من كل محل كلمة لتجريمنا ، على انه ليس في التقرير الذي نسب الينا بشؤون لبنان مايوجب المؤاخذة ، وانما الذي حملهم على الحكم علينا عبارة واردة فيه مآلها : ان رجال تركية الفتاة لقوم متعصبون مشطون ، شديدوا التعلق بقوميتهم تعلقاً اعماهم عن الصواب ، ولهذا فانهم يريدون نزع امتيازات لبنان ..

الشهيدان الخازنيان في ساعاتهما الاخيرة

كتب هذا المقال المؤثر المرحوم الدكتور حبيب اسطفان ، وامير المنابر في كل ارض بتاريخ ٢٢ آذار سنة ٩٢٠ ، وقد نشرت ترجمته في الجزء الثاني من مؤلفي (اعلام الادب والفن) ونظراً لروعة هذا المقال وتأثيره على النفوس ، فأني آثرت نشره بكامله وقد كنت نسخت صورته عند مجيئه الى دمشق في العهد الفيصلي وقيامه بجولة لالقاء خطبه الحماسية قبيل معركة ميسلون قال :

« مرت سنوات اربع على قتل شهيدي لبنان ، فيليب وفريد الخازن ، وانا لا يمر ببالي موتهما الا وينتفض جسمي ، ويرتج قلبي في صدري ارتجاجاً . وسئلت مرات ان اكتب ماجرى بينها وبيني في الساعة الاخيرة من حياتهما ، وحاولت كل مرة ان اكتب ، وشعرت ان ما شاهدت بعيني وسمعت بأذني ولمست بقلبي ، في تلك الساعة المؤلمة ، هو مما تذوب له النفس ، ويجمد به القلم ، فما قدرت ان اكتب فيه شيئاً .

ولولا الحاح روح كريمة لها الحق في ان لاتمنع من امر الشهيدين شيئاً ، ولولا ان ذكرى موتهما حق للوطن ، وواجب على كل وطني ، ومثال لمن بعدهما من ابناء لبنان ، لآثرت ان يبقى ما اعرفه محجوباً في صدري ، ومدفوناً الى الابد في فؤادي .

لا اذكر أني عرفت ، قبل تلك الساعة ، الشهيدين الكبيرين ، خلا ساعة شاهدت فيها في رومة ، من خمسة عشرة سنة ، الشيخ فريد ، حين كان مع غبطة بطريرك الطائفة المارونية سنة ١٩٠٥ م

ولكني كنت اعرف فضلهما ومقامهما بين أبناء وطني ، وكنت اقرأ من آثارهما ما اعلى لهما المنزلة عندي .

وكان يوم الاثنين (٥ حزيران سنة ١٩١٦ م وسمعنا ان سيؤتى في تلك الليلة الى بيروت بفيليب وفريد الخازن ليشنقا ، وقد خيم في فضاء المدينة في ذاك النهار سحاب من اللوعة واللهف ، مما كان يسيل فيه من زفرات الصدور .

وانا اذ ذاك كاهن الكنيسة الكاتدرائية المارونية ، وكان من عادة ادارة البوليس ان تستدعي كاهناً من الكاتدرائية كلما نوي اعدام رجل ماروني . وتركت الذهاب لغيري من الكهنة ، فاني كنت اخاف ان لايحمل فؤادي رؤية شبان وطني تذهب بأرواحهم المشانق .

غير اني لما سمعت بأمر الشهيدين الكبيرين قلت في نفسي : لقد كان هذان كبيرين في الحياة ، وسيكونان في الموت اكبر واسمى ، واذن ، فسألقي بقلبي بين قلبيهما في هذا الليل ... وجزمت في نفسي ان لن يذهب اليهما كاهن غيري .

وبعد غروب الشمس بقليل ، جاءني الى الكاتدرائية الشيخ كسروان الخازن ، نسيبهما ، وموسى صفير صديقهما وصديقي ، وكان هذا رجل الوفاء المجسم في خدمة الشهيدين يوم تنكر لهما الاصحاب والاقرباء ، فاستحق شكر المروة . فقال لي الشيخ كسروان : هل علمت ان سيؤتى بفيليب وفريد في هذه الليلة ؟ نحن نرجو ان تكون انت معهما في الساعة الهائلة ... فأجبته انني قد عزمت على ذلك قبل ان تأتياني ، لاني اشعر بأن نفسي تأبى ان يكون في هذه الليلة سواي .

وأرى الآن بعيني : غرفتي المظلمة في الكاتدرائية المارونية ، والصديقين المذكورين امامي ، ونحن نلفظ الكلام ولا ندري كيف نلفظه ، والموت ملق علينا من هوله ورهبته مايموت به الكلام على شفتي المتكلم .

ثم ذهبا وبقيت وحدي ، فرميت بنفسي على فراشي ، ولا أذكر اي نوم نمت ، حتى اذا كانت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، جاءني شرطي يقول : ان في ادارة البوليس رجلين يطلب لهما كاهن .

فهببت من الفراش وسرت الى الكنيسة ، فحملت على صدري القربان ، قوت النفوس المسيحية وزادها ، وذهبت الى الادارة ولما دخلت رأيت في القاعة مدير البوليس والمدعي العام في ديوان الحرب في عاليه ، ونحو الثمانية من ضباط وأطباء ، وشاهدت شاباً واقفاً وعلى وجهه جلال علوي ، وكهلا كثر الشيب في رأسه جالساً يكتب .

وكان السكون سائداً ، فلما انتهى الرجل من كتابة ورقته دفعها الى مدير البوليس ، فألقاها هذا الى من يقرأ العربية من رفاقه ، ولما علم ان ليس فيها مايمنع ايصاله ، قال للذي كتبها : هذه الورقة ، وماتريد أن يوصل معها من اشياء قد تكون معكما الى اهلكما ، نحن نوصلها .

فأجاب الرجل : بل اذا شئت ندفع كل ذلك الى حضرة الكاهن ، فنحن لنا ثقة به ، وهو يوصلها .

فالتفت الي مدير البوليس وقال : هل تعرفها ؟

فقلت نعم ، هذا الذي كان يكتب الان هو الشيخ فيليب الخازن ، وهذا الواقف اخوه فريد ، قال : وهل تعرف اهلهما ؟ فقلت : نعم .

قال : خذ اذن منها مايريدان ان يبعثا به الى ذويها . فلما سمع الشهيدان ذلك ، اخرجا من جيوبهما ما كان فيها من اشياء ودفعاها الي ، ولاازال اذكر منها ثلاثة كتب روحية كانت أنسهما في السجن ، بينها كتاب « الاقتداء بالمسيح » وقد فصلت اوراقه الواحدة عن الثانية ، وبدا فيه اثر الاستعمال الكثير ، فالتفت فيليب الي وقال : ترى ياأبانا ان هذا الكتاب نقرأه من اربعين يوماً في السجن حتى حفظناه غيباً ، وحتى صار كما ترى . فقد كان في هذا عزاء لقلوبنا .

واني لعلى يقين من ان يداً مؤمنة تقية تصون اليوم ذلك الكتاب ، واظن ان الناظر اليه يشاهد فيه روحاً من جمال العالم الروحاني مالايشعر به الا الذين ملأصدورهم الايمان .

وقد سلما الي كل ما كان معهما ، حتى علبة ثقاب (كبريت) كانت في جيب فريد ، فدفعها الي وقال : حتى هذه فأننا نريد ان توصل الى اهلنا ... كل مانملك الان وكل ماترى معنا !

ومن يدري ما كان وراء هذه الكلمة من الحب والحنان والألم في قلب ذلك الشاب الوفي ؟ لقد كان في عينيه مالأزال أذكره ولاأعرف كيف أصفه ، وبعد ان تسلمت منهما ذلك كله . قال لي فيليب : والان ياابانا ، لم يبق علينا الا أن تنظر الى نفوسنا ، فالاعتراف اذا شئت . فأمسكته بيديه ، وسرت به الى الجهة الثانية من الغرفة التي لم يجلس فيها احد ، فالقوم كانوا الى جهة واحدة ، واذا بصوت ملؤه الامر والغضب دوى في القاعة : ماذا تعملون ؟.

فالتفت وشاهدت بين الجالسين ضابطاً واقفاً تبدو الشراسة في عينيه ، وهو ينظر الي نظرة الحيوان الضاري ، فعرفته نور الدين بك المدعي العام في ديوان عالية الذي كان من اشد رجال المحكمة الحربية ظلماً لشهيدينا ، واغراء لرفاقه بالحكم عليهما بالاعدام .

ولا أدعي من نفسي ، الجرأة والاقدام ، ولكن وقوفي بين شهيدي حب الوطن ، شهيدي المجد والشرف ، القى في صدري شيئاً من القوة التي كانت تتجمع فيهما فوقفت في وجهه واجبته :

إننا نقوم بالامر الديني الذي جئت لأجله ... فقال : الست تعلم ان هذين قد حكم عليهما بالاعدام لجرم سياسي ؟ قلت : بلى اعلم ذلك ، قال : او ما تعلم ان الذي يحكم عليه بالاعدام لايجوز لاحد ان يحادثه سراً ؟ فأجبت : انا ما اتيت لحديث ، ولا كلامنا الان كلام في السياسة ، وانما هذا امر ديني صرف فلن يمنعني منه احد .

فصاح مغضباً : لن ادعك أبداً تتم ماتريد .

فأجبت : لاتقدر أن تمنعني ، وسأتمه في كل حال .

فقال : هذا هو القانون ، والقانون فوق كل شيء .

فأجبته : بل اعلم أن القانون في دولتنا العثمانية لم يمنع ابداً رجلاً محكوماً عليه بالاعدام من أن يقوم بواجبه الديني ، فلن تقدر انت أن تمنعني ، وكان الجدال بيننا بصوت عال ، وكثير من الحدة ، فاشتد هياج الرجل وصاح : قلت لك هذا هو القانون !

فأجبته : وأنا اقول لك هذا هو الدين !

ولست أعلم ماكان قاصداً أن يقول ، ورأيت عند ذلك مدير البوليس يقف في باب القاعة ، وقد أتى مسرعاً من غرفته اذ سمع منها جدالنا ، فابتدرته قائلا :

أرجو بإحضرة المدير أن تخبرني لأي سبب دعوتموني في هذا الليل ؟ ان كان ذاك لتروني اخوين يشنقان في آن واحد ، فما ذاك مما تتوق اليه نفسي ، واذا كان لاقوم بعملي الديني ،فأرجو ان تقول لنور الدين بك : أن لاحق له في أن يمنعني من اقام مايأمر به ديني .

فالتفت مدير البوليس الى نور الدين بك وقال له : دعه يفعل مايشاء . ثم قال لي : أنت حر في ان تتم ماتريد !

فسكت نور الدين بك وفي عينيـــه نار من الغضب ، وارتمى على الكرسي ينظر الينا نظرات كانت خاصة به وبقسم من رفاقه .

وما رويت هذا كله الا لأني لايزال مرسوماً في قلبي وجه الشهيدين ، وهما رجلا تدين وايمان ، ولم يبق لهما من عزاء الا كلمة من كاهن دينها ، فاذا بهما ينظران امامهما رجلا غاشماً يقصد ان يحرمهماهذهالسلوىالاخيرة للنفوس المؤمنة !

ان المشهد كان رهيباً ، واشد مافيه ان الضباط والأطباء الجالسين لبثوا سكوتاً صامتين ، لايجسر أحد منهم أن يدعو ذاك الظالم الى شيء من العدل والرحمة ، وأشق ماعلي في وصف موت الشهيدين ، ان اكثرماعاينت هناك كانت تبدو فيه الحياة بأعلى وأقوى مافيها ، فما كان موقفهما موقف من يتكلم اذا تكلما ، او من ينظر اذا نظرا بل كان في كل ماروئي فيهما اذ ذاك سر كبير من اسرار النفس ، وقوة خفيـــة من قوى الروح ، وأقر بأني لا أصف ، ولااقدر أن اصف ولكني اروي شيئاً يدل دلالة بعيدة على مارأيت ، والنفوس اللطيفة الشعور ، النقية الحياة ، هي وحدها تدرك من هذه السطور ماجرى هناك وتدركه بشعورها ، لابوصفي وكلامي .

وبعد أن سكت نور الدين بك ذهبت والشيخ فيليب الى الجهة الثانية من القاعة ، فجلست على كرسي ، وجثا الشيخ فيليب الى جانبي ، ومما قاله لي « ليس الآن موقف كلام في السياسة ، ولكنني أقول لك : اننانغفر لكل من كان سبباً في قتلنا ، ولانريد بأحد أقل سوء ، ولو كان الله يجيب الآن طلبنا ، لرجوت ان يطول عذابنا ، فلعله ، اذا طال ، تخف به آلام لبنان الحبيب ، الذي نموت فدى عنه وعن حياته » .

ثم جاء بعده فريد فجثا ، واراد أن يذكر لي خطايا حياته كلها ، واني لأشهد أمام الله : اني لم اعرف روحاً نقية كروح هذا الشهيد الكريم ، لقد ذكر لي حياته كلها فحرت فيه ، شاب مثله من اسرة كبيرة وبيت وجاهة ، على جمال وافر ، ولطف يملك القلوب ، وقد تقلبت به الاحوال في الحياة ، وغني بمختلف من الاشغال ، فلم اجد اثماً في حياته يؤخذ به . ولما سمعته يسرد لي حياته كنت اقول في نفسي ، وهي تتفتت لوعة : أَلمثل هـــذا اللقاء تكون المشانق ؟ ألمثل هذه الروح الزكية تعد الحبال ، الآن ؟ اتحت سماء بيروت ولبنان يعدم مثل هذا الشاب ؟.

وبعد سرد حياته قال لي : « ياابي ، لااوصيك الا بأمر واحد ، اوصيك بان ترى النساء اللواتي نتركهن اليوم فتقول لهن : اننا في الساعة الاخيرة من حياتنا نرجو ان يغفرن لنا ماكان من قصورنا . ثم لايخف أحد من اهلنـــا ، فان الله الذي نذهب اليه اليوم لن يهمل أحـــداً منهم ، وعنايته تكون لهم ، ونحن قلوبنا تبقى بينهم ، وعند الله يكون اللقاء » .

وبعد اكمال الاعتراف جثا الاثنان فناولتهما القربان المقدس، وجلست وهما جاثيان ، وبعد قليل قال لي فيليب : أما تريد ياأبانا أن تقرأ لنا شيئاً من كتاب الاقتداء بالمسيح ؟ فقلت له : كل ماتحب .

ودعوتهما الى الجلوس الى جانبي فأبيا ، ولم يرضيا الا أن يظلا جاثيين ، ولم أقدر أن اقنعهما بالجلوس ، فجثا فيليب ويداه على ركبتي ، وجثا فريد ويداه على ركبتي اليسرى ، وأنا جالس بينهما والكتاب في يدي ، وبقينا على هذه الحال نحواً من ساعتين .

فليتصورنا القارىء في الهيئة التي ذكرت ، ومعنا في الغرفة نور الدين بك ورفاقه ، فيدرك ما كان في روحيهما، رحمهما الله ، من حرية المبدأ وعدم المبالاة بشيء .

وقرأت لهما في كتاب الاقتداء بالمسيح ، وكنت ازيد من حين الى حين كلاماً من عندي اجدة مناسباً لحالتهما، وكانا كما قلت قد حفظا الكتاب غيباً ، وكأني اشاهد الآن فيليب يكب على الكتاب ، ويحدق بنظارتيه لانه يسمع مني مالم يعهده في الكتاب ! فقلت له : دعك من البحث ، فأني ازيد مااراه مناسباً لكما ، فلا تقيّدني بالحرف ...

وقبل أن يأزف الوقت أتى شرطي وسألهما : هل تريدان شيئاً يقضي لكما ؟ فأجابه فيليب : كل مانرجوه ان تتركونا مع الكاهن ، على الحالة التي نحن فيها ، الى ان يأتي الوقت المعين .

ونحو الساعة الرابعة والنصف دخل ضابط وقال : هذه هي الساعة فنهضا وكدت انسى اين نحن ، فألبسوا الشهيدين قميصين ابيضين ، ثم ردوا ايديهما الى الوراء وقيدوهما بالحديد ، وقال احد الضباط : لنسر الآن . وخرجنا من ادارة البوليس فاذا النجوم في السماء الصافية لونها ضئيل عند الفجر ، والنسيم بليل لطيف ، كأن وقعه على الوجوه شكوى مؤلم حزين ، فرأينا صفاً من الجند بأيديهم الحراب ، فسير بالشهيدين بينهم ومشيت انا الى جانبهما وما سرنا خطوة او خطوتين حتى بدأ فريد يقول طلبة السيدة العذراء المشهورة ، واخذ فيليب يجاوبه ، فلا اذكر اني شعرت بهزة في كل روحي وجسمي مثل التي اصابتني في ذلك الحين .

وفي الصباح ، بين الظلام المشوب بأول انوار الفجر ، في المدينة النائمة الساكنة ، امام جبال لبنان الصامتة في حزنها ، وبين ضرب اقدام الجند على الرصيف ، هذا الصوت ، صوت الدين والايمان بالله في ساعة الموت ، وموت اخوين لاثالث لهما ، كل هذا اعلى مما يصل اليه فكر اوخيال ، فذكرت دياميس رومة وحياة المسيحيين الاولين فيها، حين كانوا في ظلام الليل الدامس يجتمعون لاقامة صلواتهم. ان ساحه الشهداء في بيروت شاهدت ارواحاً زكية كثيرة ولكل من تلك الارواح والمزايا العالية والصفات الكريمة ، وكلها يكتب ذكراها في تاريخ الوطن كتابة ابديه ، ولكن موت الاخوين على هذا النحو ، وابداء هذا الشعور الديني العجيب ، كل هذا له اثر خاص ، اظن انه يبقى مرسوماً الى الابد ، للنفوس الشاعرة ، على جدران الابنية حول الساحة ، وممتزجاً بالنسيم في سماء بيروت .

وسرنا كما وصفت ، حتى وصلنا الى الساحة ، فاذا الجند محدق بها من كل جهة ، وليس وراء الجند الاالقليل من الناس ، وفي وسط الساحة ، الى الجهة الشمالية الغربية ؟ فيها اعدت الات الاعدام .

فلما انتهينا اليها وقفنا ، وبدأ نور الدين بك يتلو الحكم الصادر من محكمة عاليه ، وكان طويلا ظل في تلاوته نحواً من ثلث ساعة ، والشهيدان واقفان يسمعان ، ولايبديان حركة ، الا اني رأيت الشيخ فيليب يمس بكتفه كتف اخيه لانه مغلول اليدين ، ولما التفت اخوه اليه رفع الاول عينيه الى السماء يدعوه الى ان يرفع قلبه الى الله .

كيف لايبكي الذي يذكر هذه المشاهد !

ما اسمى تلك الاشارة من اخ الى اخيه في مثل تلك الساعة ! واي حب فيها ، واي حنان اخوي واي ايمان !

اللهم ، اي روحين سلبنا الحكم التركي الغاشم في ذاك اليوم ؟ لا اعرف اللغة التركية ، غير اني لحظت ان حكم الديوان الحربي مقسوم الى قسمين ، ففي الاول كانت تعاد فيه كلمة : قنصلية فرنسا واوراقها ، فوا المي حين ذاك من جورج بيكو وتغفله ! وفي القسم الثاني كنت اسمع كلمة : لبنان والبطريركية المارونية ، فوا لوعة قلبي عند ذلك على رجلي لبنان . ولما انهى نور الدين بك تلاوه الحكم جثا الاخوان ، بحركة واحدة كأن الحياة واحدة فيهما ، وقالا لي امام الجميع ، في تلك الساحة : ياابانا ، البركة الاخيرة اذا شئت !

فباركتهما ... فوقفا . وقبل احدهما الثاني القبلة الاخيرة . وامسك جنديان بفريد فرفعاه الى المشنقة ، وانا واقف انظر . ثم رفعا فيليب بعده ، ولم يكن بين قتليهما الا دقيقة واحدة او دقيقتان ، وشاع بين الناس ان

فيليب مات قبل ان يشنق ، لما رأى اخاه معلقاً امامه ، غير اني كنت اقرب اليها من كل انسان ، واعلم ان الاشاعة كاذبة ، وانما فيليب كان بدناً رحمه الله ، فلم يقدر ان يصعد الى الطاولة التي كانت تحت المشنقة ، فحمله اليها ، فظن بعض الناظرين انه كان ميتاً .

وشنق الاخوان ، وانا كاهن دينهما انظر اليهما ، ويدي تبارك باسم الدين روحيهما وهما تنتقلان الى عالم الملكوت .

اني ابكي ، وانا اكتب هذه السطور ، ولكني في تلك الساعة وقفت في ساحة بيروت كأني في مقام ظفر وانتصار ... وقد حسبت قبل ذهابي اليهما اني سأذوب بكاء حين اراهما يشنقان ، ولكني لا ادري اية قوة بدت فيهما ، واي جلال سماوي تجلى على وجهيهما في ذاك الحين ، فما بكيت ولكنني وقفت امامهما وهما يشنقان ، كأني امامهما وهما ينظران على كل قوة ، وعلى الموت نفسه ، ترمقهما حيـــاة روحيهما ، وتعليهما حياة الوطن فيهما الى المقر الاسنى ، وتزين رأسيهما بأكاليل الفوز ، وتنشد حولهما نشيد المجد والفخار .

والان ، وقد امتزجت عظامهما بتراب الوطن الشريف ، وسال عليهما في الرمس ماء لبنان النقي ، فليكرم رمسهما مثوى الحرية والاباء . ولحي ذكراهما في قلوب ابناء لبنان ، انه ذكر مجد وعلى ، ولترسم حياتهما على قلوب اولاد لبنان تعلمهم حب الوطن والتفاني فيه ، وما لعب نسيم لبنان التركي بأفنان الارز ، وما تألقت اشعة الشمس لؤلؤاً وهاجاً على اعشاب الوديان ، وما لثمت مياه البحر بشجى الحنين نائة الصخور : ليذكر ان في كل هذا الجمال نسمة من حياة الشهيدين واثراً من روحهما الكريم .

وقد مر بي بعد موتهما الزمان وتقلبت الاحوال ، وصار من امري مايعرفه كل انسان على اني مهما تبدلت الايام ساظل اذكر اجمل وابهى ذكر نقاء نفسيهما ، وجمال ايمانهما ، وبهاء حياتهما ، ولا ازال ولن ازال ، اذ مرا ببالي تسجد نفسي إجلالا لتلك الوطنية الابية الفريدة ، وكأني لا فرق عندي بين ذكراهما وذكرى الوطن ، وبين حياتهما واستقلال لبنان . فيهما ، اذا عرف ابناء لبنان ان يستقلوا ، يقام معبد الوطن على قبرهما المجيد ، وهما اذا لم يستقل لبنان ، يدعى رمسهما رمس لبنان ، ومقام البكاء على الحرية والاستقلال »

انتهى هذا الكتاب الذي دبجه يراع الدكتور المرحوم حبيب اسطفان الماروني اللبناني ، المشهور بحبه لعروبته والذي وقف لسانه وقلمه في سبيل نصرة الملك فيصل الاول والقومية العربية .

المؤلف — « تجمعني والدكتور المرحوم حبيب اسطفان صلات ود ووفاء منذ العهد الفيصلي ، ثم التقيت به عام ١٩٢٤ م يوم زيارتي لامريكا الجنوبية ، واني وفاء لذكرياته وقدراً لمكانته العالمية ، وكرامة لكتابه هذا الذي وضعه عن الشهيدين الخازنين ، رغبت أن يزدان مؤلفي هذا بصورته الغراء وبلمحة تاريخية عن مراحل حياته » .



ولد في قرية (بتاتر) التابعة لقضاء الشوف في لبنان يوم السبت في ٩ اذار سنة ١٨٨٨ م وهو ابن جرجي اسطفان ، وأصل اسرته من رويشة النعمان في لبنـان ، نشأ في كنف والديه الفقيرين ، وذاق مرارة الشقاء والحرمان ، ثم انتسب لسلك الرهبانية ، ورشف من العلوم ماصبت اليه نفسه ، ودارت الايام فاذا بهذا (الراهب الاكليركي) يخلع عنه ثوب الكهنوت ، ليصبح ذلك الخطيب الاجتماعي العالمي المصقع ، وأمير المنابر في ذرى المنابر التي طالما خشعت اكباراً لسحر بلاغته وفصاحته ، وفي عهد الملك فيصل كان الى جانبه ، ومن أبرز الدعاة لنصرته .

وفاته : اصيب بالتسمم اثر تناوله طعامـــاً بحرياً فاسداً ، فطواه الردى يوم الاربعاء في ٣ نيسان سنة ١٩٤٦ م والحد الثرى في مدينـــة (بتروبوليس) في البرازيل ، ولم ينجب ذرية .

اعدام الوطنيين من شيوخ عشائر الحسنة والموالي والتركي

اضطرب الاتراك اثر اعلان الثورة العربية الكبرى ، وفقدوا صوابهم ، ولم يعودوا يدرون ماذا يفعلون ، وقام جمال باشا يدرس احوال العشائر الضاربة في المناطق التابعة لنفوذه للتحقق عن اوضاع الموالين لسياسة الاتحاديين ، والمناوئين لهم من شيوخ العشائر وتقبّل حسب عادته الوشايات ، وتقرب اليه الدساسون من شيوخ العشائر المرائين ، وابلغوه ان شيوخ الحسنة والموالي والتركي يجتمعون الى الامير فيصل بدمشق ، فاتخذ سياسة الايقاع بينهم ، فاضمر شيوخ العشائر لبعضهم الحقد والعداء لاضعاف عقائدهم العربية واشتغالهم ببعضهم دون ان يجرأ احدهم على القيام بالغارات والغزو التي اعتاد العربان عليها ، وهي عادة وحشية متأصلة في نفوسهم ، بعيدة عن الشهامة العربية الصحيحة ، وكانت هدنة طبيعية قاهرة فيما بينهم ، ألهتهم عن كل شيء لما هم فيه آنئذ من جوع وخوف من البطش ، فآثروا الهدوء والسكينة ، ريثما تنجلي هذه الغمة عن قلوبهم .

وفي هذه الفترة العصيبة التي أطاحت بالطمأنينة في النفوس خرج جمال باشا السفاح بانتقام جديد ، وهو اعدام ثلاثة من شيوخ العرب البارزين ، ولا ذنب لهم سوى الكمال في عقيدتهم الوطنية ، والتعصب لقوميتهم العربيـــة ، فقدمهم ضحايا سياسته الارهابية ، للقضاء على ذوي النفوذ والمكانة من شيوخ العرب ، الذي هو في شك من سياستهم الملتوية نحو الاتراك ، وارهابا للموالين والسلبيين من الشيوخ في آن واحد كيلا تحدثهم نفسهم بالانتفاض ، وتعكير صفو الأمن ، او مناصرة الملك حسين في ثورته ضد الاتراك .

وهكذا قضت سياسة جمال باشا الارتجالية الحمقاء باعدام الشيخ (محمد الملحم) شيخ عشيرة الحسنة ، و (فجر الحمود) شيخ عشيرة الموالي ، و (شاهر بن رحيل العلي) شيخ عشيرة التركي شنقاً في ساحة المرجة بدمشق في يوم واحد ، وكان ذلك في اوائل سنة ١٩١٧ م .

الشهيد محمد الملحم شيخ عشيرة الحسنة

تعتبر عشيرة الحسنة من اشرف عشائر العرب ، وأشهرها مجداً تليداً وطارفاً ، وابرزها مكانة في المكارم والفروسية والشجاعة بين قبائل العرب ، وشيوخ الحسنة هم أسياد آل سعود في تقاليد العرب ، ومن أنداد امراء آل الرشيد والفضل والموالي.

ومن اشهر شيوخ هذه العشيرة سعود الملحم ، والشيخ فارس المزيد ، فارس العرب المغوار ، الذي كان الاتراك يكلفونه بالمحافظة على الحجيج في عهد القوافل البرية ، وفيصل الملحم وولديه محمد ونوري .

ومن ابطال هذه العشيرة الشهيد الشيخ محمد الملحم بن ملحم المزيد ، فارس العشيرة المغوار ، وقد تولى المشيخة ابان الحرب العالميـــة الاولى .

تخيم عشيرة الحسنة في بادية حمص ، ويمتلك شيوخها قرى البوير ، والشيخ حميد وغيرها .

كان الشهيد قصير القامة ، نحيف البنية ، اعرج الرجل اثر اصابته في احدى المعارك التي جرت بين عشيرتي الحسنة والموالي ،

ومن فروسيته النادرة ، انه كان قبل ان يتولى المشيخة بعهد الشيخ سعود الملحم ، كان يقود العشيرة في الحروب ضد الموالي ، وفي احدى المعارك الجارية طارد مع فرسانه عشيرة الموالي التي جاءت غازية ، من منطقة حمص ، حتى قرية (الربيعة) الواقعة بمنتصف الطريق بين حماه وقضاء مصياف ، وهي مسافة بعيدة ، فقتل منهم بعض رجالهم ، وفي هذه المعركة اصيب برجله فسببت له العرج ، وتعظيماً لشجاعته ، كان اذا سئل احد الناس ، اي فرد من عشيرة الحسنة ، من شيخك ، اجاب (الشيخ محمد الملحم ، والرب الله) قدراً لمكانته وبطولته لدى عشيرته .

الشهيد فجر الحمود

هو احد شيوخ عشيرة الموالي ، وينحدر امراء الموالي من الارومة العباسية ، وهم في مكانة واحدة مع امراء عشيرة الفضل العباسية الحسب والنسب ، تخيم عشيرة الموالي في البادية بين حماه وحلب ، وقد اشتهر امراؤها بالفروسيه والبطولة النادرة ، وقد اختار جمال باشا احد شيوخها البارزين وهو الشهيد فجر الحمود ، فأعدم شنقاً مع الشيخين الشهيدين (محمد الملحم) شيخ عشيرة الحسنة و (شاهر بن رحيل العلي) شيخ عشيرة التركي بدمشق ، في لحظة واحدة ، فاكفهرت البلاد السورية والوجوه حزناً على ماحل بهم من نكبات ، كان سببها خوف جمال باشا من شيوخ هذه العشائر العربية الاصيلة ، ولارهاب بقية العشائر ، واكثرهم كانوا موالين للاتراك .

ومن السجايا الموروثة المأثورة التي امتاز بها امراء الموالي ، انهم يكرهون التملق والمداهنة لأي عظيم كان ، لعقيدتهم بأنهم امراء وارفع قدراً من كل عظيم ، والدليل على وطنيتهم الصلدة ، انهم وقفوا بوجه الجيش الفرنسي الزاحف على حلب سنة ١٩٢٠م في موقع فطمه ، فاضمر لهم الفرنسيون المستعمرون العداء وقابلوهم بكل حقد وجفاء ، ثم ثاروا على الفرنسيين في سنة ١٩٢١ م ورغم ما تعرضوا له من تنكيل وارهاق وغرامات ، فانهم لم يستكينوا للذل والخنوع ، ولما اندلعت نيران الثورة السورية عام ١٩٢٥ م ثار امراء الموالي وعشيرتهم على الفرنسيين ، وخاضوا معارك دامية ، كبدوا فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة واستشهد الامير ابراهيم باشا وأصيب ولده الامير عبد الابراهيم باشا وشقيقه الامير باشا بجراح .

ونحن اذ نسجل للتاريخ وقائع الاحداث التاريخية الهامة . لنذكر بكل فخر واعتزاز ، انه لم يشترك في الثورة السورية من العشائر السورية سوى عشيرة الموالي ، وقدم امراؤها فريضة الدم والجهاد بأجلى معانيها .

الشهيد شاهر بن رحيل العلي

هو شيخ عشيرة التركي ، التي اشتهرت بالبأس والشدة والشجاعة ، وهي تخيم بين منطقتي حمص وحماة ، كان ضحية الظلم والتشفي مع زميليه الشيخين ، وقد اراد جمال باشا ان يظهر سطوته وبطشه وانتقامه من هؤلاء الشيوخ بسبب مواقفهم الوطنية ، وكانوا جاءوا دمشق للاحتفاء بقدم الامير فيصل ، وما ان ثار الملك حسين حتى امرع بتعليقهم على اعواد المشانق في آن واحد ، لارهاب العشائر وليتحدث الناس عن بطش السفاح وليرضي عزيزته بسفك الدماء .

وقد اشتهرت هذه العشيرة بمواقفها الشريفة ، يوم حوادث العدوان الفرنسي عام ١٩٤٥م في حماه ، اذ تقدم ابطالها فاحتلوا بيت المستشار الفرنسي ، فخر اربعة من ابطالها الاشاوس شهداء ميدان في المجد والشرف .

تزوير الانتخابات النيابية في عهد الاتراك

لقد برع الاتحاديون في تزوير الانتخابات لمجلس المبعوثين لاخراج المرشحين الاتحاديين ، بالوسائل التي كان يتفنن فيها الولاة والمتصرفون ومن والاهم ، ولما وقعت حادثة ٣١ مارس الشهيرة ، وحاصر الجند التركي المجلس ، بحجة الارتجاع عن الدستور ، وقتل اثر ذلك محمد بك ارسلان مبعوث اللاذقية برصاص الجند في باب المجلس ، زحف محمود شوكة باشا بجيوشه الى الآستانة لحماية الدستور ، والتنكيل بالرجعيين ، والانتقام من مثيري الفتنة ، ووقف يراقب الاحداث السياسية ، ثم حصلت في أواخر دورة مجلس المبعوثين مناقشة حول المادة (٣٥) من القانون الاساسي ، أدى لخلاف شديد ، فانفض المجلس ، وتجدد الانتخاب ثانية ، فاتفق الشهيدان عبد الحميد الزهراوي والدكتور عزة الجندي أن يخوضا معركة الانتخاب ، فأوصت الحكومة الاتحادية بمعاكستهما وعدم انتخابهما ، وقبل المعركة الانتخابية سافر الزهراوي الى دمشق ، واجتمع بالشهيد عزة الجندي ، وفي مساء ليلة كانت عربة الوالي عارف بك المارديني تقف امام دار الشهيد القائمقام العسكري الشهيد صادق الجندي في حي القنوات ، وقد اجتمع بالشهيدين الزهراوي والدكتور الجندي بصورة مكتومة ، وتداولوا البحث في الوضع الاتحادي الراهن اذ ذاك ، ولم يكتم الوالي عنهما ، ما تلقاه من اوامر عالية ، تحتم عليه وجوب اتخاذ التدابير الحازمة الكافلة للحيلولة دون نجاح الشهيدين الزهراوي والجندي في الانتخابات الاخيرة ، مهما كلف الأمر وكانت النتائج ، وقد تم للاتحاديين تنفيذ ما أرادوه بفوز مرشحيها الاتحاديين ، بما اتخذوه من وسائل التزوير والشدة والجبر والاكراه ، واثر ذلك سافر الزهراوي الى استانبول ، وتابع عمله في الصحافة ، بعده جرى عقد المؤتمر العربي في باريس وترأسه ، ثم عين في مجلس الاعيان.



اما الشهيد الجندي ، فقد كان طلعة باشا عرض عليه ان يرشح نفسه في قائمة الاتحاديين فأبى ، كما أيد ذلك السيد حقي العظم امين سر اللامركزية ، ثم عاد الى مصر للاشراف على مستشفياته التي أسسها في القاهرة وطنطا ومنوف .

لقد كان الشهيدان الزهراوي والجندي على اتفاق ووئام وحب واخلاص متبادلين تعززها روابط المصاهرة ، وكانا يتبادلان الرأي في كل ما له علاقة بالقضايا العربية ، وهما من ابرز عمالها .

مصير الوالي عارف بك المارديني



هو من أصل عربي ، ومن اسرة اشتهرت بالعلم والوجاهة والفضل في مدينة ماردين ، وقد تكنى بالمارديني نسبة لماردين ، وقد عين والياً على الشام ، وكان متعصباً لقوميته العربية ، وائتلافياً دون ان يعلم الاتحاديون بانتسابه لهذه الجمعية ، وقد عزل من الولاية بعد افتضاح منهجه السياسي وميله للعرب ، وتشجيعه الجمعيات السرية العربية ، وكانت قرينته من العائلة الخديوية المالكة ، ويجيد اللغات العربية والفرنسية والتركية والفارسية .

اشتهر بالثراء والكرم الحاتمي ، وكان لا يرد قاصداً من عطائه ، وقد ترك اجمل الذكريات في محامد أخلاقه ومآثره واخلاصه لبني قومه .

افتضاح نوايا الاتراك

شاء القدر أن تفضح نوايا الاتحاديين ، فوقعت بين ايدي الشريف حسين وأنجاله مراسلات سرية ، كانت تدور بين حكومة الاتحاديين في الآستانة والوالي لاغتيال الشريف حسين وأنجاله ، والقضاء على استقلال الحجاز الذاتي ، وعلى وثائق تتضمن الخطط والتدابير لتنفيذ هذه المؤامرة ، وقد حال دون تنفيذها اعلان الحرب العالمية الاولى .

الامير فيصل في دمشق

لما عاد فيصل بن الحسين من الاستانة الى دمشق ، كان رجال العرب يبحثون معه عن استبداد جمال باشا وبطشه ، إذ كان أعدم القافلة الاولى من الشهداء ، وشرع باعتقال القافلة الثانية ، واجتمع بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، ورضا باشا ، الركابي وياسين الهاشمي ، وغيرهم وأبلغوه استعدادهم لاضرام ثورة عربية في سورية لتحرير البلاد العربية الخاضعة للحكم التركي ، واتفق الحسين وأنجاله على القيام بالثورة العربية وانجاز الاتفاق مع الانكليز .

وكان الديوان العرفي في عاليه آنذاك منهمكاً في محاكمة المعتقلين من زعماء العرب وأحرارهم ، فأبرق الحسين الى انور باشا يرجوه اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين ، وإنالة سورية ماتطلبه من نظام لامركزي ، وجعل أمارة مكة وراثية في اولاده ، فرد عليه بالسلب والتهديد ، ودارت مراسلات برقية بين جمال باشا والحسين بن علي ، وكان فيصل موجوداً بدمشق في قبضة جمال باشا ، وهو يريد استقدام الامير علي الى دمشق ليضمه الى شقيقه فيصل ، فيبقى الاثنان رهينة عنده ، يمنعان والدهما من القيام بأية حركة معادية للدولة .

وقد تمكن فيصل من العودة الى الحجاز بحجة مرافقة المتطوعين الى جبهة القتال ، وكان سفره بعد اعدام قافلة الشهداء الثانية بتسعة أيام ،يرافقه وفد كان من جملة افراده الشيخ عبدالقادر الخطيب والسيد نسيب البكري .

وزاد في مخاوف الحسين بن علي وصول نجدات كبيرة الى فخري باشا في المدينة ،واحتمال الزحف بهذه القوات الى مكة ، وانزال الضربة القاضية عليهم . فبادرهم بأعلان الثورة .

اعلان الثورة

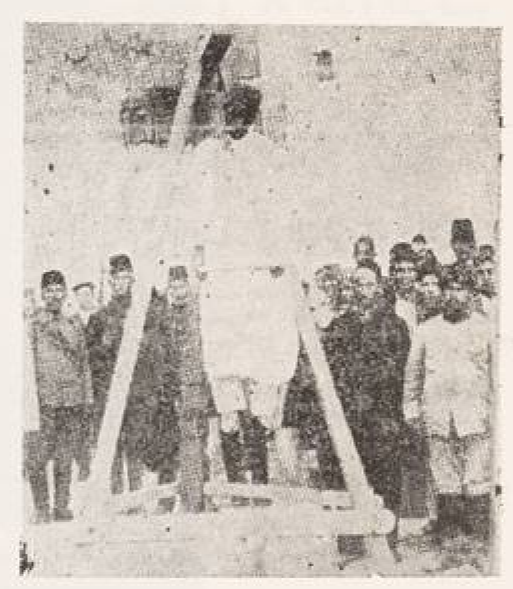
لقد كانت عناصر الفاقة والجوع وسياسة الانتقام والبطش والعنف التي سار عليها الاتحاديون نحو العرب من العوامل المباشرة لاعلان الثورة العربية الكبرى ، وهناك أسباب شخصية ومحلية وقومية ودينية اضطرت الشريف حسين لنقض عهده مع الدولة والانقضاض عليها ، وحملته على محالفة الانكليز ، اذ اتوه متطوعين وعرضوا عليه شروطاً مغرية واعلنوا انهم مستعدون لتنفيذ كل مايطلبه دون قيد اوشرط ، واذ كان الانكليز قد نكثوا بعهودهم الكثيرة له فليس هو اول مخدوع بهم ،واول من حنثوا بعهودهم معه .

وفي شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥ م اجتمع الشريف حسين وابناؤه في الطائف وعقدوا مؤتمراً قرروا فيه اعلان الثورة بالاتفاق مع الانكليز على اساس تحرير العرب واستقلالهم ، هذا وان المراسلات السرية التي دارت بين الشريف حسين والسير مكماهون يعرفها كل عربي ولاحاجة بنا لسرد تفاصيلها التاريخية .

وفي العاشر من شهر حزيران سنة ١٩١٦ م اعلن الشريف حسين بن علي الثورة على الحكومة التركية ، واطلق الرصاصة الاولى على الثكنة التركية ، وهي الاشارة المتفق عليها فيما بينه وبين رجاله للشروع بالهجوم .

الشهيد احمد عارف
١٨٥١ – ١٩١٨

هو مفتي مدينة غزة بفلسطين ، كان وجيها ، وعالماً فاضلاً ، ذا عقيدة وطنية ومروءة وشمم ، ابتلاه



الله بالحساد والوشاة – وهذا شأن العظماء – وقد اصدر الطاغية جمال باشا ، في شهر تشرين الأول سنة ١٨١٨ م أمره بنفيه الى الاناضول ، فطلب إجازة لتسوية شؤونه العائليه فأجيب بالامهال.

اعدامه – . رغب الشهيد تصفية اعماله فذهب ليودع ابناء عمه رؤساء قبيلة الوحيدات ثم العودة للسفر إلى المنفى ، غير ان الوشاة ابلغوا جمال باشا ، بأنه قصد الى قبيله الوحيدات بغية الالتحاق بعرب شريف مكة وكان قد اعلن ثورته الكبرى على الحكومة التركية ، فغضب السفاح جمال باشا وأمر باحضاره الى القدس فأطاع ، وسيق الى الديوان العرفي الحربي لمحاكمته ، فحكم عليه وعلى عبد كان يرافقه للخدمة بالاعدام بهذه التهمة السخيفة ، ولو صح الزعم بازماعه على الفرار والالتحاق بأمير مكة لاجتاز الحدود دون توقف .

اعدام ولده – . وكان ولد المفتي الشهيد ضابطاً في الجيش ، فحكم عليه بالاعدام تشفياً وانتقاما وزوراً بحجة فراره من الجيش ، ولما وقف الاب على كرسي المشنقة أتى الجند بالابن مخفوراً ليقتل رمياً بالرصاص فودع والده . وكان موقفاً مؤثراً يذيب الجماد فاعدم الأب والعبد والأبن في آن واحد .

إن اعدام مفتي غزة بحجة محاولته الالتحاق بالعشائر الحجازية الثائرة مع شريف مكة ضد الأتراك ، ومن ثم اعدام ولده الضابط بحجة محاولته الفرار من الجيش ، كانت آخر جرائم القتل التي ارتكبها السفاح جمال باشا في البلاد العربية ، وهي توضح للقاريء ماكان عليه هذا السفاح من الانقياد الأعمى للوشاة المضللين ، وليته لم يؤلف المجالس العرفية لمحاكمة المتهمين ، مادام أمره نافذاً على المجالس حسب اهوائه . لقد كان الشهيد من العلماء الذين تعتز العروبة بعلمهم وفضلهم ووطنيتهم ، ولم يسبق ان اعدم جمال باشا أحداً غيره من رؤساء الدين ، على الشكل المفجع .

كان رحمه الله حاتمياً في كرمه ، فصيح اللسان ، طلي الحديث ، قوي الحجة ، يمقت الكذب ، والادعاء والرياء ، وهذه السجايا الفاضلة ، هي التي زادت في دعايات المرجفين ضده ، شأن كل ذي مكانة مرموقة وعلم مكين ، ولاقى ربه بطلاً وطنياً خاشعاً فادخله جنانه مع عباده الخالدين .

الشهيد زكي المرادي
١٨٨٢-١٩٢٦

هو ابن محمد مراد بن خليل المرادي، انحدرت اسرة المرادي من اصلاب عريقة في تالد المجد والشرف، وانجبت اعلام الرجال، كان لهم شأن علمي حافل بجلائل المحامد والمآثر.

ولد بدمشق سنة ١٨٨٢ م وكان في العهد التركي موظفاً في مالية محافظة حوران.

ولما قامت الثورة العربية الكبرى، كان يتولى أخطر مهمة وهي تأمين ايصال الرسائل الواردة من الامير فيصل الى زعماء حوران، وتوزيع النشرات الثوروية السرية، ورغم ما اتصف به الشهيد من الرزانة والحذر، فان امره انفضح، فقبض الاتراك عليه، ولقي اشد انواع الارهاق والتعذيب في سجنه، ثم حكم بالاعدام، وسيق الى حلب ليلقى مصيره فيها، عند انسحاب الاتراك اليها.



وشاء القدر ان يدخل الامير فيصل البلاد السورية، فلما علم بما حل بالشهيد المرادي الذي جازف بحياته وخاطر بروحه في سبيل نصرة الثورة العربية، أهتم للأمر وأبرق الى الاتراك المسؤولين بحلب، وأقسم بأن المرادي اذا اعدم، لينتقمن من الاسرى الاتراك، فاضطروا لاطلاق سراحه رغم أنوفهم تفادياً مما قد يحل بالاسرى الاتراك من انتقام وقتل وهكذا نجا المرادي من الاعدام بمشيئة الله، ولكنه كان على موعد مع القدر في ميدان المجد والخلود، حيث خاض معارك الثورة السورية عام ١٩٢٥م في الغوطة جهاداً في سبيل الله ووطنه، وأبلى فيها أعظم بلاء، وكتبت له الشهادة في ساحة الشرف وذلك يوم الثلاثاء في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ م ودفن في قرية بديلا.

ان نزوح الشهيد المرادي بعد التطويق العام من جبل الدروز، ثم عودته الى الغوطة مع (٤٠) مجاهداً ليعيد المعارك الى الغوطة مع المجاهدين الباقين، فيه منتهى الجرأة والبسالة، فقد انتشرت القوات الفرنسية في الغوطة تعيث فيها فساداً ونهباً وقتلاً، وفاجأه العدو على حين غرة، وكان باستطاعته الانسحاب والنجاة، ولكنه لم ينثن ولم يتقهقر، بل آثر الموت ذوداً عن حمى وطنه وحرية بلاده، وان استشهاد الفتى السيد شوكت البسطامي ابن شقيقة الشهيد المرادي قبله ببضعة ايام، فيه عبرة للشباب في الاجيال الصاعدة، وان في ذكرى هذين الشهيدين ما يثير اللوعة والشجن.



الاهـداء

الى الرمز الاسمى في نضاله وجهاده الوطني .

الى من كتب الله على يديـــه الاستقلال والجلاء والوحدة ،

فضرب على مفرق الفرقدين قباب خلوده وهو حي - بارك الله في حياته -

الى من تتجسم في شمائله العبقة أنبل معاني الوطنية والوفاء والتضحية ونكران الذات في سبيل القومية العربية

الى من أمسى الخالد المخلد في قلب كل عربي

الى فخامة المواطن العربي الاول الرئيس شكري القوتلي المعظم

أهـدي

ذكريات هذه الحلقة التاريخية

الفصل الثاني

توطئة

لمحة خاطفة عن مآثر الرئيس القوتلي

انشأ المؤرخون التاريخ ليسجل مآثر العظماء وآثارهم ، وماظهر منها من حسنات وسيئات .

وقد رأينا من الوفاء ان نمر على اربعين سنة خلت من حياة المواطن العربي الاول فخامة الرئيس شكري القوتلي المعظم مدَّ الله في عمره ، تلك الحياة التي طفحت بأطوار وادوار كان فيها احد من شقوا طريقها ، وناضلوا في انبعاثاتها منذ مطالعها الاولى .

ان التاريخ يروي قصة انبل عربي هجر احضان النعيم والعز ، الى غمرات النضال مفادياً بدمه وبماله طلباً لصنع تاريخ لقومه مليء بالامجاد ، ومن درس تاريخ الزعماء الذين قادوا الشعوب يرى عناصر الاخلاق الفاضلة والقوة الطاغية في الجرأة التي لم تعبأ بالحادثات والعقبات ، والوطنية المثلى والتضحية ونكران الذات قد تجسمت في سجاياهم وأهدافهم ، وحرصوا ان تكون سامية فتخطوا بفضل اخلاقهم وايمانهم القومي وتجردهم جميع المصاعب التي اعترضت سبل حياتهم .

لقد تولتني الحيرة حين رغبت أن أسجل مآثر القوتلي الزعيم العربي الجبار وآثاره ، فاقتصرت من بحر تاريخ حياته الحافل بجلائل الاعمال والاحداث التاريخية العظيمة على هذه القطرة .

تتابعت الاحداث على سورية فلم يجرفه تيار الوهن والقنوط ، ولا ونى واستخذى في كرامته ، وقد عصمه الله فلم يخن ، ولا جنح الى خيانة ، وقد رأينا أحداث العراق الاخيرة كيف اضلت بعض العناصر عن طريق الهدى والفضائل ، وتهالكت على الجشع تحت ستار الوطنية المزيفه ، وكيف سمت وطنية القوتلي فطاولت الثريا .

ان في جهاد القوتلي ذكرى الوطنية الاولى التي ايقظت في نفوس الأمـة السورية حب التضحية والشعور بالكرامـة القومية .

وفي الاستقلال السوري والجلاء ذكرى أمجد صفحة يسجلها تاريخ الجهاد الوطني للقوتلي ، الذي اندفع في الغمرات واحدة اثر اخرى في الثورات المتلاحقة فكان من جداوها ذلك الفتح المبين بزوال الانتداب الفرنسي .

وهكذا سجل التاريخ ذكرى اعظم الاحداث طراً التي تحققت غاياتها الوطنية المنشودة في عهد الرئيس شكري القوتلي العظيم ، بأقل المتاعب التي تصحب عادة احداث التاريخ .



المواطن الاول الخالد

فخامة الرئيس شكري القوتلي

انحدرت اسرة القوتلي من اصل عربي عريق المحتد ، ونزحت منذ ستة قرون من العراق الى سورية ، واختارت ربوع بردى موطناً لها بدمشق .

مرّت السنون ، فأنجبت افاضل الرجال ، ازدهر الحظ لهم ، وتسلقوا سلّم الحياة الى العلاء ، وانقادت لعصاميتهم المواهب في ميدان الحياة ، والحظ مرتبط بمدى السمي والصدق والامانة ، فبنوا مجدهم التليد على اساس متين من السجايا الفاضلة ، وغمرهم الله بنعمائه وخيراته ، فكانوا السراة الاماثل الذين ابتهجت بهم وجوه المعالي ، والاثرياء الاكرمين الذين اشتهروا بمحامدهم فوطئوا هامة الدهر .

في هذه البيئة الصالحة، بزغ نجم الزعيم العربي الاول الرئيس شكري القوتلي بدمشق سنة ١٨٩١ م ونشأ على خطى اجداده ، وللبيئة الفاضلة والنشأة الوراثية في ظل النعمة والصلاح والتقوى اعظم الاثر في التوجيه الخلقي .

تحصيله — : تلقى علومه في مكتب عنبر الثانوي ، ثم سافر الى الآستانة والتحق بالمكتب الملكي الذي كان يتخرج منه الحكام الاداريون في الدولة العثمانية ، ويتلقون فيه العلوم السياسية والادارية فتخرج منه سنة ١٩١٣م .

في الجمعيات العربية — : ظهر وميض القومية العربية في روح القوتلي ، فكان في الرعيل الاول بين شباب العرب الذين انتظموا في سلك المنتدى الادبي عند انشائه اثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م ، وكان في طليعة الطلاب البارزين حماساً واندفاعاً ممن كانوا ينادون بحقوق العرب في ديارهم ويسعون سراً الى استقلال البلاد العربية ، وعندما قامت نخبة ممتازة من شبان العرب بتأسيس جمعية (العربية الفتاة) كان القوتلي في مقدمة العاملين فيها ، وظل يوالي نشاطه السياسي فيها مدة حياتها .

صلاته بالهاشميين — : وخلال الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٥ م التقى القوتلي الاجل بالامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل الاول) في دمشق وتوثقت عرى الصداقة بينهما ، وانضم سموه الى جمعية العربية الفتاة ، واتفق مع اعضائها وبينهم القوتلي على العمل القومي المشترك لاستقلال البلاد العربية ، ثم وضعوا جميعاً اسس الثورة العربية الكبرى وحدود الاقطار العربية التي ينبغي ان يشملها الاستقلال ، ووضع تصميم العلم العربي وشكله وألوانه ، وهو العلم الذي رفعته سورية يوم أعلنت استقلالها في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ ، وكان مقرراً في ذلك الحين ان يتخذ كل قطر عربي يستقل بعد سورية هذا العلم نفسه ويضيف اليه نجمة تمثله ، فالدولة العربية الثانية التي تستقل بعد سورية يكون علمها نجمتان والثالثة ثلاث نجوم .

محنته وصبره

لما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع كان اول اهدافه القضاء على شباب العرب ، فاعتقل القوتلي في دمشق سنة ١٩١٥ م ثم اطلق سراحه ، وكان موضع مراقبة مع كل من له صلة بالامير فيصل ، ولما شبت الثورة العربية الكبرى في الحجاز مشت الاحداث تترى ، فاذا بالقوتلي رهين حبس ضيق يواجه فيه مع عدد من اخوانه ألوان التعذيب اكراهاً له على البوح والاقرار بأسماء حملة لواء الحركة العربية ، فيلوذ بالصمت المطلق صابراً على العذاب

وقد آثر الموت على الاباحة بأي سر من اسرار الجمعية التي ينتمي اليها بعد ان أيقن ان الاعدام نصيبه على كل حال ، فقرر ان ينهي حياته بيده وأغرى حارسه في السجن بعشر ليرات ذهبيه ليأتيه بموسى ، فجاءه به ، وفي غمرة من الاسى واليأس فصد عرق يده ، واستلقى على سريره متطامناً الى موت بطيء يعصم به مهج اخوانه ، وشاء الله ان يرى الحراس الدم يسيل من غرفته فحطموا بابها وشاهدوا ما حدث ، فأسرع الطبيب باسعافه ونقله ، وهو بين الموت والحياة الى المستشفى الوطني ، فبقي فيه (٢٥) يوماً نقل بعدها الى المعتقل ، ولولا ان الله اراد له غير ما اراد لنفسه ، لكان طليعة اول رعيل من الشهداء ، ثم احيل الى الديوان العرفي ، ولما نشبت الثورة العربية الكبرى غيّر الاتراك سياستهم فأفرجوا عن جميع المعتقلين السياسيين وكان القوتلي بينهم .

في العهد الفيصلي

وتتابعت الاحداث، فانتصرت الثورة العربية الكبرى وزال عهد الاتراك، ودخل الامير فيصل دمشق على رأس الجيش العربي ، وقد بادر شبان العرب الى الانضمام اليه وألفوا حزب الاستقلال العربي ليكون المظهر العلني لجمعية الفتاة وبرزت وطنية القوتلي ، فكان السباق بين اخوانه بالدعوة الى مقاومة الخضوع للأجنبي مهما يكن شكل الخضوع في أساليب مظاهره ، وتجلت اريحيته عندما اعلن انه يضع جميع ما يملك تحت تصرف الهيئة التي تتولى مقاومة الاجنبي ، وكتب صكا بذلك سلمه الى الامير زيد .

وكان الاجنبي المستعمر يراقب عن كثب عناصر الرجال السلبيين فبرز بين صفوفهم (القوتلي) في جبروته الوطني .

الانتداب الفرنسي

كانت المؤامرة على استقلال سورية بين الدول الكبرى المنتصرة اقوى من ان تقاوم في ذلك الحين ، فأسفرت عن كارثة ميسلون في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ م وضاع الاستقلال فعزم القوتلي على النضال .

الاجتماعات السرية

كان القوتلي خلال هذه الفترة على اتصال سري مع من يثق باخلاصهم وعقيدتهم الوطنية ، ومن ابرز اعماله السلبية ضد المستعمرين الفرنسيين ، انه اجتمع في دار الشهيد شفيق عمر باشا في داريا ، واثر توجيهه الى بعض المجاهدين البواسل بمهاجمة مخفر باب السريجة بدمشق ، ونسف الخط الحديدي وتدمير جسر الكسوة ، وكان هذا اول عمل ثوروي يقوم بتدبيره السيد القوتلي ، وأثر ذلك نزح واحرار البلاد الى مصر ، واصدر الفرنسيون احكام الاعدام عليهم غيابياً بتاريخ ٩ آب سنة ١٩٢٠ م ، ولكنهم ما لبثوا ان اوقفوا تنفيذ هذه الاحكام فعاد القوتلي الى دمشق .

في ميدان الجهاد

كان يوالي اجتماعاته السرية مع طائفة من اخوانه في تأسيس الثورة السورية الكبرى وتحضيرها ، واندلعت نيرانها سنة ١٩٢٥ م ، فحمل السلاح وبادر الى ساحة الشرف والجهاد ، واصدر الفرنسيون احكامهم عليه وعلى رفاقه بالاعدام ، وقام برحلات الى البلاد الغربية والعربية للدعاية لخدمة الثورة السورية وموازرتها ، وبذل كل ما يملك من جهد ومال في هذا السبيل .

جهوده في مصر وفلسطين

قام القوتلي في مصر بدعايات واسعة النطاق ضد الفرنسيين وألف رسالة اسماها (سورية الشهيدة) وصف فيها ما حل بدمشق من نكبات ووزعها على اقطار العالم ليطلعوا على الفواجع التي احسن وصفها .

ثم غادر مصر الى رام الله في فلسطين واشترك في تأسيس لجنة عليا للثورة تقوم مقام اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري وجمعية المنكوبين في مصر .

عودته الى دمشق

وفي سنة ١٩٣١م أوقف الفرنسيون تنفيذ الاعدام وصدر العفو العام ، فعاد القوتلي الى دمشق وانضم الى اخوانه الذين كانت تتألف منهم الكتلة الوطنية ، وكانوا يعملون في الداخل مطالبين باستقلال البلاد وبوحدتها واستمر النضال والكفاح الوطني ست سنوات الى أن أيقن الفرنسيون أنه لا بد من التفاهم مع الحركة الوطنية ، فدعت وفداً من رجال الكتلة الوطنية للسفر الى باريس للمفاوضة في عقد معاهدة ، فسافر اليها وفد برئاسة السيد هاشم الاتاسي رئيس الكتلة ، وترك امر ادارة الحركة الوطنية في الداخل نيابة عنه الى السيد شكري القوتلي فأدارها بحكمة وحزم ووطد أركان الجبهة الداخلية .

في الوزارة

وبعد عودة الوفد السوري من باريس حاملاً مشروع المعاهدة أجريت الانتخابات النيابية ، وفاز القوتلي بالنيابة بتأييد كلي ، وتألفت وزارة من رجال الكتلة الوطنية تولى فيها وزارتي المالية والدفاع ، ولما رأى من الفرنسيين سعياً الى النكول عن المعاهدة آثر الاستقالة بعد حين ليتولى قيادة العمل في الميدان الشعبي ، وكان انسحابه من الوزارة ضربة قاصمة لظهور المستعمرين الذين بدءوا ينظرون الى مواقف القوتلي السلبية بعين الحذر ، وقد صدقت فراسته فعطل الفرنسيون الحياة النيابية ، وبادروا الى زج الاحرار في السجون والمعتقلات وفي هذه الفترة العصيبة تولى القوتلي الجبار قيادة الحركة الوطنية ، وانقادت اليه الزعامة الشعبية ، فدوى صوته وقامت البلاد تدعمه بايمان واخلاص .

في الحرب العالمية الثانية

ولما انهارت فرنسا في الحرب العالمية الثانية ورزحت تحت نير الاحتلال الألماني حاول ممثلها في سورية أن يستميل الوطنيين ، ولكن القوتلي أصر على الاستقلال والوحدة ، وواصل واخوانه تدعمهم البلاد بأجمعها سياسة المقاومة والاضراب إلى أن دخلت الجيوش البريطانية سورية ، وقد مهدت لذلك باعلان استقلال سورية من قبل الجنرال كاترو ممثلاً عن الجنرال ديغول في ٨ حزيران سنة ١٩٤١ وبضمان من الحكومة البريطانية .

نكوث الفرنسيين

نكث الفرنسيون بعهودهم بعد الاحتلال البريطاني لسورية ، فقام الزعيم القوتلي الى اذكاء نار المقاومة ، وطاف البلاد داعياً الى وحدة الصفوف ومقاومة الاستعمار ، فاضطر الفرنسيون الى تأليف حكومة وقتية ، برئاسة السيد عطا الأيوبي لاجراء انتخابات نيابية سنة ١٩٤٣ .

رئاسة الجمهورية

تجلت الزعامة الشعبية الحقيقية في القوتلي عندما وضع قائمة مرشحيه ، فلم تكد تعلن حتى نجحت قائمته كلها ، واجتمع مجلس النواب ، وانتخبه بالاجماع رئيساً للجمهورية ، في ١٧ آب سنة ١٩٤٣م ، ومرت فترات لجأ الفرنسيون خلالها إلى مساعيهم الداخلية والخارجية لوضع العقبات في سبيل الاستقلال والرجوع الى عهدهم الماضي في سورية .

أبو الجلاء

كان القوتلي الجبار في زعامته ، يعارض الفرنسيين بجميع ما لديه من الوسائل ، وما تحلىّ به من حكمة وحزم ، ولا ينفك عن السعي للحصول على الجلاء التام ، وتسلّم جميع الصلاحيات ، وشاء القدر أن يقع العدوان الفرنسي ، في ٢٨ أيار سنة ١٩٤٥م ، ليكون فيه خاتمة المستعمرين ، وقامت الأمة السورية تقابل العدوان بالمثل ، حتى جاء نصر الله والفتح ، وانتهى بجلاء الفرنسيين عن البلاد السورية ، واستقلالها الكامل لا شرط فيه ولا قيد .

المشاريع العمرانية الكبرى

اهتم الرئيس القوتلي بعد الجلاء بتأليف جيش يحمي ذمار البلاد ، وانشاء المشاريع العمرانية والاقتصادية الكبرى ، التي يتمتع الشعب بفوائدها العملية ، كالهاتف الآلي ، وميناء اللاذقية ، ومشروع الغاب ، وجر المياه الى حلب ، وانشاء المستشفيات العديدة ، وتوسيع نطاق الجامعة السورية ، والتوسع الكبير في التعليم الثانوي والابتدائي والمواصلات ، وتنشيط الزراعة والصناعة ، وقد حملت مزايا الرئيس القوتلي المعظم ، التي برزت بأحلى مظاهرها نواب البرلمان السوري على تعديل الدستور ، لاعادة انتخابه مرة اخرى لرئاسة الجمهورية ، للاستفادة من مواهبه في اكمال الاعمال العظيمة التي بدأها .

الدسائس والانقلاب

ولكن الدسائس التي اختلقها الأفاكون من وراء الستار ، أحدثت الانقلاب الذي تولاه الزعيم حسني الزعيم ، ومن نكد الدنيا ، ان حسني الزعيم كان زعيماً في الجيش ، واقصي عن الخدمة لسوء تصرفاته ، وبات يطوي أيامه على موائد القمار الحقيرة في مقاهي حلب ، ولما وقعت حرب فلسطين إستدعاه القوتلي وأحسن الظن به فولاه قيادة الجيش ، وما استقام حتى أعماه الغرور المقرون بالاستخذاء ، فتنمّر وأساء الى من وثق به وأحسن اليه ، فحدث الانقلاب المشؤوم ، ورحل الرئيس القوتلي الى الاسكندرية ، ولبث فيها خمس سنوات ورغم ما بذله حسني الزعيم من جهد في البحث والاستقصاء عما تحدث به المرجفون فانه باء بالخيبة والفشل ، وظهر ان القوتلي كان في عهده أطهر من ماء السماء .

الاحداث السورية

كانت عناية الله أشفق على عباده من أن يستمر عهد حسني الزعيم ، فقد ظهرت عناصر جشعه وأنانيته ومطامعه باستغلال مركزه لغاياته ، وانحرف عن الأهداف السامية فلقي مصرعه الوخيم .

ثم حدث الانقلاب الثاني فتولى الشيشكلي ادارة البلاد ، الا ان هذا قد اعترف بما نشره وتناقلته الصحف السورية آنئذ عما يتمتع به القوتلي من سجايا فاضلة ، واعترافه بالندم والتفريط بحق القوتلي .

ثم حدث الانقلاب الثالث ، ومرّت هذه الاحداث التاريخية على البلاد السورية والقوتلي رابض كالأسد في الاسكندرية .

عودته الى وطنه

ما كان للعواصف ان تزلزل القوتـلي ذلك الجبل الصلد الأشم ، وللدهر ان يثلم هذا المهند العربي الصارم ، والتقي الصالح المتوكل على خالقه في كل اعماله ، لولا أن القدر القاسي شاء ان يكون ضحية المؤامرات ، فقام حسني الزعيم بانقلابه ، يشدّ أزره أناس عريقون في فنون الدس والمكائد ، فأرادوا اذلاله ، فأذلهم الله وأعزّه ، وأرادوا اهلاكه ، فأهلكهم الله ، ورأى العز الشامخ بعد إذلالهم .

وفي أواسط سنة ١٩٥٤م عاد القوتلي الى دمشق فلقي استقبال الفاتحين ، ولم ينس الشعب قط زعيمه المفـدى وانه هو الذي قاد الأمة الى استقلالها ومجدها ، ثم عاد الى الاسكندرية فقضى فيها شتاء سنة ١٩٥٤—١٩٥٥م .

وفي أوائل صيف عام ١٩٥٥ عاد الى دمشق ، وعندما اجتمع مجلس النواب في ١٨ آب سنة ١٩٥٥ م لانتخاب رئيس الجمهورية الجديـد بعد انتهاء مدة رئاسة السيد هاشم الأتاسي ، أجمعت الأكثرية الكبرى على اعادة انتخاب الرئيس القوتلي معلنة بقاء ثقة الأمة التي لا تتزعزع ولا تتبدل بالزعيم الذي قادها الى السيادة والاستقلال ، ودلّت في عملها هذا على ان تعديل الدستور الذي جرى سنة ١٩٤٧م كان الباعث الأكبر له شعور التقدير العام للرئيس والحرص على ان يظل مواصلاً جهوده في خدمة مصالح البلاد العليا ، ولا سيا قضية فلسطين التي كانت في اوج احتدامها .

الغايات السامية

ومنـذ ان استلم الرئيس القوتلي مقاليد الامور في ٦ أيلول ١٩٥٥ م دأب على جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، وتوطيد دعائم الاستقرار على أساس من الثقة والمحبة والتآخي في الداخل ، واستعادة مكانة سورية السياسية في الخارج وتقوية الجيش السوري وجعله حصناً منيعاً يحمي حدود الوطن ويؤمن سلامته .

وتنفيـذاً لهذه الغايات السامية جمع فخامته الاحزاب والكتل البرلمانية فقرّب وجهـات النظر وسعى لتشكيل وزارة ائتلافية تضم مختلف الاتجاهات القومية ، وقامت الوزارة الائتلافية بتوجيه فخامته بعقد الاتفاقات الاقتصادية مع كثير من الدول الصديقة ، وكان للقوتلي الفضل الاكبر في ايصال الاتفاق مع شركة نفط العراق الى هذه النتيجة بعد ان تعثرت المباحثات بين الشركة المذكورة والحكومة السورية سنوات عديدة ، وكان لمساعيه الفضل الاوفى في تحقيق القرض السعودي وتأجيـل القرض السابق ، وقد تمت هذه الاعمال خلال الفترة القصيرة من حكمه منذ استلام فخامته السلطة الدستورية في ٦ ايلول سنة ١٩٥٥ حتى آخر العام المذكور وكان لها الاثر الاكبر في تخفيف حدة الازمة الاقتصادية ، وفي تنشيط الاقتصاد السوري بوجه عام ، وفي تعزيز مركز سورية العسكري .

الوحدة الوطنية

أما الوحدة العربية فقد كانت احلامه وامانيه منذ نعومة اظفاره ، وقد جاهد من اجلها طيلة حياته على أسس متينة ، فدعا الى عقـد الاتفاقات الثنائية العسكرية مع الدول الشقيقة المجاورة بغية تقوية الدفاع المشترك وسرعـان ما استجابت مصر لدعوته المخلصة ، وعقدت مع سورية الاتفاق الثنائي العسكري فكان بشير خير للشعوب العربية ، وحافزاً لبقية الدول العربية لاتخاذ خطوات مماثلة .

اسبوع التسلح

لقد كان هم فخامة القوتلي الوحيد ، تقوية الجيش السوري المفدى ، فأحاط شؤنه بكريم رعايته ونبيل مقاصده ، فقرّب بين الشعب وجيشه وألّـف بين قلوبهم ، فأصبح وحدة قوية متماسكة ، وتجلّى هذا التآلف بأروع معانيه في في اسبوع التسلح الذي دعا اليه فخامة ، فبرهن الشعب عما يكنه لرئيسه العظيم من اجلال وتنظيم ، ولطلبه من طاعة واستجابة ، وعما يحمله في القلوب من حب وتقدير لجيشه ، وتضحية في سبيله .

رفيق العظم

١٨٨٢ - ١٩٢٥

اصله ونشأته — . هو المرحوم رفيق بن محمود بن خليل العظم ، ولد بدمشق الشام سنة ١٨٨٢ ميلاديه ولما بلغ السابعة من عمره ادخله والده احدى مدارس الروم لتعليم اللغتين العربية والفرنسية ، وقست عليه الاقدار فتوفي والده كهلا بعد سنة فخرج منها ، وكان شقيقه الاكبر خليل بك الضابط في الجيش التركي يرعاه بعطفه وحنانه ، فاستفرغ المجهود في العناية بأمره ، ثم وضعه في احد مكاتب دمشق واخذ مبادىء اللغة العربية عن المرحوم الشيخ توفيق الايوبي الشهير .



لم يقرأ كتاباً حافلا من كتب النحو والصرف ولا من كتب المعاني والبيان مما هذا الذكاء النادر الذي وضعه في مصاف العلماء المصنفين والشعراء المجيدين ، فامتلك ناصية القوافي فنظم الشعر قبل سن العشرين . وما تلك الهمة العالية والمواهب الفذة التي رفعته الى مقام الزعماء السياسيين ورجال الانقلاب المدبرين .

رحلته الاولى والثانية الى مصر — . زار شريف باشا من العائلة الخديوية وهو زوج خالته فاطمة برلنتي العظم دمشق ، ورآه فتوسم فيه الخير والنجابة فأخذه معه الى مصر وكان ذلك سنة ١٨٩٢ ميلاديه وبعد سنة اصيب بمرض العصب بتأثير الجهد وكثرة المطالعة والسهر ، فاضطر الى ترك المطالعة وسافر الى الاستانة ثم عاد الى دمشق لتبديل الهواء ، ولما عوفي من من المرض هجر الشعر ونظمه ومال الى الانشاء والتأليف ومعاشرة العلماء وكانت الاحوال الاجتماعية في البلاد السورية التي كانت ترزح تحت وطأة الحكم التركي تختلف عما هي الحالة الروحية الفكرية في مصر ، فسافر سنة ١٨٩٤ ميلادية ثاني مرة اليها واكتسب من بيئتها الثقافية ما اوقد نباهته ومواهبه فاستوطن مصر وتأهل بها .

مؤلفاته — . وفي سنة ١٨٩٤ م كتب اول مقاله في جريدة الاهرام ، ثم تابع نشر محاضراته التاريخية والعلمية وخطبه السياسية الشهيرة في الجرائد الكبرى كالمؤيد واللواء والاهرام والمقطم والمجلات الكبرى ، كالمقتطف والهلال والمنار والموسوعات . واول رسالة الفها سماها البيان لاسباب التمدن والعمران .

وفي سنة ١٨٩٤ ميلادية الف رسالة في كيفية انتشار الاديان وحاول تعلم اللغة الفرنسية ، لكن كثرة مشاغله وانهماكه بالتأليف والتحرير حالت دون المتابعة فترك تعلمها ورأى في نفسه ملكة وقدرة على التأليف ، فألف كتاب الدروس الحكمية ، قرظه الامام الشيخ محمد عبده وقرر تدريسه في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية . ثم الف كتاب تنبية الافهام ومطالب الحياة الاجتماعية والاسلام واستفزه الولع بتاريخ الاسلام الى وضع تاريخ جديد لمشاهير الاسلام من اهل الحرب والسياسة على غير النمط المعهود عند المسلمين ، اي على اسلوب جديد يمثل رجال الاسلام في اجلى مثال وقد تناول ذلك التاريخ كثيراً من اخبار دول الاسلام الاجتماعية والسياسية ، وافاض البحث في فلسفة التاريخ الاسلامي على وجه يتضح به حال تاريخ الاسلام ، فباشر ذلك التأليف على صعوبته سنة ١٩٠١ ميلادية منه الجزء الاول في سيرة ابي بكر ، ومن اشتهر في دولته تلك السنة تأليفاً وطبعاً ، ثم في اواخرها اتم الجزء الثاني في سيرة عمر بن الخطاب ، ولشدة البحث والتنقيب في

الكتب عاوده في اثناء تأليفه المرض القديم ،فأقعده بكل مشقة واستراح الى سنة ١٩٠٣م فكتب الجزء الثالث في سيرة المشهورين في دولة بن الخطاب وطبعه مع الجزء الرابع .

والف كتاب السوانح الفكرية في المباحث العلمية والجامعة الاسلامية، واوصى رحمه الله بمجموعة آثاره العلمية فأهداها الى المجمع العلمي العربي بدمشق . اما الكتب الخطية التي شرع فيها ولم يتمها فهي اثنان ، احدهما كتاب في تاريخ السياسة الاسلامية ثم وقف قلمه دون اتمامه واتمام اشهر مشاهير الاسلام وغيرهما ،ولو أتمه على المنهج الذي وضعه لكان اجل الكتب التي يحتاج اليها المسلمون على الاطلاق .

والثاني ، رسالة في الخلاف بين الترك والعرب، فيرجى ان يعتني المجمع العلمي باخراج وطبع مؤلفاته الخطية ونشرهاليطلع الناس على آثاره النفسية ومآثره الحميدة ، وكان يلازم الشيخ محمد عبده وهو يومئذ مفتي الديار المصرية فاستفاد من علمه الواسع وآرائه وتعاليمه ، ولازم فطاحل العلماء والقراء والادباء .

مواقفه السياسية — . دخل الفقيد اولا في جمعية الدستور، ثم في جمعية الاتحاد والترقي، ولما رأى نوايا الاتراك السيئة نحو العرب اسس حزب اللامركزية فكان رئيساً له ،وكان من مؤسسي حزب الاتحاد السوري ،وادى للعروبة خدمات جلى ، فكان من ارفع اعلامها زعامة وقدراً وابرزهم سمواً في العقيدة الوطنية واعظمهم لديها ذخراً ، اذا اعتلى المنابر للخطابة كان اميرها ، وان خط يراعه كان مهنداً مسلولا .

وخلال الحرب العالمية الاولى حكم عليه الديوان العرفي الحربي في عاليه بالاعدام غيابياً باعتباره رئيس جمعية اللامركزية في مصر . وقد قبض على شقيقه عثمان العظم وزج في سجن عاليه ، وبعد محاكمته تبرأ لعدم وجود علاقة له بالجمعيات العربية ، ولانه لم يدخل فيما دخل فيه اخوه ، وما وجد وثيقة تثبت ادانته .

ادبه — . كان الفقيد شاعراً مجيداً ، ويرى الشعر ثانويا لانه لم يكن يحب ان ينشر شيئاً من شعره ولا ان يظهره للناس ، اما لانه لم يكن يراه بالمنزلة اللائقة بشهرته كزعيم سياسي ومؤلف المعي واما لانه لم يكن يحب ان يسمى شاعراً ، وقد ذكرت في ترجمته بعض شعره استطراداً ليطلع الناس على ما اشتملت عليه روحه من رقة في نظم الغزل منها قوله :

سلّ سيفاً وصالَ فينا بأسمر	من قوام ومقلة تتكسر
عربي قد اعربت عن فؤادي	مقلتاه بما بها قد تسعر
ان سقماً بمقلتيه تبدّى	ليس سقماً بل ربما السكر أثر
ومنها: ان تهادى رأيت غصناً رطيباً	يتثنى وان رنا فهو جؤذر
ومنها: ان من يرحم المحب ويرفق	بمتل الهوى يثاب ويؤجر

احواله وأوصافه — . لقد تزوج رحمه الله ولم يرزق ولداً ، ووهبه الله الشمائل المثالية وتحلى بالآداب الاجتماعية التي عز نظيرها بين البشر في هذا العصر ، اما عزة نفسه وتواضعه ووفائه لاصدقائه وبره باهله وطهارة قلبه ونزاهة لسانه وحبه الخير للناس وحسن ضيافته وكثرة تصدقه ومساعداته للجمعيات الخيرية ، فتلك سجايا ومناقب لا يستعظم صدورها عمن ورث المجد والسؤدد كابراً عن كابر .

وفاته — . لقد أجهد نفسه بالمطالعة والتأليف ، فساءت صحته واعتزل السياسة وغيرها من الاعمال ، واشتد عليه مرض الربو وضاعف تصلب الشرايين ضعف القلب، وفي يوم عرفه ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ الموافق ٣٠ حزيران ١٩٢٥م اختطفه المنون فجأة وهو كوالده في سن الكهولة المبكرة ، ففقدت الامة العربية زعيماً كبيراً ، ودفن بمصر ولم يعقب ولداً ، ولو امتد اجله وكان في صحته لانتج من الاثار والتآليف مايشق على غيره اخراجها .

حقي العظم

١٨٦٤ - ١٩٥٥

هو ابن عبد القادر العظم ، ولد في دمشق سنة ١٨٦٤ م وتخرج في المدارس العثمانية ومدرسة الآباء العازاريين بدمشق .. ثم انتسب الى خدمة الحكومة ، وعقب حادث سياسي كاد ينفى بسببه آثر النزوح الى مصر ، وفيها انتسب الى سلك التعليم .



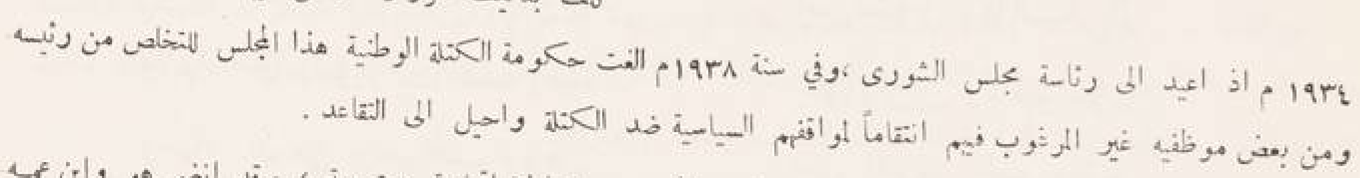
وفي عام ١٩٠٨ م عين مفتشاً لوزارة الاوقاف واستقال منها سنة ١٩١١م بسبب اعوجاج خطة جمعية الاتحاد والترقي التي كان صاحب الترجمة وابن عمه رفيق العظم من اعضائها ، وقد قلبا ظهر المجن لها وحارباها حتى النهاية .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ م كان في مصر ، وقد أصدر الديوان العرفي الحربي حكم الاعدام عليه غيابياً .

وفي عهد الاحتلال الفرنسي ،تولى رئاسة مجلس الشورى ، ثم عين حاكماً على مقاطعة دمشق .

وفي سنة ١٩٢٥ م اعيد الى رئاسة مجلس الشورى وانعم عليه بلقب (حاكم فخري) .

وفي سنة ١٩٣٢ م انتخب نائباً عن دمشق ، ثم كلف بتأليف الوزارة ،وظل فيها حتى أواخر سنة



١٩٣٤ م اذ اعيد الى رئاسة مجلس الشورى ،وفي سنة ١٩٣٨م ألغت حكومة الكتلة الوطنية هذا المجلس للتخلص من رئيسه ومن بعض موظفيه غير المرغوب فيهم انتقاماً لمواقفهم السياسية ضد الكتلة واحيل الى التقاعد .

اتجاهاته السياسية - . كانت سياسته في زمن العهد الحميدي ديموقراطية اتحادية دستورية ، وقد انضم هو وابن عمه رفيق العظم الى جمعية الاتحاد والترقي ، وكانا مربوطين بفرع طلعة باشا ، وقد أسس صاحب الترجمة باشتراك ابن عمه وبعض افاضل الترك والعرب جمعية (الشورى العثمانية) وكان يصدر جريدة اسبوعية بهذا الاسم باللغتين التركية والعربية .

وبعد اعلان الدستور في سنة ١٩١١ م رأى ان سياسة جمعية الاتحاد والترقي عوجاء عرجاء تضر بالدولة والعرب ، فانسحب هو وابن عمه وأخذا يحارباها .

وفي أوائل سنة ١٩١٢م أسسا جمعية اللامركزية ، وقد انتشرت مبادىء هذه الجمعية في الولايات العربية انتشاراً عظيماً وأسست لها فروع في المدن العربيــة الكبيرة .

ويقول البعض من الترك والعرب ان اعضاء اللامركزية كانوا أعداء للعنصر التركي ، وان مبدأ جمعية اللامركزية هو الانفصال عن الدولة العثمانية انفصالا تاماً ، وهذا القول غير صحيح ، ولايستند الى شيء من الحقيقة ، وما كان اللامركزيون ضد العنصر التركي قط ، بل كانت ضد جمعية الاتحاد والترقي التي كانت اضعف آلة يديرها فئة من يهود سلانيك الرجعيين (دونمه) .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، أوقف اللامركزيون اعمالهم ومساعيهم ، لأن الحرب جعلت مصير بلاد العرب مربوطاً بمصير الحرب ، فان انتصر الالمان وحلفاؤهم اصبحت الدولة العثمانية كلها تابعة لالمانيا ، وان انتصرت انكلترا او حلفاؤها تجزئت الدولة ، وباتت الولايات العربية غنيمة تفعل بها انكلترا او فرنسا كما تشاء آن .

لم ينضم المترجم الى الثورة الحجازية ، بل كان من القائلين بعدم تدخل ملك الحجاز وأولاده في شؤون سورية من جهة ، ومحاسنة فرنسا من جهة اخرى ، لأنه كان مطلعاً على نوايا فرنسا ، وقد عقدت العزم ان يكون لها شأن في سوريا ، فرأى من مصلحة البلاد ان تتبع ازاءها سياسة التفاهم (خذ وطالب) دون ان نسفك الدماء .

ومن الجمعيات التي اشترك المترجم في تأسيسها اثناء الحرب العامة في سنة ١٩١٥م أي بعد انحلال الجمعية اللامركزية (الجمعية السوريه اللبنانية) وكان عبد الله باشا صفير رئيساً لها ، وحقي العظم رئيساً ثان ، وقد انحلت هذه الجمعية بعد هدنة سنة ١٩١٩ م .

وكان المترجم يصدر مجلة فنية علمية مرة كل (١٥) يوماً باللغة التركية اسمها (مرآت) وكان رفيق العظم يشترك معه في اصدارها ويجيد المترجم اللغات العربية والفرنسية والتركية .

مؤلفاته : أصدر مؤلفاً بعنوان (ألاعيب المراقبة) والمالية العثمانية ومحاضر اجتماعات مجلس ١٨٧٧ م باللغة التركية ، وحرب الدولة العثمانية مع اليونان ، ودفاع بالفنا ، ورحلة الحبشة لصادق باشا المؤيد ترجمها من التركية باشتراك المرحوم رفيق العظم الى العربية .

وفاته : — انتقل الى رحمة ربه يوم الاثنين في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٥٥م اثر اصابته بالسكتة الفجائية والحد الثرى في مدفن الاسرة العظمية في مقبرة (الست الشامية) في القاهرة وانجب كريمة واحدة .

سامي العظم
١٨٩٠

هو ابن جميل بك العظم ، ولد في دمشق عام ١٨٩٠ م وتخرج من جامعة الحقوق في الآستانة سنة ١٩١٣ م .

وفي خلال الحرب العالمية الاولى اعتقل بأمر جمال باشا في سجن عاليه ، لانتسابه الى الجمعيات العربية ، وشاء القدر ان يطلع جمال باشا على الاوراق الموجودة في المنتدى الادبي وكان بينها صورة كتاب كان بعث به المترجم الى ابن عمه السيد رفيق العظم رئيس الجمعية اللامركزية في مصر ، وبه ينتقد على عقد اجتماع احرار العرب في باريس وان لاتتعدى الخلاف بين الاتراك والعرب حدود البلاد العثمانية ، وكان هذا الكتاب وصغر سنه عاملاً على تبرئته من قبل الديوان العرفي ، فأطلق سراحه وعاد الى الخدمة في الجيش العثماني . ثم انتسب الى السلك العدلي وتدرج في مناصبها فكان عضواً لمحكمة التمييز العليا ، ورئيساً للهيئة التفتيشية . وأخيراً احيل على التقاعد وسكن مصر ..

المنفيون من اسرة آل المؤيد العظم

قبل اعدام الشهيد المرحوم شفيق بك المؤيد العظم بشهر واحد ، اصدر جمال باشا امراً بنفي السادة : علي المؤيد واسرته ، وهو شقيق الشهيد ، وعثمان بن محمود العظم واسرته ، وتقي بن عبد القادر المؤيد العظم ، وهو والد البطل المجاهد المشهور نزيه المؤيد ، وخليل بن صالح بن مؤيد باشا العظم واسرته .

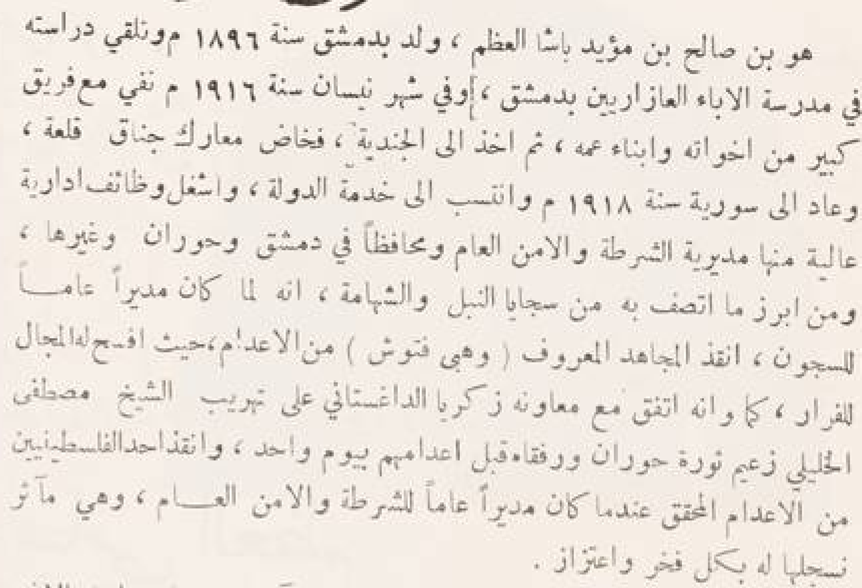
ولما كان ابطال آل المؤيد قد لعبوا دورا وطنيا مثالياً في الثورة العربية الكبرى ، والثورة السورية ، فقد رأينا من الوفاء ان نذكر لمحة عن كل منهم .

عمر بن علي بن مؤيد باشا العظم — . ولد بدمشق سنة ١٨٨٤ م وقدنفي مع والده واخوته الى بورسه في الاناضول ، وتمكن من الفرار مع اخوانه وابناء عمه من الاناضول ، واجتازوا الصحراء المخطرة الى مكة ، وانضم الى ثورة الملك حسين ، ثم عاد الى وطنه وعاش عزباً ، وتوفي عام ١٩٣٦ م ودفن في بيروت .

مأمون بن صالح بن مؤيد باشا العظم - . ولد بدمشق سنة ١٨٩٧ م وقدنفي الى الاناضول وفر مع ابناء عمه عمر وفائز واحمد والامير عبد القادر الجزائري والتحقوا بالثورة العربية الكبرى بالحجاز ، وحكم عليهم بالاعدام في العهد التركي ، وعاد مع الامير فيصل الى دمشق ، واشغل مناصب ادارية في قائمقاميات الجمهورية السورية ، واحيل على التقاعد سنة ١٩٥٧ م .

صفوح المؤيد العظم





هو بن صالح بن مؤيد باشا العظم ، ولد بدمشق سنة ١٨٩٦ م وتلقى دراسته في مدرسة الاباء العازاريين بدمشق ، وفي شهر نيسان سنة ١٩١٦ م نفي مع فريق كبير من اخوانه وابناء عمه ، ثم اخذ الى الجندية ، فخاض معارك جناق قلعة ، وعاد الى سورية سنة ١٩١٨ م وانتسب الى خدمة الدولة ، واشغل وظائف ادارية عالية منها مديرية الشرطة والامن العام ومحافظاً في دمشق وحوران وغيرها ، ومن ابرز ما اتصف به من سجايا النبل والشهامة ، انه لما كان مديراً عاماً للسجون ، انقذ المجاهد المعروف (وهبي فتوش) من الاعدام ، حيث افسح له المجال للفرار ، كما وانه اتفق مع معاونه زكريا الداغستاني على تهريب الشيخ مصطفى الحليلي زعيم ثورة حوران ورفقاءه قبل اعدامهم بيوم واحد ، وانقذ احد الفلسطينيين من الاعدام المحقق عندما كان مديراً عاماً للشرطة والامن العام ، وهي مآثر نسجلها له بكل فخر واعتزاز .

وكان يلقي الثناء المستطاب على محامد اعماله ومآثره ، ويتفادى ايقاع الاذى بحكم وظيفته بأي مخلوق ، ولما وقعت فاجعة الشهيد الشهبندر تطوع هو وابن عمه المجاهد الصنديد نزيه المؤيد فقبضا على القاتلين .

وفي سنة ١٩٤٣ م احيل الى التقاعد ، وعني بادارة مصالحه ، وهو من الشخصيات البارزة في المجتمع ، وامتاز بالصراحة والجرأة والاقدام والاخلاق الفاضلة .

احمد بن علي بن مؤيد باشا العظم — ، ولد بدمشق سنه ١٨٩٠ ، وقدنفي مع اسرته ، ولما ثار شريف مكة على الاتراك التحق في ثورته مع ابناء عمه ، ثم عاد الى دمشق ، واخذ يراقب الاحداث في وطنه ، ثم اشترك في الثورة السورية سنة ١٩٢٥ م وحضر بعض معارك الغوطة ، وتوفي سنة ١٩٣١ م .

مصطفى بن بهجت بن عثمان العظم — . ولد بدمشق سنة ١٩١٠ م كان والده من المناوئين للحكم الاستبدادي التركي فنفي معه الى بورصه في الاناضول ، ثم عاد مع ابيه سنة ١٩١٨ م والتحق في الثورة السورية سنة ١٩٢٥ م وهو فتى ، فاشترك في اكثر معارك الغوطة ، وكان شجاعا باسلاً مقداماً ، وبقي مع ابن عمه المجاهد الفذ نزيه المؤيد العظم والدكتور الشهيد عبد الرحمن الشهبندر في جبل الدروز ، ولما صدر العفو العام عاد الى دمشق ، وقد اصيب بمرض السل وهو في اوج شبابه فوافاه الاجل سنة ١٩٤١ .

احمد عزة باشا العابد
١٨٥٥ - ١٩٢٤

هو بن محي الدين الملقب بـ هولو باشا ابن عمر بن عبد القادر العابد ،ولد بدمشق سنة ١٨٥٥ م، تلقى علومه في مدارس دمشق وبيروت ، وأتقن اللغة التركية والفرنسية ، وقد أصدر جريدة اسبوعية باللغتين العربية والتركية ، سماها (دمشق) ، وكان مفتشاً للعدلية في سورية ، ثم توصل بذكائه الى الخدمة في الباب العالي فكان الكاتب الثاني في معية السلطان عبد الحميد بوساطة الشيخ ابي الهدى الصيادي الرفاعي ، ثم اشتد الخلاف بينهما ، وقد أسهم بالسعي في انشاء سكة الحديد الحجازية .

ثم غادر البلاد التركية اثر الانقلاب الحميدي سنة ١٩٠٧ م وتنقل بين انكلترا ، وفرنسا ، وسويسره ، وأخيراً أقام في مصر ، وكان في عداد الشخصيات البارزة التي آزرت رجالات العرب في طلب الاصلاحات في عهد الاتحاديين وتبرع بالأموال لمساندة الجمعيات العربية ، وقد حكم عليه بالاعدام غيابياً ، من قبل الديوان العرفي في عاليه . وقد وافاه الأجل في مصر سنة ١٩٢٤ م ونقلت رفاته الى مقبرة اسرته بدمشق .

الشيخ فوءاد باشا الخطيب
١٨٨٣ - ١٩٥٧

كان الشيخ فؤاد باشا بن حسن بن الشيخ يوسف الخطيب ، عضواً بارزاً في جمعية المنتدى العربي ، وأسس مع حقي العظم حزب الاتحاد اللامركزي وقد أثار نشاطه السياسي وقصائده الثوروية حفيظة السلطات التركية الحاكمة عليه ، فطاردته مع رفاقه من الحزب اللامركزي ، فغادر بلاده الى القاهرة ، وكان ذلك خيراً اذ انقذه البعد وجوده في مصر من حبل المشنقة التركي الذي فتك بأكثر زملائه العرب الاحرار في سورية ولبنان ، وقد حكم عليه بالاعدام غيابياً .



شاعر الثورة الكبرى — : كان مع نفر ، وهم اول من وضع الراية العربية بألوانها الاربعة ، التي انضوى تحت لوائها رجال العرب معلنين ثورتهم العربية الكبرى ، وقد انضم الى ثورة الملك حسين الاول سنة ١٩١٥م وفاوضه باسم العرب من اجل استقلال البلاد العربية وتولى وزارة الخارجية عام ١٩١٧ م ، ولما نودي بفيصل الاول ملكا على سورية ، عهد اليه بوزارة الخارجية وسافر معه الى لندن لحضور المؤتمر التمهيدي للصلح ، وكان معه في مؤتمر فرساي .

وفي عهد الاحتلال الفرنسي ، غادر سورية الى الحجاز وعين وزيراً للخارجية في المملكة العربية الهاشمية ، ثم كان

مستشاراً خاصاً للامير عبد الله في شرقي الاردن ، ثم نزح عنها سنة ١٩٤٠ م بعد ان سارت السياسة الراهنة فيها عكس عقائده الوطنية ، وعاد الى وطنه لبنان ، وفي عام ١٩٤٤ م استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود واصبح من مستشاري جلالته ، ثم عين سفيراً فوق العادة للمملكة العربية السعودية في افغانستان .

آثاره — : اصدر ديوانه الشعري الاول والثاني ، ورواية فتح الاندلس وله كتاب مخطوط بعنوان (نظرات في تاريخ الجاهلية) ، وكتاب قواعد اللغة العربية ، وألف كتاباً عن جغرافية بلاد العرب ، ويعتبر هذا العبقري شاعراً من الطبقة الاولى بين شعراء عصره .

وهذا نموذج من شعره البليغ في معانيه ومغازية الوطنية السامية .

وعهد اليه الملك السعودي بمهمة سياسية في لندن فشاهد من الملق والنفاق السياسي ما أنطقه بالحقيقة ، فقال يصف الواقع في قصيدة طويلة هذا مطلعها :

عـــلام ترقب ان تبل غليلا	والى م ترقب للعثار مقيلا
فانفض يديك من الذين بلوتهم	فلقد صبرت وما صبرت قليلا
هي عصبة دلفت اليك بموثق	لم يغن عنك وقـد عثرت فتيلا
وتحوطت في القول حتى خبأت	في طي كل تعهد تأويلا

ومنها — :

حتى اذا انحسر القناع تحققت	ان السيـاسة لم تزل تضليلا
فاكتب عهودك بالحسام فانـه	خـير اليراع مجرداً مسلولا
ان الوثيقة لا تكون وثيقة	الا اذا كان الحسام كفيلا
ما كان يخصمك الذي خاصمته	لو كان سيفك في يديك ثقيلا

وفاته — : اصابته ذبحة صدرية وهو في مقر عمله في السفارة السعودية في كابول عاصمة الافغانستان ، وبعد ثمان ساعات اصابته نوبة ثانية فـــارق اثرها الحيـاة الى دار الخلود ، وذلك في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين في ١٥ نيسان ١٩٥٧ م ، وقـد نقل جثمانـه من كابول الى لبنان حيث الحد الثرى في مسقط رأسه قريـــة شحيم في ٢٧ نيسان ١٩٥٧ م .

نجيب البرازي

١٨٨٢

مولده ونشأته — : ولد في حماه سنة ١٨٨٢ م وتخرج من مدارس حماه الثانوية .

نفيه — : عين في العهد التركي مستشاراً لبلدية حماه ، وفي عام ١٩١١م انتخبت عضواً لدى مجلس الولاية فبقي حتى عام ١٩١٥م حيث اصدر السفاح جمال باشا امره بنفيه الى الاناضول، فأقام من سنة ١٩١٦م الى ١٩١٨ م ، ثم عاد الى وطنه وعين رئيساً لبلدية حماه وقام بمشاريع عمرانيه فاستمر فيها حتى استقالته في سنة ١٩٢٥ م .

اتهامه — : أتهم بالتحريض عنـد قيام ثورة فوزي القاوقجي في حماه ، وقد سجن واحيل الى محكمة الثورة الاستثنائية العسكرية فأصدرت قرارها ببرائته . وفي عام ١٩٣٦ م ، اوقف وسجن في بيروت .

في المجلس النيابي — : مثل حماه في مجلس الاتحاد السوري عام ١٩٢٢ م ، وانتخب نائباً عن مدينة حماه في المجلس النيابي السوري لدورات نيابية ثلاث في سني ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ م ، وكان من اعضاء الكتلة الوطنية البارزين .

خالد الحكيم
١٨٧٨ - ١٩٤٤

أصله – هو المرحوم خالد بن ياسين بن محمد بن السيد عبد الله المكي الاشبيلي من عائلة عربية منسوبة لآل الحسين (بن علي رضي الله عنهما) ، استوطنت حمص بعد نزوحها من الاندلس منذ اكثر من أربعة قرون ، واشتهرت بعراقتها في العلم والفضل ، ثم امتهنت الطب طول قرنين فأصبحت تعرف بآل الحكيم .



مولده – ولد خالد الحكيم في حمص من أبوين فقيرين، عام ١٨٧٨ م ، وأمه من عائلة آل باشات الحمصية ، وتثقف على يد عمه وهو من علماء حمص المبرزين .

دراسته العالية – دخل المدارس التركيه في دمشق والآستانة ، وتخرج منها مهندساً عسكرياً ، ثم مهندساً في الخط الحجازي قبيل انشائه بقليل ، فظل يعمل في هذا الخط منذ المباشرة فيه الى الانتهاء منه ، وتعرف أثناء عمله هذا بالبلاد العربية وبأحوالها ، ثم عين في الآستانة وظل فيها مدة طويلة الى قبيل الحرب العالمية الاولى ، وفي تلك العاصمة الكبرى التي كانت ملتقى التيارات السياسية والعواصف القومية الناشئة ، والافكار التجددية الثورية تعرف خالد الحكيم بأكثر رجالات العرب آنئذ ، وكانوا مثله شباباً قد انهوا دراستهم العالية ،وانتهوا الى ما يحاك ضد بلادهم من الدسائس والمؤامرات ، والتقى هنالك بمواطنه الحمصي المرحوم الشهيد عبد الحميد الزهراوي ، فاشتدت أواصر الصداقة بينهما واتفقا على العمل السياسي سوية لقضية الوطن العربي ، فأخذا يدعوان الى ضرورة اجتماع كلمة العرب للوقوف امام سياسة الاتحاديين الرامية الى تبديد البلاد العربية ، وذلك بمنح بعضها الى الدول الاستعمارية ، وتتريك البقية الباقية بتقتيل متنوري تلك البلاد ، في مجازر عامة أو في حروب مقبلة ، ومجاعات مدبرة كالتي حدثت فيما بعد في ارمينية ولبنان ، فلقيت دعوتها أذناً صاغية لدى اكثر شباب العرب ، واشتد الجدل والمهاترات السياسية بين هذه الفئة العربية وبين الصحف التركية الناطقة بلسان الاتحاديين والمناضلة عن سياستهم .

المطالب العربية – لقد استقر رأي هؤلاء الشبان على المطالبة بسياسة لامركزية تتمتع فيها البلاد العربية بالنصيب الاكبر من الاستقلال والازدهار ، وفي هذه الاثناء قامت حرب طرابلس الغرب التي باعها الاتحاديون للطليان سراً،فهرب خالدالحكيم من سورية الى مصر وعبر الحدود المصرية الطرابلسية،والتحق بالمجاهدين القادمين من شتى بلاد العرب لجهاد الطليان ، وظل فيها يحارب اكثر من سنتين في طرابلس وبرقة حتى أوشكت الثورة ان تنقضي ، وحتى لجأ أكثر المجاهدين فيها الى مصر ،فعاد خالدالحكيم الى مصر ومنها الى سورية ، ولكن الحرب العالمية الاولى انفجرت فجأة فقطعت تلك المساعي وظهرت نوايا الاتحاديين في تحقيق سياسة التتريك المرتكزة على افناء متنوري العرب ومثقفيهم والعاملين لقضيتهم .

الطاغية التركي جمال باشا– وفي هذه الفترة استدعى خالد الحكيم للجيش التركي وذهب مع فرقته الى ترعة السويس واشترك في حرب الانكليز ، ثم حدثت الهزيمة فعاد الى سورية ، وعاد الى سابق نضاله لسياسة الاتحاديين .

وما كاد جمال باشا يتسنم الحكم المطلق في سورية حتى أدرك خالد الحكيم قرب الكارثة التي ستنزل برجالات العرب ، فنبّه اخوانه وحثهم على تدبر الأمر ، ولكن القضاء وقع وقبض على من قبض عليه منهم وسيقوا الى محكمة عاليه ، وتمكن خالد الحكيم من الفرار مع سبعين مجاهداً مسلحاً ضربوا بادية الشام طمعاً في تأسيس ثورة فيها ، ولكن رؤساء القبائل فيها كانوا قد باعوا أنفسهم للطاغية جمال باشا ، فقصد اولئك المجاهدون الجزيرة العربية للغاية نفسها ، وعلموا في الطريق ان ثورة الشريف حسين قد ذرّ قرنها في الحجاز ولقيت استجابة لدى اكثر العرب ، فكانت هذه الفئة من أبناء سورية اول من ثار على الاتراك ثورة مسلحة ، وبعد اربعة اشهر من ضرب في الصحراء وتيه في فيافيها تمكنت هذه الفئة المؤمنة بحقها وحق امتها في الحياة من بلوغ مكة المكرمة .

التحاقه في جيش الثورة العربية – التحق خالد الحكيم في جيش الثورة العربية وعمل فيها كضابط في العقبة وأبي اللسن ، ثم في مصر وفلسطين وسورية .

وقعة ميسلون – ولما حدثت وقعة ميسلون الخالدة اشترك خالد الحكيم فيها ، وبعد دخول الفرنسيين دمشق لجأ الى شرقي الاردن في عداد من لجأ اليها من المجاهدين العرب املاً في استئناف الجهاد ضد الفرنسيين ، فظل خالد الحكيم في شرقي الاردن يعمل مهندساً للأشغال العامة وينتظر استئناف الجهاد ، ثم غادر شرقي الاردن فجأة الى فلسطين بعد أن تبلّغ في عمان حكم المحكمة العسكرية الفرنسية في دمشق عليه بالاعدام .

سفره الى مصر – ثم ذهب الى مصر وقضى سنوات فيها تعرف خلالها على بقية الرعيل الاول من ساسة العرب الأحرار الذين لجأوا الى البلاد العربية فأكرمت مثواهم .

ولما قامت الحرب بين الوهابيين والهاشميين في الطائف ، أرسل السلطان عبد العزيز آل سعود يستدعي خالد الحكيم للاستفادة من خبرته العسكرية ، فسافر ومعه صديقه الضابط العقيد حسن وفقي بك وهو من أبرز العسكريين الذين أنجبتهم سورية والتحقا بالجيش السعودي ، واشتركا في معركة جدة التي دامت زهاء سنة ، ولما سقطت جدة كان خالد الحكيم ممثل سلطان نجد لاستلامها من الهاشميين .

مستشار الملك – وبعد ان دانت الحجاز لآل سعود اصبح خالد الحكيم مشاوراً الملك عبد العزيز وصديقه المقرّب ، وقدم للحكومة السعودية أجلّ الخدمات في أحلك ساعات حياتها في حرب الحجاز وفي ثورة فيصل الدويش وثورة ابن رفادة وحرب اليمن ، وسافر مراراً الى اوروبا لشراء أسلحة لتلك الدولة الناشئة .

مرضه الفجائي – حدث أمر غريب وهو وقوع خالد الحكيم ومحمود حموده فجأة في مرض واحد غير مألوف ، على الرغم مما عرف به الاثنان من متانة البنية وكمال العافية والنشاط ، فأما محمود حموده فقد قضى سريعاً ، رحمه الله ودفن في الحجاز ، وأما خالد الحكيم فقد نقل الى دمشق والجفاء مستحكم بينه وبين الملك عبد العزيز ، وظل خالد الحكيم وفياً لصديقه الذي حباه بالود والاحترام طوال سنين خلت ، ظل يعالج سكرات الموت ، وويل الداء في داره بدمشق مدة سنتين .

وفاته – لبى نداء ربه في اليوم الرابع من شهر حزيران سنة ١٩٤٤م ، ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق .

كان خالد الحكيم من اوسع رجالات العرب ثقافة علمية حديثة وثقافة عربية قديمة ، يتقن عدة لغات اجنبية ، ومن أقواهم حجة وذاكرة ومحاكمة، واسلسهم حديثاً ومجالسة ، متين الاطلاع على تاريخ العرب وأحوالهم الحاضرة ، وله نظرة عميقة مكينة في السياسة واستطلاع عجيب لمستقبل الامة العربية ، وكان لين العريكة محباً للفقراء يأنس بهم ويرى فيهم الخير كل الخير في الامة صادق القول والمودة ، اجتمع مع آل الجندي بالاخوة المتينة مع المرحومين الشهيدين عزة الجندي وصادق الجندي ، فلم يقدم حمص مرة في حياته الا وكانت هذه العائلة اول من يزورها من اهلها .

وكان لخالد الحكيم ولع باللغة والادب والشعر ، تتلمذ على المرحوم العلامة الشيخ احمد النبهان ، وقرأ خلال اقامته في مصر على الشيخ طاهر الجزائري علامة سورية ، ولم يظهر قبل خالد الحكيم ولا بعده رجل يعرف بلاد العرب ورجالاتها وأحوالها وحكوماتها ودقائقها مثله ، وذاكرة خالد الحكيم واخلاصه لقضية العروبة مضرب المثل .

الدكتور شبلي شميل

١٨٥٣ - ١٩١٧



هو ابن ابراهيم شميل ، ولد في قرية كفر شيما سنة ١٨٥٣م وتلقى دراسته في الجامعة الاميركية ببيروت .

نزح الى مصر واقام في الاسكندرية وطنطا والقاهرة . واصدر مجلة (الشفاء سنة ١٨٨٦ الى ١٨٩١ م) والف فلسفة النشوء والارتقاء ، وله عدة رسالات منها (المعاطي) وشكوى وآمال وآراء الدكتور شميل وسورية ومستقبلها وشرح مذهب داروين .

كان جريئاً في الحق لاتلين له قناة في مهاجمة الظالمين ، وكان من طلاب الاصلاح في العهد التركي ، وقد حكم عليه بالاعدام غيابياً من قبل الديوان العرفي الحربي في عاليه وحكم كذلك على ولدي عمه سليم وماريون شميل بالاعدام ، وافاه الاجل في القاهره فجأة .

الشيخ سعيد الكرمي

١٨٥١ - ١٩٣٥

أصله ونشأته — : هو ابن علي بن منصور الكرمي ، ولد في مدينة طول كرم الفلسطينية سنة ١٨٥١ م وأصل اسرة الكرمي من عرب اليمن ، وقد استوطنت مصر ولما فتح ابراهيم باشا المصري فلسطين وسوريا أتت اسرة الكرمي مع عوائل كثيرة واستوطنت طول كرم وهذا سبب تكني الاسرة بـ (الكرمي) .

نشأ في مهد العلم والادب وتلقى دراسته العلمية في الازهر ونال شهادته العالية ، كان حجة في العلوم الشرعية والفقهية فعهد اليه بالافتاء في طول كرم .

حياته الوطنية — . كان من الرعيل الوطني الاول الذين تطوعوا لانقاذ البلاد العربية من براثن الاتراك المستعمرين ، وكان معتمداً لحزب اللامركزية في قضاء بني صعب ومن احرار العرب الذين حكمهم السفاح جمال باشا في المجلس العرفي خلال الحرب العالمية الاولى في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم باعدامه — . كان من الداخلين في الجمعية ومعتمداً لها في بني صعب ، وكان ارسل باسم المومأ اليه تحرير من التحارير العمومية رقم ٤٠٣ وقد أنكر هو ذلك ، لكن عند مواجهته بمحمد الشنطي افاد محمد الشنطي بأنه هو الذي أعطاه التحرير المذكور بالذات .

وقد حكم المترجم مع نائب يافا حافظ السعيد وحسن حماد بالاعدام وقد أبدل الحكم على السعيد والكرمي بالسجن المؤبد لتقدمهما في السن ، وسيق المترجم الى سجن قلعة دمشق حيث قضى فيه مدة سنتين وتسعة اشهر حتى انتهت الحرب العامة فعاد الى طول كرم .

مواهبه الادبية . كان آية في الذكاء وقوة الذاكرة ، امتلأت الصحف والمجلات بروائع محاضراته وابحاثه العلميه التي كان يلقيها في المجتمع العربي ، وله منظومات شعرية بديعة وموشحات وطنية واجتماعية متنوعة ، وقد وصف سجنه ومحنته ومالقيه من عذاب وشقاء وحرمان بموشح طويل .

خدماته – . عين في عهد حكومة الامير فيصل الاول نائباً لرئيس المجمع العلمي بدمشق ثم قاضياً للقضاة في حكومة شرقي الاردن، وبعدها عاد الى طول كرم .

أنجب الاديب العبقري المرحوم احمد شاكر الكرمي والشاعر الوطني الملهم الاستاذعبدالكريم الكرمي المشهور بأبي سلمى .

وفاته – . انتقل الى عالم الخلود في سنة ١٩٣٥ م ودفن في طول كرم .

الحاج حسن حماد

هو من وجوه مدينة نابلس ومواليدها ، كان ملاكاً ومزارعاً في قرية (تياسير) شرقي نابلس ، وقد ذكره (محمد الشنطي) اثناء التحقيق الجاري في ديوان الحرب العرفي بعاليـه ، بأنه معتمد حزب اللامركزية في نابلس ، فتوارى عن الانظار ، وكان عمه الحاج توفيق حماد مبعوث نابلس على اتصال بأولي الامر ، فزينوا له تسليم ابن اخيه ، فانقاد لرأيهم وتعهد لهم بتسليمه ، فأتى المترجم متنكراً مع عمه الى دمشق ، فوصلها في مساء اليوم الذي نفذ فيه حكم الاعدام بالقافلة الاولى ، فعـدل عن التسليم واوغل في التنكر والاختفاء ، وساقتـه الاقدار وهو يسير على غير هدى من شدة الصدمة التي اعترته واشعر بأن مصيره الاعدام حتماً ، فالتجـأ الى احد بيوت اسرة آل الخطيب الدمشقية المعروفة واختبأ في بيتهم ، ودفعتهم الشهامة العربية ان يهتموا بأمره والمحافظة عليه ، ولكيلا يشعر بالاحراج من خيانته لهم زوجوه فتاة من اهل البيت ، فكان صهرهم ، وبقي متوارياً حتى انتهت الحرب ، وقد حكم عليه بالاعدام غيابياً ، وكتب الله له النجاة والحيـاة فأنجب (شاكر) في نابلس ، وقد وافته المنيـة سنة ١٩٣٦ ودفن في مسقط رأسه .

صبحي كاظم ابو الشرف بن سعيد شهاب

كان ضابطاً في الجيش التركي ومنتسباً الى جمعية العهد العربية ، وقد انفضح امر نشاطه الوطني ، فحكم عليـه بالاعدام ، وتمكن من الفرار والاختفاء مدة اربع سنوات ، وقامت السلطة العسكرية تجد بالتحري عليه والتضيق على اهله للقبض عليه ، وصدف ان اجتمع جمال باشا السفاح بالمرحوم السيد ابي الخير عابدين مفتي دمشق فسأله عن صهره الفار ، وانه لابد من القبض عليه وشنقه ، فقال له المفتي ، اذا سلم نفسه ماذا تفعل به ، اجابه اني امهـله ليأتي مستسلماً خلال مدة اسبوع فأعفي عنه ، وقام المفتي بتسليمه فوفى السفاح بوعده وعفى عنه .

فارس نمر

١٨٥٦ - ١٩٥١

هو ابن نمر بن فارس من أسرة ابي ناعسة ، ولد في حاصبيا سنة ١٨٥٦ م ، وفي حوادث سنة ١٨٦٠ م قتل ابوه خـلال الفتنة الهوجاء ، وقد تخرج من الكلية السورية سنة ١٨٧٤ م ونزح الى مصر في اواخر سنة ١٨٨٤ م وانشأ مـع زميليه حروف وشاهين مكاريوس ، فأصدروا جريدة المقطم ، وكان من اعضاء مجلس الشيوخ المصري ومجمع اللغة ، وأنشأ مجلة المقتطف المشهورة في بيروت ثم في القاهرة سنة ١٨٨٥ م وترجم بعض الكتب المفيدة .

وقد حكم عليه الديوان العرفي العسكري في عاليه بالاعدام غيابياً لعلاقته باللامركزية .

داوود بركات

١٨٦٧ - ١٩٣٣

هو ابن يوسف ابن الخوري عبد الله بن يوسف بن بركات ، ولد في قرية (بحشوش من اعمال كسروان ، بلبنان) وقد نزح الى مصر عام ١٨٩٠ ، فحرر في جريدة المحروسة وتعاطى التدريس ، وكان مطلعاً على اللغتين العربية والفرنسية ، وأسهم في اصدار جريدة الاخبار ، وفي تحرير جريدة الاهرام لصاحبها بشارة تقلا سنة ١٨٩٩ م ، وبعد وفاة صاحبها تولى أمرها فاتسع انتشارها حتى أصبحت اكبر صحيفة في الشرق .

وله مؤلفات مفيدة ، وهو من جملة الذين اصدر الديوان العرفي الحربي في عاليه الحكم باعدامهم غيابياً .

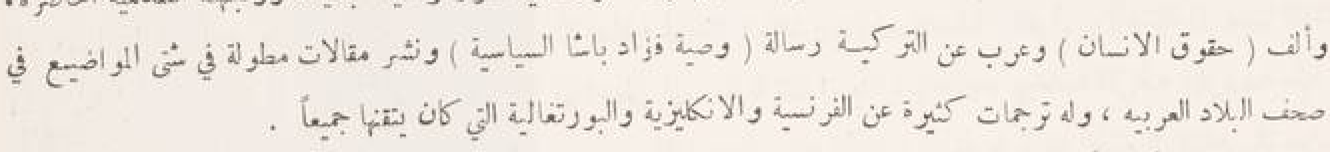
جميل المعلوف

١٨٧٩ - ١٩٥١

هو ابن ابراهيم باشا بن نعمان المعلوف ، ولد في زحلة سنة ١٨٧٩ م ، هاجر الى نيورك وأسس مع عمه يوسف نعمان المعلوف سنة ١٨٩٩ جريدة (الايام) وجاهدا فيها ضد الاستعمار التركي ثم عاد الى لبنان سنة ١٩١٤ .

كان عضواً بارزاً في الجمعية اللامركزية ، وفي سنة ١٩١٥ م أمر جمال باشا بتوقيفه في السجن ، وكانت جريدة الايام موجودة لدية وهي كافية لادانته ، وقد لقي من التعذيب والتنكيل والارهاق مالايحتمل فاصيب بانحلال عصبي ، فأفتى شيخ الاسلام بعدم جواز شنق المعتوه ، فبقي في العصفورية ، وخصص سبعة عشر طبيباً لمراقبته، وفحصه ، واختلف الاطباء في تقدير مسؤولية أعماله الوطنية ، وبقي في العصفورية حتى سنة ١٩١٧ م ثم اطلق سراحه واعتزل في منزله .

آثاره - ألف كتاب تركيا الفتاة ، وهو من الكتب القيمة التي اعتمد على آرائه فيها مصطفى كمال أتاتورك في تطور تركيا الجديدة ووثبتها التقدمية الحاضرة،



وألف (حقوق الانسان) وعرب عن التركية رسالة (وصية فؤاد باشا السياسية) ونشر مقالات مطولة في شتى المواضيع في صحف البلاد العربيه ، وله ترجمات كثيرة عن الفرنسية والانكليزية والبورتغالية التي كان يتقنها جميعاً .

كان شعراً مجيداً وله قصائد كثيرة ضاع اكثرها بسبب سجنه وتعذيبه .

وفاته - . وافاه الاجل في آخر شهر كانون الثاني سنة ١٩٥١ م ودفن في زحلة ، وأعقب كريمة واحدة من زوجته الكندية التي إقترن بها سنة ١٩٠٧ م .

الشيخ قسطنطين يني

١٨٨٥

هو ابن عبده يني اليوناني الأصل ، ولد في بيروت سنة ١٨٨٥ م تلقى دراسته في الكلية الوطنية ، وكان من رفاق العلامة المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني والشيخ علي ناصر الدين ، وقد اختار العمل في ميدان الصحافة وحرر في جريدة المنار ، ونشر مقالاته الرنانة في كثير من المجلات والصحف .

وقد حكم عليه بالاعدام خلال الحرب العالمية الاولى من قبل الديوان العرفي الحربي الذي ألفه السفاح جمال باشا في عليه ، واستطاع الافلات من حبل المشنقة والوصول الى مصر واليونان ، ولما اندلعت نيران الثورة العربية الكبرى ، التحق بثورة الحجاز ، وكان من حاشية الملك حسين المقربين ، ولقي من الانكليز والفرنسيين الكثير من الارهاق والتنكيل والاضطهاد .

واشترك في تحرير جريدة حمص الغراء ، وكان شاعراً وكاتباً وخطيباً ألمعياً .

وافاه الاجل ليل الجمعة – السبت في ١٦ – ١٧ من شهر ايار سنة ١٩٤٧ ودفن في بيروت .

نظم قسطنطين يني

ايها الرسم أنت رسم شباب   سحقته حوادث الأيام
أينما سرت تلتقي بحبيب   وأنا دائماً شقائي امامي

محب الدين الخطيب



هو العلامة العربي الاشهر السيد محب الدين بن السيد ابي الفتح بن السيد عبد القادر بن السيد صالح بن السيد عبد الرحيم بن السيد محمد الخطيب ولد قبل ظهر يوم الاثنين مسلخ شوال سنة ١٣٠٥ هـ و ١٨٨٧م .

مراحل حياته – : أخذ الشهادة الابتدائية من مدرسة ملك الظاهر في سنة ١٨٩٦ م ، واخذ الشهادة الثانوية من مدرسة بيروت الاعدادية في سنة ١٩٠٤ م ولازم مدرسة الحقوق بالآستانة الى سنتها الثالثة ثم اضطر الى مفارقة تلك المدينة عام ١٩٠٧ م لشدة المراقبة المفروضة عليه ، وشاءت الاقدار ان يكون المرحوم فريد باشا اليافي هو المندوب لتفتيش غرفته فستر عنه ولولا ذلك لناله العذاب والتنكيل فكان ذلك بسبب سفره الى اليمن وعاد عقب اعلان الدستور فلبث في سوريا والآستانة لبضعه اشهر ثم هاجر الى القاهرة سنة ١٩١١ م .

وفي غرة ذي الحجة ١٩١٤ م سافر الى الهند ومنها الى الخليج الفارسي ليدخل الى نجد فاعتقله الانكليز امام بندربوشير وسجن بالبصرة مدة عشرة أشهر ، ثم عاد الى القاهرة دون ان يتمكن من السياحة التي بدأ بها .

وفي عام ١٩١٦ م طلبه الملك حسين لتأسيس جريـدة القبلة في مكة فأسسها واصدرها الى الشهر الذي ارتفع فيه العلم العربي على دمشق فسافر بطريق البر الى المدينة ومنها في السكة الحديدية الى دمشق ولبث فيها مديراً لجريدة الحكومة الى يوم دخول الافرنسيين دمشق فتوارى ثم تمكن من العودة الى القاهرة بطريق فلسطين على الجمال الى يافا ومنها بالسكة الحديدية الى القاهرة وهو فيها الى الآن . وهو من مؤسسي حزب اللامركزية في مصر سنة ١٩١٢م .

مؤلفاته — : كان حزب اللامركزية في مصر اوفده الى العراق ليدرس احواله ويتصل بزعمائهم ومفكريهم اتماماً للمفاوضات التي كانت بدأت بين الانكليز والحزب اللامركزي بمصر بشأن القيام بالثورة ضد الاتراك .

اصدر مجلة الفتح والزهراء ومكتبة الحبيب وترأس تحرير مجلة الازهر .

ويعتبر المترجم من افذاذ اعلام العرب وهو اعلم من كتب في الشؤون العربية دون منازع .

وخلال الحرب العالمية الاولى اصدر المجلس العرفي في عهد جمال باشا السفاح حكم الاعدام عليه وشاءت الاقدار ان يكون في مصر فينجو من حبل المشنقة .

فايز الخوري

هو ابن السيد يعقوب الخوري تخرج من جامعتي الآستانة وباريس في الحقوق وزاول مهنة المحاماة ، ولما تولى جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سورية سيق موقوفاً الى الديوان العرفي الحربي لانتسابه الى المنتدى الادبي وقد أصيب بالملاريا فظنه الطبيب انه مصاب بالتيفوس وبعد اعدام القافلة الثانيـة ، اطلق سراحه .

خدماته . — كان عضواً في الجمعية التأسيسية والمجلس النيابي وتولى وزارات الاقتصاد والمالية والخارجية في العهد الوطني ، وعين رئيساً لمعهد الحقوق في الجامعـة السورية .

وفي عام ١٩٤٥ م عين وزيراً مفوضاً في موسكو ثم وزيراً مفوضاً في واشنطن وله عدة مؤلفات وتوفي عام ١٩٥٩م .

البرحمصي

هو من اسره حمصي الحلبية ، ولد في حلب ونشأ في اسرة معروفة بالوجاهة والفضل ، كانت صلاته وثيقة مع الشهيد محمـد المحمصاني البيروتي ، وكانت بينهما مراسلات تتعلق بالجمعيات العربية ، ولما قبض على المحمصاني وصودرت اوراقه عثر بينها على مراسلات مطبوع عليها عنوان السيد البر حمصي ، وكان ذلك كافياً لاتهامه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم عليه بالسجن بالاشغال الشاقة خمس سنوات (كان اعترف باغفالات محمد المحمصاني ، ودخل في الجمعية ولكن يدعي بانه اخيراً انفك عنها) .

محمد علي الحلبي — . خلاصة قرار اتهامه والحكم عليه بالسجن خمس سنوات « كان من الداخلين في الجمعية ، وكان اسم الموما اليه محرراً في التذاكر التي ارسلت ، حكم عليه بالاقامة داخل القلعة خمس سنوات (قلعة بند)

محمد سالم بن مصطفى مظلوم — . نص قرار اتهامه والحكم بسجنه خمس سنوات بالاشغال الشاقة « كان استعمل في خدمات عبد الكريم الخاصة ، وعدا هذا فقد كان عضواً فعالا لعبد الحميد الزهراوي ، وتبين انه إنوجد في تلقينات تسوق الشبان الى اتباع فكرة الاستقلال العربي .

خليل المطران

١٨٧١ - ١٩٤٩

هو بن عبده بن يوسف بن ابراهيم بن مخايل المطران ، ولد في بعلبك سنة ١٨٧١م وبعد تخرجه من المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت بدأ ينظم الشعر ضد سياسة السلطان عبد الحميد . وقد نجاه الله من الاغتيال ، والح عليه اهله بالسفر الى باريس لاسباب عدة ، أهمها ان اسرة المطران لا تريد افساد العلاقات بينها وبين الدولة العثمانية اكراماً لشعر خليل وتعرضه للسلطة الاستبدادية ،وخوفاً على حياة الشاعر الشاب ، ودفعه الى مراقي العلم والمجد . وفي باريس اتصل بجماعة تركية الفتاة ، وضايقه الجواسيس، فسافر الى شيلي في امريكا الجنوبية .



وفي سنة ١٨٩٢م كان في وادي النيل وبدء يحرر في جريدة الاهرام ، ثم انشأ في القاهرة المجلة المصرية، ثم اصدر الجوائب ،وفي عام ١٩٠٤م ودع الصحافة وتفرغ للأدب ونظم الشعر ، وترجم عن اللغة الانكليزية بعض الروايات وقدمها للتمثيل ، وبدأ يتعهد المسرح المصري .

الحكم باعدامه — : كان في عداد احرار العرب الذين صدرت بحقهم احكام الاعدام غيابياً من قبل الديوان العرفي العسكري في عاليه ، ونجاه الله من حبل المشنقة بسبب نزوحه عن وطنه .

أصدر مؤلفات كثيرة خالدة ،ويعتبر من الطبقة الاولى بين شعراء عصره .

وفاته — : اصيب بمرض النقرس ، فكان يعاني منه آلاماً مرهقة، وفي ليل يوم الجمعة ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٩ م وافاه الاجل ودفن في القاهرة ، واشادت له الحكومة المصرية مدفناً فخماً ونصبت تمثاله في دار الاوبرا المصرية .

الشيخ يوسف الخازن

في غمرة الاحداث الرهيبة التي مرت برجالات العرب خلال الحرب العالمية الأولى ، اصدر الديوان العرفي الحربي في عاليه الحكم باعدامه غيابياً ، وشاء القدر ان ينزح من لبنان الى مصر قبيل الحرب العامة ، فينجو من حبل المشنقة .

في ميدان الصحافة — حرر الشيخ يوسف الخازن في جرائد الوطن والمقطم والاهرام، وانشأ جريدة الاخبار سنة ١٨٩٦م فمجلة الخزانة سنة ١٩٠٠ م ، وجرائد بريد والارز ، ثم عاد الى لبنان ، فكان نائباً في المجلس النيابي اللبناني ، وانشأ جريدة البلاد ، وكان منشئاً بليغاً وخطيباً مفوهاً ، حاضر البديهة في رواية طرائف النكات ، وقد ترجم عن الفرنسية مصنفاً .

ثم قام برحلة الى ايطاليا ، وافاه الاجل فيها سنة ١٩٤٤ م .

الشهيد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر

انحدر من اسرة منتشرة في البلاد العربية ، وقد اشتهرت بالتجارة فغلب عليها لقب الشهبندر ، وهو ابن السيد صالح الشهبندر بزغ نجم هذا الشهيد الزعيم بدمشق سنة ١٨٧٩ م وقسا عليه الدهر ، فحرمه حنان الابوة ، اذ طوى الردى والده وهو في الثامنة من عمره .



تلقى علومه في المكتب الرشدي العسكري ، وفي سنة ١٨٩٦ م دخل الجامعة الاميركية ، وفي سنة ١٩٠١ م نال شهادة البكالوريا ، وكان فيها الخطيب البارز ، وهو لايزال في فجر نبوغه .

وفي سنة ١٩٠٦ م حاز على الشهادة الطبية بامتياز في فروع العلوم ، ودرّس في الجامعة الاميركية مدة سنة .

بدء نضاله السياسي – . أتى دمشق في اواخر سنة ١٩٠٧ م واشترك في حركة تركية الفتاة ، فلما اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ م كان صرحه الشامخ في دمشق ، ثم انتسب الى جمعية الاتحاد والترقي ، واستمر فيها ثلاث سنوات ولما تحقق نوايا الاتراك وانحرافهم عن الاهداف العامـــة ، آثر الانسحاب ، وبدأ نضاله السياسي مع اخوانه الشهداء شكري العسلي ، وعبد الوهاب الانكليزي ، وسليم الجزائري ، ورشدي الشمعة وغيرهم بالحركة القومية .

نزوحه الى اوربا – . وفي سنة ١٩١٢ م اشتدت وطأة الخلاف بينه وبين حزب الاتحـاد والترقي ، فاضطر للنزوح الى اوربا ، ثم اقتضت المصلحه بعودته الى الآستانة بطلب من الشهيد عبد الحميد الزهراوي ، وعاد الى سورية لمتابعة اعماله الوطنية .

في عهد جمال باشا – . وفي الحرب العالمية الاولى ، كان طبيب جمال باشا الخاص ، وقد عهد اليه بذلك ، خداعاً وتمهيداً للفتك به ، ولما شعر الشهيد الشهبندر بما يحاك حوله من دسائس ، كان يقظاً وحذراً ، وقد اصدر جمال باشا امره بالقبض عليه مع الشهيد المرحوم توفيق الحلبي ، فأشفق أحد رجال الشرطة على حياة الثاني فأبلغ خاله السيد حمدي الجلاد ، فاهتم وأخـذ للامر عدته ، فتواريا عن الانظار في داره ثم احضر لهما عربة ، وخرج بهما ليلاً الى الضمير ، ثم عاد الى دمشق .

التحق الشهيدان ، بمضارب البدو ، وتوغلا في البادية العراقية ، فقبض عليهما البدو ، وسلموهما الى السلطات الانكليزية فأوقفتها وجرى التحقيق عن هويتهما ، وكان لذكاء الشهيد الشهبندر وطلاقة لسانه وثقافته واجادته التكلم باللغة الانكليزية ، اثر بالغ في الافراج عنهما ، ثم تابعا السفر على ظهر مدرعة انكليزية من البصرة الى مصر .

وهكذا نجا الشهبندر ورفيقه من حبل المشنقة بفضل دهائه ، ونبل الشرطي الذي اخبر السيد حمدي الجلاد عن صدور الامر بالقبض عليهما ، فأتاح لهما فرصة مواتية للتواري ، ثم الفرار ، فحكم عليه بالاعدام غيابيـاً ، وصعق جمال باشا واعوانه لاختفائه وفراره وعدم التمكن من القبض عليه .

في العهد الفيصلي – عاد الى سورية بعد انتهاء الحرب ، واشترك في تأليف الحكومة العربية ، فكان وزيراً للخارجيـــة في حكومة فيصل ، واثر احتلال الفرنسيين البلاد السورية ، نزح الى مصر فاقام فيها سنة ، ثم عاد الى وطنه لتجديد المساعي الوطنية .

بعثة المستر كراين – جاءت بعثة كراين الاميركية قبل عهد الانتداب لاستشارة الاهلين في النظام الحكومي الذي يختارونه ، فكان مستشار البعثة ومرشدها وتبع خطواتها في جميع حركاتها ، ولكن اللجنة لم تدفع مقدوراً ، فانتهت مهمتها بالفشل ، الذي لم يفت في عضد الشهبندر ، فانفرد للعمل بذاته في دمشق ، متنقلا في مختلف الاقطار السورية والعربية ، وكان عرضة للمراقبة السياسية .

وفي ٦ نيسان سنة ١٩٢٢ م، وقعت حادثة المستر كراين المشهورة ، وقامت في البلاد السورية اضطرابات خطيرة .

في الاعتقال – . حكم عليه بالاعتقال مع نخبة من ابناء البلاد ، وفي سنة ١٩٢٢ م اطلق سراحه ، فنزح الى اوروبا واميركا وقام بالحملات السياسية الشعواء ضد المستعمرين الفرنسيين .

في الثورة السورية الكبرى – . ولما حدثت ثورة جبل الدروز سنة ١٩٢٥ م كان الشهيد بدمشق يعمل في تجديد النهضة وتأليف المساعي وانشاء الاحزاب ، فعطلت الثورة عمله ، ولكنها لم تتمكن من القضاء على الفكرة التي عاشت بعد الثورة منتظرة الفرصة السانحة للعودة والانتشار .

في مصر – . وقد بقي الشهيد بعدها شهوراً في دمشق ، كان فيها طبيباً ، وسياسياً عربياً . يغذي بعمله الطبي عمله السياسي ، ويجدد روح النشاط والامل في نفوس السوريين والعرب العاملين دون كلل في القاهرة .

عودته الى دمشق – . لقد كانت وطنيته تدفعه الى الانتقال الى دمشق ، تحت ستار الطب ، فيعمل فيها طبيباً يداوي الاجساد والارواح ، فتربص له الانتداب واعوانه ، ودبروا له المؤامرات القاتلة .

اغتياله – . قصده في عيادته ثلاثة مجرمين بصورة مرضى ، يطلبون المعالجة ، فاطلقوا عليه الرصاص ، واودوا بحياته الغالية وذهبوا بذلك النشاط العجيب ، وكان استشهاده يوم السبت في ٦ تموز سنة ١٩٤٠ م ودفن يوم الاحد في ٧ تموز بجوار مقام الخليفة العادل السلطان صلاح الدين الايوبي ، وقامت الحكومة بالتحقيق ، واعترف القتلة باغتياله بدافع ديني ، فاعدموا اشنقاً بدمشق .

وهكذا انتهت حياة هذا الشهيد العظيم ، وذلك الخطيب السياسي الفذ الذي لعب دوراً بارزاً في السياسة السورية ، فانتهى به الى الاستشهاد بيد مجرمين آثمين مدفوعين الى ارتكاب جريمتهم ، لم يخشوا الله في وطنهم ، فذهب ضحية غدر لئيم ، اودت بحياة زعيم كان ينتظره مستقبل باهر في سورية والاقطار العربية .

واذا خطبت فللمنابر هزة ... تعروا الندي وللقلوب بكاء

الشهيد توفيق الحلبي
١٨٨٧ - ١٩٣٦

هو ابن راغب ابن ابراهيم الحلبي ، ومن اجداد اسرته الشيخ عبد الله الحلبي المحدث والعلامة المشهور صاحب الحلقات العلمية بدمشق .



ولد الشهيد بحي القيمرية بدمشق سنة ١٨٨٧ م ، وتلقى العلم في المدارس الاميرية ، ثم انتسب الى وزارة المالية ، فعين أميناً للصندوق في معان ، واقام فيها مدة سنة ونصف ، ولما رأى قيود الوظيفة لاتلائم طبيعته آثر الاستقالة وعاد الى دمشق ، واشتغل بتجارة الموبيليا .

في ميدان الصحافة : – وبعد الانقلاب الحميدي تعاطى مهنة الصحافة ، وأسس جريدة (الراوي) فكان مديرها ومحررها المسؤول ، وكانت مسرحاً للآداب والفكاهات يتلقفها الناس بشوق واعجاب ، وأوقفها بعد سنة ونصف بسبب عجزه المالي .

فراره الى مصر – . ولما شبت الحرب العالمية الاولى دخل في ميدان المناقصات لصنع الألبسة للجنود ، وفي عهد السفاح جمال باشا صدر الأمر بالقبض عليه مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر . وقد أشفق احد رجال الشرطة على حياته فأبلغ خاله السيد حمدي الجلاد بأمر تهريبه مع الشهبندر قبل ان يقبض عليها

والاعدام ينتظرهما في الديوان العرفي .

وقد تواريا عن الانظار في دار خاله ، ثم احضر لهما عربة وخرج بهما ليلاً الى قرية الضمير وعاد الى دمشق .

التحق المترجم والشهبندر بمضارب العربان وتوغلا في البادية ، ثم قبض عليهما البدو وسلموهما الى السلطات الانكليزية فأوقفتهما وبعد التحقيق أفرج عنهما ، وسافرا على ظهر مدرعة من البصرة الى مصر ، وقد التحق المترجم بالثورة العربية الكبرى ودخل دمشق بمعية فيصل الاول . ولم يفتأ عن العمل مع الشباب في الحقل الوطني ، وكان لولب الحركة يوم مجيء المستر كراين للاستفتاء.

اعتقاله : وفي سنة ١٩٢٠ م اعتقلته السلطات الفرنسية واقام في سجن قلعة ارواد مدة سبعة اشهر ثم اطلق سراحه مع رفاقه .

جهاده – . ولما شبت الثورة السورية عام ١٩٢٥ م كان على صلة مع المجاهدين ، ولبى نداء الوطن فخرج الى ساحة الجهاد بعد ان باع داره وتمنطق بمبلغ (٢٥٠) ليرة ذهبية عثمانية ، وترك الباقي امانة لدى المرحوم مصطفى سويد المعروف بأبي درويش ، واشترى جواداً وسلاحاً ، وقد بلغ من شهامته انه كان يؤازر بعض الثوار الفقراء بالمال .

اشترك هذا الوطني المجاهد في بعض معارك الغوطة وبمهاجمة المخافر الفرنسية ، وقد حكم عليه بالاعدام . وفي صيف سنة ١٩٢٦ م قتل اغتيالا من قبل الثوار طمعاً بما يحمله من مال .

رضا الصلح

نص قرار اتهامه والحكم عليه بالنفي المؤبد « كان اثناء الحرب العامة مع عبد الكريم الخليل في جهات صيدا وصور يجري التلقينات الباعثة لكسر القوة المعنوية ، وكان يعلن ان سورية على وشك السقوط ، وان المواصلات انقطعت بين سورية واسكندرون ، وقال ان النقود المديون بها الى اخيه سيردها عقب الاحتلال الانكليزي » .

رياض الصلح

«كان دائماً ملازما لابيه ومشجعاً لحركاته حكم عليه بالنفي ثلاث سنين، وعند المحاكمة الثانية وجدت ادلة جديدة وانفضحت افعاله في كثير من المنشورات فحكم عليه بالنفي مؤبدا .

يوسف سليمان المخيبر وتوفيق الناطور

سيقا الى الديوان العرفي الحربي في عاليه، وصدر الحكم عليهما وهذا خلاصة قرار اتهامهما ،الحكم عليهما بالاشغال الشاقة الموقته.
« هذان كانا في افسادات متمادية بين الشبان العرب واسماهما مذكوران على التوالي في متن الكتاب» .

توفيق الناطور – هو من نوابغ شباب بيروت ، ومن فتيان احرار العرب المشهود لهم بالوطنية والتفاني بحب القومية العربيه تخرج من جامعة الحقوق في الاستانة ، وكان من مؤسسي جمعية الفتاة العربية السرية التي كان لها صلة وثيقة بالشريف حسين امير مكة آنئذ وولده فيصل الاول .

أوقف في السجن لمحاكمته ، وكانت المحكمة قد فرضت على المعتقلين من شهداء العرب الايواء الى فرشهم وتناومهم، وان لم يغشهم النعاس عقب مناداة البوق طوعاً او كرها ، وبعد ان اتكأ المترجم ذات ليلة اخذ ينشد بيتاً من الشعر بصوت خافت، فطلب اليه الجندي الخفير ان يسكت وينام فأجابه (انني اخاطب نفسي ولم اكلم احدا ، فاجابه الجندي باطلاق الرصاص عليه ، فأصيب برجله واخطأت بقتله .

وقد اتضح بعدئذ ان السيد الناطور لم يكن الهدف ، بل كان المقصود بالقتل هو الشهيد سليم الجزائري ، فأخطأ الجندي المرمى والقصد ، لقد كان نصيب المترجم الحكم عليه بالشنق، فاستبدل بالسجن عشر سنين في(قلعة بند) بسبب ماأصابه .

علي العسلي (ابو الشهداء)

١٨٥٢ - ١٩٣٠

هو بن محمد العسلي الوجيه الدمشقي المعروف بلقب (أبي الشهداء) ولد في دمشق سنة ١٨٥٢ م وقد اشتهر بعقيدته الوطنية المثالية وصبره وجلده لما حل بأسرته من محن وفواجع و كوارث ، لا يستطيع احتمالها الا من طغى قلبه بالايمان النقي وتوكل في اعماله على مشيئة الله تعالى .

محنته واحتسابه – :بعد ان نفذ حكم الاعدام بولده الشهيد العربي المرحوم شكري العسلي ، اصدر السفاح جمال باشا أمره بنفي فريق كبير من هذه الاسرة الكريمة المجاهدة الى الاناضول، فأقاموا في مدينة (بيله جك) وهم السادة المرحوم زاهد بن محمد العسلي ، ومحمد بن علي العسلي ، والشهيد حكمة بن علي بن محمد العسلي ، وعبد اللطيف بن علي بن محمد ، ولطفي بن علي بن محمد العسلي ، واديب بن زاهد بن محمد العسلي ، والشهيد فائق بن محمد بن علي العسلي ، وصبري بن زاهد بن محمد العسلي .

اما زوجة الشهيد شكري العسلي وهي كريمة المرحوم زاهد العسلي ووالدة السيد خالد العسلي ، فقد أصيبت بمرض عضال اثر الصدمة التي انتابتها بعد اعدام قرينها ، واستأثرت المنية بها في مدينة قونية حيث كانت منفية مع والديها .

وهكذا شاء القدر ان يعيش خالد شبل الشهيد يتيم الابوين فيكفله جده الاجل .

وفاته – : لقد قسا الدهر عليه بمصائبه ، فكان ابو الشهداء واصدق الصادقين وأصبر الصابرين ، اذا رأى مصرع الشهيدين حكمة وفائق في ساحة المجد والشرف في معركة (جياتا الخشب) بجانب الشهيد احمد مربود .

وفي ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٣٠ م دعاه ربه لمنازله الخالدة دفن بمقبرة اسرته .

محى الدين فريحه

هو من المغاربة الجزائريين ، ولا جرم له الا لكونه من اختان اسرة الامير عبد القادر الجزائري الحسني ، التي ظل اغلب افرادها يتقاضون رواتبهم من الخزينة الفرنسية .

كان برتبة يوزباشي في الدرك ، فأعتقل ليتسقط منه قضاة محكمة عاليه اخبار الشهيد عمر الجزائري ، واخبار بقية اسرته ، كما هو دأب الاتحاديين في تسقط الاخبار وتلفيقها ، باكراه الاذكياء على الافتراء بالارهاق ، واضلال الاغبياء بالمراوغة والمكر ، وقد افرج عنه بقرار منع المحاكمة ، ونفي الى الآستانة .

فريد باشا الباني - : أعتقل وسجن في عاليه مع الشيخ سعيد الباني ونجيب شقير ، وقد صدر الأمر بنفيهم ، فالتقى الباني مع الشيخ سليم البخاري ، والد الشهيد محمود جلال البخاري وأقاما في غرفة واحدة مدة النفي .

عثمان بك مردم بك

هو ابن عبد القادر بك بن عثمان بك مردم بك ، ولد بدمشق في حدود سنة ١٨٨٩ م تلقى تحصيله في مدارس خاصة وفي اول صباه كان فجر اليقظة العربية ، فكان مع مجموعة من رفاقه يتدارسون دروساً خاصة ، فحصل قسطاً حسناً من اللغة العربية وشدا شيئاً من اللغة الفرنسية .



وقد أسس مع طائفة من اخوانه اول جمعية عربية في دمشق اطلقوا عليها اسم جمعية النهضة العربية ، وكانوا يدعون انفسهم (الاخوان) ومن هذه الجماعة الدكتور صلاح الدين القاسمي ولطفي الحفار وسامي العظم ، والاستاذ محب الدين الخطيب ، وزكي الخطيب ، ورشدي الحكيم ، وكان هؤلاء السادة يجتمعون في بيته في اكثر الاحيان ، وكان لهذه الجمعية غايتان ادبية وسياسية ، والغايتان لخدمة العرب ، فالادبية لخدمة الادب العربي واللغة ، والسياسية لغرس الروح الاستقلالية في الناشئة العربية فكانت اجتماعاتهم السياسية سرية ، والأدبية علنية وقد أسسوا لها مركزاً فيه غرفة للقراءة ، فكانت أشد بناء لمن يحب المطالعة .

ومن تاريخ تأسيس هذه الجمعية الى اعلان الدستور العثماني فالحرب العامة الاولى ، كانوا يشتغلون في سبيل تحرير العرب ، وقد انتسب اكثرهم الى جمعية الفتاة .

ولما قامت الثورة العربية اثناء الحرب الكبرى كان المترجم أشبه بضابط ارتباط بين من يريدون الالتحاق بالثورة وبين رجال الثورة ، وقد اوقف في الحرب العامة مدة ثم اطلق سراحه بكفالة ، وكان في اواخر الحرب عندما انكسرت شوكة الاتراك في هذه البلاد .

ولما بدأ الاتراك بالانسحاب من دمشق نشر الراية العربية قبل انسحابهم ، ولكن المنية عاجلة فتوفي عقب دخول الجيش العربي الى دمشق وذلك سنة ١٩١٩ ميلادية وكان في الثلاثين من عمره واعقب كريمة واحدة .

الشيخ محمد سعيد الباني

هو ابن السيد عبد الرحمن بن الشيخ عثمان الباني ، وهو من اسرة بني عثمان الباني المتصل نسبها بالسيد الحسين الشهير بقضيب البان الحسني الموصلي ، ولد في دمشق في ذي العقدة سنة ١٨٩٤ هـ و ١٨٧٦ م اخذ العلوم الدينية ووسائلها والادبية والاجتماعية على اعلام عصره ، والف بعض منها ، منها ماطبع ومنها ماهو مخطوط ، وحرر في امهات المجلات والجرائد ، وتقلد عدة وظائف في عهد الحكومة العثمانية .



محنته — . امر السفاح جمال فسجن في دائرة الشرطة بدمشق مدة شهرين كاملين ، ثم سيق الى سجن عاليه لاسباب سياسية عربية ، وبقي مدة اربعة اشهر ، وبعدها نفي الى مدينة (بيرەجك ثم الى بروسة) وبقي نحو سنتين ، وكان يسكن في غرفة واحدة مع الشيخ سليم البخاري .

التحاقه بالثورة العربية — . ولما عاد من المنفى التحق بالثورة العربية الكبرى ، وعين بمناصب عديدة بعهد الحكومة العربية ، ثم رئيساً لديوان رئاسة العلماء واستاذا في كلية الآداب في الجامعة السورية .

وفاته — . انتقل الى رحمة الله في اوائل شهر شباط سنة ١٩٣٣ وقد آثر البقاء عزباً لانهماكه في التأليف والتدريس .

اسعد حيدر

هو ابن خليل حيدر ، اوقف في السجن مدة (٢٥) يوماً في التهمة التي اتهم بها نخلة باشا المطران ، بجرم سلخ بعلبك والحاقها في لبنان ، ثم تبرأ ونفي الى الاناضول .

خلاصة قرار اتهامه والحكم بنفيه : — « ادعى بأنه لم ينضم الى الجمعية اللامركزية لا هو ولا ابنه صالح حيدر ، ومع ان المكتوب الذي كان ورد اليه من مصر ابرز اليه ، فقد أصر في دعواه ، وقد حكم بنفيه مدة سنتين » .

وبعد عودته من المنفى عيّن في العهد الفيصلي عضواً في مجلس الشورى ، وقد اشتهر بالوطنية والتفاني لقوميته العربية ، فلقي من الفرنسيين تنكيلاً كثيراً .

حسين حيدر

هو شقيق السيد اسعد حيدر ، اوقف في السجن بتهمة انتسابه للجمعية اللامركزية ، وهو كشقيقه وافراد اسرته اخلاصاً وتفانياً للقومية العربية .

خلاصة قرار اتهامه والحكم بنفيه : — « كان يدعي بأنه من نحو سنتين ما كان موجوداً في سورية ، ولم تكن له علاقة بالجمعية اللامركزية ، فاعطي القرار اولاً بنفيه مدة سنتين ، ثم عند المحاكمة الثانية ظهرت وثائق كافية تدل على اشتراكه في جمعيات الاستقلال ، فشددت عقوبته ، وحكم بالسجن خمس عشرة سنة » .

السيد نجيب شقير

١٨٦٠-١٩٢٩

جيء به موقوفاً من الآستانة الى سجن عاليه ، وهو من اسرة عربية وجيهة معروفة في جبل لبنان ، اتصف بالذكاء اللماح والاناة والتعقل وسعة الصدر ،وهو ذو خبرةواسعة بالشؤون الدولية الاوروبية،واوسع منها خبرته بشؤون الدولة العثمانية . وقد أصدر في الآستانة في عهد الحكومة الاتحادية جريدة « بيام » المعارضة ، وقد نجا بقرار منع المحاكمة ، فعاد الى مقره في الآستانة ولزم الحياد ، وأمّ دمشق في عهد الحكومة العربية ، ثم هبط مصر واتخذها دار اقامته وشرع يعالج القضية الوطنية مع رفاقه اعضاء اللجنة التنفيذية ، وكان من أقطاب الوفد الذي وفد على المفوض السامي مسيو هنري دي جوفنيل في الاسكندرية لعرض اماني البلاد حينما كانت الثورة السورية حامية الوطيس ، وظل مثابراً على خطته المثلى حتى توفاه الله فجأة في مصر سنة ١٩٢٩ على وجه التقدير حسبما نوّه العارفون به .

الدكتور خليل مشاقةولدسنة ١٨٧٩ —وهو ابن الدكتورابراهيم ،وحفيدالدكتورميخائيل مشاقةالشهير، تخرج من الجامعة الامريكية في بيروت ، وأقام في مصر وكان من المنتسبين الى الجمعيات العربية في عهد الاتراك وقد ورد اسمه في لائحة المحكومين بالأعدام غيابياً،وقد اشتهربالعلم والفضل والرزانة .

الشيخ رشيد رضا

١٨٦٥ - ١٩٣٥

في كل عصر ومصر ينهض رجل من صفوف الامة فيشق طريقه الى الهدف الاسمى ،ويعمل على تشييد صروح تخدم الانسانية خدمة نافعة ، ولا يقوم صرح من تلك الصروح الا اذا اتقدت في قلب صاحبه جذوة التجرد والاخلاص ،فالهبت حواسه وجعلته مثالاً حياً لتلك القيم الروحية التي بها وحدها يتميز الانسان عن بقية المخلوقات .



صورة الامام فقيد الاسلام في شبابه

هذا هو عمدة الاعلام المرحوم الامام محمد رشيد رضا الذي طاول الثريا علمه وفضله ، وأدى للعروبة والاسلام أجل الخدمات .

مولده ونشأته - . ولد في قرية القلمون شمالي لبنان في اليوم السابع من شهر جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ وتشرين الاول سنة ١٨٦٥ م من اسرة السادة الاشراف ، وقد امتاز اهل بيته بالعلم والصلاح والرياسة ، وكانوا يلقبون بالمشايخ .

استاذ السيد رشيد - . ويظن الكثيرون ان صاحب الفضل في تربية المرحوم السيد رشيد رضا على حرية الرأي هو الامام المرحوم الشيخ محمد عبده ، والواقع ان تأثير محمد عبده في السيد رشيد لا يعدو تأثير القائد في أركان حربه .

أما صاحب الفضل في تربيته ونشأته، فهو العلامة المرحوم الشيخ حسين الجسر مدير المؤسسة الوطنية الاسلامية بطرابلس الشام ، فقد تخرج عليه في العلوم العربية ،والعقلية فنبغ وفاق اعلام عصره .

هجرته الى مصر - . وفي سنة ١٨٩٧ م هاجر المترجم الى الديار المصرية ، عقب انتهائه من طلب العلم في طرابلس الشام للقيام بعمل اصلاحي للاسلام والشرق ، لا مجال له في بلد اسلامي عربي غير مصر ، والاستعانة عليه بصحبة الامام محمد عبده ، والاقتباس من علمه وحكمته ، والوقوف على نتائج اختباره وسياحته وعمله مع حكيم الشرق وموقظه من رقدته السيد جمال الدين الافغاني فكان فذاً في سمو اهدافه .

جاء الى مصر كما يجيء كثير غيره من ابناء الاقطار الاسلامية للاستفادة من الازهر ، ولما اتصل بعلمائه وتفقدهم ، لم يعم عليه الامر كما عمي على كثير غيره ، ولم يتحيز او ينحرف عن الهدف او يبتعد عن الصواب، كما يحصل لكل طارق بلداً لا يعرف فيه احداً . لم يطل به المقام حتى ادرك بنور بصيرته وثاقب فكره وطيب استعداده ، ان الشيخ محمد عبده هو الضالة المنشودة ، وانه العالم المصلح الوحيد الذي يمكن الاستفادة منه ، فعكف على ملازمته وشغف بالسماع منه في الدرس ، في المسجد وغير المسجد وبالرغم من كثرة المستمعين للشيخ محمد عبده وتفاوت درجاتهم في الذكاء والتحصيل ، فان احداً لم تعمل فيه آثار الشيخ محمد عبده اقوى مما عملت في الشيخ محمد رشيد رضا ، فقد حرص على أن يسجل آراء الاستاذ التي يلقيها على الطلاب في الدرس ، والتي تصدر عنه في المجتمعات والتي يراسل بها اصحابه او يرد على مستفتيه في امور الدين والدولة ، حتى صار شبيهاً بشريط تسجيل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة لاستاذه الا أحصاها ، ومع عظيم عناء هذا العمل الجليل الذي سجله المترجم والذي لولاه لذهبت آثار الاستاذ محمد عبده لكثرة منافسيه فقد اصدر تاريخه المشهور عنه .

مجلة المنار - . وفي أواخر سنة ١٨٩٧ م أصدر مجلة المنار ، فكانت قرة أعين المسلمين لما حوته من مواضيع عامة وتفاسير قرآنية ، وقد حارب البدع ومشائخ الطرق فسحقهم بمقالاته سحقاً ، ودام صدورها نحو اربعين سنة ، ويعتبر من اقتناهـا كاملة بمجلداتها انه اقتنى أنفس موسوعة علمية وتاريخية وادبية .

مؤلفاته - . لقد انشأ مؤلفات لاتحصى لكثرتها ،نكتفي منها بالذكر كتاب (تفسير القرآن الشهير بتفسير المنـار في ١٢ مجلداً ٢ ـ التفسير المختصر المفيد في عدة مجلدات ايضاً ٣ ـ تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبـده في ثلاثة اجزاء . وله تآليف كثيرة لم تطبع او تنشر

كان خطيباً مرتجلا ومرشداً بليغاً لايبارى ولايجارى ، ذا حافظة قوية .

اخلاصه ـ . كان صريحاً في الحق ، ومن الامثلة على شجاعته الادبية ، انه لمـا نشب الخلاف بين الملك ابن سعود وامام اليمن ارسل الى الملكين خطاباً حاسماً صورته واحدة قال لهما فيه « ان جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين للاسلام والمسلمين ، لالعبد العزيز الفيصل السعودي ، وليحيى حميد الدين ، فاختلافكما وتعاديكما يضيع الاسلام ، ولئن ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمـة في غيرهـا ، فجميع المسلمين تحت سلطان الاجانب الا قليلا من الاعاجم ، فيجب ان تبقى هذه البقعة ونتقي الله ، ونحرص على حسن الخاتمة والسلام » .

ولما أثيرت مسألة خليج العقبة ووجوب استيلاء الملك سعود عليه ، كتب اليه خطاباً طويلا بين له فيه ، ان الذي يستولي على خليج العقبة يحكم جزيرة العرب ، وقد استحثه بحرارة على التفكير في هذه المسأله المهمة ، ولما قرأ ابن عمـه عبد الرحمن عاصم الخطاب وجده شديد اللهجة فراجعه فيه ، فرد عليه قائلا : مزيتي انني ناصح مخلص ، ومزيته انه يقبل النصح .

وفاته ـ . كان مصاباً بضغط الدم ، فأصابته نوبة قاسية بينما كان عائداً من السويس الى القاهرة بالسيارة بعد قيامه بوداع ولي عهد المملكة العربية السعودية الامير سعود ، وقد شعر بدوار فاضطجع ، وقبل وصوله الى مصر الجديدة وجـده رفاقه جثة هامدة ، وذلك في منتصف الساعة الثانية من مساء الخميس الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ هـ الموافق للثاني والعشرين من شهر آب سنة ١٩٣٥ م وقد دفن بجوار استاذه الامام الشيخ محمد عبده ،واعقب ولدين وهما شفيع والمعتصم .

وفي يوم الخميس ١٠ محرم سنة ١٣٥٥ هـ ومارس ١٩٣٦م اقيمت بدار جمعية الشبان المسلمين حفلة تأبينيـة كبرى لفقيد الاسلام وعـدد مناقبه ومآثره وآثاره الخالدة ، الخطباء والشعراء ، والقى الشاعر الاستاذ محمد الهراوي قصيدة بليغة ، نقتطف منهـا بعض ابياتها :

أي صرح هوى وحصن حصـين	ولواء طوته ايـدي المنـون
وكتاب في الرشد يهدي الى الر	شـد وسيف مهنـد مسنون
مـات رب المنـار والامر لله	ومـا مات غـير داع أمـين
عـاش لله مخلصاً في جهـاد	نصف قرن مبـارك في القرون
ومضى باليراع يدعو الى الحـ	ق وبالقلب واللسـان المبـين

ورثاه الشيخ اسماعيل الحافظ فقال :

داع الى الحق غـالت صوته النوب	اصيب في فقـده الاسلام والعرب
وكوكب من سماء الفضل حين هوى	هوى منار الهدى وانثالت الكـرب
وأصبح المجد مهجور الحمى وبكى	من ثكله شرف الاعراق والنسب
قضى الامام فوجـه الحق مكتئب	ممـا دهاه وطرف الهـدي منتحب
والحزن مستعر النـيران متصل	والصبر منقطـع الاوصال منقضب

وهكذا ودع هذا الامام المصلح المرشد الدنيا الى دار النعيم والخلود بعد ان قدم للعروبة والاسلام أجل الخدمات .

رد الشيخ رشيد رضا صاحب المنار على بيان جمال باشا

رأى الامام الشيخ رشيد رضا ان من حق الانصاف والتاريخ ان يرد على بيان السفاح جمال باشا الذي اصدره بعد حوادث الاعدام والارهاق والتعذيب ، قال :



صورة الامام فقيد الاسلام في آخر حياته

« نشر جمال باشا بياناً يبريء فيه عمله الفظيع وجريمته التي اجرمها في سورية بقتل الابرياء واضطهاد المسالمين ، ويظهر ان الدافع له على ذلك شعوره بسوء عمله ، وبما كان له من الواقع السيء في العلاقة العربية ، واظهر ما في بيانه انتحاله الاسباب التي لايقوم فيها حكم ولابرهان ..

« فقد زعم جمال باشا في بيانه انه ثبت له مما اعترف به بعض الشهداء ، انهم ينتسبون الى جمعية غايتها سلخ سورية والعراق عن راية السلطنة وجعلها امارة مستقلة ، فاستحقوا من اجل هذا القتل ، ولم يأت في بيانه بدليل واحد يدل على ادنى عمل عدائي ظهر من بعض اولئك الافراد اوحكم يبرر حكمه بمثل تلك العقوبة .

« لو صح ان نية الاستقلال او مطلق الرغبة فيه تستوجب عقوبة القتل لأبيدت كل الشعوب التي فقدت استقلالها وهي ترغب فيه ، ولكن قضاة جمال باشا لم يتعلموا امثال هذه النظريات الفلسفية التي تحتاج الى تحكيم العقل والوجدان والرحمة ، بل تعلموا ان يعملوا بما يؤمرون به ، وان يسألوا اسوأ الين او ثلاثة وينتهي الامر ويحكمون .

اغراض الاتحاديين – : « والحقيقة التي لاريب فيها ان نقمة الاتحاديين التي حلت بأهل سورية اليوم ترجع اسبابها الى امرين : الاول ، انه منذ اعلن الدستور الصوري ، ارادوا ان يجعلوه وسيلة لاستئثارهم بأمور السلطنة ، فقامت في وجوههم الجمعيات والاحزاب كحزب الاهالي والحزب الحر وحزب الائتلاف ، فطاردوها اشد مطاردة وشردوا زعماءها في اطراف البلاد ، وقتلوا بعضهم شر قتلة .

« والثاني تصميمهم على ان يتركوا » العناصر ولو بالقوة ، وان يمحوا من البلاد كل صبغة غير تركية ، ولما شعرت الامة بما في ذلك من الخطر على كيانها وجنسيتها ولغتها ، وهي امة ذات مدنية وتاريخ ، لاتسمح بان تصبح وايامها أثراً بعد عين باندماجها بعنصر آخر ، هب علماؤها وادباؤها وذوو الرأي فيها الى مقاومة هذه الفكرة الاتحادية بالطرق القانونية والوسائل الدستورية ، فألفوا الجمعيات والاحزاب ، كجمعية الاصلاح البيروتية ، وحزب اللامركزية ، وجمعية شبان العرب في الاستانة وكلها ترمي في مبادئها الى غرض واحد ، وان اختلفت في التفاصيل ، وهو الحصول على نوع من الاستقلال الاداري ، ومن مقتضى هذا النوع من الحكم ، ان يكون التعليم منوطاً بالحكومة المحلية وان تكون معاملات الحكومة كلها بلغة اهل البلاد ، وكان المراد من هذا ان تبقى لغة العرب وجنسيتهم مصونة في بلادهم من عبث الاتحاديين الاغرار ، ولم يكن يدور في خلد احد من القائمين بهذه الحركة التحدث بالانفصال عن راية السلطنة قط ، بل ان فكرة الاستقلال الاداري نفسها لم تكن لتطرأ على بال احد منهم لو لم يبادئهم الاتحاديون بما في نفوسهم من الغرض وما يضمرونه للعرب من الشر .

« وهذا ماحدا بالعرب ايضاً لعقد مؤتمرهم الذي لم يكن الغرض منه الا رفع صوتهم في العالم اجمع ، انهم لايسمحون بلغتهم وجنسيتهم ان تكونا هدفاً لاغراض الاتحاديين ، وقد وافق على قرارات هذا المؤتمر سائر عقلاء الامة العربية والمتنورين فيها في كل انحاء البلاد ، ولو كان للعرب يومئذ غرض بالانفصال عن تركية او نية سيئة نحو اخوانهم الاتراك لكان لهم مندوحة عن امثال هذه المؤتمرات بالقيام في وجه الاتحاديين بقوة السلاح ، وقد كانت تركية خارجة من حرب البلقان مضعضعة القوة فاقدة الحول ، ولكن للعرب من طول اناتهم وشرف نفوسهم ورجاحة عقولهم مايمنعهم عن اتيان هذا الامر ، وهم عنه راغبون وبالقليل من حقوقهم مقتنعون ..

« ولما هال الاتحاديين امر هذا المؤتمر وعلموا بأن الامة العربية لاتؤخذ على غرة ولاتسمح بوجه من الوجوه ان تتجرد من جنسيتها ، وان اساس كل نهضة في الامم وحياة في جسم الشعوب مبني على كواهل المتعلمين والعقلاء والنابغين فيها ، وان الفكرة التي حاولوا تنفيذها في بلاد العرب لاتتم الا بالقضاء على الطبقة المتنورة ، وهدم ذلك الاساس المتين اخذوا يدارون رجال هذه النهضة وشبابها وعقلاءها ، فوعدوا الاصلاحيين مواعيد كثيرة ، واخذوا بعضهم الى الاستانة ، ووسدوا اليهم بعض المناصب كالزهراوي رحمه الله ، وتقربوا من بعض اعضاء الجمعية الاصلاحية في بيروت ، واخذوا يجذبون في دمشق نشاط شباب العرب ، كل هذا ليأنسوا بالاتحاديين ويأمنوا اليهم ، فلا يفلت احد منهم الى خارج البلاد ، وذلك كله تحيناً للفرص التي تمكنهم من رقاب هذه الطبقة من المتنورين كافة ليستأصلوها استئصالاً ، وربما كانوا عارفين بأنهم سيدخلون في حرب عامة في صف الالمان ، وان البلاد ستقفل ابوابها من كل جهة ، والقوة الذاتية التي في البلاد سيقذف بها الى اقصى ميادين الحرب فتكون الفرصة سانحة لهم لتنفيذ خطتهم الشنعاء التي ادمت قلوب العرب اليوم ..

« ولما اعلنت الحرب ، جاءت الساعة واعلنت الحرب ودخلت حكومة الاتحاديين فيها فماذا كان من العرب ؟ كان منهم ان كفوا عن كل طلب من مطالب الاصلاح ، واندفعوا كجسم واحد لخدمة الجيش والدفاع عن دولة الترك ، ولم يكونوا يعلمون ما خبأه لهم اولئك الغادرون الماكرون الذين بعدما فرقوا الجنود السورية واقفروا البلاد من شبانها واهلها الاقوياء ، اخذوا يقبضون على كل من تنسموا منه ريح الحرية ، وكل من كان يطالب مع المطالبين بالاصلاح من شبان البلاد ومتنوريها ، ويقدمونهم الى المشانق جماعات جماعات ، فقبضوا على اعضاء جمعية الشبان وعلى اعضاء جمعية الاصلاح البيروتية ، وعلى بعض المنتسبين الى حزب اللامركزية ، وعلى افراد كثيرين من الذين لا علاقة لهم بحزب من الاحزاب العربية ، ولا سبب للقبض عليهم الا نبوغهم ، او ذنوب قديمة لهم ، وهي معارضة الاتحاديين معارضة شديدة لما كانوا اعضاء في مجلس المبعوثان ، مثل رشدي بك الشمعة ، وشفيق بك المؤيد ، وشكري بك العسلي وغيرهم ، فهؤلاء لم يكن لاحدهم ادنى دخل في الجمعيات والاحزاب العربية ، وما قتلوا إلا لأن عصابة الاتحاديين حكمت عليهم بالاعدام منذ كانوا في مجلس النواب ، وناقشوا الاتحاديين الحساب في القروض التي اقترضوها باسم الدولة ، ولم تنتفع منها الدولة بشيء ، يدلك على هذا ان المرحوم شفيق بك المؤيد لما أعلنت الحرب انقلبت عواطفه نحو الاتحاديين انقلاباً غريباً جداً ، حتى استوجب لوم بعض أخصائه واصدقائه ، ولما قبضوا عليه وزجوه في السجن قابل صديقه الدكتور . . . أحد اذناب جمال باشا وقال له : « اني استغرب قبض اخوانك على شفيق بك وحبسه وعواطفه نحوكم ومساعدته لكم على ما تعلم » فقال له : « ان لشفيق بك ذنباً قديماً ستر كل حسناته ، وهو اهانته لطلعت بك لما كان عضواً في مجلس المبعوثان ، ولا بد ان يقتل بهذا الذنب قتلا » وقد كان ..

لا سبب للقتل

«ثم ان هناك اشخاصاً آخرين لم يكونوا في سورية منذ بضع سنين ، ولم يكن لهم علم ولا دخل في كل ما هو حاصل فيها ، مثل المرحوم سليم الجزائري البكباشي اركان حرب ، فانه كان يقيم في الآستانة ثم في ازمير منذ اكثر من خمس سنين ، وقد جيء به من ازمير وقتل ، ومثله المرحوم عبد الوهاب الانكليزي ، فقد كان مفتشاً في انحاء الاناضول ، وجيء به الى الآستانة ثم الى سورية وقتل ، وغيرهما من الذين لم تحضرني اسماؤهم ، وقتل أناس آخرون من اللبنانيين مثل الشيخ فريد والشيخ فيليب الخازن وغيرهم من الذين لا علاقة لهم بالآخرين ..

« وقد كان كلما حكم على جماعة من هؤلاء بالقتل ينشر جمال باشا بياناً ينتحل فيه سبباً من الاسباب لقتلهم ، فأعضاء الجمعية الاصلاحية انتحل لهم سبباً ، وما السبب الحقيقي الا أنهم من مؤسسي جمعية الاصلاح ، واعضاء المؤتمر العربي ، واعضاء جمعية الشبان انتحل لهم سبباً ، واللامركزية كذلك ، والاسباب كلها ترجع الى اصل واحد ، وهو عزم الاتحاديين على استئصال العلماء والمفكرين من سورية وبلاد العرب عامة ، لـكي يتسنى لهم تتريك البلاد العربية على اهون سبيل ، يدلك على ذلك ان تلك العصبة بعدما فرغت من ازهاق النفوس البريئة في سورية مدت يدها الى العراق ، فجاءت منه الى مجزرة جمال باشا في عاليه بلبنان بجماعة من علماء بغداد وأدبائها كالألوسي والسويدي والشلبي وغيرهم من الذين لم نقف على اسمائهم ، وكان في عزمه ان يمد يده الى الحجاز ايضاً لو لم يقف دونها سد من الحديد والنار .

« ومن الأدلة الناصعة على ان جمال باشا ينتحل لكل جماعة سبباً يبرر حكمه عليهم بالقتل قوله في بيانه عن الشهداء الذين وردت اسماؤهم في ذلك البيان ، انهم منتسبون الى حزب اللامركزية المؤلف في مصر والبلاد العثمانية ، وان غايتهم استقلال سورية والعراق ، على ان الذي نعلمه ونتحققه انه ليس بين هـذه الأسماء سوى اسم واحد او اسمين من هذا الحزب بشهادة سجلات الحزب نفسه ، وليت شعري كيف يتسنى لحزب قانوني جديد موجود في نفس البلاد العثمانيـة ان يعمل للانفصال عن الاتراك ، وقد قال جمال باشا في بيانه ، ان كل الذين قبض عليهم وحوكموا وحكم عليهم باحكام مختلفة لم يتجاوز عددهم مئتي نفس ، وانهم من جماعات مختلفة لا يجمعهم غرض واحد ، وقد حكم عليهم لاسباب مختلفة أيضاً ، فأية قوة وأية حول لدى هذا العدد القليل ليعمل لاستقلال سورية والعراق ، وكيف جمع جمـال باشا بين أغراض هؤلاء الجماعات المختلفة ، ليؤلف من مئتي شخص جيشاً عرمرماً يقاتل في سبيل استقلال سوريـة والعراق .

« ان الحقيقة التي يجب أن تقال ، هي ان الاتحاديين كما قلنا أرادوا اغتنام فرصة هذه الحرب ليبدءوا بتطبيق بيانهم العقيم باستئصال نوابغ الأمة العربية ، واخطأوا في تقديرهم قوة الحياة التي في هـذه الأمة ، فكان من هوسهم وتعجلهم في تنفيذ خطة التتريك ، ومحو كل صبغة عربية من البلاد ما يضحك ويبكي في آن واحد .

« فمما يضحك انهم عجلوا بصبغ البلاد بالصبغة التركية ، فأول ما صنعوه ، هو انه بينما كانت المشانق تنصب في دمشق وبيروت كان أعوانهم يحطمون اللوحات التي توضع على المخازن والدكاكين لأنها مكتوبـة بالعربية ، ويأمرون اصحابها باستبدالها بلوحات مكتوبة بالتركية ، حتى بلغ بهم الهوس ، ان امروا الأطباء بتغيير لوحاتهم لتغيير حرف واحد هو الفارق بين التركية والعربية وهو حرف الكاف من كلمة (دكتور) واستبداله بحرف القاف ليكون هكذا (دوقتور) .

« واما المبكي ، فهو انهم هدموا قبر المرحوم عبد القادر الجزائري واستخرجوا رفاته فذروها في الهواء ، لانه امير عربي شهير كسب شهرته ، في سبيل الدفاع عن وطنه ، خمس عشرة سنة ، وصار اسمه محترماً ومبجلاً حتى عند الذين حاربهم ، كما يعرف ذلك كل قراء التاريخ .

« وبعد فاذا كان الرجال الاحياء متهمين بحب الاستقلال فقتلوا واللوحات التي كانت على الدكاكين متهمة بذلك فحطمت، والأموات متهمين بذلك . فذروا رفاتهم في الهواء ، فما ذنب النساء والاطفال ؟ ماذنب اليتامى والأيامى الذين قتلوا عائليهم ؟ ماذنب هؤلاء حتى يساقوا زرافات الى بلاد الاناضول سوق الاغنام ،وأي عدل أو أي قانون يسوغ لمثل اولئك الغلاظ القلوب إقفار البيوت من اهلها ، وانتهاك حرماتها كما فعلوا في دمشق وغيرها؟

« ان المرتزق التي زجوا أنفسهم ودولتهم فيها بأعمالهم الخرقاء وسياستهم العوجاء لمرتزق ليس في استطاعة امثال هؤلاء الخروج منها بهذه الدولة سالمة ابداً ، وستنالهم الندامة ويلعنهم عند ظهور النتيجة حتى اشياعهم الذين يهللون اليوم لهم ويكبرون »

وكل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء ، واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل ، وقد قتل بعد من ذكرهم في بيانه عدداً ليس بقليل ، منهم عبد الحميد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأيه ورأي ديوانه العرفي قصاصاً ، وإنما القصاص في شرع الله ، ان يقتل الجاني بمن قتله بغير حق ، ومعناه في اللغة المساواة والمماثلة .

« ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جمعية غايتها جعل العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها من راية الدولة ، نحن نعتقد بطلان هذه التهمة بادلة كثيرة و « منها » ان الحزب الذي جعله موضعاً للتهمه التي رمى بها هؤلاء الناس ، له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة و « منها » ان هؤلاء الذين اعترف الباشا بقتلهم في هذا البيان لا يوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب و « منها » اننا نعلم باختبارنا لبعضهم ، واختبار من نثق به للآخرين ، انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكنى ولا معرفة ، فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي أتهموا به ؟ وانما الجرم الاكبر الذي يجمعهم وبه إستحقوا العقاب ، هو انهم ، أذكياء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم ، وان يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم ، وان لبعضهم ذنوبا سابقة لا يغفرها الاتحاديون ، كاهانة شفيق بك المؤيد لطلعت بك ، والسعي لعدم اقراض اوربا للاتحاديين عشرات من الملايين ، يضيعونها وتبقى البلاد رهينة للدائنين ، وتوثيق اعضاء المنتدى الادبي في الآستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدام التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ، ان الطريقة المثلى للتنكيل بعرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال « لأن العرب تتبع كل شيء بالمال ، حتى العرض والناموس » .

« ثم انه يصرح بانهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمه باليقين ، ولو ثبتت لما جاز قتل أحد منهم شرعاً ولا قانوناً ، لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قاتلهم أنهم شرعوا في تنفيذه بالخروج على الدولة في اثناء النفير العام الذي حاكمهم بقانونه وكيف يعقل ان يقوم نفر قليل كهؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الاعظم في قومهم يخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه ، والدولة تحكم بلادهم الاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ ويا ليت شعري ، ما تلك المنافع المادية الخسيسة التي ضحى اولئك الاذكياء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها ، ان كانت ما ذكره من غاية جمعيتهم المزعومة ، فتلك غاية سياسية عالية لا مادية خسيسه ، وان كانت غيرها فما هيه »

وقال في بيان سياسي نشر في المقطم في ١٦ آب سنة ١٩١٦م رداً على بيـــان جمال باشا ما نصه « ونحن نعلن رسمياً على رؤوس الاشهاد ، انه ليس بين الذين شنقوا أو اضطهدوا من ضباط العرب والقائمين بالفكرة العربيه من كان يفكر في الانضمام الى دولة اجنبية ، او الانفصال عن الدولة العثمانية ، وقد ارتكب جمال باشا ما ارتكبه من الفظائع والموبقات من غيران يبدر في البلاد العربية أقل بادرة تشتم منها رائحة العصيان »

« المؤلف » لقد نشر هذه البيان التاريخي المفحم في مجلة المنار الغراء ، وان ما ادلى به الامام المرحوم الشيخ رشيد رضا حول اتهام الشهداء واعدامهم تشفياً وانتقاماً بسائق الاحقاد والضغائن ، هي الحقيقة بعينها ، وخاصة في يتعلق بالشهيد المرحوم شفيق بك المؤيد ، الذي اكتنفته الدعايات الباطلة باتهامه بالخيانة ، بعد ان تجلت مواقفه النبيلة نحو الاتحاديين خلال الحرب العالمية ، ونحن نعتقد بل ونجزم جزماً قاطعاً ببراءة الشهيد شفيق المؤيد من كل تهمة وان اعدامه كان بسائق الحقد والتشفي ، وبوحي العداء السياسي الصقها به المرجفون وكانت الغاية منها الحط من كرامة العرب وهو احد اعلامها البارزين .

خالد الدرويش البرازي
١٨٨٢ - ١٩٥٢

هو ابن درويش بن مصطفى البرازي ، ولد في حماه سنة ١٨٨٢ م ، ونشأ في مهد العز والجاه ، كان ذا عقيدة وطنية صلدة ، وقد سعى حزب الاتحاد والترقي في العهد التركي لادخاله في حزبهم لمكانته ونفوذه فأبى ، وقد كلفه هذا الرفض ثمناً غالياً ، فقد نفي خلال الحرب العالمية الاولى مع اسرته الى الاناضول واقام في البرهانية التابعة لباليكسر مدة سنتين ، ثم عاد الى حماه يوم الهدنة .

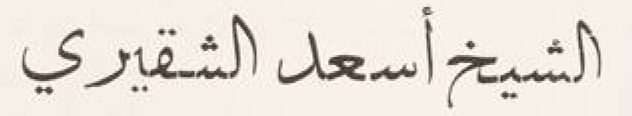
وفي عام ١٩٤١ م وكانت الحرب العالمية الثانيه على اشدها نفي من قبل السلطة الانكليزية الى فلسطين ومنها الى جزيرة (قمران) وبقي فيها مدة سنتين ، وكان رفاقه الشيخ دهام الهادي رئيس عشائر شمر الجزيرة والوجيه الدمشقي المعروف انور قصاب باشي ، ثم اطلق سراحه وعاد الى حماه .

جهاده : ولما شبت الثورة في حماه عام ١٩٤٥ م على المستعمرين الفرنسيين ، حمل السلاح مع ولديه الشابين درويش وصالح وضرب مثلا رائعاً في الجهاد واظهر من البطولة الخارقة وهو في السبعين من عمره ما جعله في مصاف الابطال الخالدين .

عصفت المنية بروح هـذا المجاهد الجبار فجأة مساء يوم السبت في



١٤ حزيران سنة ١٩٥٢ م والحد الثرى في مقبرة خاصة قريبة من داره .



الشيخ أسعد الشقيري

هو اشهر من نار على علم ، وخطيب الجيش الرابع ، ونـديم جمال باشا والمقرب اليه ، يجيد اللغة التركية ، واشتهر عنه ان وساطاته وشفاعاته كانت في سبيل الخير ورفع الاذى عن الناس مها استطاع الى ذلك سبيلا .



ولما قبض على رجالات العرب واحرارهم لم يترك باباً يمكن الدخول منه إلا ولجه ، ليرقّ قلب السفاح جمال باشا على المحكومين بالاعدام من زعماء العرب وشبابهم ، ورغم دهائه ولباقته وحنكته المشهودة ، فقد خاب سعيه في كل ما تذرع به ، وتقدم الشيخ اسعد في بيروت وقبّل ركبة جمال باشا واسترحمه منه في دار عزمي بك والي بيروت ، وتوسل اليه ان يجعل اولئك السجناء في قلعة يموتون فيها بآجالهم ، وان يرجع عن قتلهم ، لما في القتل من الشؤم على الدولة ولكن لا حياة لمن تنادي ...

لقد صدقت فراسة الشيخ الشقيري ، فقد كان اعدام شهداء العرب من العوامل المعجلة لاعلان الثورة العربية الكبرى .

ومما يُروى ان جمال باشا غضب على الشقيري غضبا شديداً ، وذلك بتشهد من عبد الرحمن باشا اليوسف ، وابتدره قائلا : « أنت شيخ لا تعرف السياسة ، فلا تتعدى طورك ، وهذه مسائل تتجاوز دائرة تقديرك ، فكف عن تعجيزي بذكر هؤلاء المعتقلين .

وكان الشيخ الشقيري قبل اعدامهم لم ينم ولم ترقد له عين ، واغرب من هذا ان بعض الاردياء الذين لايقدرون الرجال يتهم مثل هذا الرجل بأنه ممن زيّن لجمال باشا شنقهم ، وهو لم يترك حيلة لخلاصهم الا تذرع وتوسل بها من تلقاء نفسه ولوجه الله .

ونحن في موقف محيّر حيال الشقيري ، فقد تضاربت الاراء حوله وتناقضت ، ففريق يعتبره مسؤولاً ، لانه أتى يبلّغ جمال باشا ، الاخبار التي جاء بها كامل الاسعد مبعوث بيروت عن الشهيد عبد الكريم الخليل ورضا الصلح واتهامها بتهيئة ثورة في منطقته ، حسبما جاء في مذكرات جمال باشا الصفحة (٣٥٤) .

وربما كان للشقيري عذره لعدم اكتشافه سريرة جمال باشا ومقاصده بالبطش بزعماء العرب آنئذ ، ان صح ما زعمه جمال باشا في مذكراته .

وفريق يرى ان الوقائع دلت على ان موقف الشقيري من رجالات العرب وشهدائها كان نبيلا ، وتجلّت في مقاصده كل خير وشهامة عربية ، ونحن نأخذ بهذا الرأي ، ونسجل له في هذا السفر التاريخي اجل الاعتبار والتقدير مقرونة بالرحمة الالهيـة ، وكفى انه نجح بشفاعته بانقاذ الشيخ سعيد الكرمي من الاعدام .

شكري باشا الايوبي

١٨٥١ - ١٩٢٢

انحدر من اسرة الايوبي الدمشقية الشهيرة ، وقد تخرج من الكلية الحربية التركية ، وكان في غمرة الاحداث السياسية يبدي نشاطاً بارزاً في القضية العربية وهو من مؤسسي جمعية الاخاء العربي في استانبول اثر افتضاح نوايا الاتراك بتتريك العنصر العربي ، وكان رئيسها الشهيد شفيق المؤيد العظم ومن اعضائها شكري باشا .



ولما اعلنت الحرب العالمية الأولى ، رأى من الحكمة توقيف نشاط الجمعية وارجاء المطالبة بالاصلاحات العربية حتى تنجلي نتائج هذه الحرب.

غير ان الاتراك بدلا من تقدير عاطفته هذه ، ساقوه الى سجن خان البطيخ بدمشق ، وامعنوا بتعـذيبه وارهاقه ، فكان يعرى من الثياب ويضرب بالسياط وهو يدور حول بجرة الماء والجند في اثره ، وبعد اشهر اطلق سراحه .

ولما دخل الجيش العربي البلاد السورية ، كان السباق لرفع الراية العربية فوق المؤسسات الحكومية في بيروت .

وفي ١١ كانون الثاني سنة ١٩١٩ م كان حاكما عسكريا في حلب ، وفي عهده صدر الأمر اليه بتسليم وادي الفرات الى القوات الانكليزية اشتهر شكري باشا بالدفاع عن القومية العربية والسجايا الفاضلة وكان من خيرة رجالات العرب وطنية واخلاصاً .

وافاه الاجل بدمشق سنة ١٩٢٢ م ودفن بمقبرة الاسرة الايوبية بدمشق ،

عبد الحميد الرافعي

هو الشاعر العربي العبقري عبد الحميد بن عبد الغني الرافعي الفاروقي ، ولد في مدينـــة طرابلس بشهر آذار سنة ١٨٥١ م وتلقى العلوم على اعلام عصره ، وفي الجامع الأزهر ، ثم دخل جامعة الحقوق في استانبول ، وعاد الى وطنه وانتسب الى العدلية ، وأخيراً نقل الى سلك وزارة الداخلية ، وتولى قائمقامية الناصرة ، واحيل الى التقاعد سنة ١٩١٤م

كان رحمه الله شاعراً من الطبقة الاولى ، واكثر الشعراء احساساً بحاجة الامة العربية الى الدعوة القومية ، وقام يدعو للثورة والتحرر من سلطان العاصين قبـل الانقلاب التركي ، وقبل ان تتكون الفكرة القومية الناضجة في أحضان الجمعيات العربية ، وتوالت قصائده القومية ، وهو يحذر الامـة من الانخداع بالاتراك ، وقد جاءت الحرب العامة ، فصدقت فراسته في الترك ، اذ بطشوا في العرب ، وأذاقوهم انواع الخسف والنكال .

نفيه – كان ولده الضابط الاستاذ سمير الرافعي ، اول من التحق في الثورة العربية الكبرى مع فريق من اخوانه الضباط العرب ، وقد تعرض لسخط الحكومة التركية ، فنفي الى المدينة المنورة ، ثم نقل منها الى (قرق كليسا) في الاناضول مكبلاً بالحديد ، وما كانت هذه المحنة الا لتزيده جلادة على الخطب ، وجادت قريحته بروائع الشعر الخالد ، وقد اثبتنا ترجمته المفصلة الخالدة في الجزء الثاني من (اعلام الادب) واقتصرنا على ماله علاقة بنفيه مع رجالات العرب الى الاناضول .

انتقل الى رحمة ربه يوم الجمعة في ٢٢ نيسان سنة ١٩٣٢ م وتبارى الشعراء والخطباء في رثائه وتعداد مناقبه ومحامد آثاره ومآثره .

رأي علي فؤاد باشا

كان علي فؤاد باشا رئيس اركان حرب جمال باشا ، فأدلى برأيه الصريح ، بأن مظالم جمال باشا التي لامبرر لها قد خولت العرب عذراً مشروعاً في انتفاضتهم على دولة الخلافة ، وهو رأي يبين خطورة الجرم الذي اجترمه جمال باشا السفاح ومن والاه من المأجورين السوريين واللبنانيين ، فقد كان بين الشهداء رجالا لوكانوا على قيد الحيـاة لكانت مناعة السياسة الاجتماعية التركية اصر على المقاومة وانفذ في التأثير ، وقد خدموا الجامعة العثمانيـة باخلاص يماثل اخلاصهم في مقاومة الدعاية الطورانية ، فالقضاء على الشهداء كان قضاء على عرى الاتحاد ، وهو جريمة عالقـة برقاب من اجترموها الى ان تفنى كتب التاريخ .

على ان جمال باشا ما كان ليقدم على ارتكاب جرائمه لو لم يلاق التشجيع الكافي من ثلة مرتزقة من السوريين واللبنانيين الذين التفوا حوله ، ومهما تغيرت الاحكام ، تغيرت الازمان وتطورت ذهنية الشعوب بتطور المصالح السياسية ، فسيبقى حكم التاريخ على الفئة التي شجعت السفاح جمال على الفتك بابناء العرب حكما قاطعاً بادانتهم .

الامير ميشيل لطف الله



يرى في هذه الصورة المرحوم الامير ميشيل لطف الله وعن يمينه المرحوم الامير شكيب ارسلان وعن يساره السيد احسان الجابري

هو من اصل لبناني ، وقد نزح الى مصر فأثرى ، وكان مع انهاكه في مصالحه الخاصة ، يراقب الاحداث السياسية في العهد العثماني ، وقد انتسب الى بعض الجمعيات العربية ، وكان عضواً بارزاً فيها .

ولما سيق احرار العرب الى سجن عاليه ، وصدرت بحقهم احكام الاعدام ، كان في عداد المحكومين بالاعدام غيابيـاً ، وشاء الله ان يكون بعيداً عن وطنه فينجو ، ليقدم للقومية العربية أجل الخدمات .

لقد كان خصماً عنيداً للفرنسيين المستعمرين ، وقد اقض مضاجعهم عن بعد وهو في مصر ، ومقابلاتـه للمفوضين السامين الفرنسيين واحتجاجه على سياسة فرنسا في سورية ، هي اكبر دليل على مايتجلى في روحه من نبل وشهامة عربية اصيلة .

ولما اسست اللجنة التنفيذية العليا ، كان رئيسها ،والعامل الفذ في مساعدة المنكوبين والمجاهدين ، وجمع التبرعات لتمويل الثورة بالسلاح والعتاد ، وكانت لأريحيته ومكارمه ووطنيته العربية المثالية اعظم الاثر في اسماع صوت العرب والدفاع عن كيانهم وحقوقهم ، وكان اخوته الامراء ينهجون على غراره ، وظل كذلك الى ان وافاه الاجل ، فخسرت به البلاد العربية اعظم ركن ومناصر للشؤون القومية العربية .

عبد الستار السندروسي

هو من أسرة آل السندروسي الشهيرة في طرابلس ، ولد فيها سنة ١٨٨١ م وتخرج من الكلية الشاهانية في الآستانة ، وخلال الحرب العالمية الاولى أوجس خيفة من السفاح جمال باشا ، فتوارى في البادية وتوغل فيها مدة سنتين أصيب خلالها بمرض التيفوس ، ثم عاد متخفياً ، ولو قبض عليه لكان نصيبه الاعدام شنقاً لعلاقته بالجمعيات العربية وفراره من الجندية . وفي العهد الفيصلي ، كان قائمقاماً في ازرع وحاصبيا . ثم نزح الى شرقي الاردن بعد الاحتلال الفرنسي لسورية ، وعين أميناً عاماً لوزارة العدلية ، ثم قائمقاماً لمأربا ، ومنها أعيد الى العدلية وأحيل الى التقاعد . ومن ابرز سجايا المترجم اخلاصه وتفانيه في سبيل قوميته العربية ، وتواضعه وكرمه الحاتمي ، فقد كان بيته ندوة للمجاهدين في عمان يواسيهم ويحل مشاكلهم ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وفاته - : وفي يوم الجمعة ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٩ وافاه الأجل في طرابلس .

الامير شكيب ارسلان في مذكرات عزيز بك

جاء في الصفحة (١٣٧) من مذكرات عزيز بك ما نصه :

« لقد كانت مطامع الامير شكيب ارسلان أعم ، فهو يريد ان يكون المستشار الاول لجمال باشا لكي يصبح السيد المطلق على مواطنيه ، مادام غير قادر ان يكون حاكم الجبل او اميره ، وكان له شيء من النفوذ الموقت الذي احرزه لدى جمال باشا ، وقد خدم في الوقت نفسه اخاه الامير عادل ارسلان الذي كان مراقباً بسيطاً على التحارير في ادارة بريد بيروت . وقد ادى لنا في الحقيقة خدمات جلى في هذه الوظيفة التي توجب عليه قراءة كل تحرير يرد او يصدر ، وأطلعنا في ذلك باخلاص يشكر على كل الاسرار التي وردت له في التحارير عن مواطنيه . وكان من جراء ذلك ان جمال باشا ولاه قائمقامية الشوف عقب تعيين علي منيف بك في المتصرفية .

هذه هي الاسباب الحقيقية التي دفعت هذين الرجلين الى خدمة الباشا ، وكانت هي نفس العوامل التي تشرئب بها غيرهما عندما حاولوا التقرب من الباشا.

ورد في مذكرات المؤلف عزيز بك الصفحة (٢٨٤) انه دار بينه وبين الامير شكيب ارسلان حديث حول احكام الاعدام التي صدرت من الديوان الحربي العرفي ، والتي لم تنفذ بعد فقال الامير الارسلاني .

اني لو كنت مكان احمد جمال باشا لأوقفت غيرهم واعدمتهم لان في هذه البلاد اشخاصاً مفسدين يستحقون عقاباً صارماً اكثر من هذا . فأجابه المؤلف بان أبناء هذه البلاد لايرون في عمل هؤلاء خيانة ، فماذا تفسر ذلك ، فأجابه : كلا بل يعتقدون انها خيانة ، وان ابناء هذه البلاد سيدعون احمد جمال باشا الى حفلة تكريمية .

ونفذ الامير الارسلاني وعده هذا باقامة حفلة في الباروك التي وقعت في اليوم الثالث لاعدام القافلة الاولى من ابناء البلاد.

وألمع المؤلف ان الامير الارسلاني اراد في حفلة الباروك ان يمثل روايتين الاولى ، لمداهنة جمال باشا وحمله على الاعتقاد بصداقته واخلاصه له ليؤمن فوزه في مضمار السياسة اللبنانية ولتعيين اخيه الامير عادل ارسلان في قائمقامية الشوف .

والثانية ليبين للباشا انه رجل ذو نفوذ مطلق على اخوانه الدروز في الجبل وغيرهم من سكان الجبل الموارنة ، ولهذا كان يبث رسله بين عائلات الجبل الدرزية ليدعوه مع جمال باشا الى حفلة تكريم تقام له في الباروك .

ويقول صاحب المذكرات انه كان يتساءل : هل يجوز لهؤلاء ان يقيموا مثل هذه الحفلة في مثل هذه الظروف الحرجة من تاريخ البلاد . « المؤلف » أجل ، ان الحسد داء قتال ، وأهله يرقصون على قبور الموتى .

واستغرب عزيز بك كيف يمدحون جمال باشا ويكيلون له الثناء جزافاً نهار السبت في ٢٥ آب سنة ١٩١٥م وقبل اربعة ايام اي في ٢١ آب اعدم عدد من كبار رجالهم ونفي العدد الآخر ، وقال انه كرجل تركي يعتقد ان هؤلاء المعدومين جماعة خانوا بلادهم ، ولكن هل هذا هو اعتقاد الامير شكيب ارسلان ورفاقه ؟.

ويستغرب هذا التركي كيف يجمع الامير شكيب موقفه ذاك وموقفه اليوم الذي يعتبر فيه هؤلاء من شهداء بلاده ، وقال ان الامير رجل لبناني وكان عليه وهو اللبناني المولد ان لايقيم مثل هذا الاحتفال لاحمد جمال باشا في الاسبوع الذي اعدم فيه ابناء وطنه.

ولكن للامير الارسلاني عذره في ذلك ، فهو يطمع في ان يسود في المنطقة الدرزية من لبنان على غيره من زعماء الدروز ، ولهذا سعى باستمالة جمال باشا ، وكان من نتيجة سعيه ان استحصل له احمد جمال باشا في شهر ايلول على الوسام المجيدي من الدرجة الثانية ، وفي الرابع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٣ م عين اخاه الامير عادل ارسلان قائمقاماً للشوف .

وجاء في الصفحة (٣٥٦) ماخلاصته «ان الامير شكيب ارسلان يدعي بأنه عدو للاجانب وللدول الاستعمارية ، وانه حارب بني قومه من الخونة ، لانهم خانوا بلادهم واشتغلوا بجانب الاعداء ؟ فهل هذا صحيح ؟

ويجيب عزيز بك ، بأن الامير شكيب ارسلان قد دبّج مقالات كثيرة مدح بها الالمان وبرر دخولهم الحرب للدفاع عن سياسة بلادهم وعن حريتها واستقلالها ، فهل كان الامير جاهلا نيات الالمان باستعمار بلاده عندما قام يدافع عنهم بمثل هذه المقالات.

ان الالمان كانوا اشد خطراً من غيرهم من المستعمرين ، ولو فازوا في حربهم لما انتظروا ان تستدعيهم هذه البلاد ، بل لاقدموا على استعمارها فوراً ومشاريعهم الاستعمارية العديدة التي قاموا بها في البلاد كانت خير دليل على هذه النيات .

سياسة الامير شكيب ارسلان

نسجل الوقائع والاحداث التاريخية الهامة للتاريخ بصدق وامانة وتجرد دون التعمد بالتجني على احد من الاموات والاحياء، ولا نخضع إلا للحقائق التاريخية وحدها ، ونحن على يقين بأن هنالك بعض العناصر ، اذا تناولها قلم التاريخ بالنقد النزيه ضمن دائرة الحق والانصاف والوجدان،فلا يرضى عنا المغالون ، واذا وضعنا عبارة (رضي الله عنهم) بعد اسمائهم قالوا ، اننا غمطناهم حقهم، وان الوفاء يقضي ان نردف عبارة (صلوات الله عليهم) بعد اسمائهم .

اما الامير شكيب ارسلان واتجاهاته وأهدافه السياسية ، فمعروفة في ميدان الصراع العربي التركي منذ الانقلاب الحميدي .
لقد كانت سياسته عثمانية ضد المساعي العربية ، وقد اعلن خصومته لزعماء العرب واحرارهم ، وسار بها يقاومهم بشدة وعنف.
لم تكن حياة الامير الارسلاني مرحلة واحدة ، بل كانت مرحلتين ، الاولى اتصلت بالسياسة اللبنانية .
والثانية ، بدأت بعد انهيار الاماني والاحلام العربية اثر احتلال الحلفاء للأراضي العربية ، التي سلخت عن السلطنة العثمانية، ولما نشطت الفكرة العربية ، وقف الامير في الجبهة المناهضة لها ولمساعيها ، وبرز من اكبر عمال هذه الجبهة ، وكان يعمل لفكرة وغرض وهدف ، وهو تهديم القومية العربية ، ثم قسا على من كان في الجبهة العربية ، فنشبت بينه وبينهم حرب شعواء في الصحف والمجالس ، لم يكتب له النصر فيها .

وقد كانت الجبهة التي انتسب اليها وعمل فيها ، ودافع عنها ماتزال تستتر كاذبة محتالة بالرابطة العثمانية والاخوة الاسلامية ، وكان معظم العرب يؤمنون بذلك الستار ، وهم يجهلون انه كاذب ، فراحوا يدافعون عن الرابطة العثمانية مخلصين وكانوا من اقوى عمالها الصادقين .

واما الجبهة العربية ، ومعظمها من الجيل الجديد ، فكان كثير من ابنائها يقولون ويتوقعون ان الاتراك المختبئين وراء ستار الرابطة العثمانية الاسلامية يضمرون الطورانية .. ويريدون تتريك العناصر الاخرى في السلطنة ، والقضاء على الامة العربية قضاء مبرماً ، واستغلال الاسلام ، وشرحه بما يلائم التبسط التركي ، ويمهد لسيطرة الاتراك على الشرق كله ، ويتجلى مذهب الامير بقوله من قصيدة له هذا مطلعها :

مجـدي بعثمان حامي ملتي وأنا ... لم أنس قحطان أصلي في الورى وأبي

ومن عجائب المفارقات التي مرت بحياة الامير الارسلاني ، ان بعض الذين تحمسوا للفكرة العربية يوم تيقظها ، وانبروا للدفاع عنها بعنف وتطرف ، حتى عرفوا بأنهم من اصدق عمالها - وكانت في نظر الجيل غاية تحررية تقدمية شملت عمالها بعطف الناس ولا سيما الشباب - ان اولئك حملوا على الامير شكيب لانه برز أقوى خصم لهم في عمال الجبهة العثمانية المعاكسة ، (وصوروه مذبذب ألاستعمار والرجعية) فلما انتهت الحرب العالمية الاولى ، وانجلت حقائق الواقع ، انقلب بعض التحرريين التقدميين الى رجعيين ومأجورين وخونة في خدمة الاستعمار ، وانقلب مذبذب الاستعمار الى بطل صنديد من ابطال النضال القومي التحرري، لا يكل في مقارعة الاستعمار ولا يمل ، طوال خمس عشرة سنة ، حتى انتقل الى رحمة الله .

ومن الانصاف أن نسجل للتاريخ بعض المواقف للأمير ، فان الدولة العثمانية لما انقلبت الى دولة تركية ، والغت الخلافة ، وطردت الخليفة ، وجعل رجالها المسؤولون يصرحون ، بأنهم نفضوا الاسلام نفض الغبار عن الحذاء ، نفض الامير ودهم واعلن عداءهم ، وهجر بلادهم .

هذه كلمة قالها في ذلك الحين (رشدي آراس) وزير خارجية تركية ، ذاعت عنه واشتهرت ، ونفاها عنه بعض مريديه من العرب ولم ينفها هو ، وكانت للامير شكيب ارسلان مقالات ضافية في الرد عليه ، ولعله لا يشرف الرجل كثيراً ان يشبه قومه بحذاء ينفض عنه الغبار .

الامير والحركة العربية

لقد اشتدت نقمة الامير شكيب ارسلان على الحركة العربية وخاصة بعد ثورة الملك حسين ، وظلَّ معادياً للقومية العربية طول حياته ، وكان من اركان الاتحاديين ، ومن المقربين لجمال باشا ، يرافقه في جولاته ، ويتولى أمر الترجمة في القضايا الهامة .

والذي نعتقده فيه ، انه كان مجتهداً في آرائه ، اكثر مما هو مأجور ، وهو خاطىء في موقفه واجتهاده ، ولا يستبعد عنه ان يتقدم بالوشايات بحق رجالات العرب ، وهم أخصامه في السياسة والمبدأ والعقيدة ، ولا نتجنى عليه ، بأن ما أصاب اكثر الشهداء كان بسبب أعماله ضدهم .

وبينما كان الناس يموتون جوعاً على قارعة الطريق في سورية ولبنان ، والمشانق تُنصب لزعماء العرب في ساحات الشهداء في بيروت ودمشق ، كان الامير شكيب يتمتع بعطف السفاح جمال باشا وبرِّه ، وكان يتقاضى الرواتب الضخمة والاكراميات المتوالية لقاء تحريره في جريدة (الشرق) .

وكان يتربع هو وشقيقه الامير عادل ، على مقاعد مجلس النواب التركي ، في وقت كان احرار العرب يموتون في اعماق السجون ، او يصلبون على اعواد المشانق .

لقد كانت جريدة (الراوي) لصاحبها الشهيد الثائر توفيق الحلبي ، يحررها الشهيد الحر جورج حداد ، وكان لهذه الجريدة وقفات باهرة في وجه الاتحاديين ، على طريقة انتقادية هزلية بارعة ، مما حفظ قلب السفاح على صاحبها ومحررها ، وقد اختفيا من وجهه ، واستعدا للسفر مع الدكتور الشهبندر بطريق البادية الى العراق ، فأرسل الامير في طلبها ، لاقناعها بالعدول عن خطة الاختفاء ، ولكن توفيق الحلبي لم تجز عليه الحيلة ، بل رأى الحزم في الابتعاد عن الشرك ، فسافر والشهبندر الى منطقة حرة ، وكتبت لهما السلامة .

اما الشهيد جورج الحداد ، فقد جازت عليه الحيلة وانقاد الى نصيحة الامير ، فما ظهر الى الملا حتى قبض عليه وسيق الى الديوان العرفي في عاليه ، وحكم عليه بالموت .

ومن كانت له مواقف مشابهة ، لا يستطيع ان يدعي انه كان مخدوعاً في تشويقه للشهيد الحداد وغيره من الشهداء على الاستسلام .

الامير شكيب ارسلان يرد على مذكرات عزيز بك

قام الامير شكيب ارسلان ، بالرد على مذكرات عزيز بك ، وبعد الامعان ، اتضح ان تلك الردود ، لا تمت الى الحقيقة بصلة . وقد كشف عزيز بك في الصفحة (١٣٧) من مذكراته ، كيف ان الامير عادل ارسلان كان مراقباً بسيطاً على التحارير في ادارة بريد بيروت ، ثم أصبح بوساطة اخيه الامير شكيب ارسلان قائمقاماً للشوف .

الامير شكيب ارسلان

ولد في الشويفات سنة ١٨٦٩ م . وقد نشرنا ترجمته في الجزء الثاني ، من اعلام الادب والفن الصفحة (٣٦٤) وقد توفي يوم الاثنين التاسع من شهر كانون الاول سنة ١٩٤٦م ، ونقل من داره في بيروت ، ودفن في مسقط رأسه في الشويفات . قضى اكثر مراحل حياته في ديار الغربة ، وقام برحلات عدة ، وبقي في سويسرة عدة سنوات كان يتناول خلالها (٣٠) جنيهاً في الشهر من خديوي مصر لتأمين اعاشته .

لم يجمع أية ثروة مالية ، خلال الحرب العالمية الاولى ، بل كان مديوناً وهذا ما يُبعد عنه صفة (المأجور) للأتراك ، وهي كلمة حق وانصاف نسجلها للتاريخ .

اسرة الامير عبد القادر الجزائري الحسني

ان تاريخ هذه الاسرة العظيمة حافل بملاحم الجهاد ، فقد حارب الامير عبد القادر الكبير فرنسا ، وقاد الجيوش العربية الجزائرية من نصر الى نصر في معارك ضارية طاحنة ، ضد اكبر دولة استعمارية محاربة ، واستمرت الحروب مدة تنيف عن الخمس عشرة سنة ، ثم شاء القدر ان يستسلم وينزح عن بلاده وهذه نتيجة مفروضة لاكثر الثورات العالمية التي لا يكتب النجاح إلا لبعضها ، لما ندر منها ، والشواهد على ذلك كثيرة .

وبينما كان الامير عبد المالك بن الامير عبد القادر يعلن الجهاد الاسلامي ضد الفرنسيين في تونس والجزائر ، ويحرز انتصارات باهرة في ١٧ كانون الاول سنة ١٩١٤ م وبينما كان الجنرال الفرنسي (ليوني) القائد العام للقوات الفرنسية في ميدان المعارك ، بعث الى الامير عبد المالك رسالة يكلفه فيها بتوقيف الحركات العسكرية ، وان فرنسا مستعدة بأن تفادي لاعطائه كل ما يريد ، وقد أبى الامير كل عرض واغراء بشمم واباء ، واجابه بأن اعمال الجهاد لا تتوقف الا بعد عودة البلاد الى حوزة الاسلام .

اقول ، وبينما كان كل ذلك يجري ، قام الاتراك بالتنكر والعقوق نحو هذه الاسرة العربية الكريمة ، فعلقوا الامير عمر على اعواد المشانق ، ونفوا الامراء الجزائريين الى الاناضول .

الامير محمد سعيد الجزائري

١٨٨٢

هو ابن الامير علي بن الامير عبد القادر الجزائري الكبير ، فارس الامة العربية بجهاده الخالد ، ولد في مدينة دمشق سنة ١٨٨٢ م ونشأ في بيئة المكارم والفضائل ، وتلقى علومه الدينية على العلامة الشيخ محمد المبارك ، ثم ارسله والده الى الآستانة ، فتلقى العلوم فيها ، والتحق بكلية الحقوق ، وكان منضماً الى الفريق الذي يؤيد الجامعة الاسلامية ، وقد أحسن اللغات التركية ، والفرنسية ، والانكليزية ، وحفظ تاريخ العرب وآدابها ، وقد برع في النثر العربي كما تشهد بذلك مقالاته التي كان ينشرها في الصحف العربية .

عودته الى دمشق ـ : عاد الى مهبط رأسه ، وبدأ ينشر في الصحف الشهيرة المقالات الداوية ، ويؤيد الدولة العثمانية ويدعو للفكرة الاسلامية .

في الحرب العالمية الاولى ـ : ولما تولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع في سورية ، قام الامير بجمع المتطوعين لحملة القنال ، فقابله جمال باشا على جميله وجهوده واخلاصه بالجفاء والاستعلاء ، ورأى في قلبه الاسود دلائل الغدر .

ولما قبض جمال باشا على عمه الامير الشهيد عمر الجزائري ، سافر الى القدس ، وقابله فوعده بالمحافظة على حياته ، ثم نكث بوعده واعدم شنقاً .

نفيه ـ وفي نيسان سنة ١٩١٦ م دعاه جمال باشا ، وطلب اليه السفر الى الآستانة للقيام بخدمات للدولة ، وكان ذلك خدعة من رجالات الاتراك ، لابعاده عن دمشق ، وقد تحرت وزارة الحربية منزل الامير ، واعتقل بحجة حمل سلاح غير مرخص ، ووضع في منزل « شاهين باشا » تحت الحراسة الشديدة .

ثم نقل الى (بورسه) منفاه الجديد ، وكان والده الامير علي باشا وشقيقه الامير الشهيد عبد القادر وجميع افراد العائلة قد سبقوه الى بورسه ، فأقاموا يراقبون الاحداث .

ومن السخافة ان يزعم جمال باشا ، بأن ما تتقاضاه اسرة عبد القادر من الدولة الفرنسية من تعويضات ، هي لقاء القيام بالجاسوسية ، وغاب عن الاتراك ، ان المخصصات التي تتقاضاها الاسرة ، هي حقوق تاريخية ثابتة لقاء ما صادرته الحكومة الفرنسية من املاكها يوم خروج الامير عبد القادر الكبير من الجزائر ، ولم ير السفاح جمال وسيلة للانتقام من دعايات الامير ضده الا الثأر والتشفي من الاموات ، فهدم قبر الامير الجزائري الكبير ، وهذا عمل وحشي فيه منتهى الكيد واللؤم .

عودته من المنفى – افرج عن الامير واسرته ، وسمح لها بالعودة الى دمشق ، فعاد ولكن الاسرة خسرت قبل ان تبرح تركية الى سورية والده الامير علي باشا ، فاحتفل بتشيعه بمنتهى الاسف والروعة والاجلال .

اعادة بناء ضريح جده – واول عمل قام به في دمشق ان طالب باعادة بناء ضريح الامير عبد القادر العظيم الذي هدمه جمال باشا بجانب مقام الشيخ محي الدين الاكبر ، فأعيد بناء الضريح باحتفال تاريخي مهيب .

جهاده – وقبيل انتهاء الحرب العامة انسحب جمال باشا من سورية ، وفي ٥ ايلول سنة ١٩١٨ م رفعت راية الثورة ، وفي ٢٩ ايلول ١٩١٨ م ، اعلن الامير سعيد استقلال البلاد ، واذاع منشوره التاريخي في جميع المناطق السورية ، وقام بهذا الواجب الوطني حباً بخير بلاده ، وبرهن انه لم يتوخ حب الرئاسة ، وتنحى عن الحكم عند وصول الامير فيصل الى دمشق ، واستلامه زمام الأمور .

اعتقاله – واثر ذلك أبلغه الماجور (سترلنيك) الانكليزي امر اعتقاله وسفره الى الرملة ، وفي هذه الفترة العصيبة بلغه مصرع شقيقه الامير عبد القادر فلم يسمح له بمرافقة الجنازة ، وفي اليوم الثاني لمصرع اخيه اتجه الى حيفا ، ونقل الى احدى المعتقلات في مصر ، فبقي زهاء اربعين يوماً .

ويعتبر الامير من الشخصيات العربية البارزة التي ادت اجل الخدمات للقضية القوميه العربية .

الشهيد الامير عبد القادر الجزائري

هو ابن الامير علي بن الامير عبد القادر الجزائري الكبير وشقيق الامير سعيد الجزائري .



نفي الامير الشهيد مع والده الى (بورسه) في الاناضول ، ثم فر من مقر منفاه ، وتعرض لأشد الاخطار حتى وصل الى مكة ، وقد اجتمع في العقبة بالامير الفيصل ، وسار مع ثلة من المتطوعين ولورنس الانكليزي الى الازرق ، وكلفه لورنس بنسف الخط الحديدي في وادي خالد قرب تل شهاب ، فمانع الامير في ذلك ، ومن هنا نقم لورنس على الامير وأضمر له ولأسرته الحقد والشر .

سار الامير الى جبل الدروز ورفع علم الحسين ، ثم وصل الى الى قرية قرحتا في الغوطة ، واجتمع بالوالي تحسين بك ، وقد صدر العفو عنه ، ونزل الى دمشق .

استشهاده – طلب رضا باشا الركابي حاكم دمشق العسكري الامير لمفاوضته في أمور لها علاقتها بسياسة البلاد اذ ذاك ، فأبى مرافقة الجند الذين حضروا لجلبه وأبلغهم انه سيواجه الحاكم ، فأصروا على أخذه بالقوة .

ورأى الامير الشهيد ان يذهب لمقابلة الجنرال غربغوري الانكليزي ليطلعه على ما يدبره الامير فيصل نحوه من دعايات ودسائس ، فلما امتطى جواده امسك الجند بعنان الجواد ، وصوبوا البنادق الى صدره ليحولوا دون سيره ، فلم يقف ، وقال لهم انه ماض الى الجنرال .

سار الامير الشهيد بين صفين من الجند ، ولم يدر ما خبأ له القدر من مفاجئآت ، ولم يمض بضع خطوات حتى اطلق مفوض الشرطة المدعو مصباح المصري الرصاص عليه ، فأصيب بطلقتين في ظهره وبثالثة في جنبه ، فتخطى قليلا ، ثم زل جواده عن سكة القاطرة الكهربائية ، فهوى جواده ، وسقط الامير عن ظهره ، وبعد عشرين دقيقة فاضت روحه ، وقد ضجت دمشق لهذه الفاجعة والجريمة النكراء ، ووقعت الحكومة الفيصلية في اضطراب عظيم . وكان ذلك يوم السبت في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ م .

وجدير بالذكر ان الامير سعيد قد اعتقل قبل وقوع حادث القتل بساعتين ، بدسيسة حتى لا يأتي بأي عمل عند تنفيذ مؤامرة مصرع شقيقه ، ولم يدر بمقتل اخيه الا بعد بضعة أيام ، وظل معتقلا مدة ستة ايام في المعسكر الانكليزي في المزة ، وثلاثة ايام في مركز الاركان ، ثم اطلق سراحه ، وبدأ بتقديم الاحتجاجات الصارخة الى الدول الكبرى ، ضد اعمال الملك فيصل وحكومته .

الامير طاهر الجزائري

١٨٧٢ - ١٩٣٦

هو الامير طاهر بن الأمير احمد بن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري الكبير المشهور بجهاده ضد الفرنسيين ، ولد في دمشق سنة ١٨٧٢ م ونشأ في مهد العز والفضائل ، وتلقى علومه العربية الابتدائية الدينية على علامة عصره الشيخ محمد المبارك ، وعلومه العصرية واللغة الفرنسية والتركية في المدرسة العازارية بدمشق ، والمدرسة السلطانية في بيروت ، ثم تعاطى الاعمال الزراعية في املاكه الواسعة .



خدماته الاجتماعية ـ . كان في الرعيل الوطني الاول وأسهم في جميع الحركات القومية العربية وكان احد مؤسسي جمعية ايفاد البعثات العلمية في الديار الغربية ، وركن من اركان الجمعيات الماسونية .

في الحرب العالمية الاولى . ـ ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى وتولى جمال باشا السفاح قيادة الجيش الرابع في سورية ، وأحس شباب العرب بنواياه الفتاكة نحوهم ، التجأ اليه عدد من العاملين في القضايا العربية واجتمعوا لديه في حوش بلاس وسهل لهم سبل الفرار من بطش السفاح جمال ، ولما هرب الشهداء الامير عمر الجزائري ، والامير عارف الشهابي وتوفيق البساط وعمر حمد وعبد الغني العريسي وابراهيم باشا هاشم أكتشف امره ، فاعتقلته الحكومة التركية واحالته مع قافلة الشهداء الاولى الى الديوان العرفي الحربي في عاليه .

خلاصة قرار اتهامه والحكم عليه بالاشغال الشاقة الموقتة ـ . « تبين انه أخبر المعتمد الفرنسي بما يتعلق بالسوقيات العسكرية ، وهو الذي سهل فرار عبد الغني العريسي ، وخلاف هذا فقد تبين انه اشتغل بحركات تدعو للقيام ضد الحكومة »

وقد قضى سنة واحدة في سجن بيروت ، وبعد اطلاق سراحه استأنف نشاطه السياسي . واحب ان يلتحق

باخوانه ، وقد التقى بالشهيد أحمد مريود في موقع البساتين في البادية ، وافهمه مريود بان الشهداء عبد الغني العريسي ورفاقه قد قبض عليهم فعاد مع احمد مريود .

اعتقاله للمرة الثانية - . اعتقلته الحكومة التركية المرة الثانية ، واحالته مع قافلة الشهداء الى المحكمة العرفية في عاليه ، فحكمت عليه بالاعدام ، ثم أبدل بحكم المؤبد مع الاشغال الشاقة ، وقضى من حكمه سنتين في سجن قلعة دمشق ، ومن ثم أطلق سراحه بعفو خاص قبيل انسحاب الاتراك من سورية .

في العهد الفيصلي — . عين في عهد الملك فيصل الاول عضواً في مجلس الشورى ، ثم الغي تعيينه من قبل الفرنسيين بعد احتلالهم دمشق ، واصبح عدو الاستعمار الاول .

جهاده - . لقد جاء في مذكرات الجنرال سراي (سكوت سراي) المطبوع بان هذا الامير الخطير كان العامل الاول في اعداد الثورة السورية والمحرض عليها بالاشتراك مع قنصل بريطانيا المستر سمارت ،والحقيقة ان الفرنسيين ، كانوا على علم بما يقوم به من نشاط وطني بارز . وقد اعتقلته السلطة الفرنسية ايام الثورة السورية عام ١٩٢٥ م حينما احتل المجاهدون دمشق ،ثم اطلق سراحه بعد مدة قصيرة . ورغم مراقبته فانه كان يوآزر المجاهدين بشتى الوسائل ، ومن اعماله المكتومة البارزة انه تفاوض مع السيد اديب الكلسلي مفوض التحري في عهد الثورة واتفقوا مع توفيق الامام الملقب بأبي عجاج وكان حارساً انتدب لمرافقة الموسيو بيجان مدير الامن العام الفرنسي على اغتياله ، وقدم الامير طاهر مبلغ مائتي ليرة ذهبية عثمانية من ماله الخاص لتنفيذ هذه المؤامرة ، الا ان محاولة الاغتيال قد فشلت في آخر لحظة .

اعتزاله السياسة - . اعتزل السياسة لاسباب صحية ، ومع ذلك فقد كان بيته محجة الزائرين من جميع الطبقات ، وقد اشتهر بالنبل والشهامة والنجدة والكرم ، تلك السجايا الموروثة المطبوعة في الامراء الجزائريين .

وفاته - . وافاه الاجل المحتوم سنة ١٩٣٦ م وأنجب الامير جعفر عضو المجمع العلمي العربي ، والامير ادريس رئيس ديوان الدائرة الفنية في امانة عاصمة دمشق ،وهما من الامراء البارزين في الاسرة الجزائرية وقد اشتهرا بالاخلاق الفاضلة .

ومن افراد هذه الاسرة المباركة ، الشهيد الامير عز الدين الجزائري، الذي ضرب اروع مثل في الجهاد والتضحية والبطولة النادرة ، في معارك الثورة السورية عام ١٩٢٥ م واستشهد في معركة وادي بسيمه في ٢١ مايس سنة ١٩٣٧ م وكان استشهاده ايذاناً بانتهاء الثورة السورية ، اذ لم تطلق بعد مصرعه رصاصة واحدة ، وسطر لآل الجزائري مجداً لا تمحوه ايام ، وسيظل اسمه علماً يخفق في سماء المجد وميادين الشرف .

لقد تجلت وطنية الامراء الجزائريين العربية الاصيلة بأجلى مظاهرها ، في الاحداث السياسية والمواقف الوطنية المشرفة التي مرت على البلاد ، واثبتوا انهم اهل التضحيات في ميادين الجهاد ، وكفاهم شرفاً وخلوداً موقف جمال باشا العدائي من هذه الاسرة الاسلامية العظيمة التي لقيت اهوال الارهاق والتنكيل ، وان التهم الصقها بافرادها ، هي مفتريات وافك وزور وبهتان ، وقد اثبتنا ذلك في الفصل الخاص بالرد على مذكرات جمال باشا .

الوطنية المثلى في اسرة عرنوق

انحدرت اسرة آل عرنوق من اصل مصري من الاقليم الجنوبي ، ومنذ قرن ونصف نزح الجد الاعلى المرحوم نقولا عرنوق الى الاقليم الشمالي .

وفي قرية « متن عرنوق » بزغ نجم رأس العائلة ، وهو المرحوم طنوس بن نقولا عرنوق ، فأطلق اسمه عليها ، وقداتصف بكل ما يتحلى به الرجال من شجاعة ونبل وكرم وجاه .

وفي عهد الاتراك حيث كان أوار النضال العربي يضطرم في نفوس ذوي العقائد العربية الصلدة ، فكانت اسرة عرنوق موضع مراقبة حكام الاتراك ، لما اشتهر به رجالها من بأس وتعصب لقوميتهم العربية ، وجرأتهم النادرة بالجهر باستقلال بلادهم .

ودار الزمن ، فكان مصير هذه الاسرة العربية المناضلة خلال الحرب العالمية الاولى ، أن سيق بعض افرادها الى الديوان الحربي العرفي في عاليه ، ليلقوا في سجنه اشد انواع التنكيل والارهاق ، بقدر ما كان يختلج في افئدتهم من تفان واخلاص لعروبتهم وبلادهم .

نفي الاسرة — كانت هذه الاسرة النبيلة في عداد الاسر السورية التي امر جمال باشا بتشريدها ونفيها الى مجاهل الاناضول وقد شمل النفي عشرة من ابناء المرحوم طنوس بك عرنوق وهم السادة : خليل وابراهيم والياس وسرحان وواكيم ونقولاوقيصر مع عوائلهم الى سيواس ، وتوفي قبل صدور امر النفي اسكندر وجبرائيل ، بسبب ما لقياه من تعذيب وتنكيل ، ثم نفي ولده جرجس وعائلته وقاسى الاهوال .

ونفي ابناء اعمامهم ، السادة عيسى بن سليم وشقيقه جرجس ، وابراهيم بن حبيب عرنوق وعوائلهم ، وقد اقام الجميع في سيواس ، ورغم انهم اغراب مشردون ، فقد تطاولت اليهم الاعناق ترمقهم بالاعجاب والاكبار .. لما تجلى في نفوسهم من اباء وشمم عربي اصيل ، وباتوا ينتظرون الاحداث الدولية في ذلك المنفى السحيق ، وفي تلك الفترة عصفت المنيـة بروح المرحوم جميل بن طنوس عرنوق ، وقد كان ركناً بارزاً في ميدان النشاط الوطني ، وهو والد السيد عيسى عرنوق وشاء القدران يكون هذا الشبل طفلاً يشاطر والده آلام الغربة في عرين الاسر والنفي .

وقد اوصى بنقل رفاته ، فنقل بعد الحرب العـالمية الاولى من سيواس الى (متن عرنوق) داخل حقيبة ، والحد الثرى في تربة بلاده .

وقضى الدكتور عفيف بن سرحان عرنوق نحبه متأثراً بمنفاه ، وأوصى بنقل رفاته من سيواس ، فتحققت وصيته ، ودفن في مسقط رأسه .

ويتضح من كل ذلك ، ما تعرضت اليه اسرة عرنوق العربية في نزعتها الصميمة من الاهوال والمحن والمصائب ، بسبب مبادئها القوية ، وعقيدتها الوطنية المثلى .

ومن الوطنيين البارزين السيد عيسى بن جميل عرنوق ، وقد اتم دراسته في طرابلس سنة ١٩٢٤ م ونشأ في المنفى في بيئة نبيلة ، وقد رضع ثدي الوطنية منذ صغره ، ودخـل المعترك السياسي ابان الحكم الوطني الاول ، فرشح نفسه للنيابة سنه ١٩٣٥م غير ان الفرنسيين قد وقفوا بوجهه ، وحالوا بقوة الحراب والدبابات دون فوزه بعد ان يئسوا من استمالته رغم كل عرض واغراء ففشل ، ونجح الدكتور الياس عبيد ، ولم يفت ذلك في عضده ، فقد اجمع الشعب على تقدير مبادئه الوطنية ، وظل عاملاً مخلصاً في الحقل الوطني مع صحبه حتى تحققت اماني البلاد بالاستقلال .

وجدير بالذكر ان الوجيه والشاعر العربي المعروف المرحوم عبد الله السليم اليازجي ، هو صهر المرحوم طنوس عرنوق ، فقد اقترن بابنته وكان التقاء الارواح والشعور على الصعيد الوطني والادبي .

نفى عثمان العائدي واسرته

كان المجاهد المشهور الشهيد المرحوم شوكة بن المرحوم عثمان العائدي ضابطاً في الجيش التركي المرابط في المدينة المنورة، وكان حوله ثلة من رفاقه الضباط الاحرار ، وكانت الاحداث السياسية تتوالى على البلاد العربية بعد اعدام قوافل الشهداء من رجالات العرب ، فأزمع هؤلاء الضباط على الالتحاق بجيش الملك حسين في الحجاز وكان منهم السادة : سمير بن عبد الحميد الرافعي من طرابلس ، عبد العزيز بن علي الجندي من حمص، وحسني كوكش وغيرهم . وقد نفذوا خطة الفرار بصورة محكمة ، تفاديا من مطاردة الجيش التركي لهم ، وجريمة الفرار من الجندية هو الاعدام . فكيف اذا كان الفرار بقصد الالتحاق بجيش ثائر على الاتراك ، فالعقوبة مزدوجة تنفذ فورا دون محاكمة ولا رحمة.



التحق الشهيد شوكة العائدي بجيش الملك حسين ، فأبرق فخري باشا قائد الجيش التركي في المدينة المنورة الى جمال باشا يخبره عن فرار فريق من ضباط العرب من جيشه والتحاقهم بخصمه الالد في الحجاز ، فأمر بنفي اسر الضباط الفارين الى الاناضول .

وهكذا سيق المرحوم عثمان العائدي واسرته جميعها الى بلدة (قرق كليسا) في الاناضول .

الدكتور منيف العائدي — . هو ابن المرحوم عثمان العائدي ، ولد بدمشق سنة ١٨٨٦ م وتخرج من جامعة الطب في استانبول عام ١٩١٣ م

وفي سنة ١٩١٤ م انتسب الى التدريس في المدرسة الاعدادية العسكرية كطبيب واستاذ للعلوم الطبيعية والصحية، ثم نقل طبيباً الى مدائن صالح، واثر فرار شقيقه الضابط الشهيد شوكة من الجيش التركي نفي والده واخوته الى قرق كليسا) ونقل الدكتور منيف من مدائن صالح الى باندرومة على بحر مرمرة، وسيق منفياً مع اسرته، ثم نقل رئيساً لاطباء الفرقة (١٢٩) في جيش الصاعقه الذي كان مركزه في حلب ، واثر صدور العفو العام عن المنفيين عاد الى دمشق، وبعد شهرين من عودته مع اسرته سقطت دمشق ، وانتهت حياته في العهد التركي .

مربي جيل . هو صاحب الفضل في ميدان العلم والتربية ، فقد اسس المدرسة العلمية الوطنية سنة ١٩٠٧ م ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٢٨ م وفي سنة ١٩٣٠ م اسس كلية البنات ، وقد تخرج على يديه جيل كامل من النشء الحديث المثقف ، وتولى فريق منهم مناصب عالية في الدولة .

اشتهر هذا المربي الأجل بالعقيدة الوطنية ، وحب للخير للمجتمع ، وهو مازال يؤدي واجبه الانساني وخدماته الاجتماعية بنشاط واتقان واخلاص ، ممايدعو الى الاعجاب باثاره الثقافية ومحامد مآثره .

الشهيد شوكة العائدي - . ولد عام ١٨٩٧ م بدمشق ، ودعي الى الخدمة المقصورة خلال الحرب العالمية الاولى ، واستشهد في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ م وكان رحمه الله من افذاذ الابطال ، وابلى في الجهاد أعظم البلاء في معركة زاكية الدامية ضد المستعمرين الفرنسيين ، وله ترجمة مفصلة نشرت في (تاريخ الثورات السورية) .

الدكتور عبد الكريم العائدي— . ولد بدمشق سنة ١٩٠٣م وتخرج من جامعه الطب بدمشق ، نفي مع والده واخوته الى قرق كليسا ، ثم اشترك في الكفاح والنضال القومي ضد المستعمرين الفرنسيين ، وتشرد عن وطنه في الاردن والعراق مدة طويلة ، وله ترجمة مفصلة في تاريخ الثورات السورية .

الفصل الثالث

الرد على مذكرات جمال باشا

عقب اعدام شهداء العرب ، أصدر السفاح جمال باشا كتاباً بعنوان (الايضاحات السياسية) ضمنه وثائق المحاكمة ، ومن يطلع على صور هذه الوثائق ، يراها هزيلة الى حد بعيد لا تبرر مهما كان شأنها اعدام أكثر الشهداء ، وخاصة اللامركزيين منهم ، ويجب على القارىء أن لا يأخذ بما ورد فيه ، لأنه وُضع بشكل لا يتفق مع الحقائق التاريخية الناصعة ، فان بعض هذه الوثائق التي يرتكز جمال باشا في احكام الاعدام عوجبها على أصحابها ، قد حُذف منها أشياء كثيرة ، وتفكك الارتباط بين عباراتها وفقدت روحها ومعناها الأصلي ، ولعبت بها يد المسخ بحجة أنها تؤثر على علاقات تركية مع الدول الحليفة التى خاضت معها غمار الحرب ، وتمس بكرامتها ، ونحن نرى أنها حجة واهية تذرع بها السفاح ليتم عمليته السياسية باعدام أحرار البلاد .

ومما يلفت النظر ، ان الصور المأخوذة لتلك الوثائق بالزونكغراف نشرت مطموسة تكاد لا تقرأ وكان على السفاح جمال أن ينشرها طباعة وزنكوغرافياً في آن واحد ليطلع الملأ عليها ، فيحكمون بصحتها أو عدمه .

واذا كان أعضاء الجمعية اللامركزية قد طالبوا بالحكم الذاتي ، فليس معنى هذا الطلب هو الانفصال عن السلطنة العثمانية ، وبذلك لا تصح تهمة الخيانة عليهم ، بيد ان جمال باشا تعمّد اتهامهم بالخيانة ليبرر الفتك بهم لاضعاف العنصر العربي والقضاء على الفئة المثقفة فيه .

وعرّب (علي احمد شكري) مذكرات جمال باشا ، بكتاب طبع سنة ١٩٢٣م ونحن نرى لزاماً علينا أن نخوض ميداناً شائكاً يحتاج الى جهود مضنية ، لتدقيق هذه المذكرات وتمحيصها ،ودراسة مواضيعها دراسة علمية ، فخرجنا من هذا الميدان بالردود الآتية :

وقد ثبت لدينا من بعض الوقائع ، على أن مواضيع هذه المذكرات قد صاغها جمال باشا بعد انسحابه من البلاد العربية ، لوقوعه في متناقضات فادحة .

جاء في الصفحة (١٣) من مذكرات السفاح جمال باشا مانصه حرفياً « انه برهن خلال تقلده منصب الحاكم العسكري في الآستانة ، على انه كان من أشد أصار تحرير المرأة ، وان تشيعه لذلك التحرير استهدفه لنمائم عديدة مشى بها أشخاص معينون فيما بعد » .

« المؤلف » ـ لقد صدق جمال باشا بقوله . بأنه كان من أشد أنصار تحرير المرأة ، فان تشجيعه على فتح المقاهي والملاهي بدمشق للنساء المسلمات حيث يحضرن تمثيل الروايات والرقص والغناء ومناظر السينما ، مع وجود السيدات ذوات الخدور والحرائر الى جانب الفاحشات ، كل ذلك يبرهن على على صدق قوله واباحيته المفرطة ، وانه من انصار تحرير المرأة .

البطولات السورية العربية الخالدة

جاء في الصفحة « ٧٠ » من مذكراته حيث يقول « ولما صدر لجيشنا الأمر بالزحف لاحتلال ادرنه . . . » .

« المؤلف » ـ ان المعلومات الموثوقة التي استطعنا الوقوف عليها ، اثناء زيارتنا للعراق في مطلع عام ١٩٥٦ م تثبت على ان الجيش الذي احتل أدرنة ، هي الفرقة الخامسة والعشرين السورية العربية ، وقد سافرت من دمشق في كانون الثاني سنة ١٩١١ م عن طريق حلب فالأناضول براً ، وعسكرت أولاً في مضيق الدردنيل تجاه استحكامات (بولاير) وحاربت البلغار في كانون الاول سنة ١٩١٢ م في جبال (اكساميلي) ووديان (طوغان ارسلان) فهاجمت البلغار في استحكاماته ، وكانت القوات البلغارية مؤلفة من سبعة وعشرين الف جندي ، تعززها سريات من المدفعية مؤلفة من (٩٤) مدفعاً صحراوية وجبلية .

أما الفرقة السورية العربية فكانت مؤلفة من ستة آلاف جندي وأربعة عشر مدفعاً جبلياً .

وقد اتضح أن المدافع الصحراوية التي كانت لدى الأتراك ، لم تشترك بهذا الهجوم ، بل كانت وراء الكتائب العربية بعيدة عن خطوط النار .

وكان لدى أنور باشا فرقة كاملة من الجند في البواخر ، وكان من المقرر أن تهاجم الفرقة العربية رقم (٢٥) البلغار من الجبهة وجهاً لوجه ، في الوقت الذي تنزل فرقة أنور باشا من البحر من جناح البلغار الايسر من موضع على الدردنيل يسمى (جار كوي) .

فلما بدأ هجوم الفرقة السورية منذ الليل . ودام حتى النهار التالي ، لم ينزل ولا جندي واحد من فرقة انور باشا في (جار كوي) ولم تشترك المدفعية الصحراوية التي كانت بقيادة مصطفى ناطق باشا التركي مع الفرقة العربية بالقتال . ومع كل هذا فقد ابدت الفرقة السورية العربية بسالة عجيبة في ساحة الحرب فاستولت اولاً على بعض استحكامات البلغار في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩١٢ م — ربيع الاول سنة ١٣٢٩ هـ . ولكن الذخيرة التي كانت لدى الفرقة قد نفذت . فضربت الابواق طالبة تأمين ارسال الامدادات من الذخيرة الا ان تلك الابواق كانت صرخة في واد . فلم يصل اليها شيء حتى اصبحت بنادقها كالعصي بلا عتاد . وكان ذلك بديهياً ان يدرك البلغار اسباب التوقف فارتدوا على الفرقة السورية . وامطروها وابلاً من قنابل المدفعية ، فاضطرت للارتداد .

أما المدافع الجبلية الاربعة عشر ، فكان يقود كتائبها البكباشي (جميل بك استانبولي) وقد تراجع بها ، ولم يجرأ على الدنو بها الى ساحة القتال ، وكان معه اليوزباشي (عبد اللطيف السيمجي) الدمشقي العربي ، وكان قائداً لسرية تتألف من أربعة مدافع جبلية ، وقد أبى التراجع مع قائده جميل بك ، فداوم على السير نحو العدو لانقاذ ابناء بلاده في تلك الفترة العصيبة ، والتوى مستتراً في الوديان حتى أتاح الله له موضعاً حصيناً ملائماً ، فنصب مدافعه على مسافة نصف كيلو متر أمام جبهة الجيش البلغاري ، وصب نيرانه الحامية على قوات العدو ، ودام ذلك الى أول الليل ، حتى تمكنت بقية الفرقة العربية من الانسحاب سالمة ، بعد أن انقطع المدد من ورائها ، ومن موقع (جار كوي) ولم يشترك معها أنور باشا وكان انور بك وقتئذ برتبة (أمير ألاي) وقامت الدراعة التركية (مسعودية) ، التي كانت مرابطة أمام جار كوي بضرب الجناح الايسر البلغاري بقذف قنابلها مدة طويلة .

خسائر الفرقة العربية وبطولتها

بلغت خسائر الفرقة العربية نحو (٩٠) ضابطاً وزهاء ألفي جندي بين شهيد وجريح ، وبعد أن استراحت الفرقة ، وعاد اليها انتظامها ، وفسخت الحكومة الاتحادية الهدنة المعقودة بينها وبين البلغار وعزمت على استرداد أدرنة ، وصدر الامر للجيش التركي باحتلالها كما ورد في مذكرات جمال باشا ، ساقت الدولة هذه الفرقة أيضاً ، فاكتسحت تلك الفرقة المظفرة جبال (اكساميلي) وما وراءها من البلاد جميعها ، وانقض أفرادها كالاسود الكواسر ، فالتفت من جبهة شبه جزيرة كليبولي الى

الى جبهة الروملي ، وقد كان في وجه البلغار الجيوش التركية في (خادم كوي) قرب الآستانة تدافع عن العاصمة في جبهة (جتالجه) وكان البلغار قد احتلوا جتالجه واستحكاماتها ، فلما اكتسحت الفرقة السورية جبهة خطوط (بولاير) وخطوط (اينوز ميديا) التي عيّنتها الدول ، بات الجيش البلغاري الذي احتل جتالجه والذي يهاجم العاصمة مهدداً من ورائه ، فاضطر للانسحاب ، وأصبح بكليته أمام الفرقة السورية وجهاً لوجه ، وأصبحت القطعات التركية التي في (خادم كوي) وراء الفرقة السورية .

لقد كانت هذه الفرقة المنصور عبارة عن طليعة للجيش التركي كله . تتلقى ضربات الهجوم . فاستاقت الجيش البلغاري أمامها حتى احتلت (أدرنة) وتجاوزتها الى بلدة (جسر مصطفى باشا) وهي على الحدود البلغارية تماماً . ثم تجاوزت الحدود . ودخلت الاراضي البلغارية ، فصدر الامر اليها بالتوقف عند الحدود . فتوقفت متوثبة كالاسود تنتظر الانقضاض على العدو .

لقد أثبت الجنود السوريون العرب . من الصبر والجلد والبطولة ماعز نظيرها في بطون التاريخ وأمجاد الامم .

بطل ادرنة الوهمي

أما أنور باشا فقد انتحل لنفسه (بطل أدرنة ورفع اكليل الغار بالانتصار على سواعد العرب . ولا بد لنا من القول والالم يحز في نفوس القراء . ان هذه الفرقة السورية العربية المباركة . قد أصيب كثير من أفرادها بجراح في معركة (اكساميلى) الاولية الواقعة في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩١٢م .

اهمال الجرحى

لقد نقل الجرحى من أفراد الفرقة السورية الى بلدة كليبولي . وكان فيها كثير من المستشفيات العسكرية (وهي البيوت الكبيرة التي اتخذتها السلطة العسكرية مستشفيات لها) وكانت هذه المستشفيات ترفض قبول جرحى العرب . ولا تهتم بأمرهم بحجة عدم وجود اماكن لا يوائهم . فكانوا يضمدون جراحهم في دكاكين الحلاقين والبائعين . وكان البعض في قارعة الطريق وهم في حالة يرثى لها . وكان البعض من الضباط يدخلون البيوت . فيقيمون فيها لمعالجة جراحهم .

قائد الفرقة السورية

كان قائد الفرقة السورية المذكورة . أمير اللواء مصطفى باشا وهو عراقي كردي . وكان قائداً باسلا محباً لضباطه وجنود فرقته . ويبادلونه الحب والطاعة بتنفيذ أوامره بالتضحية والمفاداة .

هكذا كان استرجاع ادرنة العسكري الذي ورد ذكرها في مذكرات جمال باشا وقد تجاهل أمر الفرقة السورية التي يعود اليها وحدها الفضل باسترجاع ادرنة . وانتحال أنور باشا البطولة على اكتاف العرب . دون ان يشير الى ذلك بكلمة. فأثبتناهذه الوقائع للتاريخ لتكون عبرة وعظة . بما كان العرب يقدمون من تضحيات . ويظهرون من اخلاص حيال الوحدة الاسلامية .

ورد في مذكرات جمال باشا الصفحة (٧٤) « أن سليمان بك العسكري كان زعيم التشكيله المخصوصة في في تراقية الغربية الذي توفي في ذلك الحين » .

« المؤلف » - ان الحملة التي ذكرها جمال باشا في هذه الصفحة ، كانت في شهر آذار سنة ١٩١٣ م؛ والظاهر ان جمال باشا قد استند في وضع مذكراته على ذاكرته دون الرجوع الى الوقائع التاريخية المدونة في التقارير الرسمية والدليل على ذلك أن سليمان بك العسكري الذي أشار جمال باشا بوفاته في تلك الحملة ، كان قائداً عاماً للجيش التركي في العراق ، وخاض المعارك المشهورة في (كوت الامارة) وقد أصيب برصاصة كسرت رجليه ، فاختل عقله وقتئذ ، وأطلق على نفسه رصاص مسدسه من شدة الآلام ، فمات منتحراً في ميدان العراق في شهر نيسان سنة ١٩١٥ م فهذه المتناقضات الموجودة في مذكرات جمال باشا تدعونا لعدم الاخذ والثقة بأقواله ومزاعمه ... اذا اقيست بما افتراه على شهداء العرب ، بوصمهم بالخيانة .

اعترف جمال باشا في مذكراته الصفحة (١٢٥) « ان أول عمل قام به عند توليه وزارة النافعة ؛ انه عرض على الصدر الأعظم تسوية لاتستطيع فرنسا رفضها من أجل عقد القرض معها » .

« المؤلف » - أجل : لقد أعطى جمال باشا بعض الامتيازات لفرنسا في سورية تأميناً لهذه التسوية بعقد القرض معها ، ونحن نستغرب هذه المغالطة فلا يصرح عن ماهية هذه التسوية وأسرارها مع اصدقائه الفرنسيين والمتتبع للأحداث السياسية يرى ان هذه الامتيازات كانت من أشد العوامل في نكبة البلاد السورية ومطامع المستعمرين فيها .

ورد في مذكرات جمال باشا الصفحة (٣٣٦) ما نصه : « بأن المحكمة العسكرية حكمت على نخله باشا المطران من (بعلبك) بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وانه حصل على ترخيص من الآستانة بارساله مع من يحرسه الى ديار بكر ، وان نخله باشا حاول الفرار من حراسه بالقرب من جرابلس فوجد قتيلاً بجانب حراسه»

« المؤلف » — هكذا ابتعد جمال باشا عن الصدق والحقيقة في مذكراته التاريخية . فروى القصة كما يشاء وانه بريء من دم نخله باشا المطران ، والحقيقة أنه أمر بقتله في الطريق للتخلص منه بحجة محاولته الفرار من حراسه ، وان من يتعمد الاختلاق بنشر مفترياته في مذكرات تاريخية على هذه الصورة ، يصعب على القارىء الأخذ بأضاليله ، واتهام الشهداء بما هم براء منه .

لقد سبق ان اغتال جمال باشا قبل نخله باشا المطران ، الشهيد الدكتور عزة الجندي ، ولم يعرف مصيره حتى الآن ، وقد تفادى السفاح ذكر اغتياله في مذكراته ، مع ان مرافق جمال باشا أقرَّ الى فريق من الضباط باغتياله بصورة سرية . في فندق دامسكوس بالاس بدمشق . وكان مقر جمال باشا آنئذ .

ذكر جمال باشا في الصفحة (٣٣٧) من مذكراته « انه وجد بين الوثائق المضبوطة في القنصلية الفرنسية في دمشق أدلة قوية ، تثبت ادانة كل من الامير علي باشا بن الامير عبد القادر الجزائري ، وكيل مجلس النواب واخيه الامير عمر الجزائري مبعوث دمشق السابق . وشفيق بك المؤيد العظم . وعبد الحميد الزهراوي عضو مجلس الأعيان . ويحيى الاطرش . وعبد الوهاب الانكليزي المفتش الملكي . وشكري العسلي . ورشدي الشمعة مبعوث دمشق ، وغيرهم من كبار وجهاء العرب » .

« المؤلف » — ان الذي أخبر جمال باشا عن وجود أوراق ووثائق في دار القنصلية الفرنسية بدمشق ، هو خلوصي بك والي سورية ، وان تلك الوثائق قد ضبطت فأين هي ؟.. مادامت تدين عدداً من الشهداء والموظفين وغيرهم في بيروت ودمشق .

ان الوثائق التي زعم جمال باشا وجودها في دار القنصلية الفرنسية بدمشق ، هي عبارة عن مخابرات لاتتعدى حد المجاملات ، وهي في الحقيقة لا تدين أحداً من الشهداء ، وهذه الوثائق لا أهمية لها اذا قيست بالوثائق السرية التي نشرها البلاشفة في سنة ١٩١٨ م من سجلات وزارة الخارجية الروسية وهي تثبت عن وجود صلة بين جمال باشا والارمن في سنة ١٩١٧ م وتوسيطه الارمن لحمل الحلفاء على الاعتراف به سلطاناً على تركية ، مقابل قضائه على الدولة .. فهل اعترف جمال باشا في قرارة نفسه ، انه كان خائناً لدولته ولأمته التركية ، بسبب هذه

المؤامرة ؟.. وهل لا يستحق الاعدام الف مرة ، لو كان له الف رأس ؟.. وكيف يحلل لنفسه المؤامرات ضد قوميته التركية ، ولا يعتبر جرمه خيانة ، ثم يتهم شهداء العرب بالخيانة بسبب تلك الوثائق الهزيلة ؟..

جاء في الصفحة « ٣٦١ » من مذكراته « ان عبد الكريم الخليل بدأ أعماله في التمهيد للثورة في شهر تموز سنة ١٩١٥ م وان الرسائل قد تبودلت أيضاً في ذلك الوقت بين الانجليز والشريف حسين » .

« المؤلف » ـ ثبت جلياً من أقوال جمال باشا ، بأن الشريف حسين لم يبدأ بالمخابرات مع الانجليز ، الا بعد ان قبض السفاح جمال على كثير من زعماء العرب وشبابهم ، وبعد ان أنزل الضربة القاصمة في البلاد السورية باعدام شبابها ، وتشريد أهلها ؛ ونفي الكثير من رجالاتها الى مجاهل الاناضول .

ويظهر من التناقض الواقع بين تواريخ الوقائع والحوادث ، ان جمال باشا أراد ان يعكس القضية ويضلل الحقيقه . فزعم انه قبض عليهم بسبب مخابرات الشريف للانكليز ، فالنقاط الدقيقة في التواريخ قد فضحت اعمال السفاح ، فهو يحاول ان يطهر روحه من كل حقد ، ويظهر نفسه ليناً محباً للعرب ، وانه بطش بزعمائهم بسبب الشريف حسين وعلاقاته مع الانكليز . على ان جمال باشا قبض على شبان العرب منذ شهر نيسان سنة ١٩١٥ م .

ويعترف السفاح جمال باشا في الصفحة (٣٦٨) في السطر السادس من مذكراته « بأن محاكمة عبد الكريم الخليل واخوانه استمرت شهري حزيران وتموز سنة ١٩١٥ م . »

« المؤلف » ـ ان القبض على قافلة الشهداء الأولى كان قبل هذين الشهرين ، وكان اعدامهم في ٢١ آب سنة ١٩١٥ م فلينتبه القارىء الى مغالطات جمال باشا ودسائسه وتدجيله واضاليله وقلبه الحقائق لادانة شباب العرب واتهامهم بالخيانة ، واكبر دليل على الخلط والتضليل الواقع في مذكراته السخيفة ، ان الامير فيصل لما حضر الى دمشق في شهر ايلول سنة ١٩١٥ م كانت ثورة الشريف حسين لم تبدأ بعد ، وفي هذا الحين كان جمال باشا قد قضى على الكثير من شباب العرب ، وكان لم يزل ممتداً في طغيانه وبطشه ، فلما بدأت الثورة خشي العواقب وخمد طغيانه .

ومن الثابت ان شدته وأذاه للعرب كانت من أهم العوامل في تحمس الشريف حسين وحزنه لما أصاب السوريين من نكبات القتل والنفي والتشريد .

ومما لا يقبل الشك والجدل ، أنه لولا قيام الشريف حسين بثورته ، لتم تهجير شعب سورية برمته الى الاناضول كما وقع ذلك للأرمن .

جاء في الأسطر الأخيرة من الصفحة (٣٧٢) ما نصه : « وما كنت في حاجة لذكر كل هذه التفصيلات لولا اني اريد ان أظهر للملأ سفالة الشريف حسين وخبث طويته ، وليكون في ذكرها الرد الكافي على قصار النظر الذين يعزون عصيان الشريف الى سوء ادارتي . »

«المؤلف» - يعتقد السفاح جمال باشا في قرارة نفسه بحسن ادارته الرشيدة. وقد عميت بصيرته وغاب عنه ، بأن سوء ادارته مع زملائه انور وطلعت وجاويد ، واذى زعماء الاتحاديين للعنصر العربي ، كانت العامل الاساسي لقيام الشريف حسين في الثورة العربية ، بالاضافة الى ما كانوا يضمرون له ولا نجاله من الحقد والمكر والوقيعة ، وهل لم يدر بمواقف تحسين باشا والى دمشق منه ، وقد بعث بتقاريره المفصلة الى المسؤولين في الآستانة ، يعلمهم بان سوء ادارة جمال باشا كانت السبب في ما وصلت اليه البلاد العربية من خراب ودمار وتذمر .

ورد في الصفحة (٣٧٢) بأن انور باشا بعث الى جمال باشا ببرقية كان ارسلها اليه الشريف حسين وهذا نصها : « اذا كنت حقاً ترغب في التزامي لجانب الهدوء والسكينة . فينبغي الاعتراف باستقلالي في سائر الحجاز وجعلي اميراً ووراثياً فيه ، كما ينبغي العدول عن محاكمة العرب المتهمين . واعلان العفو العام في سورية والعراق . »

« المؤلف » تدل هذه البرقية على ان الشريف حسين لم يكن على اتصال مع الانجليز عند ارسال هذه البرقية . وان طلبه الاستقلال الداخلي وامارة وراثية في سلالته . هو قطعاً لدابر دسائس الاتراك حياله . فقد كان ابناء عمه يزاحمونه لعداوة فيما بينهم . وكان يكرهون بعضهم . لانهم كانوا من اعوان الاتحاديين وآلة مسخرة بأيديهم . وكانوا يقيمون في الاستانة ولا يتورعون بالدس عليه حسداً وبغضاً . فالاستقلال الداخلي الذي طلبه كان مرتبطاً بنفوذ الدولة العثمانية . اسوة بالامام يحيى امير اليمن .

وقد طلب الشريف حسين ذلك خوفاً من ان يتعرض للعزل من قبل الاتحاديين ، فينصبون بمكانه احد ابناء عمه الاتحاديين ، فيخرب الحجاز ، ويُظلم الشريف حسين ، او يُنفى واولاده ، ويلقى المصير الذي لقيه من قبله (الشريف غالب) الذي غدر به الاتراك مع فضله عليهم ، وحسن بلائه في خوض (٥٥) معركة ضد الوهابيين دفاعاً عن الحرمين ، وذوداً عن حمى الخلافة ، فكان جزاؤه النفي مع اسرته وحاشيته الى سلانيك ، وبقي طريداً شريداً حتى وافاه الأجل المحتوم .

ويتراءى للقارىء ، كيف ان الاتراك كانوا لا يعملون لله والوطن . بل جلّ قصدهم التحكم في العباد كما يشاؤون . فمع جهلهم لغة البلاد وطبائعها وحوائجها وأوجاعها . فانهم يعدون نصح الناصحين .

واخلاص المخلصين تدخلا في سلطة الحاكم ، ولو كان ذلك الحاكم غبياً جاهلا ، حتى وان كان الناصح لهم من أكبر الزعماء ومن أشرف الشرفاء ، وقد بلغت وقاحة الاتحاديين مع أعاظم العرب الى هذا الحد ، فكيف مع ضعفائهم وقد امتاز الاتراك بالصلف والاستعلاء والحمق المقرون بقصر الادراك .

هذا وان التهديد ظاهر في حديث جمال باشا مع الامير فيصل من أجل البرقية التي بعث بها والده الى انور باشا ، فهل بعد هذا التهديد العظيم ، يزعم جمال باشا انه راعى العرب ، وتجاوز عن مساوئهم بكثير من التسامح ، وهل يجوز في أمة من الامم ، أن يأتي قائد جزار مثله ، فيفعل بأمة بأسرها ما شاء له ان يفعل ، ثم يجيب الذي ينصحه ويرجوه بالعفو عن رجالات العرب بلغة التهديد الشديد ، فأين الحكمة والادارة الرشيدة التي وامتدح بها نفسه .

وليعلمن القراء ، ان جمال باشا بينما كان يبطش في سورية ، كان الاتحاديون من اعوان القائد سليمان العسكري يبطشون في العراق ، في الفترة التي كانت مدافع الروس تحصد فيالق العراق العربية والبرد يفتك فيهم على حدود القوقاس ، ومدافع الانكليز والفرنسيين تحصد أبناء سورية في (أنافورطة) وشبه جزيرة (كليبولي) ثم أخذوا من تبقى من الفرق السورية ، فافتتحوا بها رومانية كما هو معلوم .

فأية أمة تصبر على الذل والهوان في ذلك العهد الاسود كما صبرت الأمة العربية ، كل ذلك في في سبيل الحفاظ بالخلافة الاسلامية . وتناسي الماضي ما دامت مصلحة الدولة تقضي بالدفاع عن كيانها الخطر . في تلك الحرب التي زجّ الأتراك أنفسهم بها .

ورغم الحاح الامير فيصل على جمال باشا . باجابة طلب أبيه بما يتعلق بالوراثة . والعفو عن شهداء العرب قبل تنفيذ حكم الاعدام بهم . ومحادثته بأمرهم مرات عدة . فقد أجابه « ان الرجال الذين يكوّنون الحكومة الحاضرة . والذين جرءوا على القيام في وجه السلطان عبد الحميد الذي امضّك استبداده . لن يصفحوا عمن يجترىء على شل أيديهم في هذه الحرب التي دخلوها لمصلحة العالم الاسلامي » .

ونحن نرى ان كل ما ورد في حديث جمال باشا للامير فيصل . هو عبارة عن شقشقة فارغة ووهم كاذب ، اذ ان حصر الوراثة في الشريف حسين ، والعفو عن زعماء العرب لا يضير الدولة بشيء ، ولكن كيف يتسنى للاتحاديين الانتقام من العرب اذا صدر العفو المرتجى . وهو الانتقام الذي قرر الاتحاديون تنفيذه على زعماء العرب منذ كانوا يطالبون في مجلس النواب بمعاملة البلاد العربية بالعدل والانصاف . ومن حق النواب ان يطالبوا بها للبلاد التي أنابتهم عنها . والا فما معنى وجود ذلك البرلمان . والنائب

تية غير مسؤول قانوناً فيما يطلب . لذا فقد كان عهد جمال باشا اكبر فرصة للتشفي والانتقام من العرب وهنا يثبت جمال باشا بجوابه للأمير فيصل . انه قد أشاد بسطوة الاتحاديين وكبريائهم . وعدّ العفو عن زعماء العرب أمر يشل ايدي الاتحاديين .

ومن المضحك ان جمال باشا خلط بالقضية . فجعل الفتك برجال العرب نجاحاً للعالم الاسلامي . ونصراً مبيناً . واعتبر العفو وعدم ايذاء العرب انكساراً للمسلمين . ولعمري ما هي المصلحة التي تعود بالنفع العظيم من هذه الحرب التي دخلها الأتراك لمصلحة « العالم الاسلامي » كما زعم جمال باشا في مذكراته السخيفة ، ومحاولاته إقناع الرأي العام بسداد عمله وزملائه الاتحاديين ، وكل ماثبت من الوقائع والنتائج المحزنة المعلومة، أن زعماء الاتحاديين ساروا في ركاب الألمان ككلاب الصيد بسائق الحمق والطيش ، وقد غرتهم الاوسمة الألمانية والاحتفالات الخداعة ، وكانت النتيجة أن مزقوا البلاد العربية شر ممزق بسياستهم الخرقاء ، وما أبتلوا به من أنانية وغرور وتشف وانتقام .

ورد في مذكرات جمال باشا الصفحة (٣٧٩) (عن قيام الشيخ بدر الدين بمهمة الشفاعة) مانصه : « وفي اليوم السابق لتنفيذ حكم الاعدام حضر الى داري الشيخ بدر الدين الحسني (المحدث الاكبر) تلبية لرجاء فيصل ، وهو رجل أجله الاجلال التام ، وقد جاء ليشفع في المجرمين ، وكان معه الشيخ عبد القادر الخطيب ، خطيب الجامع الاموي وهو ، رجل يتعذر على الانسان أن يعثر على رجل مثله خبثاً وخيانة وعدم أمانة ، لافي دمشق فحسب ، بل في سائر انحاء المعمورة ، فخيانة اهل المدينة الذين باءوا بغضب الرسول عليه الصلاة والسلام لاتذكر بجانب خيانته وخبثه وسفالته ، وقد رأيت أن الصواب إرجاء معاقبته الى مابعد » .

« المؤلف » ـ لقد جاء الشيخ بدر الدين الحسني ليشفع لدى جمال باشا بزعماء العرب قبل اعدامهم ، ولكنه خرج عن حدود المهمة التى كلفه بها الامير فيصل ، واسترسل بفتوى أطاحت برقاب الشهداء ، فقد ختم كلامه بالعبارة الآتية المثبتة في الصفحة « ٣٨٠ » فقال :

« لقد جعل الله عز وجل لمن يعمل لايجاد الشقاق والفوضى في صفوف المؤمنين ، والسعي بالفساد في الارض ثلاث عقوبات ، القتل والصلب ، وتقطيع الايدي والارجل من خلاف ، والنفي من الارض ، فقال جل ثناؤه في كتابه العزيز « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ، أن يقتلوا او يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ... الى آخر الآية الكريمة »

وأردف قائلاً بطلاقته المعروفة ، فالعقوبة تكون مناسبة لحال الجريمة ، وما يترتب عليها من الضرر بالمسلمين

ومن في حكمهم ، والفساد والاضطراب اللذين يلحقان بالامة والدولة ، ونحن الان نخوض مع العالم الاسلامي غمار حرب تطحن الناس طحناً ، وما القوم الذين يكيدون للاسلام والمسلمين . ويدسون الدسائس لتمزيق الجماعة وتفريق الكلمة ، وشق عصا الاتحاد . واخضاع الامة وكسر الشوكة ، ويعصون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . بايجاد الفتنة بين المسلمين حتى يقتل بعضهم بعضاً ، الا وباء خطر يجب درؤه . وقد نهى رسول الله عن الشفاعة في الحدود »

« ويقول جمال باشا في مذكراته « وما انتهى الشيخ بدر الدين من كلامه حتى التفت الى الشيخ اسعد شقير . وعبد القادر الخطيب وقلت مبتسما « لقد جئتما الي بهذا الشيخ الموقر للشفاعة . فيمن ادانتهم المحكمة العسكرية . فكان كل ماعمله . هو أن استحسن حكم المحكمة . وبيّن لي أني بمقتضى احكام الدين الحنيف لايجوز لي العفو عن هؤلاء الخونة وأمثالهم . أليس كذلك يابدر الدين افندي » فنظر الينا وهز رأسه . أن نعم وصاح الشيخ اسعد شقير قائلاً « إلهي لقد قضيت علينا ايها الشيخ . إذ كيف يمكننا التوسل مرة أخرى بعد الذي نطقت به . فانه عملاً بفتواك . سيعاملنا معاملة الخونة . فيأمر بشنقنا أيضاً بلا تردد »

« المؤلف » ـ نترك للأجيال الصاعدة الحكم على الشيخ بدر الدين الحسني على ضوء ماورد في مذكرات جمال باشا حول هذه الفتوى ، ونحن نستغرب ، كيف اجاز الشيخ بدر الدين لنفسه الخروج عن حدود مهمة الشفاعة التي ندبه اليها الامير فيصل . وما معنى الاسهاب والاسترسال في فتوى ضمن نطاق الآية الكريمة وجمال باشا لم يطلب منه اية فتوى حتى تمسك السفاح باحكامها . وزادته اندفاعا في بطشه وفتكه بالشهداء فالامير فيصل لم يبعث به ليزيد النار ضراما في هذا الموقف العصيب ، وكان عليه الاستماع الى اقوال جمال باشا والسكوت دون أن يفوه بأية كلمة امام قائد سفاح لئيم .

ان المطلع على اقوال جمال باشا . والعالم باحوال الاتحاديين حق العلم . والمتتبع لجميع اعمالهم . يعلم ان حكم الايات الشريفة التي نطق بها الشيخ بدر الدين الحسني . ينطبق عليهم قبل كل شيء . فقد اعترف السفاح جمال في الصفحة (٣٧٨) من مذكراته « انه يفاخر بقيامه واخوانه الاتحاديين في وجه السلطان عبد الحميد الخليفة العثماني وثل عرشه والتخلص من استبداده » .

« المؤلف » ـ لقد جرت هذه المفاخرة الى تقطيع اوصال الدولة بضياع البوسنه والهرسك ، والى حرب البلقان ، والى استقلال البلغار ، والى ضياع الروملي ، وطرابلس الغرب ، والى فتنة اليمن ، ثم الدخول في الحرب العامة من اجل الالمان اصدقاء أنور باشا دون تردد ولا انتظار . والى تمزيق شمل الدولة . شذر مذر في

الداخل . وضعف سياستهم وعنادهم وبطشهم بكل من لم يكن منهم. حتى من الاتراك انفسهم . فكيف بالعرب فهؤلاء الذين اضعفوا الدولة والرعيه .ولعبوا بعقام خلفائهم .وثلوا عروشهم . وعاثوا في الدولة فساداً هم الذين تنطبق عليهم احكام الآيات الكريمة ، بالقتل والصلب والنفي ...

لقد سجل التاريخ أيضاً للشيخ بدر الدين الحسني بادرة اخرى ، فقد أفتى لفريق من زعماء المجاهدين بالقيام بالثورة السورية عام ١٩٢٥ م ثم تخلّى عنهم دون موأزرة ، وغرّر بهم وأوقعهم في أتونها اللاهب.

أما النعوت والالقاب التي أغدقها جمال باشا بحق الشيخ عبد القادر الخطيب وإرجاء معاقبته الى مابعد ، فهي تدل على اكتشاف أمر الخطيب بعد تلك الحقبة ، ونحن نرى أنه لوصح ماقاله جمال باشا بحق الشيخ الخطيب لما توانى عن الفتك به ،كما فعل بمفتي غزة ، فقد اعدمه على الشك والشبهة مع ولده وعبده.

ولم يقتصر جمال باشا على اعدام الشهيد سيف الدين الخطيب فنفى الشيخ جمال الخطيب ،وهو ابن عم الشهيد الى البصرة ، واعقبه بالسيد زكي الخطيب شقيق الشيخ جمال ، فنفاه قائمقاما الى جبل سنجار ، وبديهي أن يكره الشيخ عبد القادر الخطيب الذي دخل دمشق مع الأمير فيصل .وان يكون من ابرز الدعاة للقومية العربية.

ان ماوصفه جمال باشا للشيخ الخطيب الذي جاء مع الشيخ بدر الدين بمهمة الشفاعة نعتبره شرفاً وفخراً له ، فانه لم يتطرق لكلمة ماعن الشهداء ، ولم يحرك النار تحت الرماد ، ولو كان موقف الشيخ عبد القادر الخطيب مع الأتراك كموقف الأمير شكيب ارسلان ومحمد كرد علي .لرضي عنه وقرّبه اليه ، ولكن شاء الله أن يعصم المرحوم الخطيب الداهية من هذه الهوة السحيقة ،وان يكون مخلصاً وفياً لقوميته العربية ،ولن تضيره مطاعن جمال باشا ، فالاحكام تبنى على الافعال، وموقف الشيخ عبد القادر الخطيب النبيل من الملك فيصل اكبر دليل على اخلاصه لعروبته .

جاء في مذكرات جمال باشا الصفحة (٣٧٢) مانصه « وفي اليوم الثالث نفذت أحكام الاعدام في بيروت ودمشق ، ويقول البعض ، لقد كان ينبغي ألاّ ينفذ الحكم الاّ بعد إقترانه بتصديق السلطان ورداً على هؤلاء ، أقول .

أولاً ـ . لقد خولت السلطة القانونية في أن أفعل مافعلت ،

ثانياً ـ . ان المبادرة بتنفيذ الحكم كانت في نظري الوسيلة الوحيدة للضرب على أيدي الخونة ، فان أراد قائد مثلي ليس له الاّ القليل من الموارد ان يحافظ على سلطة الحكومة وسطوتها ونفوذها في بلاد سممتها

الدعوة الانكليزية والفرنسية عدة سنين، كان من أهم الامور ان يكون بحيث يؤمن الاهالي الملكيون بقدرته على الأخذ بناصية أي شخص كائناً ما كان، ومعاقبته أشد معاقبة بدون استئذان المراجع العليا في الآستانة أولاً ويقيناً أن الفضل في عدم حدوث ثورة مافي سورية خلال العامين والنصف العام، اللذين أعقبا اعلان الشريف حسين لاستقلال بلاده، انما ترجع الى احكام الاعدام التي وقعت في شهر اذار سنة ١٩١٦ م »

« المؤلف » ـ لقد ألصق جمال باشا التهمة بالعرب، فقال ان الدعاية الانكليزية والفرنسية سممتا البلاد العربية عدة سنين، وان احكام الاعدام قد حالت دون وقوع ثورة مافي سورية، ونحن لاندري، كيف تقوم ثورة في سورية، وفيالق الجيش المؤلفة من السوريين، كانت تخوض المعارك الحربية في كل بقاع الدولة دفاعاً عنها، حتى أن الاتراك كانوا يرسلون شباب العرب الى اليمن ليحاربوا العرب أمثالهم، وكانوا من أطوع جندها دون جدال. فيما اذا كانت اليمن ظالمة اومظلومة؟ فكيف اجاز السفاح جمال لنفسه إلصاق هذه التهمة بأهل البلاد. وهي على ما كانت عليه من مواقف الدفاع والاخلاص للدولة.

أجل: لقد كان السر في هذه التهمة وغيرها في العرب لكونهم عرب. وليسوا باتحاديين »

ـ ورد في الصفحة (٣٨٣) مانصه « وقد بيَّنت في الكتاب الأحمر المسمى (حقيقة المسألة السورية) أن اولئك الاشخاص اتخذوا العفو العام وسيلة للقيام باعمال جنائية جديدة. وإن إدانتهم ترجع الى جرائمهم بعد ذلك العفو »

« المؤلف » ـ وهذا اعتراف صريح من جمال باشا بأن الوثائق التي يدعيها، والتي إستند عليها بحكم الاعدام على زعماء العرب كانت قبل العفو »

جاء في الصفحة (٣٨٤) مانصه « وفي يوم الاعدام نفسه حضر اليَّ محمد باشا العظم مبعوث دمشق وقال « اني ليدركني العار الشديد كلما تذكرت أن امثال اولئك الاشخاص هم من اعضاء اسرتي. انك قد احققت الحق. فليكلأك الله ورسوله بعين الرعاية »

« المؤلف » ان محمد باشا العظم أعرف الناس ببطولة ابن عمه الشهيد شفيق بك المؤيد العظم. ومافعله بطلعت باشا. وان التهم التي أسندت اليه. كانت اختلاقاً وافتراءً ودساً لتشويه سمعة هذا الشهيد الأجل. وهو ابرز من انجبته هذه الاسرة من ابطال الرجال. وان ما اعرب عنه محمد باشا للسفاح من عبارات الدجل والنفاق التي جرت على لسانه. كانت بسائق الخوف من بطشه. واغرب من ذلك ان يكون جمال باشا

غبياً فينخدع بزخرف الاقوال دون أن يدرك السرائر . فما نطق به محمد باشا العظم كان إرضاء للسفاح وسياسته ، إذ لو أمسك محمد باشا عن زيارته في ذلك الحين بعد اعدام ابن عمه ، لفتك به ، ولكان نصيبه النفي الى الأناضول كما فعل بأسرة الشهيد شفيق بك وأقرب الناس اليه من أسرته وأولاد أخيه .

ورد في الصفحة (٣٨٥) من مذكراته ما نصه « ثم مر شهر على هذه الحوادث ، وجاءني رد الشريف حسين على البرقية التي أرسلتها اليه ، فاستنتجت من جوابه أن كلماتي كان لها أثر سيء في نفسه ، فقد أشار باصدار العفو العام لمصلحة الحكومة ، ثم شكا مر الشكوى من حاكم المدينة قائلاً : انه يأبى أن تسلب منه بلا مسوغ حقوق منحها إياه الخليفة العثماني » .

« المؤلف » ـ يستدل من برقية الشريف حسين الجوابية الى جمال باشا ، أن تسلط الاتحاديين بات عظيماً ، لأن الذين لا يرون للسلطان الخليفة أية أهمية في نظرهم ، لا يهتمون بالشريف حسين ولا يحترمون حقوقه الشرعية ، فقد كان وهيب باشا حاكم المدينة في ريعان الشباب ، ولم يكن من البشوات القدماء الذين حازوا على هذه الرتبة في الحروب التي خاضوا غمارها ، بل هو من الذين توصلوا اليها بسبب انتسابه للاتحاديين فقط .

وقد أكد لنا بعض الذين رافقوا أحداث الثورة العربية ، أن وهيب باشا حقر الشريف حسين عندما كان والياً في مكة المكرمة ، حتى أنه أمره في احد الأيام أن يقوم من على مائدة الطعام ، فانسحب الشريف غاضباً والدموع تنهمر من مآقيه ، وهكذا كانت أفعال هذا المغرور وأمثاله من الاتحاديين ، ثم يعجبون من شكوى الشريف حسين وأنجاله ، وقد كانوا عرضة للتهديد بشكل مستمر .

ذكر جمال باشا في الصفحة (٣٩٦) « بأن لهجة أنور باشا في خطابه إلى الشريف حسين كانت السبب في رفع علم الثورة » .

« المؤلف » ـ ان ايذاء السوريين والعراقيين ، وعدم العفو عن المحكومين بالاعدام ، وعدم اجابة مطالبهم ، واللهجة القاسية التي تصرف بها أنور باشا في خطابه للشريف حسين ، والتصرفات التي صدرت عمن بيدهم زمام الامور ، كل ذلك يثبت قُصْر مداركهم في سياسة الشعوب والدولة ، وكانت من العوامل التي دعت لرفع علم الثورة ضد الاتراك .

جاء في الصفحة (٣٩٨) من مذكراته ما نصه « ويمكن أن ألخص فيما يلي أسباب الثورة التي أتى

عليها الشريف حسين في منشوره الصادر بتاريخ ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ ﻫ الموافق لـ ٢٧ حزيران سنة ١٩١٦م والمنشور في صيغته الاصلية أصدق شاهد على نفاق العرب » .

« المؤلف » - أن كلمات جمال باشا هذه تثبت الملأ ما يختلج في صدور الاتحاديين من عداء وبغض لا للشريف حسين وحده ، بل للعرب جميعاً ، ولو لم يقم بثورته ضد الأتراك لسجّل له التاريخ مآخذ كبرى .

جاء في الصفحتين ٣٩٨ و ٣٩٩ من مذكراته ما نصه (ماندلستام) في كتابه عن أسباب الثورة ، بأن من أسبابها مانصه « لقد أهملت قوانين الديانة الاسلامية ، ففي الآستانة مثلاً وعلى مرأى ومسمع من الحكومة وشيخ الاسلام ، بلغت الجرأة بصحيفة تسمى (الاجتهاد) الى حد الكتابة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام بلهجة لا تتفق والتبجيل التقليدي المتبع عند المسلمين عند اشارتهم له ، وان تلك الصحيفة تقترح احداث تغيير في الشريعة الاسلامية فيما يختص بالمواريث ، بأن تسوّى حقوق النساء بحقوق الرجال .

« المؤلف » - أجل : لقد سعى الاتحاديون في رفع الحجاب عن النساء ، فمؤلف كتاب (قوم جديد) الاتحادي ، طلب بكتابه رفع أسماء النبي ﷺ والصحابة الكرام من المساجد ، ووضع أسماء طلعت وأنور وجاويد ، وهم من أبطال الاتحاديين مكانها في المساجد ، وزادت القحة بهذا المؤلف الذي انتشر كتابه في الآستانة ، أنْ طلب بلسانه في مسجد (أيا صوفيه) في درس عام كان يُلقي تأييد اقتراحه هذا ، فلم يؤاخذه احد على هذا الطلب الهزيل .

جاء في الصفحة (٣٩٩) ما نصه « وهناك برهان آخر ، وهو شنق هؤلاء الوجهاء الأمير عمر الجزائري والأمير عارف الشهابي وشفيق بك المؤيد العظم وشكري بك العسلي ، وعبد الوهاب ، ويقول جمال باشا ، انه لا يدري لماذا لم يذكر الشريف حسين كلمة (الانكليزي) وهو اللقب الذي عُرف به عبد الوهاب » .

« المؤلف » ان جمال باشا لا يعرف تاريخ الأسر العربية ، ويجهل أنسابهم وأحسابهم ، ولم يكلف نفسه أمر السؤال عن سر تسمية عائلة عبد الوهاب (بالانكليزي) ونحن نقول ، أنْ لا علاقة لعبد الوهاب الانكليزي ولا لأسرته بالانكليز والسياسة الانكليزية ، فقد غلبت على اسرته هذه الكنية ، فلقبت بـ (الانكليزي) وقد كان جد عبد الوهاب الرابع مشهوراً بالحدة والنزق ، فقيل عنه ، انه حاد المزاج كالبارود الانكليزي الشديد الانفجار ، وغلبت هذه الكنية على ذريته من بعده ، كما غلبت الكنية على أسر عربية كثيره (كالحلبي والحمصي

والجندي والبارودي والتبكي والمصري والمغربي بالنسبة الى بلادهم الأصلية ، او المهن التي كانوا يتعاطونها » .

ذكر في الصفحة (٣٤٠) ما نصه « واني أناشد العالم الاسلامي بما جبل عليه من حب العدل ، وهل في اسباب الثورة شيء ما ، ولو بسيطاً يبرر ان يقوم مسلم يدين بالدين الحنيف ، وعلى الأخص رجل يدعي انه من سلالة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويرفع علم الثورة ضد خليفة المسلمين » .

« المؤلف » ـ لو عامل الاتحاديون الشريف حسين بالحق ، والانصاف واوصلوه الى مطالبه العادلة لتبدل الموقف ، ولكنهم كانوا متسلطين على سلطان الدولة وحدهم ، وقد ضجرت الدولة من أعمالهم اكثر من ضجرها من الانكشارية الذين كانوا يمثلون ادوار الاتحاديين ، فقيام الشريف حسين بالثورة كان عملا حقاً ، فقد غلب عليه الضجر واليأس فبادرهم بما يستحقونه من الخروج عليهم .

ورد في الصفحة (٤٠١) ما نصه « وقد حارت الحكومة بعدما داخلها من الريب في اخلاص الشريف حسين ، مضطرة الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة لصيانة مصالح (العالم الاسلامي) وعلى ذلك فليس للشريف أي حق في ان يتذرع بها ويتخذها اسباباً لثورته »

« المؤلف » ـ من الغرابة أن يتخذ الاتحاديون والسفاح جمال باشا وأعوانه « مصالح العالم الاسلامي » وسيلة يتذرعون فيها في كل مناسبة من شؤونهم السياسية ، ومطيّة للتشفي والانتقام ، والاتحاديون قد أفنوا نصف مسلمي الدولة بما اوقعوا بينهم من دسائس وفتن ، وجعلوا بلاد الدولة مخاضة من دماء ، فاذا كان هذا دأبهم مع مسلمي دولتهم ، فمن أين لهم الغيرة على مصالح بقية المسلمين ؟ .. وقد كانوا كلما أرادوا حبك الدسائس استغلوا الموقف وتذرعوا بـ (مصالح العالم الاسلامي) ولا يقولون (مصالح الاتحاد والترقي) وهكذا كانوا يتسلحون بالعالم الاسلامي ويغالطون الحقائق والوقائع .

ورد في الصفحة (٤٠٢) ما نصه « وقد برهن وهيب باشا نفسه بصفة خاصة على اصالة الرأي ، فانه رأى ان من اللازم ارسال فرقتين على الاقل الى مكة لخلع الشريف حسين وتولية خلف له ، ولكن الحكومة رفضت اتخاذ مثل هذه الاجراءات الشديدة خيفة ان تؤدي عبثاً الى فضيحة جديدة ، ربما كانت سبباً في اثارة القلائل ، فبعد انتهاء الحرب البلقانية استصوبت تنفيذاً لسياستها الداخلية ان تصل بالحسنى الى اتفاق ودي مع العرب » .

« المؤلف » ـ لقد اشتط السفاح جمال في تشويه الحقائق لدرجة التلفيق والاختلاق ، فكم كذب الاتحاديون على العرب ووعدوهم ثم أخلفوا ، فقد كان الاتراك يعدّون العرب من ألدّ أعدائهم . حتى أنهم كانوا يذكرون العرب في مجالسهم ، اكثر من ذكر الدولة الروسية عدوتهم التقليدية الكبيرة منذ القديم . ويدبرون المكائد للايقاع بالعرب ، الى حد ان كل من كان يطلب وظيفة كان الشرط الاول من مزاياه ، ان يكون مبغضاً للعرب ، ولو كان طالب الوظيفة جاهلا ومشهوراً بالارتشاء . حتى ان العربي نفسه الذي كان يتقرب من الاتحاديين يشترط فيه ان يجاهر ببغضه وعدائه وايذائه للعرب . كالامير شكيب ارسلان واترابه وقد كانت هذه القضية علنيّة فيهم . اذ كانوا لا يستحون من المجاهرة ببغض العرب .

ورد في الصفحة (٤٠٩) حول اللائحة الاصلاحية التي قدمها المسيحيون الى قنصل فرنسا العام في سورية ما نصه « على أن مسيحيي بيروت أعربوا بالرغم من كل رغبتهم في العمل بالاتفاق مع المسلمين لتنفيذ تلك الاصلاحات للسببين الآتيين :

أولا ــ : لاحباط نيّات الحكومة التركية ، ومنعها من الاستئثار بوضع المشروع بالطريقة التي تريدها .

ثانياً ــ : يتضمن المشروع مبدأ المراقبة الاوروبية في كل فرع من فروع الادارة ، فلو قَبِلَ هذا المبدأ جميع أعضاء اللجنة لا فرق بين مسلميهم ومسيحييهم ، لقام الدليل بصفة قاطعة على ان السكان بأسرهم يرون ان الاصلاح في تركية من الامور المستحيلة ما لم يكن بمساعدة اوروبا »

« المؤلف » ـ ان من اطلع على اللائحة الاصلاحية الموقعة من قبل المسيحيين ، يرى أنها تعبر عن أمالهم وامانيهم ، وهي تتلخص بالشكوى ضد المسلمين وتعصبهم . وعن هجرة المسلمين من مقدونية وتراقيه الى سورية ، وان التوازن العددي بين مسلمي سورية ومسيحييها قد اختلّ . ومال لغير مصلحة المسيحيين . وان المسلمين مستبدون فعلا بمقتضى دينهم . فمن المنتظر ان تزداد انانيتهم واثرتهم بعد ان تضاعف عددهم ، الى آخر ما ورد في اللائحة الاصلاحية ، بان الهجرة اذ استمرت ولو الى امد قصير فان نتيجتها ابادة العنصر المسيحي في سورية » .

« المؤلف » ـ ان ما ورد في هذه اللائحة لا يحتاج الى تعليق ... وبديهي أن تكون خالية من توقيع

اي مسلم يرى فيها ما يخالف النزعة العربية ، وان عبارة (فلو قَبِلَ هذا المبدأ الخ . .) تدل على ان ذلك من قبيل التمني من المسيحيين ، ف (لو) حرف امتناع كما لا يخفى ، وهو يدل على ان المسلمين في بيروت ، وان كانوا يحبون الاصلاح في ولايتهم كما يحب ذلك كل الولايات العثمانية من ترك وعرب وغيرهم . الا ان مسلمي بيروت كانوا ممتنعين عن طلب الرقابة الاوروبية . ولا يرضون بها بأي شكل كان ،واكبر دليل على ذلك موقف اعضاء موءتمر باريس في نهاية مراحله » .

ورد في الصفحة (٤١٢) صورة الكتاب الذي كان بعث به سفير فرنسا في القاهرة الى وزير الخارجية الفرنسية في باريس ، وقد جاء في احدى فقراته ما نصه « ويظهر ان السوريين لا فرق بين مسلميهم ومسيحييهم ، او على الأقل السوريين المقيمين في القطر المصري قد عدلوا في مطالبهم الى الاقتراحات المشار اليها في خطابي بتاريخ ٢٣ آذار سنة ١٩١٣ م القاضي بجعل سورية دولة مستقلة استقلالا ذاتياً برئاسة احد الامراء المسلمين ، وقد نمى إليّ ان كامل باشا المقيم في القاهرة الآن أثار الآمال في صدور اعضاء اللجنة التنفيذية » .

« المؤلف » ـ يتضح للقارىء من هذه الفقرة ، موقف اللجنة التنفيذية الصريح في مصر ، وهذا لا يعني الانفصال عن الدولة ، بل هو توسع في الادارة الداخلية « مثل خديوية مصر » وقد علم الاتحاديون بوعد كامل باشا للعرب ، بأنه سيعمل على تنفيذ مطالبهم بالاصلاحات المفيدة لبلادهم ، فأخرجه الاتحاديون من استانبول . لئلا تخرج السلطة من أيديهم الى كامل باشا ، وقد آثر الاتحاديون تقهقر العرب وموتهم وخراب الدولة احتفاظاً بالحكم في أيديهم .

ورد في الصفحة (٤١٦) ما نصه « والآن وقد وضعت الحرب أوزارها ، وتمكن الانجليز بفضل ثورة الشريف حسين من هزيمة الجيش التركي في فلسطين ، وأتموا احتلالهم لسورية وفلسطين ، فما هي حالة البلاد الاسلامية ؟ لقد اصبحت فلسطين والقدس ـ تلك المنحة الثمينة التي اهداها الخليفة عمر الى العالم الاسلامي في قبضة الانجليز الذين يبغون انشاء دولة يهودية فيها » .

« المؤلف » ـ لقد سبق الاتحاديون الانكليز في احداث دولة يهودية في فلسطين . فان أربعة أخماس

الصهيونيين قد دخلوا فلسطين في زمن الحكومات الاتحادية ، التي كانت انظمتها السرية ترمي الى غايات أهمها إذلال العرب ، ومن جملتها إعمار فلسطين بأيدي الصهيونيين ، للحصول على أموال كبيرة للخزينة ، بدعوى ان الصهيونيين يزرعون الاراضي الموات بأحدث طراز اوربي ، وان العرب قد أبتلوا بالكسل والجهل بالاصول الزراعية الحديثة ، وان الاراضي معطلة في أيديهم . وهذه دسيسة ألقاها في افكار الاتحاديين (جاويد بك الصهيوني المعروف (بالدونمة) أي اليهودي المتلبس بالاسلامية واعوانه من الصهيونيين الذين تمركزوا في سلانيك ، لذلك عرض جاويد بك الأراضي البالغة (٤٥) مليون دونم على شركة يهودية ، كادت تستثمرها في سورية وفلسطين ، ولولا قيام زعماء العرب في وجه هذه القضية الخطيرة ، ومناصرة بعض الصحف لتمت هذه المساومة الدنيئة التي ترمي بالقضاء على العرب وانتهى أمرها . وهي اكبر جناية مثلها حكام الاتراك الغلمان ابان حكمهم ، وقد كانت هذه الدسائس تحاك من قبل اليهود الالمانيين والنمسويين ، ولذلك قربوا بين ألمانيا والنمسا والدولة العثمانية ، حتى اذا ما ظفرت المانيا في الحرب العالمية الاولى ، اقاموا حكومة صهيونية في فلسطين . وهكذا يبقى العرب عرضة لانتقام الاتحاديين ومكر الصهيونيين وبأس الالمانيين ، ولما احس الصهيونيون بتقهقر الالمان في الحرب . عدلوا عن خطتهم هذه . وفاوضوا الانجليز بذلك . حتى ان اللغة السائدة بين الصهيونيين في فلسطين قبل الحرب العامة كانت الالمانية ـ لا الانجليزية ـ ولا سواها . الا العبرانية مجمع الجميع .

فاذا ظلم الانجليز عرب فلسطين . فالالمان والاتحاديون لم يكونوا اقل ظلماً منهم . بل كانوا هم البادئين والمثيرين لاطماع اليهود .

هكذا كانت حيَل الاتحاديين التي لا تنطلي على الاذكياء ، ودسائس جمال باشا . وهو يدهم البطاشة . حتى ان كل الامتيازات التي اعطيت لفرنسا فأثاروا اطماعها في سورية . وجعلوا لها حجة الادعاء بالتقاليد القديمة ، والمتاعب الجمة التي حلّت في سورية كلها . كانت في عهد الحكومة العثمانية . اذ لم يكن وقتئذ اسم ولا رأي ولا دخل للعرب في شيء من ذلك .

والدي يدقق في مذكرات (لوزان) يعلم ان الخمسة وعشرين مليوناً من الليرات الذهبية التي

عقدت حكومة الاتحاديين قرضها من فرنسا بواسطة سمسارها ووزير ماليتها جاويد بك . كانت مقيّدة بشرط ، وهو ان تكون سورية منطقة نفوذ للفرنسيين ، ولولا اعمال الحكومة الاتحادية وتصرفاتها الضعيفة . وفتحها ابواب الامتيازات والاسباب وعقدها الشروط والبنود . لما اتاح ذلك لفرنسا ان تدعي ما تدعيه من حقوقها التقليدية في سورية ، ولِمَ لمْ تدع فرنسا مثل هذه الدعوى على بعض ولايات الاكراد او الاتراك ؟.. ذلك لأنها لم تدخل في قيود والتزامات مع الاجانب لجعل تلك الولايات مناطق لها ، وهي الأساس في مشاكل الاحتلال » .

ورد في الصفحة (٤٢٣) من مذكراته ما نصه « فالنتيجة ، هي ان خادم الحرمين الشريفين اليوم هو جلالة الملك جورج الخامس ملك انجلترا ، وذلك كله بفضل ثورة الشريف حسين » .

« المؤلف » - من المؤسف أن يسجل التاريخ ماوصلت اليه الوقاحة والسخف في عقلية السفاح جمال باشا ، وتهجمه على الشريف حسين . واحوال الحجاز وادارته كانت تؤيد خلاف مزاعمه .

لقد كان الاتحاديون السبب فيما وقع بداخلية البلاد العثمانية من اضطراب ، وماوقعت فيه الدولة في سياستها الدولية من ارتباك ، وما وصلت اليه مكانتها في الخارج من انحطاط ، حتى أنه لم تبق بقعة من بقاع الدولة الا وأثار الاتحاديون فيها القلاقل والفتن والاختلال ، فسلّطوا دول اوربا حتى وضعوا الولايات الاناضولية الستة الشرقية تحت الرقابة الدولية وهي (وان ، بتليس ، أرضروم ، تفليس ، ارزنجان وديار بكر) .

وقد ثارت اليمن بالامام يحيى ، والعسير بالسيد الادريسي ، وفي جنوبي البصره ، وأطراف الزبير قامت ثورات عربية ، وفي شمالي العراق ثار الشيخ (ظفار) ثورة كردية عربية ، وفي استانبول ثورات وانقلابات واغتيالات .

أما الروملي ، تلك البلاد المهمة التي كان فيها العنصر الأرنؤطي (الألبان) وكانت سوراً منيعاً في وجه دول البلقان الطامعة في البلاد العثمانية ، والتي لم تعرف طول حياتها معنى الخروج على الدولة التركية ، أحرج الاتحاديون ذلك العنصر حتى خرج عن الطاعة ، ولم يكتفوا بكل ذلك ، فانهم تسلطوا أيضاً على الاسرة العثمانية المالكة ، فأصبحوا كالانكشارية الذين كانوا يعزلون الملوك ويعبثون في العاصمة فساداً ، حتى أفناهم السلطان الغازي محمود .

هكذا كانت سياسة شراذم الاتحاديين الأبرياء ... وعليهم تنطبق أحكام الآية الكريمة بالقتل والصلب والنفي ، لا على شهداء العرب الذين طالبوا بالاصلاح والاستقلال الداخلي واتهموهم بالخيانة .

ورد في الصفحة (٤٢٣) ما نصه « تلك هي الصورة الحقيقية للكارثة التى انتابت العالم الاسلامي من جراء ثورة الشريف حسين ، وعندي أن الضربات التي وجهها الى صميم الاسلام زعماء المغاربة بانضمامهم الى الدوله المسيحية ليست شيئاً مذكوراً اذا قيست بالمحن التي نزلت بالخلافة من الشريف حسين ».

« المؤلف » - عندما كانت الأندلس تتمزق وتناضل زهاء قرنين ، استنجدت بالأتراك وهم في أوج عظمتهم وسطوتهم ، فأصموا آذانهم عن نجدتها ومناصرتها في محنتها ، وفي ذلك العهد كان (فرنسوا الاول) ملك فرنسا أسيراً لدى (شارلكن) الألماني ، فأرسلت الدولة العثمانية تهدد الملك شارلكن ، اثر مجيء والدة فرنسوا الاسير تحمل الهدايا والجواري الى استانبول لاطلاق سراحه ، اما الأندلس فقد آثر الأتراك انقراضها على مناصرتها ، لأنها دولة عربية ، كما وان الجزائر تمزقت بعد حرب دام (١٥) سنة، ثم مصر وقد دخلتها الجيوش الانكليزية ، وقد بقيت الدولة العثمانية ستة أشهر تنظر الى مطامع مصر دون أن تمدها بجندي واحد ، ثم البوسنه والهرسك ومصيرها المعروف ، وقد قبضت الدولة التركية اربعة ملايين ليرة من النمسا لقاء التنازل عنها ، ثم طرابلس الغرب التي بينما كان أسودها يقاتلون الايطاليين ،قبضت الحكومة الاتحادية مبلغ مليونين من الليرات من ايطاليا ، وتركتهم وشأنهم مع المستعمرين يفتكون بهم .

وكذلك مراكش والهند ، وقد عرضتا قبل قرنين من السنين تابعتيهما على الدولة العثمانية للتخلص من استعباد البرتغاليين ، فرفضت التدخل في شؤونهما ، لئلا تتهمها الدول الاوروبية بالاستعمار على زعمهم ، او الاستفادة من سيطرة الخلافة وقيامها بالفتح الاسلامي .

وكانت النتائج ان استولى الانكليز على الهند منذ ذلك الحين ، ثم اضاعت الدولة العثمانية ولايات الروملي واضطرت للرضوخ الى وضع ست ولايات من الاناضول تحت المراقبة الدولية، كما وان الاتراك لم يكن لهم زي من ازيائهم في البلاط السلطاني او في بيوت الوزراء أو الولاة يشبه ما كان عليه في عهود الخلفاء من قبلهم ، وقد اتخذوا احكام الخلافة حجة يتذرعون بها في قضاء مصالح العالم الاسلامي ، حتى اضمحلت الخلافة بسوء ادارتهم ، كما وان مالية الدولة كانت تحت الرقابة الاجنبية ، ومحاكمهم المختلطة تفعل ما تشاء باسم الامتيازات ومناطق

النفوذ حتى تمزقت البلاد ، فأين الاتراك من الاستقلال الذاتي ، بصرف النظر عن الخلافة وشروطها الشرعية ، ثم يزعم الاتحاديون بالمحن التي أصابت الخلافة بسبب ثورة الشريف حسين وتعاموا عما ذكرناه ، وما سببوا للدولة والخلافة من كوارث ادت للانقراض .

وردفي الصفحة (٤٢٤) مانصه « فجوابنا على الذين يقولون لنا ، لو لم تشتركوا في الحرب العالمية الاولى لما تطورت الامور بمثل هذا التطور ، هو اننا لو تجنبنا الاشتراك فيها لما كانت النتيجة غير ذلك ، لأن شره الاستعمار الانجليزي والفرنسي والروسي ليس ابن الامس ، بل هو وليد القرون العديدة » .

« المؤلف » ـ ان الاحوال التي وقعت في البلاد العثمانية بسبب اشتراك الحكومة الاتحادية في الحرب معلومة النتائج ، ثم اذا كان لا بد من التمزيق كما يزعم جمال باشا وأعوانه من الاتحاديين ، وان النتيجة واحدة « اي تقسيم البلاد » فيكون ما قام به الشريف حسين من اعمال ضد الاتراك قد اصاب به اصابة عظيمة . اذ لولا اشتراطه على الانجليز باعتراف الدول باستقلال البلاد العربية . لكان التمزيق والدمار والخراب قد حل بها دون شرط ولا قيد ولكان انتقام الدول الغربية من العرب ادهى وامر . اذ ليس لدينا وقتئذ حجة ندلي بها اليهم سوى قتالهم حتى آخر رمق ونفس من اجل الالمان عدوهم الكبير الطامع مثلهم ايضاً بالاستعمار . فاعتراف السفاح جمال باشا هذا دليل قاطع يبرر عمل الشريف حسين وثورته ضدهم ، ومع ذلك فان جمال باشا وأمثاله ، اذا حاولوا تشويه الحقائق والدس بين الجهلاء ، فليس بامكانهم دسّها في ذوي العقول والمدارك السياسة ، اذ أن الاتراك وبعض جهلاء العرب ، او بعض الذين أعمت بصائرهم الحقائق ، يكابرون ويحاولون ان يحمّلوا تبعة انكسار الدولة العثمانية على عاتق الشريف حسين ، فمن هو المسؤول عن تلك المقاطعات التي انسلخت عن الدولة قديماً وحديثاً (الى ما قبل الحرب) ووقوع الدولة العثمانية فيما وقعت فيه من المهاوي السحيقة في الداخل والخارج من الخراب والكوارث ؟..

فالدولة العثمانية كانت تتمزق منذ ثلاثة قرون ، وهي في حالة انحلال يؤدي بطبيعته الى الانتهاء والانقراض ، فالذي أضاع نحواً من سبع مقاطعات ، واوصل الدولة الى تلك الحالة من الضعف والذل والاستخذاء ، يهون عليه اضاعة مقاطعتين مثل سورية والعراق ، وكانتا ضائعتين وغارقتين بالامتيازات الدولية ، وبما كان يدعيه عليها الاجانب من قروض تجاه الدولة .

لقد حاول الاتحاديون إلقاء التبعة في النكبة على الشريف حسين ، والحقيقة ان هذه الحرب ليست كما يتصوره البسطاء (حرب شراذم) كشراذم العربان ، ألف وثلاثة آلاف على الحمير والاباعر ، بل كانت في ساحات اوروبا عشرات الملايين تشتبك في حرب طاحنة ، بالالغام التي تدك التلال والجبال ، وبالطائرات والدبابات والمدرعات وانواع الاسلحة الفتاكة ، وكانت مليارات الليرات تلعب دورها وتذوب في تلك الحرب ذوبان الثلوج في ميادين اوربا ، فما هي قوة الشريف حسين المعلومة ؟ وماذا كان تأثيرها في ذاك التيار الدولي المريع ؟.. الم يعلم الملأ ان ساحة روسية وألمانيا وفرنسا والنمسا كان فيها اكثر من خمسة وثلاثين مليوناً من المقاتلين يتطاحنون ذلك التطاحن الرهيب الى آخر رمق ، ثم عززت قوائم الولايات المتحدة بأساطيلها وجيوشها الجبارة .. ؟ فاذا بقي الشريف حسين موالياً وعبداً طائعاً للدولة العثمانية ، فهل كان بامكانه ان يرسل الى ساحة المانيا من اقاصي الحجاز خمسة آلاف بدوي على النياق ليردوا حملات الانكليز والفرنسيين والاميركان وأحلافهم عن المانيا المحصورة براً وبحراً ؟..

لقد وضع دهاة السياسة ورجال الحرب جلّ إهتمامهم في القضاء على ألمانيا بعد ان هزموا النمسا ، ثم بعد أن خضدوا شوكة المانيا وأكرهوها على التسليم ، وأخذوا منها ثلاثمائة الف مدفع وخمسة ملايين بندقية ومحقوا اسطولها البحري القوي ، ماذا عساها ان تفعل الدوله العثمانية ؟... بعد ان اضمحلت قواها هي ايضاً .

ولما استعصى على الحلفاء طريق البحر والوصول الى جناق قلعة افتتحوا من الروملي طريقاً ، وفصلوا بينها وبين حليفتها بلغاريا ، وقطعوا طريق المواصلات بينها وبين المانيا ، وحصروا استانبول من الروملي براً ، وقد أيقنت الدولة العثمانية أنها اذا استمرت على الحرب بعد انكسار المانيا وتجريدها من السلاح ، فان الدورات اليها وهي منهكة القوى ، فيسوقون اليها ملايين عديدة من ساحة اوروبا ويجبرونها على الاستسلام ، وهي قد تحققت هذا المصير وعاصمتها محصورة ، فآثرت مضطرة على التسليم بعد المانيا بمقتضى معاهدة (مندروس) حتى ان الجيش التركي الذي كان واقفاً في جبهة فلسطين كان امام جبهة الانجليز ، لا في وجه العرب .

ويعترف جمال باشا في الصفحة (٢٦٧) من مذكراته ، أن مجموع جنود الانجليز كان زهاء (١٨٥) الفاً بمصر ، ثم يعترف بالصفحة (٢٨٥) أنه وزع القوى العثمانية التي كانت لديه ، ثم يعترف في الصفحة (٢٩٥) بأن الانجليز مدّوا السكك الحديدية بسرعة عجيبة يحاذيها أنابيب المياه لتأمين حاجات الجيش ، ويعترف في الصفحة (٣١٢) ان جبهة فلسطين كانت اضعف موقع ، واهم موقع في الدولة العثمانية ، وان مواردها من المؤن كانت غير كافية .

ثم يعترف في الصفحة (٣١٧) ان جبهة فلسطين أصبحت في خطر محقق .. ومن اطلع على مذكرات جمال باشا من الصفحة (٤١٥) وما بعدها ، يعلم ان الدول الغربية طامعة في الاستيلاء على سورية والعراق منذ القديم ، وفي خلال الحرب استطاعت إزالة نفوذ الدولة التركية عن هذه البلاد ، والهدف الاصلي للغالبين ، هو فصل سورية والعراق عن الدولة العثمانية ، وهما مطمح أنظارهم منذ وجد الاستعمار ، كما اعترف جمال باشا بذلك والاتراك أجمعين .

واذا توالى تحذير الاتراك للعرب ، بأن الفرنسيين يقصدون الاستيلاء على سورية ، والانجليز على فلسطين والعراق ، فلا تخونوا أيها العرب ولا تثوروا .. فما هي الوسائل الناجعة لصد هذه المطامع ؟ ..

أجل : لقد أعطى العرب الجند العراقي ، للعراق والقوقاز ، والجند السوري لسورية وأنافورطه وجناق وقلعة رومانيا ، فهل بامكان الاتراك الدفاع بعد انهزام أعظم دولة في اوروبا ؟ .. وانهيار النمسا والبلغار ؟ ..

هذا وان من يزعم بأن الدوله العثمانية كان باستطاعتها الدفاع عن حياضها ، يكون قد تخطى الحقائق ، وسار في عالم الوهم والخيال ، اذ أن زاوية واحدة من زوايا ساحة الحرب في المانيا كان جندها يكفي للقضاء على امثال جيش جمال باشا الذي بنى مذكراته على الدجل والوهم والتغرير ، ابتعاداً عن الحقائق التي تعمد طمسها ، وهو أدرى بسوء المصير .

وقد ثبت ان الانجليز كانوا حشدوا في جبهة فلسطين أو في مصر نحو مائتي الف جندي ، وبعد الفراغ من تحطيم النمسا والمانيا وتدمير اسطولها البحري ، ودخول الولايات المتحدة في الحرب ،

وقد زادتهم قوتهم ، لم يبق لدى الاتراك دارعة واحدة لنقل جنودهم الى سورية ، أو لو بقي الشريف حسين ثابتاً على ولائه لتركية ، هل كان باستطاعته بثلاثة آلاف بدوي ان يمنع انزال ثلاثمائة الف جندي انجليزي ، ومائة الف جندي افرنسي مثلاً ؟.. بالاضافة الى ما كان موجوداً في مصر وفلسطين من القوات الانكليزية ، وهل يمكن للشريف حسين العاقل المتبصر ، الدفاع عن جيش جمال باشا في سورية او جيش سليمان العسكري في العراق ؟.. او الوقوف حيال قوات الحلفاء اذا احتلت سواحل الحجاز واليمن؟

ولو بقي الشريف حسين موالياً للأتراك ، ولم يفاوض الحلفاء آنئذ لحملوا على سورية والعراق ، وجعلوهما ميداناً لحرب شعواء ، فابتليتا بالخراب والدمار ، ولفني عشرات الألوف من شبانها ، اضافة الى ما فني في بلاد الترك من أبناء العرب ، والى من قتلهم الجوع ، وفتكت بهم الأمراض من النساء والأطفال والشيوخ ، كما جرى في منطقة غزة ، وانتهكت حرمتها عند وقوع المعارك الدامية في أراضيها بين الجيشين الانكليزي والتركي .

ولو فرضنا جدلاً أن الشريف حسين بقي موالياً للدولة التركية ، وكانت قواته تبلغ ثلاثين أو مائة الف مقاتل وهذا (مستحيل) فان الحلفاء لا ينكصون على أعقابهم دون تنفيذ ماقرروه من احتلال سورية والعراق ، وجمال باشا والدنيا بأسرها على علمٍ بمطامع الدول الظافرة في هذا البلاد ، ولوانتصرت المانيا في الحرب ، هل كانت تركية تستطيع الوقوف في وجه مطامعها الاستعمارية باحتلال العراق وسورية؟...

لذا فان تبجح الاتحاديين بكلمات الخلافة ، وانقاذ العالم الاسلامي ، وقول جمال باشا للأمير فيصل ، بأن مطامع الدول الغربية معلومة ، وان انفصال العرب عن الأتراك يؤدي الى محق العرب ، كل ذلك كلام معقول ، ولكن بماذا ينقذون (العالم الاسلامي) ومتى أنقذوه ؟.. وماهو موقف الخليفة العاجز نحو مسلمي الدنيا ، بل نحو الجزائر وتونس ومصر والبوشناق وكريد والروملي وطرابلس الغرب وغيرها فالانقاذ لا يكون بالعاطفة والتمني ، بل بالقوة التي ترعد بالحديد والنار .

وهكذا شاء القدر ، وقضى أن يحتل الأجنبي المستعمر هذه البلاد التي كان لا بد من احتلالها بعد بيان ما تقدم من البراهين الدامغة ، التي لا يقدرها الا العقلاء . وقد ألهم الله الشريف حسيناً ، ذلك

الداهية العاقل أن يفعل ما فعله ، وسعى سعيه ليستولي وأنجاله على البلاد العربية ، بعد ان اعتقد أن ساعة زوال الدولة التركية قد حانت ، وسعى لاحداث دولة اسلامية عربية ، احتفاظاً بالجامعة العربية ، وتعاهد مع الحلفاء ، وأنقذ البلاد من الفناء والدمار ، فخففت وطأة الفاتحين ومايعقبه من أحداث .

لقد قام الملك حسين بواجبه نحو قوميته العربية ، ثم غدر الحلفاء به ونكثوا بوعودهم له ، وهي مزية القوي نحو الضعيف في كل وقت ، ولئن أنصفه التاريخ لاعتبر أعظم ملك عربي في وطنيته المثلى ، وعقائده العربية الصلدة الموروثة ، أنجبته الامة العربية منذ الفتح الاسلامي حتى زوال الكائنات .

وكفاه شرفاً وخلوداً ، أنه لم يستخذ ولم يهن ولم ينثن ، ولم يتواطىء مع الانكليز من أجل فلسطين ، ولم يعترف بالقومية الصهيونية ، وآثر أن يثل عرشه ونُفي مشرداً في سبيل المبادىء العربية السامية ، وسيظل رمزاً خالداً بين الملوك ونبراساً لأشباه الملوك . هذا ما بدا لنا من آراء حيال مذكرات جمال باشا الهزيلة ، وهي وان كانت أحقر من أن تُنقد ، إلا أننا آثرنا الرد على ما جاء فيها من مواضيع تاريخية ، ليطلع الناس على ما تضمنته من سخافة وهراء .

أما أطوار هذا السفاح من الناحية الخلقية ، فهو رغم ما مُني به من هزائم منكرة عند هجومه على القناة ، فقد كان فاقد الحس والشعور ، لايهمه الا الخلوات مع ذوات الكواعب والنهود على موائد الشراب ، ومما هو معروف أن مصلحة الاستخبارات التركية ، كانت قبضت على جاسوسة تستحق الاعدام ، فلما أستحضرت اليه هام بها لفرط جمالها ، واحتجبها لديه للتمتع بها ارضاء لنزواته الدنيئة ، وهذه الحادثة وردت في مذكرات عزيز بك رئيس دائرة الاستخبارات والجاسوسية التركية ، وكانت أسراب من الغانيات وغيرهن يرفرفن حوله ، ويدر عليهن مقادير كبيرة من مواد الاعاشة كانت بطريقها للبيع في السوق السوداء ، بينما كانت الألوف من أفراد الشعب يموتون جوعاً على قارعة الطريق ، والأحياء من القراء لا يزالون يذكرون تلك المآسي والفواجع التي لم نوفها حقها من الوصف ، وكان عهده من أسوأ العهود التي مرت على هذه البلاد ، ولم يهنأ بما جمعه من ثروة طائلة لا تقدر ، فأخذه الله بجرائمه ومظالمه أخذ عزيز مقتدر .

السفاح أحمد جمال باشا

كان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البارزين ، يوم كانت لا تزال حزباً يعمل سراً في مقدونيا ، وكان قومندانا في أركان حرب الجيش التركي ، وهو من اصل وضيع .



احمد جمال باشا   انور باشا

عيّن بعد الانقلاب الحميدي والياً لأطنه ، ثم لبغداد ، وقد اضطر الى الى مغادرة مركزه هذا لما تمكن اعداء حزب الاتحاد والترقي من الاستيلاء على الحكم ، ولما اقتحم انور باشا الباب العالي هو وانصاره في عهد وزارة كامل باشا الصدر الاعظم ، وقتلوا ناظم باشا وزير الحربية . كان من اكبر المتآمرين على ارتكاب هذه الجريمة ، وتقديراً لخدماته عيّن قائداً للجيش في الآستانة ، فأدى خدمات كبرى في مدة قيادته هذه في الأيام العصبية التي مرّت بين مقتل ناظم باشا ، ومحمود شوكة باشا . وقد تعرض المخاصمون لحزبه للتنكيل والارهاق .

وبعد الاستيلاء على ادرنه ، عيّن في شهر كانون الاول سنة ١٩١٣م ، وزيراً للأشغال العامة ، وفي شهر كانون الاول سنة ١٩١٤م عيّن وزير للبحرية .

كان جمال باشا خالياً من كل مزايا الرجال ، فلم يكن سياسياً محنكاً لبقاً ، وكانت تغلب على روحه حياته العسكرية القاسية ، وكان ينازع انور باشا سلطته ومركزه الرفيع ، ولم يكونا على اتفاق وتفاهم ، فعمد أنور باشا للتخلص منه ، فأبعده الى سورية واعطاه صلاحيات ديكتاتورية واسعة ، وكلفه بمهاجمة مصر واقتحامها ، وبديهي ان يرضى جمال باشا في هذا الابعاد وفي صدره آمال يود تحقيقها ، فان استقلاله

في سورية يجعله بعيداً عن الاحتكاك مع زملائه من رجال جمعية الاتحاد والترقي ، كما ان نجاحه في اقتحام مصر يمكنه من الاستقلال فيها ، وضم سورية والبلاد العربية اليها .

وقد أثبتت الوثائق السرية التي نشرها البلاشفة في سنة ١٩١٨ م من سجلات وزارة الخارجية الروسية عن وجود صلة بين جمال باشا والارمن في سنة ١٩١٧ م وتوسيطه الارمن لحمل الحلفاء على الاعتراف به سلطاناً على تركية مقابل قضائه على الدولة ... فأراد ان يغتنم الفرصة فيزيل من أمامه الاحرار النابهين من ابناء العرب ، ونحمد الله على انه لم يحلم بهذه الأمنية .

لقد اعدم السفاح جمال باشا شباب العرب لمطالبتهم بالاستقلال الذاتي ، فاعتبر الاتحاديون وهو احد اركانهم ذلك خيانة بحق الدولة ، اما مؤامراته مع الارمن للقضاء على الدولة لتولى السلطة ، فهي بنظره ليست خيانة بحق امته ووطنه .

لقد اشتهر بشدته وقسوته وتفننه في طرق القتل والاغتيال وجرأته على البطش وسفك دماء الأبرياء ، فهو مدبّر مذابح الأرمن في اطنه بعد الدستور ، اذ كان والياً عليها ، وهو منظم مؤامرات الاتحاديين ومدير فرع الفدائيين والجواسيس في جمعيتهم ، وهو الذي قتل مئات من الابرياء في الآستانة عقب اغتيال محمود شوكة باشا ، ولا ذنب لهم سوى انهم لم يكونوا من انصار جمعية السفاحين ، وقد اختارته جمعية الاتحاد والترقي ، لأنها رأت فيه اقدر رجل على تنفيذ الخطة التي قررت اتباعها في البلاد العربية . وقد اصدر جريدة الشرق بدمشق ، واعطى امتيازها لخليل الايوبي وعين الشيخ تاج الدين الحسني مديراً مسؤولا لها ، وكانت لسان حاله بالاشادة والاطراء عن مواهبه .

قضى جمال باشا في سورية من كانون الاول سنة ١٩١٤ م الى شهر كانون الاول سنة ١٩١٧ م .

وقد انسحب السفاح من البلاد السورية بنهاية الحرب يحمل ما نهبه من ملايين الليرات الذهبية وتشرّد في الآفاق ، حتى اغتاله الارمن الموتورين منه في تفليس سنة ١٩٢١م وهكذا لقي حتفه ولم تتحقق امانيه باعلان نفسه ملكا على البلاد العربية ، وكان استبداده وسفكه للدماء ونفي الأسر العربية الى منافي الأناضول من اكبر العوامل التي ادت لاعلان الثورة العربية الكبرى ، كما وانه كان هو وطغمة الاتحاديين السبب الرئيسي في تمزيق الدولة العثمانية .

التطورات السياسية الاخيرة

في خلال مدة مرابطة الجيش العربي بين العقبة ومعان ، حدثت تطورات سياسية خطيرة ناتجة عن معاهدة سايكس بيكو التي قضت بتجزأة البلاد العربية بين دول الحلفاء انكلترة وفرنسا عقب انتهاء الحرب الكونية الأولى العامة ، واقتسامها غنيمة باردة بين تلك الدول الغاشمة ، والضرب بالعهود والمواثيق التي قطعت للملك حسين عرض الحائط ، ودخول الجيش الانكليزي مدينة القدس عام ١٩١٧ ، وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود .

وأول من كشف عن هذه الحقيقة المؤلمة والفاجعة المريرة هو الجنرال نوري السعيد ، حيث كان رئيساً لأركان حرب الجيش العربي النظامي ، وكان آنئذ بمصر يقوم بمهمة عسكرية ، فتكشفت له بحكم مركزه الحساس واطلاعه على هذه المخبئات والمفاجآت وهاتيك المخازي والخيانات ، فأسرع الى العقبة ، حيث مقر قيادة الجيش العربي الشمالي ، وعقد مؤتمراً من القواد والضباط والعاملين في ذلك الجيش وأطلعهم على ما دار ويدور حول مقدرات الأمة العربية ومستقبل البلاد من مفاوضات ومعاهدات ومداولات ووعود كاذبة وما ينتظر لها من مستقبل قاتم ، وعهد مظلم ، ودعا القوم للعمل المجدي والتفكير في الخلاص من هاتيك البلايا والرزايا التي تنتظر الأمة والبلاد في مستقبلها القريب والبعيد ، فساد عندها الهرج والمرج وتفرق القوم شيعاً وأحزاباً ، وكان حينذاك القائد الأعلى الأمير فيصل الأول في مهمة خارج مقر الجيش ، فلما عاد وعلم بما حدث وجرى ، أقرّ القوم فيما طلبوه ، ووافقهم على ما يريدون أن يفعلوه ، فاضطربت القيادة العليا الانكليزية لما وقع وحدث ، فأرسلت على الفور الكولونيل لورنس الى مقر قيادة الجيش العربي الشمالي في العقبة ، فاجتمع تواً بالأمير القائد واستدعى لفيفاً من القواد والضباط ، فكانت مناقشة حادة ، ومشادة عنيفة فيما بين الكولونيل لورنس وبعض القواد سيما مع القائد العربي الجريء المرحوم مولود مخلص باشا العراقي ، وشرع الكولونيل لورنس يشرح للقوم وجهة نظر الحكومة البريطانية نحو الامة العربية ، واوضاع البلاد الخطيرة وعلاقات بريطانيا نحو حلفائها ، والمحاربين الى جانبها ، لا سيما مع امراء وشيوخ العرب الضالعين معها ، والمتصلة معهم بعهود

ومواثيق لا يمكن التحلل منها والابتعاد عنها ، وماله صلة وارتباط في علاقاتها مع الشعوب العربية المجاورة ومصالحها المتشابكة ، وقال لورنس ان بريطانيا لتنظر بعين العطف الى مطالب العرب وامانيهم اذا لم يكن ذلك ليضر بمصالحها ويؤثر على علاقاتها مع الغير ، واجاب لورنس رداً على سؤال فيما اذا ترك قواد وضباط الجيش العربي ورجال العرب العاملون في جبهات الحرب العربية المختلفة وتوقفوا عن القتال احتجاجاً على ذلك ؟ فقال ، ان الحكومة البريطانية وقد خاضت غمار هذه الحرب الضروس وسارت في ميادينها ، فستسير فيها حتى النهاية دون ان تأبه لاي اعتبار أو تحول يطرأ على موقفها الحاضر ، ولا يهمها سوى كسب النصر ، ودعا الجميع للالتفاف حول القائد الاعلى الامير فيصل الاول ، وتركه يصالح بحكمته وحصافته ، وبما له من نفوذ كبير ومكانة عظمى في نفوس الكثير من رجال السياسة والحرب في الحكومة البريطانية ، وان الامر يستدعي التكاتف والتعاضد للخروج من هذا المأزق الحرج ، وليتسنى للعرب عند نهاية الحرب العظمى الدخول لمؤتمر السلام ، واسماع صوتهم الداوي فيه ، لما لهم من اثر بارز في انهاء هذه الحرب في الشرق العربي ، باعتبارهم يشكلون الجناح الايمن لجيش الجنرال اللنبي العامل في الشرق الاوسط ، وانتهى الامر على ما ذكر .

التجني على الشهداء

لقد تحدث الناس عن شهداء الحرب العالمية الاولى الذين بطش السفاح جمال باشا بهم ، فوصموا فريقاً منهم بالخيانة لصلاته مع الفرنسيين ، وفريقاً بالعمل في سبيل القومية العربية والاستقلال الداخلي تحت حكم الخلافة العثمانية ، ونحن نترك للتاريخ الحكم على مقاصدهم واعمالهم .

وزاد التحدث بالتجني على الشهداء عندما احتلت فرنسا البلاد السورية اللبنانية ، فانها منحت كل اسرة من من الشهداء (١٥٠٠) ليرة ذهبية كتعويض ، فانطلقت الالسنة تلوك سيرهم .



قداسة الكاثوليكوس زاره الاول كاثوليكوس وبطريرك الارمن الارثوذوكس
في الاقليم السوري ولبنان وقبرص

الاهداء

الى من تجلت في روحه الكريمة أسمى آيات الوطنية نحو القومية العربية .

الى العنصر الارمني النبيل الذي يختلج في افئدته ، اروع معاني التفاني والوفاء ، نحو البلاد السورية التي أحسنت وفادته في ايام محنته وهجرته .

الى رمز النضال ، وصاحب المواقف المشرفة ، والدرع المنيع في حلب ابان العدوان الفرنسي عام ١٩٤٥م .

الى من تسامى في نبل مقاصده ، وسمو تفكيره ، فشدى لسانه الصادق ، وقلبه الطاهر ، بالدعاية لتحقيق اماني الوحدة العربية الشاملة ، والدعاء المخلص الى ناصر العرب .

الى رائد النهضة الارمنية ، وراعيها الاقدس ، وموجهها نحو الاهداف العربية المثلى .

الى ابطال الفدائيين الارمن ، الذين ثأروا للعنصرين العربي والارمني من طغاة الاتراك الظالمين .

الى صاحب هذا الوجه المنير الاغر قداسة الكاثوليكوس (زاره الاول) كاثوليكوس وبطوريك الارمن الارثوذكس في الاقليم السوري ولبنان وقبرص .

اهدي

هذه الحلقة التاريخية

قداسة الكاثوليكوس زاره الاول

كاثوليكوس وبطريرك الارمن الارثوذكس

في الاقليم السوري ولبنان وقبرص

الكاثوليكوس زاره الأول ، ولد في مدينة مرعش من أعمال تركية حاليا في ١٤ شباط ١٩١٥م . وقدم مع والده الى حلب في سورية عام ١٩٢٠ م ، وتلقى علومه الابتدائية في مدارس حلب ، وكانت علائم النبوغ والذكاء الفطري تتقد مواهبها فيه ، كالكوكب الدري منذ صغره . وانتمى الى الرهبنة عام ١٩٣٠ م وسيم (وارتابيداً) كاهناً عام ١٩٣٥ م ومن عام ١٩٣٦ م الى عام ١٩٣٩ م أتم تحصيله الديني ، وبزغت شموس مواهبه عندما نال الشهادات العالية في اللاهوت من كليات بروكسل الدينية في بلجيكا، وانتخب رئيساً لابريشية حلب عام ١٩٤٠م وبقي مطراناً ورئيساً لابرشية حلب من عام ١٩٤٠ م لغاية ١٩٥٦ م حيث انتخب في ٢٠ شباط ١٩٥٦ م كاثوليكوساً بطريركاً للأرمن الارثوذوكس للاقليم السوري ولبنان وقبرص ، ومن أبرز العناصر التي تتكون منها عظمة قداسته ، ما اتصف به من تواضع وطموح فكان في كل مراحل حياته ، قوي الارادة جبّارها ، فكانت هذه السجايا الفذة ، أكبر عامل لفوزه على منافسيه .

عرف الكاثوليكوس زاره الأول وطنياً عربيا فذاً ، وكان الدرع المنيع في حلب ابان حوادث العدوان الفرنسي عام ١٩٤٥ م وله مواقف وطنية عظيمة ضد الفرنسيين، وقدرت الجمهورية السورية مواقفه النبيلة المشرفة ، فمنحه فخامة الرئيس شكري القوتلي وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى جزاء اخلاصه وسمو أهدافه .

وقد اشتهر بدماثة أخلاقه ، وروحه الدينية الطاهرة ، وهو من دعاة استقلال البلاد العربية ووحدتها لأن جميع أبناء الطائفة هم من المواطنين العرب، ويجزم أن القومية العربية هي حقيقة راهنة وتاريخية ،يجب أن تنال حقها في الوحدة الشاملة لما فيه خير الأمة العربية .

أما علاقة الأرمن بالعرب منذ العصور القديمة ،فهي علاقة وثق للدفاع عن الحق والمطالبة بالحرية والاستقلال، وقد خدموا الأمبراطورية العربية بصدق وأمانة ، حتى أصبحوا من أفذاذ القواد فيها . أمثال علي بن يحيى أبو الحسن الأرمني ، عام ٨٦٠ م ، إذ نصب عاملاً على مصر وفي عام ٨٦٢ م أرسله الخليفة عاملاً على أرمينيا، فوطد العلاقات بينها وبين الخليفة حتى منح الخليفة (اشود باقرادوني الأول) لقب أمير الأمراء.
(ووردان الرومي)الذي اشترك مع عمرو بن العاص في فتح مصر ، فكان وردان مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه رضي الله عنه .

وبدر الجمالي ،الذي كان والياً على الشام عام ١٠٦٧ في عهد المستنصر الفاطمي ، وقد عين أميراً للجيوش، وطد السلم واشتغل في ترقية الحالة الاقتصادية والترفيه عن الفلاح . توفي عام ١٠٩٤ ودفن في كنيسة الأرمن حسب وصيته .

وبهرام الأرمني ، حيث لقب بتاج الدولة ونجح في مهمته . ووطد الامن في البلاد وحسّن الحالة الاقتصادية والزراعية ، وقد عاش آخر أيامه في دير أرمني بمصر العليا . ومن أمثاله بوغوص بك سفيان وأرتين بك جراكيان ،ونوبار باشا ، وديكران باشا ابرو ،الذين خدموا مصر الحديثة بكل أمانة واخلاص.

ومن أعلام الشعر والأدب العربي ،المرحوم أديب بك اسحاق المولود بدمشق سنة ١٨٥٦م وهو من أصل أرمني ، وكان شاعراً بليغاً ، ومبتكراً مجيداً ، وخطيباً فذاً ، وقدوة للمنشئين ، وأحد نوابغ القرن التاسع عشر ، وقد وافاه الأجل في مصيف الحديث في بيروت في ١٢ حزيران سنة ١٨٨٥ م وهو في ريعان الشباب .

وهكذا أضحى الأرمن مواطنين عرب يتكلمون العربية ، ولم يعد أي فارق بين مواطن ومواطن ،وهم سواسية في الحقوق والواجبات .

وجدير بالذكر ، ان التعليم في المدارس الأهلية الأرمنية يسير وفق البرنامج الموضوع من قبل وزارة التربية والتعليم ، وقد أيقن المسؤولون ، بأن تدريس اللغة العربية هو ركن عظيم له أهميته في نهضتهم الثقافية . وله أثر بليغ في اندماجهم مع العرب في ميدان الحياة العامة المشتركة .

وقد نشأ الطلاب ، على حب القومية العربية ، بفضل ارشاد المعلمين الذين يغرسون في نفوسهم أنبل العقائد الوطنية العربية ، وقد أسهموا في اعمال المقاومة الشعبية والتدريب العسكري .

الفصل الرابع

العنصر الارمني

عرف العنصر الارمني ، بعراقته في التاريخ القديم ، وقد تطاول بماضيه التليد وكفاحه المجيد على احداث الزمن ، واصيب بكوارث ونكبات في مراحل حياته التاريخية ، ومن المعروف ان لهذا العنصر الابي مواقف نبيلة في عهد الفتوحات الاسلامية ، فبعد ان تمّ فتح بـلاد فارس ، وزالت الامبراطورية الرومانية ارتضى هذا العنصر بالعدالة العربية ، فأبدى الطاعة والوفاء للحكم العربي بشكل خاص .

ثم توالت القرون وتبدلت الاوضاع ، فوقع الارمن وغيرهم من العناصر العربية والالبانية والسلافية تحت وطأة النير التركي ، فكان العنصر الارمني تواقاً للحرية والاستقلال ، فثار على الاتراك مرات . . . ولقي أهوال الارهاق والتنكيل والارهاب والنفي والقتل ، ورغم ما حلّ به من محن ونكبات متوالية ، فقد كان ايمانه في حق استقلاله عقيدة لا تزعزع ، فلم تلن له قناة ، ولم تتصدع عزائمه بالجور والاستسلام والرضا بالامر الواقع ، ودام هذا الحال حقبة طويلة ، حتى دخلت تركية الحرب العالمية الاولى ، فكان التشفي والانتقام ، وكانت الفواجع والكوارث ، وقام الاتراك ينفذون خطة ابادة هذا العنصر الذي اشتهر بقوة البأس والشكيمة والعزم والصبر والبطولات ، ولا ذنب له سوى المطالبة بحقه في الحرية والحياة ، كما طالب العرب بالأستقلال الداخلي ، فاعدم الاتحاديون شباب العرب ، ونفوا قسماً كبيراً من الاسر العربية الى الاناضول .

المجازر الارمنية

كان عدد نفوس الارمن المنتشرين في الولايات الشرقية من الاناضول وهي : وان ، بتليس ، موش ، ارزنجان ، ارضروم ، دياربكر عبارة عن مليون نسمة ، وهذا العدد اقلية بالنسبة لعدد السكان من الاتراك والاكراد في هـذه الولايات ، ولما بـدأ الاتراك تطبيق خطة الابادة استطاع (٣٥٠) ألفاً من الارمن النزوح بصورة متفرقة ، عن هذه الولايات والوصول الى ارمينيا الروسية .

وكان في منطقة كيليكية قبل سنة ١٩١٤ م زهاء مليوني ارمني ، وتعتبر هذه المنطقة مركز تجمع الارمن ، فسيقت مشياً على الاقدام قوافل المهاجرين تتألف من مليون ونصف مليون من كيليكية الى المناطق السورية و (٢٥٠) الفاً الى المناطق العراقية ، ومن تبقى من المليونين ظلوا في كيليكية تحت حماية ذوي النفوذ من الاتراك الذين تربطهم شتى الصلات مع الارمن .

سار المهاجرون في سنة ١٩١٥ م ، في قوافل تتبع بعضها ، وهم لا يدرون ماخبأت لهم الاقدار القاسية من مفاجئات وفواجع مروعة .

هجروا اوطانهم ، وكانوا اعزاء في عيش رغيد ، فسارت قوافلهم في صحراء دير الزور المهلكة ، تلفحهم شمس النهار المحرقة ، وتلسعهم برودة الليل القارصة ، وطال المسير ، فكانوا حفاة في اثواب بالية ، وهناك على ضفاف نهر الفرات كانت الفظائع والفواجع ، فصرع الاتراك الشباب والكهول ، وقذفوا بهم ليغوصوا في اعماق هذا النهر الكبير وتياره الجارف .

وهناك في البوادي حيث تكثر الكهوف والوديان والفجاج ، أبيد خلق كثير ، وآثر فريق كبير من ذوات الخدور والبنات الموت غرقاً ، فقذفن بأنفسهن في نهر الفرات ، وابتلعتهن لجه المتلاطمة تخلصاً من عار هتك الاعراض ، وفقد الأطفال من كان يحميهم ويسعدهم بحنانه ، فارتسمت في مخيلاتهم صور الموت الذي أفجعهم باعزائهم ، والفقر الذي نزل بهم فأشقاهم ، وقد وصل من قوافل الارمن الى البلاد السورية واللبنانية ، نصف مليون نسمة ، مات منهم جوعاً اكثر من نصفهم ، والباقي توزع في البلاد يتعاطون الاعمال الحرة .

وفي القرى الواقعة في جنوب منطقة الاسكندرونة ، التجأ شباب من الارمن الى مواقع حصينة في الجبال ، وقاوموا القوات التركية حتى نفدت ذخيرتهم ، وابيد أكثرهم ، واستطاع الاسطول الفرنسي نقل الفلول الباقية الى بورسعيد ، فأقاموا في مضارب واكواخ خاصة .

واثر الهدنة ، واحتلال الحلفاء للبلاد العربية ، قامت السلطات الانكليزية بجمع كافة الارمن الموجودين في البلاد السورية ، بغية تأسيس وطن قومي لهم ، ولكن الاحداث السياسية حالت دون تحقيق هذا المشروع .

عصامية العنصر الارمني

خرج الارمن من الحرب العالمية الاولى ، وهم كالنسور المهيضي الجناح ، منهوكي القوى والعزائم ، بعد أن أفنت المجاعات اكثرهم ، ودفعهم الطموح الفطري ، فخاضوا معترك الحياة في جميع سبلها ، وهم شعلة من نشاط لا تطفأجذوتها المتقدة ، والعصامية مرهونة بمدى السعي والجد والصدق والاستقامة ، وهذه المزايا متوفرة بالعنصر الارمني الجبار بكفاحه .

الوفاء والاعتراف بالجميل

اننا اذ نسجل للتاريخ ما تحلى به العنصر الارمني ، من نبل المقاصد ، وعظيم الوفاء للبلاد السورية التي أحسنت وفادته ، في عصر تطورت فيه الاخلاق ، وندر الوفاء ، نصرح بكل فخر واعتزاز ، بأن البلاد السورية ، لم تر من اي فرد انحراف عن أهدافها القومية ، فآثرت اعترافاً باخلاصه أن تجعل من هذا العنصر الوفي قطعة من كبدها ، فمنحته الجنسية السورية ، جزاء ووفاءاً للاعتراف بالجميل .

ويعود الفضل في توجيه الافراد ، الى ما اتصف به رؤساؤهم من الحكمة والعقل الراجح ، وما يسدونه اليهم من النصح والارشاد في كل مناسبة ، بأن يخلصوا للبلاد التي آوتهم وأكرمتهم ، وفسحت لهم العمل والكسب ، وأتاحت لهم الحياة في سعادة وهناء ، وهكذا يكون موقف العنصر الارمني المخلص نحو العرب (وفاء بوفاء) .

نشاط الجمعيات الارمنية

عندما قمت بوضع هذا السفر التاريخي عن شهداء البطش التركي من احرار العرب في الحرب العالمية الاولى ، رأيت ضرورة التوسع عن اخبار ابطال الفدائيين الأرمن الذين ثأروا بالانتقام من طغاة الاتحاديين الظالمين ، الذين امعنوا في العنصرين العربي والارمني قتلا ونفياً وتشريداً ، فالتجأت الى الصديق الوفي السيد آرتين كازانجيان ، فهداني الى المراجع التي تستطيع تزويدي بالمعلومات المطلوبة لتحقيق هذه الامنية التاريخية المتوخاة ، واثر ذلك اتصلت بفخامة رئيس الجمهوريه الارمنية السابق ، ومدير الكلية الارمنية في بيروت حالياً السيد سيمون فيراسيان ، وبالقائمين على امانة المكتبة الأرمنية في بيروت ، فسهلوا لي مهمتي التاريخية ، ثم تطوع الاستاذ سركيس بيكاريان مدير مدرسة زاواريان بدمشق لاكمال هذه الرسالة التاريخية ، فتوسط لدى المحامي الاستاذ فريـــد اصلانيان ، وكانت النتائج مرضية ، اذ تفضل قداسة الكاثوليكوس زاره الاول كاثوليكوس وبطريرك الارمن الارثوذكس في الاقليم السوري ولبنان وقبرص ، فأمر باتحافي بما احتاجه من معلومات ، وانه ليسعدني ان يزدان مؤلفي هـذا بصورة قداسته الكريمة ، وبترجمته الفذة ، وان أثبت لمحة تاريخية خاطفة عن علاقة العنصر الارمني منذ الفتوحات العربية في خدمة الامبراطورية العربية ، ليطلع الجيل الصاعـــد عليها .

بعد المذابح الارمنية ، واثر انتهاء الحرب العالمية الاولى ، نشطت الجمعيات الارمنية الثورية للانتقام من طغاة الاتراك الذين كانوا السبب في المجازر والفواجع الارمنية ، وأناطت الجمعيات السرية بالفدائيين من أبطال الارمن القضاء على زعماء الاتحاديين المسؤولين عما حل في الارمن من نكبات ، فصرعوا الواحد تلو الآخر .

مصرع انور باشا

كان ضابطاً صغيراً وعند اعلان الدستور العثماني ، اوفد الى المانيا في احدى البعثات الحربية ، وقضى مدة في برلين كملحق عسكري ، وتعرف خلالها على الامبراطور الالماني ، ثم عاد الى استانبول وقد تشرب الروح الالمانية في عاداته ومبادئه . وقـد تولى قيادة الحملة العسكرية في طرابلس الغرب ، واشترك في اوائل عام ١٩١٣ م باقتحام الباب العالي وقتل ناظم باشا وزير الحربية ، وفي اوائل سنة ١٩١٤ م تقلد وزارة الحربية ، واصبح وكيل القائد العام للجيش العثماني ، وقـــد وصل الى هذا المنصب الخطير بجرأته ، فكان صاحب الكلمة النافذة في حزب الاتحاد والترقي ، الذي كان بيده زمام الامور في السلطنة العثمانية .

كان مغروراً بنفسه ، ويرى ان الله خلقه ليجري على يديه خوارق المعجزات واعادة مجد تركية الغابر ، فأساء الادارة والتصرف ، وانخدع بالسياسة الالمانية ، فكان سبباً في القضاء على السلطنة وتمزيقها بسبب زجها في حرب ضروس ، وقد اقترن باحدى أميرات الاسرة العثمانيـة المالكة ، واختلف مع ولي العهد يوسف عز الدين افندي ، فوجد منتحراً في غرفته ، وتواترت الاشاعات عن تدبيره مؤامرة قتله .

وقبل استسلام تركية للحلفاء غادر البلاد على غواصة المانية ، وقد قتله مرافقه في طريق تركستان ، وكان هذا المرافق يزعم انه تركي مسلم ، والحقيقة انه كان ارمنياً فصرعه واختفى .

اعدام جاويد بك

كان وزيراً للمالية في السلطنة العثمانية ، وقـــد بقي في البلاد التركية بعد دخول الحلفاء ، ولما انتصرت ثورة الكماليين ، قبض عليه واعدم شنقاً باعتباره احد المسؤولين عن دخول تركية الحرب وخراب الدولة .

مصرع سعيد حليم باشا

بيد الفدائي الارمني البطل ارشاوير سيراكيان

هو الصدر الاعظم في حكومة الاتحاديين ، والمسؤول عما اصاب العنصر الارمني من نكبات ومذابح .



الفدائي البطل اورشاوير سيراكيان

كان سعيد حليم باشا يقيم في روما ، ولا يخرج من داره الا نادراً ومتخفياً ، الا ان كثرة تحفظه ، لم تثن عزائم الفدائيين الارمن عن ملاحقته وبث العيون والارصاد لمراقبته على حركاته وسكناته .

وفي ٦ كانون الاول سنة ١٩٢١ م تقدم الفدائي الارمني البطل (ارشاوير سيراكيان) واطلق الرصاص عليه في شوارع روما عاصمة ايطالية فقتله ، واستطاع الافلات والسفر الى امريكا الجنوبية حيث يعيش الآن فيها مكرماً من قبل الجمعيات الارمنية .

مصرع طلعة باشا

بيد الفدائى الارمنى صوغومون تهلريان

هو الفدائي الارمني البطل (صوغومون تهلريان) ولد في ٢ نيسان سنة ١٨٩٦ م في مدينة (يرزنكا) .



لما وقعت الحرب العالمية الاولى أباد الاتراك (٨٥) شخصاً من أسرته ، وقد نجا مع احدى بنات اخيه من المذابح ، وهرب وسار مشياً على الاقدام الى بوغوسلافيا ، والتقى فيها بوالده ، ثم تطوع في الجيش الروسي وذهب الى ارمينيا ، وبعد انتهاء الحرب مرّ في استانبول ، وتعرف على امرأة ارمينية مثرية لها علاقة بالاحزاب الارمينية السرية ، فأبلغته بأن اسد الارمن وكان من جواسيس طلعة باشا ، قد سبب لقتل المئات من الارمن فتحمس وقتله ، وكانت البلاد فوضى ، فتوارى في بيتها .

ثم سافر الى باريس وجرت مخابرة بين الامرأة الارمنية والاحزاب الارمنية في امريكا الشمالية ، فطلبته للسفر ، وهيأت له كل الامكانيات ، وكانت هذه الاحزاب قد قررت اغتيال جميع زعماء الاتحاديين الذين سببوا المذابح الارمنية ، فكان ضحيتها مليون ومائتي الف ارمني ، وقد توجه كل فدائي أرمني الى المكان المخصص له لاغتيال الشخص المعين ، ودخل هؤلاء الى المانيا بجوازات سفر ايرانية ابتعاداً للشك والشبهة في امرهم ، وتلقوا التوجيهات والتعليمات السرية للتعرف على بعضهم ، وكان الارتباط بينهم وثيقاً ودقيقاً .

وصل الفدائي (صوغومون) الى برلين ، واستأجر منزلاً عند رجل كان يدري بالمهمة الموفد لاجلها .



الفدائي البطل صوغ‍ومون تهلريان

واكب على الالمانية يتعلم لغتها ، وكان بالوقت ذاته يراقب طلعة باشا مدة طويلة ، فقابله مرة في احدى الجنائن فعرفه من صورته الشمسية التي زوّده بهـا الحزب ، وتبعه حتى استدل على البيت الذي يسكنه ، واستأجر منزلاً يقابله وبات يراقب حركاته وسكناته وساعات خروجه وايابه ، وفي يوم ١٥ آذار سنة ١٩٢١ م خرج طلعة باشا من منزله لوحده وسار في شوارع برلين ، فلحقه وأسرع فتخطى الشارع الذي يقابله ، ثم أتى اليه وجهاً لوجه ، وأطلق عليه رصاصة واحدة من مسدسه ، فخر صريعاً ، ووقف القاتل ينظر وقد ضاع رشده ، ثم انسل من بين الجموع ورمى بمسدسه وفرّ هارباً ، فهجم المارون عليه يضربونه ، فوقع على الارض وغاب عن وعيه ، فأتت الشرطة واوقفته ، وقد تطوع كثير من كبار المحامين الالمان والارمن للدفاع عنه ، وتداخلت الاحزاب الارمنية لانقاذه ، وبعد المحاكمة قررت عدم مسؤوليته بسبب المذابح التي تعرضت لها اسرته ، فأطلق سراحه وعاد الى امريكا .

وقد دفن طلعة باشا في مقابر برلين .

مصرع السفاح سيرانشير التركي

بيد الفدائي الارمني البطل ميثاق طور لاقيان



الفدائي البطل ميثاق طور لاقيان

هو من أتراك القوقاز ، وقد اشتهر بالوحشية وسفك الدماء . وكان سبباً في قتل الالوف من الارمن في باكو .

وقد عهدت الجمعيات الارمنية الى الفدائي الارمني البطل (ميثاق طور لاقيان) فتعقب سيرانشير مدة ، حتى استطاع الفتك بـه ، فأطلق الرصاص عليه امام فندق بيرا بالاس في استانبول سنة ١٩٢١ م . وقد اتصف هـذا الفدائي بالجرأة والثبات ، اذ بعد ان اطلق عليه الرصاص وفرّ هارباً ، عاد اليه بعد ان قطع مسافة مائتي متراً ، حيث خيل اليه أنه لم يمت فأجهز عليه برصاصات اخرى ، وقد قبض عليه ، وتطوع أشهر المحامين للدفاع عنه . وبنتيجة المحاكمة اعتبرته المحكمة غير مسؤول فأطلق سراحه ، وهو يعيش الآن في امريكا الجنوبية .

عزمي بك

هو احد وزراء الدولة التركية ، وهو غير عزمي بـك والي بيروت ، وقد صرعه احد الفدائيين الارمن في برلين ، في فترة متضاربة لمصرع طلعة باشا .

مصرع بهاء الدين شاكر

بيد الفدائي الارمني البطل آرام يركنيان



الفدائي البطل آرام يركنيان

هو السكرتير العام للجمعية الاتحادية ووزير الصحة في الدولة التركية ، وقد قررت الجمعيات الارمنية اغتياله ، وكانت المهمة الملقاة على عاتق الفدائيين الأرمن شاقة وعسيرة ، اذ ان زعماء الاتحاديين قد امعنوا في التخفي وابدلوا أسماءهم ، ولم يفت ذلك في عضد الفدائيين الذين لم يخطئوا باغتيال احد من زعماء الاتراك ، بل كانت الشهور تمضي وهم يحققون ويترصدون حتى فتكوا بهم .

وكان اغتيال بهاء الدين شاكر ، بيد الفدائي الارمني البطل (آرام يركنيان) وهو من مواليد بلدة أرضروم ، وقد قتله في برلين يوم ١٧ نيسان سنة ١٩٢٢ م مع جمال عظمه ، احد زعماء الاتحاديين في يوم واحد ، واستطاع الافلات ، وسافر الى بونس ايرس عاصمة البرازيل وتوفي فيها سنة ١٩٣٥ م

مصرع السفاح جمال باشا

بيد الفدائي الارمني البطل اسطفان زاغيكيان

ان امة لم يخرج من بين صفوفها فدائي بطل ، يثأر من السفاح جمال باشا لجدير بها ان لا تندب شهدائها ، بل عليها ان تندب ما اعتورها في ذلك العهد من وهن وتخاذل ، اذ لولا الفدائيين الارمن ، الذين لاحقوا زعماء الاتحاديين ، وفتكوا بهم ، لما شفي غليل القلوب من الثأر والانتقام ، فلا شلت تلك الايدي التي ثأرت ، وأودت بهذه الطغمة الظالمة الى رموس القبور .



الفدائي البطل اسطفان زاغيكيان

كان اول هدف للجمعيات الارمنية السرية بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها هو التشفي والانتقام من زعماء الاتحاديين الاتراك الذين كانوا السبب فيماتعرض اليه العنصر الارمني من المذابح والابادة والنكبات .

وقد نشطت الجمعيات الارمنية ، بايفاد الفدائيين من ابطال الارمن لمراقبتهم واغتيالهم ، وقد توفقت بفضل ما اتخذته من تعليمات وتوجيهات وترتيبات دقيقة لتنفيذ الخطط الموضوعة .

اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى ، ذهب جمال باشا الى كابول بدعوة من ملك الافغان لتنظيم الجيش الافغاني ، وقد أوفده الملك الى فرنسا لشراء السلاح والعتاد اللازم للجيش ، فاستقبله الفرنسيون بحفاوة بالغة ، وقد عتب اللبنانيون على الفرنسيين لاستقبال السفاح ، وطلبت المحاكم اللبنانية آنئذ تسليمه لمحاكمته عن جرائمه الاثيمة .

ولما رجع الى الافغان مرّ بمدينة تفليس عاصمة كورجيه في القوقاز ، وكانت اخبار جمال باشا قد شاعت ، فترصده الفدائيون بينما كان ماراً بشارع بطرس الكبير ، وتقدم اليه الفدائي الارمني البطل (اسطفان زاغكيان) وقال له : « انت جمال باشا الذي كنت السبب في المذابح الارمنية » ، فأشهر جمال باشا مسدسه لرميه بالرصاص، ولكن الفدائي كان اسرع منه باطلاق الرصاص عليه ، وقتل رفيقه الفدائي الثاني ، اثنان من مرافقي جمال باشا ، وكان ذلك امام بناية الامن العام .

وتقدم في هذه الفترة احد رجال الاطفائية ، وكان ارمنياً يجهل الموقف ، وقبض على احد الفدائيين القاتلين وكان اثنان آخران يراقبان رفاقهما ، فتقدما الى جندي الاطفائية ، وطلبا منه ان يترك رفيقهما ، فأجابهما أنه مجرم، فقتل الجندي برصاص الفدائيين واستطاعوا جميعهم الفرار .

وبعد نصف ساعة حضر « بيريا » ، وكان مديراً للشرطة في ذلك العهد ، وقال ان هذه الجريمة هي من صنع وتصميم حزب « الطاشناق » الارمني ، وقبض على زهاء ثلاثمائة ارمني كانوا في الاماكن المجاورة لوقوع الحادث ،وكان القاتل بينهم ، وقد نفي هؤلاء جميعهم الى مجاهل سيبيريا لعدم معرفة القاتل ، وقضى هذا الفدائي الشجاع نحبه في منفاه سنة ١٩٣٩ م .

وهكذا ثأر فدائيو الارمن الابطال من السفاح ، وكان ذلك في الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٢٢. وان ما رواه بعض الكتاب عن مقتل جمال باشا في مدينة كابول هو غير صحيح .

تاريخ الكنيسة الارمنية

يرجع تاريخ الكنيسة الارمنية الارثوذكسية الى عهد المسيح ، وتدعى الكنيسة الرسولية ، وذلك أثر نزوح اثنين من تلامذة المسيح وهما تاديوس وبارتولوميوس حيث اتجها الى ارمينيا لبث المبادىء المسيحية ، وأسسا دعائم الكنيسة الارمنية الرسولية ، وقد أسس فيما بعد عام « ٢٨٨ » قداسة الاب غريغوريوس المنور الكهنوت الارمني ، وسيم كاثوليكوسا في اشميازين ، لذلك فقد لقبت الكنيسة الارمنية بالغريغورية نسبة الى القديس غريغوريوس « كريكور » المنور .

ويوجد الآن كاثوليكوسية في اشميازين من اعمال ارمينيا السوفياتية يرأسها قداسة الكاثوليكوس واسكين الاول .

ويوجد كاثوليكوسية للاقليم السوري ولبنان وقبرص يرأسها قداسة زاره الأول كاثوليكوس وبطريك الارمن الارثوذكس للاقليم السوري ولبنان وقبرص ، وان مقر هذه الكاثوليكوسية في انطلياس ، كما ان مقرها التاريخي هو مدينة حلب ، حيث سيم قداسة الكاثوليكوس بابكين الاول عام (١٩٣١) م بطريركا في حلب ، ويوجد بطريركية في (استانبول) وبطريركية ثانية في القدس ، وان البطريركية في اشميازين وبطريركية الاقليم السوري ولبنان وقبرص تتمتعان بنفس الميزات والصلاحيات الدينية وهما مستقلتان تمام الاستقلال حسب دساتيرها .

واضحت حلب في الماضي مقراً عاماً لجميع الكاثوليكوسيين الذين تعاقبوا على هذا الكرسي ، وكانت ملجئاً لهم في عصور الاضطهاد والتشرد ، ويعتبر الكاثوليكوس زاره الاول ، حلب مقراً له لأنه من مواطني الجمهورية العربية وترعرع في تلك المدينة ، وله خدمات جلى للوطن العربي ، ويعتبر بحق من البطاركة العرب ، الذي لا يألوا جهداً في سبيل تحقيق اماني البلاد العربية في الاتحاد والوحدة الشاملة المنشودة .

الفصل الخامس

الرد على مذكرات الكرد علي

كنت اود ان لا اتعرض بالنقد او الرد على ما جاء في مذكرات المرحوم السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ، بعد ان طواه الموت - عفى الله عنه وغفر له - لولا علاقة ذلك بمواضيع الشهداء ، وصديقه السفاح جمال باشا . وقد جاءت مليئة بالطعن بالشهداء والزعماء واعلام العلماء والادباء ، بشكل بعيد عن الصدق والحق .



لقد أخرج هذه المذكرات باربعة أجزاء ، وخص" اعلام الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة بالكثير من نقده اللاذع .

ولئن أمسك عن اخراجها الى حيز الوجود ، اشفاقاً عليه ، وابقاء لمحامد ذكره وعلمه ، ليظل اعتباره مستوراً باطار محدود من القدر والاعجاب .

ان من يتصفح مذكراته يجد فيها غرائب المتناقضات والمآخذ ، والناسخ والمنسوخ في مواضيعها ، التي ابتعد بها عن الترتيب بالنسبة لوقائعها التاريخية ، فاختلط في ابحاثها الحابل بالنابل ، وأدان نفسه باعترافاته ، وفضح سرائر اعماله ونواياه ، فتجلت فيها انانيته المقرونة بالاسفاف حسبما أوحت اليه عقليته في اخريات عمره .

لقد أخرج هذه المذكرات في عهد حسني الزعيم ، فأكرمه بنفقات طباعتها ، ومجّد في عبقريته ، وعبّر فيها بما يرضيه ، بالطعن بمن يريد من زعماء البلاد وعلمائها وأدبائها ، فكان أسخف منه في عقليته .

فهل كان صادقاً بما روى وما كتب ؟ .. أم متجنياً متحاملا ؟ .. فأمعن بالانتقاص من كرامات الناس ومواهبهم ، وقد رأينا الاكتفاء بايضاح بعض الحوادث ، ليطلع الناس على ما فيها من وقائع ومتناقضات ، ونترك للتاريخ تقدير ما فيها من وهن وتحامل وحقد وحسد وغرور .

لقد أثبت في مذكراته انه ذلك الرجل الاناني ، الذي لا يحب ان يظهر غيره في الوجود ، وانه كاتب مأجور ، يكتب بروح الصحفي ، وقد طغت هذه الروح على اخلاقه ، فأثرت على مجرى حياته ، ومن الغرابة ، انه لم يكتف بالطعن في سائر خلق الله حتى حضّ ناظم باشا والى سورية ، ذلك الرجل الانساني النزيه الطاهر المحسن ، الذي أجمعت كلمة الاعداء والاصدقاء والمحايدين على الثناء والاطراء عليه ، والسبب انه اختلف مع الوالي بسبب نقد اعماله ، فاضطر للهرب الى مصر عن طريق البر مع قافلة من تجار الابل ، فدخل الاسماعيلية بعد سير اربعة عشر يوماً ، والصورة المنشورة تمثله في حالة هربه ، وقد اهداها الى صديقه الشهيد الدكتور عزة الجندي بتاريخ ٣٠ تموز سنة ١٩١٢ م وقد كتب بذيلها (لحبيب الروح وطبيب الاجسام ، وأديب الارواح ، عزة بك الجندي من صديقه الطريد الشريد) . ومن المؤسف ان الشهيد الجندي الذي تلقاه بالحفاوة والتكريم في مصر ، وساعده في محنته مادياً ومعنوياً مع رفيق بك العظم وشخصيات كثيرة لم يك وفياً لعهدهم وصداقتهم ، فلم ينجو من وخزاته . واقسم ، اني لو اطلعت على هذه المذكرات وصاحبها حياً ، لخضت معه ميدان النقد بقلم كالمهند الصارم ، رنين التنوين فيه ، كرنين القضاء المحتوم . .

قال في مذكراته — : « بأن جمعية الاتحاد والترقي عرضت عليه تعيينه والياً في احدى الولايات ، او في منصب يعادل منصب الولاية فأبى » .

المؤلف — : لقد اعترف في الصفحة (٣٦) انه كان في عهد الوالي حسن باشا كاتباً في قلم الامور الاجنبية ، ونحن نستغرب ان يأبى منصب الولاية اذ ذاك . . وليته اقتنع ان يكون نائباً في مجلس المبعوثين ، حيث كان الاتحاديون ، وهو من فصيلتهم يخرجون اعوانهم نواباً بالاكراه والتزوير .

ذكر في الصفحة (٨٠) من مذكراته « ان جمال باشا كان ينوي اعدامه شنقاً ، ولكنه وقّر علمه ... »

المؤلف — : لقد فات الكرد علي ، بأن الذين أعدموا شنقاً من رجالات العرب كان اكثرهم ، اعظم منه مكانة ، وثقافة ، وعلماً ، وأدباً فلم يوقر جمال باشا علمهم ...

ذكر في الصفحة (١٠١) « ان رفيق بك العظم ، عرض عليه الدخول في الحزب اللامركزي عند نزوحه الى مصر سنة ١٩١٢ م ، فأبى ... »

المؤلف — : لقد اعترف الكرد علي ، بأن رفيق العظم كان أدخله في حزب الاتحاد والترقي ، ثم انسحب العظم بعد سنوات من هذا الحزب بعد ان تحقق نوايا الاتحاديين نحو العرب ، وألف اللامركزية ، ونحن نعلم ان رفيق العظم الرجل المثالي قد اكرم وفادته ، وهيأ له وسائل العيش في تحرير بعض الصحف ، وعرّفه بالمجتمع ، وليس في الامر غرابة ان أبى الدخول في اللامركزية ، وقد سار في ركاب الاتحاديين حتى النهاية ... والغرابة ، هي ان لا يظهر الود والصفاء لمن أحسن اليه ، وقد عرض عليه الانتساب للامركزية ليختبر ما خفي من ظواهره وبواطنه .
اعترف في الصفحة (١٠٣) « انه كان صديقاً لقنصل فرنسا بدمشق باعتباره مستعرب يحسن اللغة العربية ... واعترف في الصفحة (٩٩) ان القنصل طلب اليه ان تخدم جريدة القبس سياسة فرنسا ، وله ان يطلب ما يحب مقابل خدمته ، فرفض العرض بإباء . »

المؤلف — : قد يكون قوله صحيحاً ، ولكننا راجعنا جميع اعداد جريدة المقتبس ، فتأكد لنا ان الكرد علي لم يكتب فيها ولا بغيرها من الصحف التي تولى تحريرها في مصر ودمشق ، أية كلمة تشير الى موقف الدول الغربية صاحبة المطامع في الشرق ، فما هو السر في ذلك ؟ ..

لقد حرّم الكرد علي على زعماء العرب امثال هذه الصلات مع القناصل ولو كانت بريئة ، واتهمهم بالخيانة ، وحلل لنفسه ذلك ، والمفروض في الهيئات السياسية، ان لا تخالط وتعاشر في بيئتها الاجتماعية الا الطبقات البارزة في المجتمع .

اعترف في الصفحة (١٠٨) انه كان بينه وبين جمال باشا مودة وثقة ، واعطاه الف ليرة ذهبية لوفاء ديونه واصدار جريدته .

« أجل : لقد أعطى جمال باشا الكردعلي الف ليرة ذهبية ، ومثلها الى الشهيد عبد الغني العريسي ، صاحب جريدة المفيد بدمشق آنئذ ، فسار الاول في ركاب جمال باشا عبداً ذليلا ، وتأرجح الثاني على أرجوحة الشرف والمجد والخلود ، وروى الذين كانوا على صلة بهما في ذلك العصر ، ان الكردعلي لم يفتر لسانه لحظة عن الدس والايقاع بزميله الشهيد العريسي ، بدافع الغيرة والحسد والأنانية ، ليخلو له الجو من مزاحمته له في ميدان الصحافة ، وقد تولى تحرير جريدة الشرق ، وكان مديرها المسؤول الشيخ تاج الدين الحسني آنئذ ، وبديهي ان يكتب عن شهداء القافلة الثانية بما يرضى جمال باشا ، وفي العهد الفيصلي كان الكردعلي يشغل احدى الوظائف ، فتقدم الاستاذ عمر فرحات مدير المعارف اذ ذاك الى الملك فيصل بعدد الجريدة ، فاستغنى عن خدماته واخلاصه بعد اطلاعه عليها .

ذكر في الصحيفة (١١٥) ان الشهيد عبد الحميد الزهراوي لما وصل الى حلب ، ابرق الى جمال باشا يقول له: ان لديه معروضات خاصة يرجو ان يدلي بها اليه مشافهة ، فأجابه الى طلبه واستمع الى عرضه ، بأن الرجل الذي كان يفاوض الاجانب ويعرف اللغة الفرنسية ، هو الكردعلي صاحب المقتبس ، فأجابه جمال باشا ، عليك ان تقول هذا الكلام في الديوان العرفي في عاليه .

وان الزهراوي ذهب الى عاليه ، واورد امام الديوان العرفي ما قاله لجمال باشا ، فقال له رئيس المحكمة العرفية، ان كان لديك شيء بخط صاحب المقتبس وتوقيعه فأبرزه ، وأما قولك انه كتب اشياء عن الحكومة في جريدته ، فهذا نعرفه وعندنا مجموعته ...

المؤلف : نستبعد ان يقدم الشهيد الزهراوي ، وهو المشهور بعفة لسانه وقلمه ، على ذكر اية كلمة او تهمة بحق الكردعلي او غيره لجمال باشا او المحكمة العرفية في عاليه . واكد الذين سيقوا الى الديوان العرفي ، ثم صدرت بحقهم احكام النفي والسجن والبراءة ، بأن الشهيد الزهراوي ، لم يتحدث بأية كلمة عن اي احد كان ، والزهراوي أرفع من بوصم بمثل ذلك . وقد اختلق الكردعلي ذلك ليكون مبرراً له في التحامل على أعظم شهيد أنجبته البلاد العربية ، كما يظهر ذلك جلياً في المواد التالية ، وكان عليه ان ينشر صورة البرقية التي بعث بها الزهراوي لجمال باشا بحق الكرد علي تفادياً من اتهامه في التلفيق والافتراء .

قال الكردعلي في الصحيفة (١١٦) « ان الزهراوي حاول الاشتهار بالعلم ، فكشفت الايام امره ، وانه بعث الى كردعلي وهو بمصر مقالة لتنشر في مجلة المقتطف ، كتبها على اسلوب القرآن ، فدفعها الى منشيء المجلة فلم تنشر ، وانه راجعه بعد الحاح الزهراوي ، فقال له صديقه الدكتور يعقوب صروف ، بأن من عادته في المقالات الواردة من المؤازرين ان يدفعها الى ابنته فتقرؤها ، فاذا رآها قد فهمتها وتسوغتها ينشرها ، والا فلا ، وان مقالة الزهراوي لم تدرك ابنته مغزاها ، ويرى الكردعلي ، بأن البنت اذا كانت لم تفهم ، فالقراء أجدر ان لا يفهموا ...»

المؤلف ـ « ونحن نقول ليعقوب صروف ولابنته ولمحمد كردعلي ، بأنه ليس من مستوى أدمغتهم ان يفهموا ما انطوت عليه مقالة الزهراوي من بلاغة وبيان .

ذكر الكردعلي في الصفحة (١١٧) «بأن الزهراوي ، كتب اليه من حمص مرة يسأله ، عما اذا كان قرأ مقالاته في مجلة المنار (نظام الحب والبغض) فأجابه بأنه قرأها ، ولم يفهم مايريد منها ، فقال له ، اقرأها ثانية تفهمها ، وانه أعاد تلاوتها ، فما فهم لها معنى ، وانه غير مستعد لفهم الفلسفة العالية ، وان مقالات الزهراوي كانت من هذا الطراز ، وانه كتب في جريدة الحضارة في الآستانة ، فما كانت تفهم مقالاته السياسية ، وانه نشر أيضاً مقالاته في « الجريدة » بمصر ، فلم يفهم القراء اقواله ، ولا حلّوا معمياته وألغازه ...»

المؤلف – هنا يتجلى ما انطوت عليه روح الكردعلي من حقد وكره وانتقاص من مواهب الزهراوي وعلمه وأدبه ، فأفسح له المجال في مذكراته ليشفي غله من شهيد جليل أصبح في عالم الخلود .

أجل : لقد اعترف محمد الكردعلي ، بأنه لم يتطوّع في تقريظ كتابات الزهراوي ومؤلفاته سوى الامام محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الذي وصف الشهيد الزهراوي بأنه لا يقل شأناً عن السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ، ووصف مقالاته ومؤلفاته ، بأنها صورة مطابقة لاسلوب الافغاني ومحمد عبده في بيانها المشرق الرفيع ، فمعنى ذلك ، ان الكردعلي لايفقه من البلاغة والبيان ما يستطيع به ادراك ما أنشأه الزهراوي في اسلوبه الفلسفي الرفيع .

ثم وصم الكردعلي الشهيد الزهراوي بأنه كان خداعاً ، وانه نصحه ان يترك مطالعة الكتب القديمة ، وان يكتب من فكره ، فأجابه الكردعلي بأنه يتسلىّ بمطالعة المؤلفات القديمة .

فهل في هذه النصيحة المخلصة ما ينطوي على الخداع .. اما الكردعلي ، فقد فسر هذه النصيحة بقوله « ان الزهراوي لم يتعلم ، ولا يرغب ان يتعلم ، ويشق عليه ان يتعلم احد ، وان معلوماته ما زادت عما اخذه من شيخ في المدرسة الرشدية في حمص ، وانه لا يحب ان يتعب نفسه بالمطالعة ، وان ما طبع عليه الزهراوي من حسد يحمله على ان يصد كل راغب في العلم ، حتى لا يظهر في المستقبل الفرق بينه وبين من تعلم ...»

وأردف محمد كردعلي قوله : بأن الشيخ طاهر الجزائري كان من رأيه في ذلك .

المؤلف – نحن نقول ، بأن الزهراوي قد اشتهر بالنبل ومكارم الاخلاق ، والنجدة والشهامة ، والاخلاص والوفاء ، والنصح والارشاد ، وكان نبراساً يقتدى بفضائله المثلى وسجاياه النادرة ، اذا لم يكفر الزهراوي اذا نصحه ، ولا يحتاج الامر الى هذا الحد من الطعن والانتقاص من كرامته والاسفاف بالوصف ، فالزهراوي ارفع من ان يوصم بالغش والخداع والدس على الناس ، فهذه الصفات هي من شيم من وصفه بها زوراً وبهتاناً . والأناء ينضح بما فيه ، وهذا ما يثبت بأن الكردعلي قد وضع مذكراته في اخريات حياته ، فانطبقت عليه حكم الآية الكريمة (ومنكم من يرد الى أرذل العمر ...)

ان تحصيل الزهراوي المحدود من العلوم على شيخ في المكتب الرشدي بحمص ، فهو امر طبيعي ، ولكنه لا يعرف من هم أعلام شيوخه في حلقات الدراسة الخاصة .

اما ذلك الشيخ الذي يعنيه ، قد أنجب جيلاً مثقفاً من ابناء حمص ، ليتسنموا اسمى المراتب والمناصب في الدولة ، كما وان الزهراوي في دراسته على هذا الشيخ ، وتتبعه العلم على نفسه قد أظهرت عظيم مواهبه التي تتضاءل امامها مواهب اصحاب الشهادات العليا ، امثال محمد كردعلي وانداده ، فهل يستطيع الكرد علي والف اديب ظهير له ان يأتوا بمثل ما أتى به الزهراوي في مؤلفه (خديجة ام المؤمنين) من بلاغة وبيان .

– ذكر في الصفحة (١١٨) من مذكراته « بأن الشهيدين عبد الغني العريسي صاحب جريدة المفيد ، وسيف الدين

الخطيب ، قد اتهما الكردعلي ، بأنه هو الذي علمهم ودرّبهم على السياسة والاحزاب والجمعيات .

المؤلف – هذا زعم غير منطقي ، اذ لم ترد هذه التهمة في كتاب « الايضاحات السياسية » الذي اصدره جمال باشا وقد زعم الكردعلي ذلك ، ليظهر نفسه للملأ ، انه كان استاذاً للعريسي والخطيب .

فالعريسي في وطنيته وجهاده وثقافته وقوة قلمه وفصاحة لسانه أبرز شأناً من الكردعلي ، وقد ضاق به ذرعاً عندما نقل العريسي جريدته من بيروت الى دمشق ، فزاحمه في حقل الصحافة ، وكانت جريدته لسان الامةالعربية ، تفوق جريدة المقتبس في كل شيء ، وأنصارها رجال العرب كافة .

– ذكر الكرد علي في الصفحة (١٤٩) انه كان مع جمال باشا في فندق بارون بحلب ، وانه كان جالساً على سطح الطابق السفلي مع الشيخ اسعد الشقيري ، فوقعت على رأس الكردعلي من الطابق العلوي قطعة من الخبز ، وانه التفت فرأى جمال باشا مع خلوصي بك والي سورية ، وانه وجه الخطاب الى جمال باشا في الحال وقال له « لِمَ الخبز تقذفنا به يا باشا ، فنعمتك علينا دافقة ، ويقول المثل العربي : « اجع كلبك يتبعك » ، وانتم بحمد الله اشبعتم كلابكم ، وهم يتبعونكم حيث ذهبتم .

المؤلف – تمل ايها القارىء درجة السخف والذل والاستخذاء والرياء ، اذ كيف يرضى من به ذرة من الشرف والعزة والكرامة ان يضرب هذا المثل ، لارضاء جمال باشا ، ويجعل نفسه وامته من فصيلة الكلاب ويتبعه اينما ذهب ...

(الكرد علي والعلامة القاسمي)

– ورد في الصفحة (٦٨٧) من مذكراته ، « ان الامير شكيب ارسلان قرظ كتاب (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) وهو من تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ، وأشاد بمواهب المؤلف ، فنشر الكردعلي في مجلة الرسالة مقالة اعاب فيها المؤلف وانه جمعه جمعاً .

« وقد المع الامير شكيب ارسلان بجوابه ، انه قد ثقل على الكردعلي ما صدّر به ذلك المؤلف من مناقب مؤلفه ، وانه لجد مستغرب منه ضيق صدره بثنائه على رجل لا يتمارى اثنان في دمشق في كونه من افذاذ هذا العصر ، ومن العلماء الذين تحتج بمثلهم دمشق في كل مقام مباهاة ، وقال ان التمجيد في محله لايكون موضع نقد وان الامام الشيخ محمد رضا صاحب مجلة المنار ، قد أطنب في وصف مؤلف القاسمي وقال « انه لا يعرف كتاباً مثله في موضوعه وسيلة ومقصداً ومبدأ » .

هذا وان تزكية الامام الشيخ رشيد رضا لمؤلف القاسمي هو فصل الخطاب في احقية التقريظ ، ولا يحق لاي متشدق مغرور الخوض في هذا الميدان الشائك ، وان يتحدى قوله ، لاختصاصه بهذه العلوم العويصة التي لا تحيطها مدارك الكردعلي .

خطط الشام

ومن الغرابة ان يعتبر محمد كرد علي نفسه معصوماً من الخطأ والعجز ، فيسترسل بالطعن في مواهب غيره ضلالاً وحسداً ، ويعتقد انه في منجى من النقد .

عندما اصدر مؤلفه خطط الشام ، تعرّض الاستاذ الشيخ راغب العثماني لنقده واظهار ما تضمنه من حوادث تاريخية

خاطئة ، واغلاطه لغوية فادحة في سلسلة نشرت في احدى المجلات ، ولما صدرت المقالة الثالثة ، ورأى الكرد علي وطأة النقد تشتد ، تنازل عن جبروته ، وحضر الى مكتب الاستاذ العثماني ، ورجاه بلسان اللين والاسترحام ان يكف عن النقد ، واقسم له بأنه سيجمع مؤلفه خطط الشام من المكاتب ويتلفه حرقاً ، تمهيداً لتصحيحه من الاخطاء والاغلاط ، ولكنه لم يفعل ... !

اما الجيل المثقف المعاصر ، فانه يعلم من هو الكرد علي عندما كان استاذاً للآداب في معهد الحقوق ، فقد ظهر عجزه الادبي في ميدان التدريس ، وانسحب بعد زفات مخزية لا يطاق احتمالها من طلاب جامعة اكتشفوا ضعف مواهبه الادبية ، كرئيس للمجمع العلمي العربي ، فأكرهوه على الانسحاب من التدريس .

ومما يجدر ذكره ، ان الكرد علي عندما كان وزيراً للمعارف في حكومة الشيخ تاج الدين الحسني الاولى سنة ١٩٢٨م ، ثم وزيراً للمعارف في الوزارة التي ترأسها الموسيو (سولومياك) الفرنسي في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٣١ م ، بدرت منه في عهدي وزارته تصرفات شاذة ، ابداها الموسيو سولومياك بكل اسف الى صديقه المرحوم حقي العظم ، فسجلها في مذكراته الخطيرة ، وقد بلغت اكثر من خمسين مادة ، تمثلت فيها اطوار شذوذه .

والمع الموسيو سولمياك ، بأن الكرد علي هو من العناصر التي لا يستفاد من مواهبها واخلاصها للمصلحة .

وهكذا انفضح امره فتحاشى رؤساء الوزرات في مختلف العهود ادخاله بعد ذلك في الوزارة .

محمد كرد علي وعبد القادر العظم

ومن جملة الشخصيات التي تناولها المرحوم محمد كرد علي في مذكراته ، بالطعن والتجريح هو السيد عبد القادر العظم ، فانتقص من مواهبه الثقافية الى حد بعيد .

ونحن نرى من العدل والانصاف ، ان نضع امام اعين القراء فقرة وردت في ترجمة السيد العظم في كتاب « المدرسة الملكية والملكيون » الصحائف ٥١٥ و ٦١٤ و ٦١٦ المطبوع في الآستانة جاء فيها « ان السيد عبد القادر العظم تخرج من المكتب الملكي الشاهاني سنة ١٩٠٤ م وان علاماته في مراحل الدراسة الاعدادية والشاهانية كانت بدرجة (على الاعلى) واخرج مؤلف ذلك الكتاب صورة عن شهادتيه الاعدادية والملكية ، واختارها من بين الشهادات لتكون نموذجاً يقتدي به ، وهذا ما يخالف الحقائق الواردة في مذكرات الكرد علي ، الانتقاص ولم نر ما يبرر من مواهبه الا اذا كان الكرد علي يعتقد بان الجامعة التي تخرج هو منها خاصة بالاذكياء ، والتي تخرج منها عبد القادر العظم وغيره خاصة بالاغبياء . وفي ذلك منتهى السخافة والتحامل المفضوح .



العلامة المرحوم محمد كرد علي ١٨٧٦ - ١٩٥٣

ادهم بن محمد الجندي

١٩٠٢



مؤلف هذا السفر مع ولده الوحيد «عمر»

ليس في ترجمتي مايستحق الذكر، سوى انني أخرجت إلى ميدان التأليف الجزئين الاول والثاني من اعلام الأدب والفن، الأول صدر سنة ١٩٥٤م والثاني سنة ١٩٥٨م.

واخرجت هذا السفر مع تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي في آن واحد، ورغم مالقيت من عنت ومشقات، فقد أخرجت هذه المؤلفات التاريخية ومزقت اهاب الحاسدين المرجفين شر ممزق.

ولدي مؤلفات عدة من أدبية وتاريخية وفنية، سأعمل على اخراجها تباعاً، ان كان فى الأجل فسحة وأهمها، تاريخ الثورات المصرية، وتاريخ الثورات المغربية.

وقد قمت في عام ١٩٢١م برحلة الى أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة) وبرحلتين الى أمريكا الجنوبية (البرازيل) الأولى عام ١٩٢٣م والثانية عام ١٩٥٤م والى فرنسا وايطاليا ومصر وفلسطين.

وزرت العراق عام ١٩٥٦م وقمت بدراسات أدبية وتاريخية، كانت نتائجها هذه المؤلفات المتواضعة.

مصادر الكتاب

مقتطفات من مذكرات الشهيد الميرالاي صادق الجندي المفوض العام في سورية لحزب اللامركزية ، والعضو في جمعية العهد .

مقتطفات من مذكرات الاستاذ شكري الجندي العضو في الجمعيات العربية .

مقتطفات من مذكرات الضابطين الشقيقين المجاهدين توفيق وعبد العزيز الجندي .

مقتطفات من مذكرات الضابط المجاهد المعروف المرحوم خالد الحكيم .

مقتطفات من مذكرات أسعد الدرويش الضابط اركان حرب ومن مؤسسي جمعية العهد .

مقتطفات من مذكرات المرحوم العلامة الشيخ أحمد نبهان استاذ الشهيد عبد الحميد الزهراوي .

مقتطفات من مذكرات محمد نوري الفتيّح النائب في مجلس المبعوثين عن دير الزور .

اتصالات شخصية مع أسر الشهداء ، ومع شخصيات عراقية .

اتصالات مع البطريركية الارمنية فيما يتعلق بالفدائيين الارمن .

الفهرست

